منهاج السالكين

تأليف

العلامة الجليل جامع المعقول والمنقول
حاوي الفروع والأصول الملقب ببدر الإيمان

الشيخ علي نقي بن الشيخ الأوحد أحمد بن زين الدين الأحسائي

أعلى الله مقامهما

جدد الطبع تحت إشراف
سماحة العلامة المجاهد آية الله المعظم
الحاج ميرزا عبد الرسول الحائري الإحقاقي
دام ظله العالي

لجنة النشر والتوزيع في
جامع الإمام الصادق

منهاج السالكين

تأليف
العلامة الجليل جامع المعقول والمنقول
حاوي الفروع والأصول الملقب ببدر الإيمان
الشيخ علي نقي بن الشيخ الأوحد أحمد بن زين الدين الأحسائي
أعلى الله مقامهما

الأوحد
موقع الأوحد
Awhad.com

جدد الطبع تحت إشراف
سماحة العلامة المجاهد آية الله المعظم
الحاج ميرزا عبد الرسول الحائري الإحقاقي
دام ظله العالي

لجنة النشر والتوزيع في
جامع الإمام الصادق

الطبعة الثانية
١٤١٩هـ ~ ١٩٩٨م

بسم الله الرحمن الرحيم

ترجمة أحوال المصنف

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى ، أما بعد فهذه ترجمة الشيخ علي نقي رضوان الله عليه .

هو الشيخ السديد والحبر الوحيد ، الحكيم الماهر والنحرير الفاخر ، المولى الأولي الولي الشيخ علي نقي أولاه الله رضوانه ورفع في الرفيق الأعلى مكانته خلف الشيخ الأعظم وأستاذ الكل في الكل الأفخم الطود الفطحل الأمجد الشيخ أحمد بن زين الدين الاحسائي أعلى الله مقامه ورفع في دار الخلد أعلامه .

كان عالما عاملا زاهدا تقيا نقيا ورعا محققا مدققا ، له تصانيف في المعقول والمنقول كثيرة ، وتحقيقات أنيقة مبتكرة ، وقد ذكر في ترجمته المولى العلم العلامة والشيخ الحكيم الفهامة عمدة العلماء المجتهدين وقدوة الحكماء الالهيين الميرزا محمد تقي الشريف الممقاني) قدس الله تربته القدسية في ختام كتابه صحيفة الأبرار ما لفظه (كتاب نهج المحجة في إثبات الامامة للشيخ الأعظم والطود

الأفخم ، بقية الأوائل ، ومجمع فنون العلوم والفضائل ، علي نقي بن أحمد بن زين الدين الاحسائي المذكور أعلى الله مقامهما ورفع في الخلد أعلامهما ، كان قدس سره من أعظم تلاميذ أبيه ، جامعا لجل العلوم العقلية والنقلية ، حائزا للكمالات الصورية والمعنوية ، حاملا للأسرار وحافظا للأخبار حتى سمعت جماعة ينقلون عنه أنه كان يقول (أحفظ اثنى عشر ألف حديث بأسانيدها) .

وله قدس سره في كل من المعقول والمنقول مصنفات أنيقة متقنة تشهد لصاحبها الغوص في تيار علم لا يساحل والبلوغ إلى ذروة فضل لا يحاول منها كتابه هذا (يعنى نهج المحجة) الذي حوى من التحقيقات الرائقة ما لم يحوه كتاب) انتهى .

كان حفظه رحمه الله مشهورا يضرب به الأمثال حتى سمع من أبيه أنه كان يقول (علي أحفظ منى) ، وينقل عنه أنه كان يحفظ من الأحاديث بلا إسناد ما لا تعد ولا تحصى ، مضافا إلى ما كان يحفظ من الأحاديث بأسانيدها ما سمعت ، وما يتلى عنده من قصائد الجاهلية إلى زمانه إلا كان يأتي بآخرها ، ويحفظ كثيرا من متون الكتب والرسائل .

كان ملازما لوالده قدس سره سفرا وحضرا ومقربا عنده ، وكان اشتغاله جلا أو كلا عنده وعلى يده يلتقط ثمار تحقيقاته ويقتنص شوارد مبتكراته سالكا جادة أبيه حاذيا حذوه وكان شاعرا أديبا فلاقا .

قال تلميذ أبيه السيد كاظم الحسيني الرشتي في شرح قصيدة عبدالباقي أفندي ما لفظه (ولقد سمعت أنا من الشيخ التقي الصالح العلي الشيخ علي بن شيخنا وأستاذنا أعلى الله مقامه ، وكان من العلماء المبرزين والفضلاء المتبحرين ، وكان من

حملة الأسرار ، ومن شعره الذي قال في حفظ السر في مقطوعة له إلى أن قال :

وأنت تزعم فردا لست تكتمه   فكيف يكتم عنك السر اثنان
عندي ثقاة فمن سمعي ومن بصـ   ـري ولكن فؤادك أولى بكتمان

وله قصائد غراء في مدح مولانا أمير المؤمنين عليه السلام رائية وبائية وهائية مشالة وغيرها أدرج رحمه الله بعضها في كتابه (نهج المحجة).

وكان يلقب ببدر الايمان كما صرح به تلميذه الآتي ذكره خلف كتاب (منهاج السالكين) بما لفظه (هذا الكتاب المستطاب المسمى بمنهاج السالكين ، خط المؤلف العالم العامل الفاضل الحكيم العارف الزاهد العابد ، أستاذنا الأعلم ومقتدانا الأكرم الملقب ببدر الايمان الشيخ علي .. إلخ).

وله تصانيف ورسائل في العلوم المتشتتة والعلوم الرياضية الغريبة منها كتاب نهج المحجة في الامامة ، ومنهاج السالكين في الأخلاق ، ورسالة في الرد على من اعترض على والده في المعاد ، رسالة في قاب قوسين ، رسالة في رد بعض ما قاله الشيخ عبدالكريم الجيلاني ، رسالة موسى والخضر ، كشكول نفيس ينوف على عشرة آلاف بيت تقريبا فيه من العلوم الغريبة من الجفر والرمل والمولود الفلسفي وفوائد كثيرة ومجربات من بعض الأدوية النافعة والعوذ والرقى وغير ذلك وجدته بقلة واستنسخت منه كثيرا من فوائده ، هذا ما عثرنا عليه من كتبه ورسائله وله تصنيفات أخر في المعقول والمنقول ما عثرنا عليها .

وكان ـ رضوان الله عليه ـ وصي والده المرحوم وهو الذي صلى عليه وجهزه ورجعت إليه أغلب تابعي والده ومقلديه وعاش بعده مدة خمس سنوات وأحد عشر يوما لأنه ـ رضوان الله عليه ـ على ما أرخ تلميذه الفاضل العارف الألمعي الشيخ محمد بن

الشيخ عبدالرحيم المازندراني رحمه الله خلف كتاب (منهاج السالكين) الذي هو بقلمه ووهبه لتلميذه هذا المزبور توفي في شهر ذي الحجة سنة 1246 من الهجرة، وهذا نص تلميذه خلف الكتاب المذكور قال - رضوان الله عليه ((تاريخ وفاة مولاي وسيدي وسندي، الحكيم العارف الزاهد المرحوم والمغفور له الشيخ علي نقي بن المرحوم الشيخ أحمد بن زين الدين الإحسائي صبح يوم الأحد الثالث والعشرين من ذي الحجة الحرام سنة 1246 من الهجرة النبوية على مهاجرها وآله آلاف الصلاة والسلام في كرمنشاهان ودفن في خارج البلد في الطريق الذي يروحون منه إلى كربلاء العالية بوصية منه لأنه كان ممن لا يجوز نقل النعش من بلدة إلى أخرى، ومات قدس سره بمرض الطاعون فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وتوفي والده الشيخ أحمد بن زين الدين بنصه في آخر الرسالة المعادية في الثاني والعشرين من ذي القعدة سنة 1241 من الهجرة بمنزل يقال له هدية قبل المدينة المنورة بثلاثة منازل ونقل إلى المدينة ودفن في البقيع تحت الميزاب خلف الحائط الذي فيه أئمة البقيع عليهم السلام، مقابل بيت الأحزان بيت الزهراء عليها السلام، وكان ذلك من كرامة الله له رفع الله مقامه، لأن من كان مع الحاج الشامي لا يمكن نقله ولكن الله سبحانه أراد إكرامه بمجاورة رسوله وآله عليهم السلام فأخفى أمره على أعداء الدين والحمد لله رب العالمين) هذا آخر كلامه.

فبملاحظة التاريخين يعلم أنه - رضوان الله عليه - ما عاش بعد والده إلا مدة ما ذكرناه، ولم يعقب - رضوان الله عليه - لا ذكر ولا أنثى وله من أبيه أخوان هو ثالثهم وكلهم كانوا علماء فضلاء أتقياء أبرارا كملين الشيخ محمد تقي والشيخ عبدالله وكلاهما ماتا في زمان والدهما على تردد عندي في الثاني منهما في موته قبل

والده ولم يعقبوا ، وكانوا على منهاج والدهم المرحوم مطيعين له مرضيين عنده مسلمين له تسليم المماليك لساداتهم لا الأبناء لآبائهم منقادين له أشد الانقياد ما بلغنا إلى يومنا هذا من أحد أن واحدا منهم خالف أباه أو رد عليه وأنكر وخرج عن طاعته واتباعه أبدا ، ولم ينقل لنا شيء من ذلك مع كمال إطلاعنا على أحوالهم وشدة تفحصنا عنهم .

أخذت هذه النبذة عن حياة المصنف قدس سره من مقدمة كتاب نهج المحجة والذي كتبه العلامة الكبير والفهامة الخبير الحكيم الالهي والعالم الرباني محيي الشهادة الثالثة العلوية في الكويت المولى المعظم المقدس الميرزا علي الحائري الاحقاقي قدس الله نفسه الشريفة .

تمهيد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين الذي خلق الإنسان من ماء مهين فجعله سميعا بصيرا وعلمه البيان كتابا مبينا فكان عليما خبيرا وهداه النجدين قادرا مختارا إما شاكرا وإما كفورا والصلاة والسلام على عبده ورسوله الأحب محمد المنتجب من سائر العرب وعلى آله الجارين على منواله التابعين له في جميع أحواله وأفعاله الداعين إلى منهاجه بأقواله . وبعد .

فيقول أسير نوائب الزمان المتفاقمة ومسجون خطوب الدهر المتراكمة قليل البضاعة والعمل كثير الإضاعة والزلل علي نقي بن أحمد ابن زين الدين الاحسائي بينما أنا أتجرع زعاف صاف الفراق وأحتسي من كؤوسه مر المذاق يقذف بي الدهر من تلاع إلى وهاد من فراق والد ماجد وأخوة وأولاد

فأوحش ربع الأنس من بعد بينهم

فأصبحت صفر الكف منتزح الدار

منفردا في ديار شاسعة بلا صفا مقيما بين إخوان مكاشرة لا إخوان وفا

ويحزنني أني أقيم بمعشر أباكر من لا أرتجي وأراوحه

وقد شن الدهر الخؤون بغاراته في ربوع أهل الحجى والفضائل وعانت كتائب صروفه في مرابع ذوى النهى والفواضل وتولع في خفض قدر كل فاضل ورفع شأن كل جاهل ولم يبق من معالم أهل العلم إلا دارس الآثار ولا من العمل إلا دمنة عفتها الاعصار.

فتلك مغانيهم وهذي ربوعهم — توارثها إعصارها وحريقها

وقد كنت في شغل شاغل من تشتت البال ودواعي عزيمة إلى ارتحال والعوائق وتمنعني من الانتقال إذ لم أر معينا ناصرا ولا ذا خلة مؤازرا إذ عنّ لي وارد أمر لم أجد له مصدرا وداع مستحث وقفت عنده متحيرا يهتف لي طالبا أمرا فبقيت أقدم رجلا وأؤخر أخرى من ذي السدة العلية والنفس الأبية نور حديقة السلطان ونور حدقة الزمان أن أكتب كتابا مشتملا على جل مكارم الأخلاق منطويا على ذكر الزهد في دار الغرور لأنه مغلاق مساوئ الأخلاق ومصداق قول سيد البرية صلى الله عليه وآله ((حب الدنيا رأس كل خطيئة)) (١) وكان طلبه ذلك معربا عن ذهن وقاد وفكر نقاد وأنه أدرك الكمال قبل أن يبلغ مبالغ الرجال وأحرز في الفتوة ما لم ينله غيره بعد بلوغ الأشد والقوة فكان أحق ممن قال بما قال:

وأدركت من قبل الثلاثين رتبة — مؤملها بعد الثمانين يائس

بجد وجد لا بجد ووالد — وإن كرمت من والدي المعاطس

الأفخم المعظم والطود الأشم (طهماسب ميرزا) نجل علي البرهان وسلالة السلطان (محمد علي ميرزا) نتيجة سلطان الزمان مشيد ركن الايمان السلطان فتح علي شاه قاجار أنار

---

(١) شرح النهج ج ٩ ص ٢٣٩

الله برهانه وأعلى شأنه وشد أركانه فشمرت عن ساق الجد والاجتهاد وأجبته إلى ما طلب وأراد وأودعت في هذا الكتاب نكات دقائق وأسرار حقائق عن علم ويقين لا بظن وتخمين لو ركبوا أعجاز الابل وقطعوا في طلبها القفار وساروا أطراف النهار ما وجدوها إلا في هذا المضمار ووسمته ب (منهاج السالكين إلى حق اليقين) والله أسأل أن يسددني للصواب وينفعني به في المآب إنه كريم وهاب ورتبته على مقدمة وخمسة أبواب وخاتمة

المقدمة : في ماهية الأخلاق وذكر الاختلاف فيها بمن تقوم به وتتحقق فيه .

الباب الأول : في العقل والعقلاء والعلم والعلماء .

الباب الثاني : في ذكر الدنيا والزهد فيها و التجافي عنها وعدم الركون إليها .

الباب الثالث : في الصبر وما يتعلق به من البلاء ومن يختص به من الأولياء .

الباب الرابع : في الشكر وحقيقته ومن يتحلى به .

الباب الخامس : في ذكر الذين زهدوا في الدنيا ورغبوا في الدار الآخرة ويلحق به مواعظ متفرقة .

الخاتمة : في ذكر مكارم الأخلاق وحقيقة الاتصاف بها وتجنب مساوئ الأخلاق وما ورد فيها .

المقدمة

في حقيقة الخلق وتعريفه وملحقات تتعلق به

الخلق بالضم الطبيعة والسجية ، والخليقة الطبيعة ، والخلقة الفطرة ، قالوا والخلق كيفية نفسانية تصدر منها الأفعال بسهولة وينبغي أن يزاد فيه من غير حاجة إلى استعمال فكر وروية معلل بغرض مخالف للطبيعة ليخرج من يتكرم لاستجلاب المدح والثناء وأمثاله وبعض جعل بدل قولهم بسهولة قوله بغير فكر وروية واعلم أن الحكماء اختلفوا في الخلق الذي هو الطبيعة هل هو النفس التى ليست بناطقة فيختص بالحيوانات العجم فقط أم يشوب النفس الناطقة منه شيء فيشمل الإنسان فمنهم من قال أنه يختص بالنفس التى ليست بناطقة ويستدل على ذلك بأن حركة النفس بغير فكر إلى ما يدعو إليه الخلق من سوق إلى شيء أو الهرب من شيء وما أشبه ذلك يدل على أن الأخلاق للنفس التى لا نطق لها ولا إدراك مثل ما يرى مثله في الأطفال والحيوانات الصامتة فإنا نرى بعض الحيوان جبانا كالأرنب والإبل وبعضها شجاعا كالأسد والكلب وبعضها وحشيا نافرا كالذئب والبوم وبعضها له أنس بالناس كالكلب والقط والحمام وبعضها ذا مكر كالقرد والثعلب وبعضا منها يحب الانفراد عن أبناء نوعه كالأسد ومنها ما يحب الاجتماع كالخيل وحمر الوحش وبعضها ما يجمع الغذاء ويدخره كالنمل والنحل ومنها ما يسرق ما لا ينتفع به كالعقعق فإنه يسرق الحلي

والجوهر فيخبأها بلا قصد منفعة راجعة إليه وكذا الفأرة وأشياء أخر نراها من الحيوانات غير الناطقة وليس ذلك إلا لطباع جبلت عليها لا لفكر عن روية واردة عن إدراك فدل على أن النفس الناطقة لا يشوبها شيء من الأخلاق لأنها خلاف النفس الحيوانية .

وقال أرسطاطاليس وأتباعه أن النفس الناطقة يشوبها شيء من الأخلاق ولكن جلها للنفس التي ليست بناطقة ويرون أن الإنسان إنما يحس إذا كانت النفس منه قوية والنفس الحيوانية سلسة والنفس الطبيعية ضعيفة فحينئذ يحس الخلق .

وقال جالينوس الخلق حال النفس داعية للإنسان إلى أن يفعل أفعاله بلا روية ولا اختيار مثال ذلك أن قوما إذا فاجأهم الصوت الهائل ارتاعوا وبهتوا وإذا رأوا أو سمعوا شيئا مضحكا ضحكوا من غير إرادة بل ربما أرادوا الامتناع فلم يمكنهم وتعريف جالينوس ظاهره منطبق على القولين حيث أثبت كون الخلق يحصل للإنسان لا عن روية وفكر وهو في الحقيقة مخالف لمراد القائلين معا فإنه صرح بأنه يحصل للإنسان وأنه يفعله بلا روية ولا اختيار وهذا مفاد قول من يخصه بالحيوانات الغير الناطقة دون الإنسان لأن النفس الناطقة حركاتها وأفعالها مسبوقة بالإرادة والمعلوم أن جالينوس ممن لم يثبت عنده تعلق النفس الناطقة بالهيكل البشري الإنساني تعلق إشراق وتدبير فإنه قال في مرضه الذي مات فيه إني ما علمت أن النفس هي المزاج فتنعدم عند الموت فيستحيل إعادتها أو هي جوهر باق بعد فساد البدن فيمكن المعاد فيكون قوله على هذا مخالفا لمراد القائلين من حيثيتين والحق أن النفس الناطقة في الإنسان خلقا هو صورة تكونها ووصف تقديرها ولباس جمالها في مقدمات تطوراتها إذ هي مبدأ ظهور التعينات والآثار فهي كالمادة والأخلاق كالصورة لها التي هي مناط المدح والذم والثواب والعقاب فنسبة الأخلاق إلى النفس الناطقة كنسبة الصورة الظاهرة إلى

الإنسان فيما يناط بها من الحسن والقبح والوضع والهيئة وما يترتب على وجودها فالخلق للنفس الناطقة كالقشر الرقيق للحبة القوية الصالحة للنبات تنزعه بسرعة وتلبس مثله من شكله فتجد المؤمن ينتقل من خلق جميل إلى خلق جميل أبدا والمنافق بضده بحركة سيالة ﴿كل يعمل على شاكلته﴾ (١) وإن كانت فاعلة بالإرادة الاختيارية مدركة للأشياء بالفكر والروية إلا أنها ذات طبع مجبول على انقيادها لمعارفها التي هي شؤونها وأثر وجودها فكان ضعيفا مستهلكا بالنسبة إليها في تحقق اختيارها وإرادتها لسرعة تنقلها وكثرة أفعالها ويظهر ذلك الطبع قويا في مركبها أي النفس الحيوانية لجمودها وضعف تصرفها وبطؤ تنقلها وقلة شؤونها حتى ظنوا أن الخلق مختص بها فإن كانت النفس الناطقة قوية والنفس الحيوانية التي هي مركبها ضعيفة كما في الأنبياء والأوصياء عليهم السلام ضعف الخلق بالمعنى الذي عرفوه وقل إحساسه فيهم بالنسبة إلى حقائق ما هم عليه فلا يتحركون ولا يسكنون إلا بإرادة خاصة مسبوقة بعلم مطابق لمراد الله وإن كان فيما يظهر لمن دونهم أن ما هم عليه لا يكاد يتغير كما يتغير كما يشير إليه كلام أرسطاليس بل ربما يتوهم أكثر من يتسمى بالعلم بأن الأنبياء لا يقدرون على ترك الحالات التي كانوا عليها من الطاعة والأخلاق الحسنة حين رأوهم لا يفارقونها ولا يفارقون السيئات والأخلاق الذميمة ويعبرون عنه بالفطرة ويعرفون الفطرة بالجبلة التي لا تقبل التغير وهو خطأ لأن الفطرة حقيقة هي الصورة الإيجادية المطابقة لإرادة الله ومحبته وهي صورة التوحيد فإذا شيبت بمخالفة أوامر الله غيرت وانتكست قال سبحانه ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله﴾ (٢) أي لا تبدلوا و لا تغيروا فالنفي بمعنى النهي وقد أخبر عمن غير تلك الفطرة بقوله تعالى

---

(١) الإسراء ٨٤ (٢) الروم ٣٠

﴿ فليبتكن آذان الأنعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله ﴾ (١) .
وقال صلى الله عليه وآله وسلم ((كل مولود يولد على الفطرة وإنما أبواه يهودانه وينصرانه)) (٢) فقول من يقول أن الأنبياء مجبولون على الطاعات واجتناب المحظورات لأنه فطري لهم لا يمكن تغييره غلط ناش عن جهل بل المراد بفطرتهم أن وجودهم كامل بمطابقة إرادة الله ومحبته حيث لم يشوبوه بما يخالف أمره ومراده منهم فقاموا بحدود ما أمروا به ونهوا عنه بالاجتهاد في العمل القلبي والبدني فكانت أعمالهم وأحوالهم وأخلاقهم في كل آن من الآنات صادرة بالمجاهدات العظيمة والتكاليف الشاقة التي لا يتحملها من سواهم بل ولا يتصوروها على الحقيقة . قال سبحانه لنبيه صلى الله عليه وآله }فاستقم كما أمرت و من تاب معك { (٣) ولذا نالوا ما طلبوا وأدركوا ما أملوا ولو كانت أعمالهم وأخلاقهم صادرة عن الجبلة كما عرفوها لم يكن للأنبياء أكثر فضل ولا عظيم خطر وإن كانت النفس الناطقة ضعيفة ومركبها الذي هو النفس الحيوانية قوية كنفوس سائر البشر قوى الخلق بالمعنى المراد وظهر إحساسه
حتى يظن أنه يصدر ممن قام به لا عن إرادة كما يكون في كثير من الخلق كالشجاعة في عمرو بن عبد ود والكرم في حاتم والبخل في مارد والجبن في حسان ومع ذلك فهم مكلفون مثابون ومعاقبون لثبوت التكليف الناشئ عن الاختيار قال سبحانه ﴿ قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها ﴾ (٤) وقال صلى الله عليه وآله ((بعثت بمكارم الأخلاق)) (٥) فلو كانت الأخلاق صادرة بغير اختيار أو لازمة لمن اتصف بها بطل التكليف بها كصلة الرحم والسخاوة والتؤدة والصدق والأمانة وأمثالها ولما جاز تغيرها وانقلابها إلى أضدادها والواقع خلاف ذلك كله وأما النفوس

---

(١) النساء ١١٩ (٢) شرح النهج ج ٤ ص ١١٤ (٣) هود ١١٢
(٤) الشمس ٩ (٥) فقه الرضا ٣٥٣

الحيوانية في الحيوانات الصامتة فإن خلقها بطيء الانفكاك عنها لأنها أثر حيوانية الإنسان وشعاعها فكانت كالقشر الغليظ القوي المشتمل على اللب الضعيف بحيث لو نزع القشر فسد اللب لعدم تماسكه عكس الإنسان فكان الخلق فيها القائم بنفوسها الحيوانية قويا ظاهرا لا يكاد ينفك عنها إلا بعد المعاناة الشديدة والسياسة العظيمة وذلك لأن نفوسها المدركة ضعيفة جدا فلذا ضعف إحساسها وقل إدراكها فحصول الذكر والإدراك لها جزئي بالنسبة إلى الإنسان وذلك لأن نسبتها من الإنسان كنسبة النور من المنير فنفوسها المدركة للجزئيات جزء من سبعين جزء في الصفة من نفس الإنسان المدركة للكليات لا في الذات فحيث لم يكن لها قوة إدراك كليات الأشياء ومقايسة نسبة بعضها إلى بعض لأن ذلك فعل النفس الناطقة الإنسانية الكلية ظن كثير من الناس أنه ليس لها نفوس ناطقة مدركة لحصرهم إدراك النفوس الناطقة في مدرك الكليات والواقع خلافه فإن العقل حاكم حكما وجدانيا إن إدراك بعض الحيوانات إدراكا إرتساميا لا طبيعيا كما في الببغاء فإنه طائر يحفظ ما يلقى إليه من الكلام ويتكلم به بعد تلقينه إياه بالتدريج شيئا فشيئا حتى يحفظه ولا يكون ذلك إلا بعد إدراكه صور الألفاظ الخاصة الملقاة إليه وإلا لم يكن يحفظها في الأوقات المتباعدة والحال أنها غير طبيعية له على ما يعرفون فهو يدرك صورة اللفظ كلما ألقيت إليه فإذا تكررت رسخت عنده وانطبعت في لوح خياله الجزئي فحفظها ولا يلزم من عدم معرفته معناها التي وضعت له عدم إدراك صورها اللفظية المشتملة على الهيئة الخاصة كالعجمي بالنسبة إلى حفظ اللفظ العربي قبل معرفة معناه والعربي بالنسبة إلى حفظ اللفظ العجمي وذلك لأن إدراك المعاني من الألفاظ يحتاج إلى تخصيص ثانوي غير المناسبة الذاتية وهو الوضع المخصص له والتسامع هذا في ما يمكن له إدراكه إذ ليس كل ما أدرك أحد صورة

شيء وصفته أدرك حقيقته لعدم الملازمة بينهما وحيث كانت آلات الحيوانات غير مستقيمة معدة للنطق الخاص لم يتمكن أكثرها من التعلم والأداء للمانع الذي في جوارحها كالحمار والبغل والفرس فإن لسانه منكوس الخارج منه أعرض من الداخل شكلا فلم يتمكن من تقطيع الحروف وأما الطيور فأغلبها لا تتمكن أيضا لدقة لسانها فإنها بلغت في الدقة إلى حد خرج عن الاعتدال بخلاف الببغاء فإن جارحة لسانها لما كانت معتدلة بالنسبة تمكنت من النطق المشتمل على تقطيع بعض الحروف وإن لم تكن فصيحة وبعض الطيور مما يقرب بالاعتدال النسبي تتصرف في الإتيان بأصوات مختلفة وألحان عديدة مطابقة لاعتدال جارحتها كما وكيفا على أنا نجد أن بعض أفراد الإنسان من تلحقه التمتمة والتعتع وذلك إذا كان في لسانه عرض وغلظ زائدان على الاعتدال وربما تحدث في الجارحة موانع عن النطق تؤدي صاحبها إلى الخرس مع تصوره الألفاظ وإدراكه تقاطيعها وهيئاتها هذا إذا لم يبلغ به الخرس إلى حال تذهب منه حاسة السمع فليس عدم النطق اللفظي مانعا من الإدراك الخيالي فإن الطائر يؤخذ من أرض ويخرج به إلى الأماكن البعيدة فيرجع إلى وكره وكذلك سائر الحيوانات وليس ذلك إلا لتصور خيالي نعم ليس له إدراك كلي بمعنى مقايسة الأشياء بعضها ببعض والاستدلال على كلياتها بوجود الجزئيات لأن ذلك رتبة النفس الناطقة الإنسانية التى عبرت عنها بالكلية تجاوزا إذ النفس الكلية واحدة هي الأصل ونفوس الإنسان رؤوس منها كالشعاع من الشمس على أنا نقول أن الأخلاق لو كانت مختصة بالحيوانات العجم على نحو ما أثبته مدعيه ونافيه عن الإنسان للعلة التى أرادها لما جاز تبدل ذلك الخلق الذي اتصف به الحيوان إلى ضده وتغيره ثابت كثيرا من أكثر أنواعها لأنا نرى أن الصيد ينتقل من التوحش والنفرة إلى الأنس والألفة كاليحامير والظباء

والبازات والصقور وأشباهها وكذلك الكلب ينتقل من شره الأكل من الصيد إلى الإمساك عنه بعد التعليم والفرس من الجماح إلى السلاسة والانقياد فإنتقالها دليل كونها مدركة مختارة غير ذات خلق لازم وإن ضعف الاختيار والإدراك فيها عن اختيار الإنسان وإدراكه واعلم أن من أثبت الخلق للنفس الناطقة في الإنسان موافق لمن نفاه عنه وحصره في الحيوانات الصامتة في كون الخلق طبيعة ثابتة لمن قامت به وكان هذا هو الداعي للنافي لحكمه بأن النفس الناطقة لا تصدر عنها الأفعال إلا بإرادة خاصة مسبوقة بعلم خاص والمثبت يوافق النافي في كون الخلق من الصفات اللازمة لذي الخلق إلا أنه يجوز الانفكاك إذ اللزوم ليس ذاتيا عنده ويخالفه في قيامه بالنفس الناطقة وكلا القولين غلط من جهة فالخلق ليس هو الطبيعة اللازمة لذي الطبيعة بل إنما هو صفة أثرية مطابقة لهيئة نفس من قامت به حال قيامها به لا هيئة ذاته قال عليه السلام ((الأدب صورة العقل)) (١) وذلك معنى قولنا بأن الإنسان له صفات متباينة وطباع مختلفة

فإن كانت نسبة الصفة لمن تحققت فيه نسبة وجودية أبطأ انفكاكها عمن قامت به ومفارقتها له وإن كانت نسبة أثرية عرضية أسرع انفكاكها ومفارقتها كالعادات قال علي عليه السلام ((العادة طبيعة ثانية)) (٢) وقول أرسطاليس لكن جلها للنفس التي ليست بناطقة غلط مبنى على أن الطبيعة لا تفارق ذي الطبيعة والحق أن الطبائع والأخلاق كلها ملابس للنفس الناطقة مطابقة لهيئة تطوراتها فيمن قامت فيه إما وجودا ذاتيا أو أثرا فعليا عرضيا.

إذا عرفت ذلك فاعلم أنهم اختلفوا أيضا في الخلق الجبلي هل هو لازم لا ينفك عمن قام به أو يمكن انفكاكه بعسر فبالأول قال أصحاب الطبائع الجبلية التي لا تتصف بها النفس الناطقة على زعمهم

---

(١) كنز الفوائد ج ١ ص ١٩٩ (٢) شرح النهج ج ٩ ص ٨٩

وبالثاني قال الذين حكموا باتصاف النفس الناطقة بها مع قولهم بعسر انفكاكها ونحن نقول أن جميع مكارم الأخلاق ومساوئ الأخلاق لا يجمعها ويتصف بها كلها غير نوع الانسان فالأخلاق الحسنة ملابسة النفس المطمئنة والنفس الراضية والنفس المرضية ومبدؤها من النفس الكاملة فتكون كلما نزعت لباسا تحلت بآخر على قدر كمالها والأخلاق السيئة ملابسة نسبة النفس الملهمة وقد تلبسها النفس اللوامة ومبدؤها من النفس الأمارة لا تزال تلبس خلقا وتنزع آخر فتجدها مرة سبعا في حالة الغضب ومرة خنزيرا في حالة الشهوة وتارة ثعلبا في حالة المكر والحيلة ، وهكذا كلما اتصفت بصفة ظهرت بهيئة حيوان من مظاهرها الذي خلق من فاضل طبيعتها والنفس الكاملة بخلافها وباقي النفوس حكمها حكم متبوعها وكل نوع من أنواع الحيوانات العجم إنما يتصف ببعضها وذلك الذي اتصف به أثر وصفة من حقيقة ما اتصف به الانسان ولأجل ذلك لا تتفاضل أفرادها في الصفة التى اتصفت بها تفاضلا كثيرا بخلاف نوع الانسان فإنك إذا نسبت بين أسدين وكان أحدهما قويا وجريئا والآخر ضعيفا و نكولا وكذلك بين ثعلبين في الحيلة وجدت التفاضل قليلا والنسبة متقاربة .

وأما في أفراد الانسان فلا يكاد يعرف قدر التفاضل بين طرفي النسبة للبعد بينهما كشجاعة أمير المؤمنين عليه السلام وغيره بل وبين سائر الأشخاص كبعد ما بين جرأة عمرو بن عبد ود وشجاعته وجبن حسان بن ثابت ونكوله وفصاحة سحبان وقس بن ساعدة الأيادي وفهامة باقل وكرم حاتم وزهد عيسى عليه السلام في الدنيا وشره فرعون وحبه لها فتجد أن تلك النسبة قد لا تدركها عقول العقلاء وأفهام الأذكياء هذا فيما يعرفه عامة الخلق ولا ينكره ذو وجدان وإلا ففي الحقيقة أن النسبة موجودة في جميع أنواع الحيوانات كل نوع بالنسبة إلى أفراده ، لأن أفراد النوع

من مادة واحدة متشاكلة وسنخ واحد بخلاف نوع الإنسان فإن النسبة لا توجد بالنسبة إلى بعض أفراده ولا تتحقق لعدم الجامع إلا في الشكل الظاهر والصورة الخاصة وذلك لأنها ليست من سنخ واحد ولا من مادة واحدة بل بعض الأفراد علة وبعضها معلول ولا بين الأثر وبين المؤثر لأن المعلول والأثر عرض قائم بالعلة والمؤثر والعرض لا يكون من سنخ الجوهر والحركة لا تكون من مادة المتحرك فتكون النسبة بين العلة والمعلول أبعد من ما بين الشمس إلى شعاعها بثلاث مراتب فإن نور الأنبياء عليهم السلام أثر تنزل نور نبينا صلى الله عليه وآله وسلم في المرتبة الثالثة كما في حديث روض الجنان فيما رواه جابر الأنصاري وهذا شيء لا يعرفه غير أهله فالتفاضل البعيد النسبة إنما هو بين أفراد الإنسان التى هي من مادة واحدة فالناس متفاضلون في الأخلاق والأعمال أشد وأكثر من تفاضلهم في الصور والأشكال لقرب تشاكل الأجسام المتباينة في الأجساد المادية المتشابهة وبعد تشاكل الأرواح في الأشباح النورانية والظلمانية لأن الأرواح لا تشابه بينها ولا بين أشباحها إلا في ظاهر الأعمال الصورية التى هي صفتها .

وأما الأجسام الأصلية فهي وإن كانت متباينة إذ كل جسم خلق من فاضل روحه إلا أن الجامع بينها أعنى الأجساد المؤلفة من مواد الأغذية متقارب قليل التباين فلذا تشابهت الصور الجسمانية في هذه النشأة وتباينت الصور الروحية في النشآت الثلاث عالم الذر والدنيا ة والآخرة وقد بينت ذلك في رسالة المعاد مشروحا والحجة الواضحة والدلائل اللائحة على أن الأخلاق مقرونة بالاختيار هو اختلافها في أفراد نوع الإنسان وتبدلها في الشخص بالجبلة الثانية التى أشار إليها علي أمير المؤمنين عليه السلام بقوله ((العادة طبيعة ثانية)) فكان تعددها في شخص وتواردها عليه على سبيل البديلة دليل الاختيار والإرادة إذ لو كانت جبلية أولية لما

تفاوت أفراد النوع فيها ولما حصل وصفات متضادات منها في فرد من أفراد النوع ولو لم تكن الطبائع المختلفة والأخلاق المتباينة موجودة في نوع الإنسان لما كان أكمل الأنواع وأتمها صنعا وأحسنها إيجادا ولو كان ذا جهة واحدة جامعة لما اختلفت أفراده بالتضاد في الأفعال بالضرورة وحيث كان الإنسان قطب نظام الأكوان كما في الحديث القدسي ((يا بن آدم خلقتك لأجلي وخلقت الأشياء لأجلك)) ركب الحكيم الطبائع المختلفة في أفراده المؤتلفة لصلاح نظامه وتدبير معاشه فكان اختلافها في الأفراد سببا للائتلاف لاحتياج كل واحد إلى أكثرها في أغلب الأحوال فيما يترتب عليه نظام المعاش وسياسة المنزل وصلاح ذات البين مما يتبنى عليه التمدن مالا يفي بقيامه كل فرد لنفسه وما يصلحه فجعل سبحانه السبب الجامع بينها تمدن الطبع وركب في كل واحد تلك الطبائع المختلفة التى هي سبب النظام لارتباطها وقيام بعضها ببعض وحبب لكل فرد من أفراد نوع الإنسان خلقا من تلك الأخلاق وما يترتب عليه الأعمال بمعونة الاعتياد الذي عنيناه بالطبيعة الثانية دفعا لمشقة التعب من معاناة جميع ما يحتاج إليه لو انفرد بعمله مما لا تفي قوته بفعله ولا يسع زمانه الإتيان به فترى أن الحائك مع دناءة صنعته يراها أفخر من الصياغة والحجامة وبالعكس ويرى الملك أن رئاسته أشهر من العلم والعالم يرى أنه أفخر من ذي الرئاسة والتاجر يرى أنه أحسن استقامة في طلبه والزارع يرى أنه أحل في كسبه ولو أنهم اجتمعوا على طريقة واحدة أو جبلوا على طبيعة واحدة لما تم نظام معاشهم ولا استقامت أحوالهم وانتظمت أمورهم قل ﴿ كل يعمل على شاكلته ﴾ (١) ﴿ وكذلك زينا لكل أمة عملهم ﴾ (٢) على أن الشجاع لا يرى من هو أعظم منه ولا أحسن حالا مما هو عليه والجبان يرى أن السلامة وعدم تقحم

---

(١) الإسراء ٨٤ (٢) الأنعام ١٠٨

المهالك أصلح وانجح لمن ينظر في عواقب الأمور وترى أن من سكان البوادي مع ما هو فيه من ضنك العيش ورذالة الحال في مفازة من الأرض منفردا بنفسه عن أبناء نوعه مقيما مع أبناء جنسه لباسه الوبر في بيت من الشعر أكله العلف والهبيد وفراشه التراب ونغماته أصوات الرياح في الفجاج وعواء الذئاب ونباح الكلاب يجد من اللذة في الانفراد ما لا يجده المترفون من سكان البلاد ألم تسمع بشعر ميسون بنت بجدل الكلابية أم يزيد وهي في قصور الشام ونزهتها حين تذكرت حالها السابق مع أترابها حيث تقول :

للبس عباءة وتقر عيني أحب إلي من لبس الشفوف
وأكل كسيرة وتطيب نفسي أحب إلي من أكل الرغيف
وبيت تخفق الأرياح فيه أحب إلي من قصر منيف
وأصوات الرياح بكل فج أحب إلي من نقر الدفوف
وكلب ينبح الطراق دوني أحب إلي من قط ولوف
وبكر يتبع الأضعان صعب أحب إلي من بغل زفزف
وخرق من بنى عمي نحيف أحب إلي من علج عنوف

وهذه حالة يشهدها كل واحد في نفسه فيما يألفه ويأنس به بحيث لا يقرأ إلا بما اعتادته نفسه وأنست به لما قدر أن يرجع إلى حاله السابق إلا بالقسر فسبحان من أقام نظام الائتلاف المستقيم بهذا الاختلاف العظيم .

واعلم أن خير الطباع ما ائتلفت فنجب طرفاها ولم يكن في أحدهما طباع سوء قال علي أمير المؤمنين عليه السلام ((أولى الناس بالكرم من عرقت فيه الكرام)) (١) يريد ضرب فيه بعروق فطاب أصله وزكى فرعه .

وأقول أن شر الطباع ما جاذبته الأعراق الرديئة المتضادة

(١) شرح النهج ٢٠ ص ٨٣

والأخلاق المتعادية والعناصر المتباعدة ولذا ورد النهي الارشادي عن النكاح فيمن ليس فيه نجابة من ذوي الطباع الخبيثة كالزنج والأكراد والخزر والهند والسند والقندهار فعن أمير المؤمنين عليه السلام ((إياكم ونكاح الزنج فإنه خلق مشوه)) (١)، وعن الصادق عليه السلام ((لا تشتروا من سودان أحد ولئن كان فلا فمن النوبة فإنهن من الذين قال الله تعالى { ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون } (٢) ذلك الحظ وسيخرج مع القائم منا عصابة منهم ، ولا تنكحوا من الأكراد فإنهم جنس من الجن كشف عنهم الغطاء)) (٣) وعنه عليه السلام قال ((لا تنكحوا الزنج والخزر فإن لهم أرحاما تدل على غير الوفاء قال والسند والهند والقند ليس فيهم نجيب)) (٤) يعني القندهار .

وعن أبي جعفر عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((لا تسبوا قريشا ولا تبغضوا العرب ولا تذلوا الموالي ولا تساكنوا الخزر ولا تزوجوا إليهم فإن لهم عرقا يدعوهم إلى غير الوفاء)) (٥) .

وعن الصادق عن آبائه عليهم السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ((تاركوا الترك ما تركوكم فإن كلبهم شديد وكلبهم خسيس)) (٦) ، فقوله كلبهم بفتح اللام شديد يعني به داء الكلب كناية عن زعارة طباعهم وسوء أخلاقهم وقوله كلبهم بسكون اللام خسيس كناية عن بخلهم وشح نفوسهم .

وفي الخصال عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام قال ((ثلاثة لا ينجبون أعور يمين وأزرق كالفص ومولد السند)) (٧)

---

(١) دعائم الاسلام ج ٣ ص ١٩٤ (٢) المائدة ١٤ (٣) (٤) غوالي اللآلي ج ٣ ص ٣٠٣
(٥) ، (٦) علل الشرايع ص ٣٩٢ (٧) الخصال ص ١١٠

فظاهر هذا ظاهر ورد أن المراد بأعور اليمين من يولد من بطن أمه أعور وأما تأويله فالمراد بأعور اليمين أعمى القلب لأن القلب هو العين اليمنى للإنسان التي يبصر بها الحق فيتبعه فمن طبع على قلبه في بطن أمه أي في أصل طينته وصورة قابليته فإنه لا ينجب أبدا ، قال عليه السلام ((الشقي من شقي في بطن أمه والسعيد من سعد في بطن أمه)) (١) أي في صورة قبوله وأما العين اليسرى فهي النفس الأمارة فيبصر بها طرق الضلالة ويميل بها إلى نهج الغواية فالقلب الجانب الأيمن لصدر الإنسان والنفس جانبه الأيسر قال سبحانه وتعالى ﴿ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا ﴾ (٢) فكل يميل إلى أصله وما اقتضته طينته وطبيعته فالمؤمن لا يكون أعور اليمين أبدا ، وقوله عليه السلام أزرق كالفص فقد تكرر في الأخبار ذم من كانت هذه صفته حتى ورد أنه ليس من الشيعة يعني الكمل فعن الصادق عليه السلام قال ((ما ابتلى الله به شيعتنا فلن يبتليهم بأربع ، بأن يكونوا لغير رشده أو أن يسألوا بأكفهم أو أن يؤتوا في أدبارهم أو أو أن يكون فيهم أخضر أزرق)) (٣) أما في الظاهر فإن من يكون كذلك لا يكون إلا عن رداءة في خلقه وعدم استقامة واستواء في طبيعته فيكون ذا حدة وخبث في نفسه كنفوس السباع الشديدة الشره كالبازي من الطيور والسنور وغيرهما كما ذكره أهل القيافة بأن العين إذا كانت صغيرة زرقاء مرتعدة فصاحبها قليل الحياء شديد الحيلة والعرب تعرف ذلك وتذم به صاحبه ولذا قال الإمام الحسن بن علي عليهما السلام لمروان بن الحكم في مقام ذمه له (يا بن الزرقاء) وفي التأويل فهو كناية عن العمى وترك الحق وقد أخبر سبحانه عن هؤلاء بقوله ﴿ ونحشر المجرمين يومئذ زرقا ﴾ (٤) وقال سبحانه ﴿ قال رب لم حشرتني

---

(١) التوحيد ص ٣٩٢ (٢) الأنعام ١٢٥ (٣) الخصال ص ٢٢٤ (٤) طه ١٢٦

أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى ﴾(١) الآية . والفرق بين الأول والثاني أن الأول ظهرت منه تؤدة وحسن الخلق لطهارة مولده والثاني ظهرت منه الخبائث لما في ظاهره من قوة النفخة الابليسية لعدم طهارة مولده . وقوله عليه السلام ومولون السند مولده فإنه ابن حيضة وشرك الشيطان وقوله عليه السلام في الأكراد أنهم جنس من الجن الظاهر فلعدم حفظ الأنساب ونجابتها غالبا وفي التأويل كناية عن عدم طهارة مولده فإنه ابن حيضة وشرك الشيطان وقوله عليه السلام في الأكراد بأنهم جنس من الجن كشف عنهم الغطاء فحقيقته هو أنه سبحانه لما أراد التناسل من ولد آدم عليه السلام وبقاء هذا النوع لنظام العالم وتمام كماله على طبق الحكمة الالهية ولم يبح نكاح المحارم كما دل عليه النقل الصريح عن أئمة الهدى عليهم السلام وحكم به العقل الخالص من شوب الجهل والرذالة وجبلت عليه الطباع الصالحة من سائر الحيوانات الشريفة النتاج أنزل حورية من الجنة فزوجها شيث عليه السلام وحورية من بنات الجان فزوجها أخاه فتناسلا فحصل النكاح الصحيح من أولاد الأعمام فما كان من حسن خلق وخلق فهو من الحورية وما كان من سوء خلق وزعارة طبع وقبح خلق فهو من الجنية وكانت هذه الطائفة من سكان الجبال فمن قويت فيهم طبيعة الجنية وكمنت فيهم النفخة النارية فنسبهم عليه السلام إلى طباع الجن ، ومعنى كشف الغطاء عنهم هو غلبة الطبيعة الانسانية على الطبيعة الجنية كما يحصل من غلبة بعض طباع الحيوانات المختلفة في نسلها فربما نزى كلب على شاة فخرج الولد أكثر شبها بأحد طرفيه وإن مكنت فيه الطبيعتان فإن خرج بصورة الكلب كان كلبا وإن كان بصورة الشاة كان شاة فكشف عنه غطاء الكلبية حينئذ لغلبة إحدى الطبيعتين على

---

(١) طه ١٢٦

الأخرى فالأحكام تابعة للصورة النوعية فكانت هذه الطائفة طباعهم مركبة من طبائع متباعدة كما في تركيب البغال من اختلاف طبائع طرفيها وتباينها فإنها متولدة من منيين غير متشاكلين فامتزج المنيان على غير اعتدال مشاكلة فلأجل ذلك لا تلد غالبا لا لأنها عقيمة ، وقد نقل أمير المؤمنين عليه السلام أن البغال كانت تتناسل فدعى عليها إبراهيم عليه السلام لأنها كانت تسرع نقل الحطب لنار المنجنيق فقطع الله نسلها وهو شاهد على خبث طبائعها وعدم نجابتها ونقل أن عمر بن سعد لعنه الله لما أمر الأخنس بوطء جسد الحسين عليه السلام بالخيل كان كل فرس نجيب إذا وصل إلى بدنه الشريف جمح فلا يطأه ولم يطأه إلا الهجين من الخيل ولذا ورد النهي من أن ينزي حمار على نجيب فما كمن في الطباع أخرجت الصور إذ الظاهر عنوان الباطن فالطبع سار في أفراد ذي الطبيعة وإن تفاوتت شدة وضعفا فنهى الحكيم عليه السلام عن النكاح في هذه الطوائف خوفا من أن تكون نطفة سارية فيهم فيحصل له سوء خلق وزعارة طبع أو بخل أو جبن أو حمق أو أمثالها من غرائز السوء فإن العرق دساس فلا ينجب المولود بل ربما سرت الغرائز الحسنة أو القبيحة في اللبن فأثرت في المرتضع فنهى عن استرضاع المجوسية لفساد أنسابهن واسترضاع الحمقاء الرعناء لقبح طباعها وقد ورد اختيار ذي المروات من الناس وأهل بيت النجابة وذوي الطبائع الكريمة كالكرم والغيرة والشجاعة ، فعن الصادق عليه السلام ((الشجاعة في أهل خراسان والباه في أهل بربر والسخاء والحسد في العرب فتخيروا لنطفكم)) (١) وفي خبر ((إن الحسد عشرة أجزاء تسعة منها بين الفقهاء وواحد بين الناس وهم منه الحظ الأوفر والكرم عشرة أجزاء تسعة منها في بنى هشام وواحد بين الناس والغيرة عشرة أجزاء تسعة في العرب وواحد بين الناس)) ونقل بعض العلماء

---

(١) غوالي اللآلي ج ٣ ص ٢٩٩

أن نوح بن مروان قاضي مرو لما أراد أن يزوج ابنه استشار جارا له مجوسيا كان عاقلا فقال هذا عجيب الناس يستفتونك وأنت تستفتيني قال لابد أن تشير علي فقال له أن رئيس الفرس كسرى كان يختار المال ورئيس الروم قيصر كان يختار الجمال ورئيس العرب كان يختار النسب ورئيسكم محمد صلى الله عليه وآله وسلم كان يختار الدين وانظر لنفسك بمن تقتدي .

واعلم أن المقصود أولا وبالذات من النجابة والأمر المطلوب منها صحة النسب وارتفاعه وبعد ذلك الأخلاق الحسنة والطباع الشريفة وقلما يتفارقان لأمور عرضية فلذا ينجب من كان كلا طرفيه نجيبا غالبا ومن لا ينجب أصله وطبعه ويزكو فرعه فلا تنفعه حسن صورته :

وهل ينفع الفتيان حسن وجوههم إذا كانت الأعراض غير حسان
فلا تجعل الحسن الدليل على الفتى فما كل مصقول الحديد يماني

وأما من كان أحد طرفيه نجيبا فإنه ربما ينجب تبعا للطرف النجيب وقد لا ينجب تبعا للطرف الغير النجيب والعلة في ذلك أن الولد يشابه من سرت نطفته في مادة أغذيته من أبويه ومعرفة هذه اللطيفة تتوقف على معرفة مقدمتين ، الأولى معرفة حقيقة طينة الانسان وقد ذكرتها في رسالة المعاد بأكمل وجه وأتم معنى فليراجع هنالك ، الثانية أن النطفة التى سرت فيها تلك لينة التى هي حقيقة جسد الانسان من يكون حاملها أهو الأب أم الأم أو هما معا ، اختلف الحكماء والعلماء في ذلك فقال كثير من الحكماء أن نطفة المولود تتكون من الأم ونطفة الأب عاقدة لا غير كما يشاهد في طلع فحل النخل فإن أصل الثمرة من النخلة وطلع الفحل عاقد وكذلك الفرخ في البيضة فإن نطفة الذكر عاقدة بالوجدان ، وقال بعض أصل نطفة المولود من الأب ونطفة الأم إنما هي حاملة لها خاصة وقال بعض أهل العلم أنها منهما معا لقوله تعالى

﴿ من نطفة أمشاج ﴾ (١) أي مختلفة .، وقوله تعالى ﴿ يخرج من بين الصلب والترائب ﴾ (٢) يعنى صلب الرجل وترائب المرأة ، والحديث عن الحسن بن علي عليهما السلام صريح فيه حيث قال ((الولد مركب من أربعة عشر جزءا أربعة من الأب وأربعة من الأم وستة من الله أما الأربع التى من الأب فالعظم والمخ والعصب والعروق وأما الأربع التى من الأم فاللحم والشحم والجلد والشعر وأما التى من الله فالحواس الخمس والروح)) والحق أن الكل له وجه أما القولان الأولان فكما قال القائل بهما لا كلية ولا على نحو ما قرروه لأن مباحثهم مبنية على أن حقيقة جسم الانسان أصله من المنى المتكون من مواد الأغذية وهذا باطل بل على نحو ما قررته من أن حقيقة جسم الانسان ليس من مواد الأغذية كما بينته في رسالة المعاد بما لا مزيد عليه وإنما مواد الأغذية حاملة له ومركبة فهو سار فيها لمناسبة بينهما فتارة تجري تلك النطفة الأصلية في مواد أغذية الأب فتكون هي الحاملة والعاقدة وتكون نطفة الأم محل ذلك الحامل وتارة تجري في مواد أغذية الأم فتكون هي الحاملة لتلك الطينة الأصلية التى نعبر عنها أحيانا بالنطفة فتكون نطفة الأب عاقدة وعلى كلا الحالين يقع الاختلاط بامتزاج الحامل في مواد الأغذية فتكون مزج طينة الولد الأصلية منهما معا وهذا هو الذي أراده الشارع فعبر عنه بالولد ظاهرا ولأجل ما ذكرته من كون الطينة الأصلية غير مواد الأغذية وإنما هي قائمة بها يخرج الطيب من الخبيث والخبيث من الطيب قال سبحانه وتعالى ﴿ يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ﴾ (٣) يعنى المؤمن من صلب الكافر والكافر من صلب المؤمن فليس بينهما مناسبة إلا في مواد الأغذية بين الفاعل والقابل ولو كانت حقيقة جسم الانسان من مواد الأغذية التى هي جزء والمغتذي بها لما

---

(١) الانسان ٢ (٢) الطارق ٧ (٣) يونس ٣١

خرج من الطيب إلا طيب ولا الخبيث إلا خبيث إذ الجزء الطيب لا يكون خبيثا والجزء الخبيث لا يكون طيبا فلا يكون هذا من ذاك ولا ذاك من هذا ولما ذكرته قال علي أمير المؤمنين عليه السلام «أنجب النجباء من أهل بيتي محمد بن أبي بكر» (١) وقال الصادق عليه السلام «كان مع أمير المؤمنين عليه السلام من قريش خمسة نفر وكان ثلاثة عشر قبيلة مع معاوية فأما الخمسة فمحمد بن أبي بكر أتته النجابة من قبل أمه أسماء بنت عميس» (٢) يعني أن طينته سرت في مادة أغذيتها للمناسبة الذاتية بينهما ومادة أغذيتها امتزجت بمادة أغذية أبيه لا بأصل طينته لمناسبة عرضية بين مادتي الأغذية فكانت نطفة أبيه عاقدة لنطفة أمه كالأنفحة للجبن .

واعلم أن المراد بالنجابة هنا نجابة الدين والحسب والغرائز الشريفة لا نجابة النسب لأن نسب أبي بكر أيضا صحيح لا وصمة فيه ولذا نسب الصادق عليه السلام نفسه إليه بقوله «ولدني أبو بكر مرتين» (٣) يريد بذلك أن أمه أم فروة تنتمي إلى أبي بكر من جهة الأب ومن جهة الأم وذلك أن أباها القاسم بن محمد بن أبي بكر وأمها أسماء بنت عبدالرحمن بن أبي بكر فكان أبو بكر جد أبيها وأمها ومثل ما صار لمريم عليها السلام فإن حقيقة طينة عيسى عليه السلام تقومت وسرت في نطفتها وكانت نفخة جبرائيل عليه السلام عاقدة لنطفة مريم قائمة مقام نطفة الأب في عقدها بامتزاجها بنطفة الأم لأن روح جبرائيل عليه السلام حار يابس فلأجل ذلك أسرع انعقاد عيسى عليه السلام وتمامية خلقه في رحم أمه لقوة الروح العاقدة ومثاله في الحضانة البيضة فإن حرارة أجنحة الطائر ينعقد الفرخ بها ويتم تكونه في مدة أكثر مما لو عقدها الحكيم بنار الحضانة الصالحة فتنعقد في مدة يسيرة لقوة الحرارة الفاعلة هذا إذا كانت

---

(١) روضة الواعظين ص ٢٨٦ (٢) الاختصاص ص ٧٠ (٣) كشف الغمة ج ٢ ص ١٦١

صالحة إذ ربما زادت الحرارة فأذهبت الرطوبة التي يحصل بها التعفين قبل امتزاج الطبيعتين فتحترق وتفسد بخلاف حضانة الطائر فإن حرارته ضعيفة لا تفسد تلك الرطوبة فلذلك يطول انعقاد الفرخ بها .

وقد تكون عدم النجابة من قبل الأم كما في ولد نوح عليه السلام حيث يقول سبحانه وتعالى ﴿ إنه ليس من أهلك ﴾ (١) وكذلك أولاد الأنبياء والأئمة عليهم السلام إذا كانوا كفارا فإن الرجاسة أتتهم من قبل أمهاتهم لا من قبل آبائهم فتكون طينهم الخبيثة سارية في مواد أغذية أمهاتهم فربما تغتذي الأم بغذاء حرام فتسري طينة الولد الخبيث في ذلك الغذاء وإن كانت الأم مؤمنة أيضا وقد تغتذي بمباح وهو في نفس الأمر غير طيب أو يكون منهيا وإن كان طيبا في حد ذاته كما كان في حواء عليها السلام فإن نطفة قابيل الخبيثة بقيت سارية في مواد غذائها الذي نهيت عنه فكان هو الذي أوجب المعصية ومنه كان الثفل في الطعام والشراب وحصول البول والغائط لكثافته لأن تلك الشجرة هي مبدأ الكثافة ولم يكن في شجر الجنة غيرها ما فيه كثافة وكانت تلك الشجرة سبب خروج آدم عليه السلام وحواء عليها السلام من الجنة من باب الحكم الوضعي ففي الحديث أن آدم عليه السلام لما أكل من الشجرة تحركت معدته لخروج الثفل ولم يكن ذلك مجعولا في شيء من أطعمة الجنة إلا في هذه الشجرة فلذلك نهيا عن أكلها فجعل يدور في الجنة فأمر الله تعالى ملكا يخاطبه فقال قل له أي شيء تريد قال آدم عليه السلام أريد أن أضع ما في بطني من الأذى فقيل للملك قل له في أي مكان تضعه أعلى الفرش أم على السرر أم على الأنهار أم تحت ظلال الأشجار هل ترى ها هنا موضعا يصلح لذلك ولكن أهبط إلى الدنيا فأول مبدأ الكثافة في

---

(١) هود ٤٦

مادة أغذية الانسان منها فكانت علة الفجاجة والخلو والاحتياج إلى تغيير الغذاء قذف الفضلات بخلاف طعام أهل الجنة فإنه لطيف لا فجاجة ولا خلو معه فليس أكلهم وشربهم للجوع والعطش بل للتلذذ فجرى هذا الحكم الطبيعي في سائر أفراد النوع وهذا سر عجيب لا يدركه إلا من شهد بالحق بنور هدى آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم فخذها نقية صافية عن علم ويقين غير مشوبة بغشاوة الظن والتخمين ،

فمن كان ذا فهم يشاهد ما قلنا	وإن لم يكن فهم فيأخذه عنا
فما ثم إلا ما ذكرناه فاعتمد	عليه وكن في الحال فيه كما كنا
فمنه إلينا ما تلونا عليكم	ومنا إليكم ما وهبناكم منا

وسأختم الكلام بذكر بعض الأخبار الناصة على أن حقيقة جسم الانسان ليس من مواد الأغذية وأن تلك الحقيقة ترى في مواد أغذية أحد الأبوين ، فروي في الفقيه أنه سئل الصادق عليه السلام عن الميت هل يبلى جسده قال ((نعم ، حتى لا يبقى لحم ولا عظم إلا طينته التى خلق منها فإنها لا تبلى تبقى في القبر مستديرة حتى يخلق منها كما خلق أول مرة)) (١) .

وفي محاسن البرقي عن الصادق عليه السلام قال ((إن الله تعالى إذا أراد أن يخلق المؤمن من المؤمن والمؤمن من الكافر بعث ملكا فأخذ قطرة من ماء المزن فألقاها على ورقة فأكل منها أحد الأبوين فذلك المؤمن منه)) (٢) .

---

(١) الفقيه ج ١ ص ١٩١

(٢) المحاسن ص ١٣٨

الباب الأول

في ذكر العقل والعقلاء والعلم والعلماء

الباب الأول

في ذكر العقل والعقلاء والعلم والعلماء

اعلم أن الحكماء والعلماء قد اختلفوا في تعريف العقل لاختلاف معرفتهم له فقال بعض أهل العلم أن العقل جوهر مضيء خلقه الله في الدماغ وجعل نوره في القلب يدرك الغائبات بالوسائط والمحسوسات بالمشاهدة وقال بعض أهل الكلام العقل جوهر بسيط مدرك للأشياء بحقائقها دفعة بلا توسط زمان وبعض أهل الحكمة قال هو نور فطري يزيد بالكسب وبعض عرفه بلازمه أو بخاصته فقيل هو إصابة الظن ومعرفة ما لم يكن مما كان وقيل هو ما يدرك العواقب قبل وقوعها .

واعلم أن العقل عقلان عقل فعال وعقل مكتسب فالعقل الفعال جوهر بسيط محيط بالأشياء إحاطة قيومية ، خلقه الله من نور فعله فهو جوهر الجواهر وعلة لما دونه من المعلولات أكمله سبحانه في نبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم وفي أهل بيته المعصومين عليهم السلام ، وجعل له رؤوسا بعدد الخلائق وأعني بالرؤوس أشعة أثرية منه فهي وإن كانت عرضية بالنسبة إلى العقل الكل كشعاع الشمس من الشمس ، إلا إنها جواهر فعاله بالنسبة إلى من دونها وإلى من أشرقت عليه دراكة محيطة بمدركاتها بسيطة مجردة عن

المادة والمدة والصورة فكلما وجد إنسان تعلق به رأسه المختص به تعلق إشراق لا تعلق اتصال وارتباط وقد جاء في الحديث أن النبي صلى الله عليه وآله سئل : مما خلق الله جل جلاله العقل ، فقال ((خلقه ملك له رؤوس بعدد الخلائق من خلق ومن يخلق إلى يوم القيامة ولكل رأس وجه ولكل آدمي رأس من رؤوس العقل واسم ذلك الإنسان على ذلك الرأس مكتوب ، وعلى كل وجه ستر ملقى لا يكشف ذلك الستر من ذلك الوجه حتى يولد هذا المولود ويبلغ حد الرجال أو حد النساء ، فإذا بلغ كشف ذلك الستر فيقع في قلب هذا الإنسان نور فيفهم الفريضة والسنة والجيد والرديء ، ألا ومثل العقل في القلب كمثل السراج في البيت)) (١) .

فإن كان محله صافيا معتدلا اشرق عليه إشراقا تاما وإن كان محله كدرا غير مستقيم لغلبة أحد الطبائع المادية تغير إشراقه فلم يظهر نوره بتمامه فاعوج فهم من قام فيه ولم يستقم إدراكه والعقل الفعال يدرك المعاني المجردة عن الصور النوعية بحقائقها و يدرك الصور النوعية بتوسط النفس ويدرك الماديات وما قام بها من الأشكال والألوان والأوضاع والهيئات بتوسط النفس مع الآلات الجسمانية والنفس تدرك الصور النوعية بنفسها وتدرك الماديات وما قام بها بتوسط الآلات الجسمانية فحقيقة مدركات العقل المعاني ومدركات النفوس حقيقة هو التميز النوعي وقولي فإن كان محله صافيا معتدلا إلى قولي ولم يستقم إدراكه أريد به أنه إذا كانت نطفة أحد الأبوين الحاملة لطينته الأصلية صالحة معتدلة الطبائع مستقيمة التركيب تعلق العقل بها تعلقا استعداديا قريبا فكان صاحبه فهيما ذكيا حافظا وربما زاد بعض الأخلاط أو نقص في الرحم حال نموه بعد انعقاده وقبل تمام خلقه فلحقه من مواد الأغذية الغير الصالحة التى اغتذى بها من دم الطمث الى تمام مدته ما غير ذلك الصلوح ومنع

---

(١) علل الشرايع ص ٩٨

استعداد النطفة من قبول تمام إشراق العقل عليها فيقل إدراكه وفهمه وان كانت النطفة الحاملة غير معتدلة صالحة التركيب ولا مستقيمة الطبائع لغلبة الرطوبات عليها قبل انعقادها ونموها منع ذلك من إشراق العقل الاستعدادي القريب فإن شفع ذلك فساد الغذاء الذي ينمو به من دم الطمث وبعده في أغذيته ربما كان الولد مجنونا فإذا كبر المولود ونشأ وتحللت بعض الرطوبات الفضلية العارضة بسبب زيادة نمو الجسم أو غذاء صالح مع حصول الاكتساب اشرق عليه العقل حينئذ فذلك المولود هو الذي يخرج بليدا بعيد الفهم قليل الحفظ و الإدراك .

فقد روي اسحق بن عمار قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام ((الرجل آتيه و أكلمه ببعض كلامي فيعرفه كله ومنهم من آتيه فأكلمه بالكلام فيستوفي كلامي كله ثم يرد عليّ كما كلمته ومنهم من أكلمه فيقول اعد علي فقال : يا اسحق أو لم تدري لم هذا ؟ ، قلت : لا، قال : الذي تكلمه ببعض كلامك فيعرفه كله فذاك من عجنت نطفته بعقله وأما الذي تكلمه فيستوفي كلامك ثم يجيبك على كلامك فذاك التى ركب عقله فيه في بطن أمه وأما الذي تكلمه فيقول أعد عليّ فذاك الذي ركب فيه بعد ما كبر فهو يقول أعد عليّ)) (١) .

وأما العقل المكتسب فهو صفة العقل الفعال أعني ظهور أثره بتوسط الاكتساب عند صقل مرآة الدماغ التى هي محل إشراق العقل الفعال لأن العقل مقره القلب ومبدأ فيض أثره منه ومتعلق ظهور الأثر الدماغ قال علي عليه السلام ((العقل في القلب والرحمة في الكبد والتنفس في الرئة)) (٢) فإذا استقامت مادته واعتدلت فيه طبائعه ظهر ذلك الأثر وحسن من صاحبه الفكر والنظر وإن غلبت الرطوبة على الدماغ حتى تكدرت مرآته لم يظهر إشراق العقل لعدم

(١) علل الشرايع ص ١٠٢ (٢) شرح النهج ج ٢٠ ص ٢٥٦

صفاء المحل فاستولت البلادة على صاحبه كما أشار عليه السلام إلى ذلك و إذا قلت الرطوبة أو احترقت لغلبة إحدى المرتين تقشفت مرآة الدماغ فاعوجت و لم يستقم الاشراق عليها فربما استولت على صاحبها الغريزة لعدم استقرار إشراق النور في آنين فلم يدرك الأشياء كما هي لسرعة تنقله في مدركاته كالانطباع في الماء الجاري والمرآة الغير المستقرة وسمي العقل المكتسب عقلا لأنه أثر العقل .

((العلم علمان مطبوع ، ولا ينفع مسموع إذا لم يك مطبوع)) (١) كما لا تنفع الشمس وضوء العين ممنوع ، و حقيقة العقل جوهر نوراني لا ظلمة فيه من فعل الله بدء وإليه يعود وسمي عقلا لأنه عقل عن الله ما أمره وفعل ما أراده منه وطلبه وعقل صاحبه عن مخالفة أمر الله فألزمه باب خدمته فعن أبي جعفر عليه السلام قال ((لما خلق الله عز وجل العقل استنطقه ثم قال له أقبل ، فأقبل ثم قال أدبر فأدبر ثم قال وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا هو أحب إلي منك ولا أكملتك إلا فيمن أحب أما إني إياك آمر وإياك أنهى وإياك أعاقب وإياك أثيب)) (٢) وقد ذكرت حقيقة الإقبال والإدبار في رسالة قاب قوسين ومعنى استنطقه ، استخبره فوجده مطيعا فلذا أمره بالإقبال لكماله وترقيه وبالإدبار لتكميله من دونه ، وفي خبر آخر أنه عليه السلام قال ((إنه لم يخف الله من لم يعقل عن الله ومن لم يعقل عن الله لم يعقد قلبه على معرفة ثابتة يبصرها ويجد حقيقتها في قلبه ولا يكون أحد كذلك إلا من كان قوله لفعله مصدقا وسره لعلانيته موافقا لأن الله لم يدل على الباطن الخفي من العقل إلا بظاهر منه وناطق عنه)) (٣) فأشار عليه السلام بقوله ومن لم يعقل عن الله إلى قوله ويجد حقيقتها في قلبه إلى قوله تعالى ﴿ فمن يرد

---

(١) شرح النهج ج ١٩ ص ٢٥٣ (٢) أمالي الصدوق ص ٤١٨

(٣) تحف العقول ص ٣٨٨

الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ﴾ (١) فيقبله ويطمئن عليه ، وفي مجمع البيان لما نزلت ﴿ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ﴾ سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن شرح الصدر ما هو فقال ((نور يقذفه الله في قلب المؤمن فينشرح له صدره وينفسح قالوا : فهل لذلك إمارة يعرف بها ، قال صلى الله عليه وآله : نعم الإنابة إلى دار الخلود و التجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل حلول الفوت)) (٢) .

وفي الكافي عن الصادق عليه السلام ((إن القلب ليتجلجل في الجوف يطلب الحق فإذا أصابه اطمأن و قر ثم تلا ﴿ فمن يرد الله أن يهديه ﴾ الآية)) (٣) ، و في خبر آخر ((إن القلب يتقلب من موضعه إلى حنجرته ما لم يصب الحق فإذا أصاب الحق قر ثم ضم أصابعه ثم تلا هذه الآية ﴿ ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء ﴾ (٤))) (٥) يعنى أنه أبدا متزلزل لا يثبت على حق كلما استبان له طريق هدى عرضت له شبهة غطت ذلك الهدى وهكذا حاله فلا يستقر ولا يثبت على حق أبدا فتراه إذا عرف الحق ضاق صدره بما يلزمه مما لا يقبله ولا يعقد عليه قلبه فإذا عرضت له شبهة ثبت عليها آنا من الآنات واستقر اعتقاده ثم يتبين له الحق فيصيبه مثل ما أصابه أولا وهكذا حاله حتى يران على قلبه فيرى الحق باطلا والباطل حقا فيظهر ذلك في اعتقاده وأعماله وهذا معنى قوله عليه السلام ((لأن الله لم يدل على الباطن الخفي من العقل إلا بظاهر منه وناطق عنه)) (٦) فبالأعمال والأقوال يظهر الفرق بين العقل الذي هو باب نور الله وبين النفس الأمارة التي هي باب ظلمة الجهل ، قال الصادق عليه السلام ما معناه حين سئل عن العقل ((العقل ما عبد به الرحمن و اكتسب به الجنان

---

(١) (٤) الأنعام ١٢٥ (٢) مجمع البيان ج٣ ص١٩٠ (٣) الكافي ج٢ ص٤٢١
(٥) غوالي اللآلي ج٣ ص٣٧٧ (٦) تحف العقول ص٣٨٨

، قيل : فالذي كان في معاوية ، فقال عليه السلام : تلك النكراء تلك الشيطنة وهي شبيهة العقل)) (١) ، وليست بالعقل وإنما كانت شبيهة العقل لحصول الادراك بها في جهة مدركاتها وإحاطتها بها فإن النور يحيط بأشعته والغسق يشمل ظلمته فحيث لم يعرف أكثر الخلق من مفاد العقل إلا مطلق الادراك أبان عليه السلام بأن حقيقة العقل نور مدركاته الخيرات ونتيجة معرفته الايصال إلى أعلى الدرجات وأما الجهل فحقيقته ظلمة مدركاتها الشرور ونتيجة إدراكه ومعرفته الانتكاس إلى أسفل الدركات فليس الجهل وبابه الذي هو النفس الأمارة بعقل ولا تشابه بين مدركاتها لأن معرفة الحق من الباطل بدون إتباع الحق واجتناب الباطل ليس هو مدرك العقل الذي هو نور الله إذ معرفته صفته وصفة الشيء مشابهة له فلا بد وأن تكون نورا والتميز المطلق بين الحق والباطل مع إتباع الباطل ظلمة لا نور فيه فيكون صورة عقل لا أنه عقل قال سبحانه ﴿ لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أذان لا يسمعون بها ولهم أعين لا يبصرون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل ﴾ (٢) وذلك أن الآلات إذا لم يكن إدراكها موصلا إلى ما يراد منها كانت آلات صورية لا حقيقة لها إذ معنى الصورة الإنسانية حقيقة للنفس الناطقة لأنها صورة العقل ومظهر شئونه فهي العاقلة عن الله السميعة المبصرة المدركة وهي الحجة من الله على خلقه كما أشار أمير المؤمنين عليه السلام إلى ذلك بقوله ((الصورة الإنسانية هي أكبر حجة الله على خلقه وهي الكتاب الذي كتبه بيده وهي الهيكل الذي بناه بحكمته وهي مجموع صور العالمين وهي المختصر في اللوح المحفوظ وهي الشاهد على كل غائب وهي الحجة على كل جاحد وهي الصراط المستقيم إلى كل خير وهي الصراط الممدود بين الجنة

---

(١) معاني الأخبار ص ٢٤٠ (٢) البقرة ١٧

والنار)) وقد قال عليه السلام:

أتحسب أنك جرم صغير   وفيك انطوى العالم الأكبر

وأما الصورة القائمة بالمادة البشرية فهيئة تلك الصورة الحقيقة وهي أكمل الهيئات الجسمانية فإن قامت بمادتها كان صاحبها إنسانا باطنا وظاهرا و إن قامت بمادة غيرها كانت كالصنم فحاملها صورته صورة إنسان وحقيقته حيوان إما كلب أو خنزير أو قرد أو غير ذلك فهذا هو المراد بقوله سبحانه ﴿ أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل ﴾ (١). وقوله تعالى ﴿ ومنهم من يستمع إليك أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون ﴾ (٢) وقال عز من قائل ﴿ ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء أو نداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون ﴾ (٣) فإدراكات النفس الأمارة ومن قامت به حصول تمييز لا تعقل به صاحبها ولا تعقل عن الله أو أمره ونواهيه ولا تعمل بمقتضاها واعلم أن العقل وزيره الخير ومن جنوده الإيمان والتصديق والرجاء والعدل والرضا والشكر والطمع في رحمة الله والتواضع والتوكل خمسة وسبعون جامعة لمكارم الأخلاق والجهل وزيره الشر وجنوده ضد جنود العقل فمن جنوده الكفر والجحود والجور إلى تمام خمسة وسبعين مشتملة على مساوئ الأخلاق فلا بد للعقل اللدني من الاكتساب والتحلي بالآداب الشرعية والمعارف الإلهية فكما أن العقل الكسبي لا يفيد بدون اللدني بل ولا تحقق له لأنه صفته كما مرت الاشارة إليه كذلك لا يترقى العقل اللدني في معارج الكمال إلا بالعقل الكسبي واستعمال آثاره من الآداب والمعارف كما أشار إليه عيسى عليه السلام فيما نقله الشيخ حسن

---

(١) الفرقان ٤٤   (٢) يونس ٤٢   (٣) البقرة ١٧١

ابن شيخ علي بن شيخ عبدالعال أن أفلاطون كتب إلى عيسى عليه السلام ((يا طبيب النفوس المريضة بداء الجهالة المكتنفة باكتناف الرذالة المنغمسة في العوائق البدنية المكدرة بكدورات الطبيعة ويا موقظ القوم من رقدة الغافلين ومنبه العباد من ضيق الجاهلين ويا منجي الهالكين ويا مغيث من استغاث إن ذاتا هبطت فاغترت وتذكرت فمنعت فهل لي إلى الوصول من سبيل)) فكتب المسيح عيس عليه السلام جوابه ((يا من شرفك بالاستعدادات العقلية والرموز النقلية كن طالبا لتنوير النفس بالأنوار الالهية القدسية الجاذبة من الدار الفانية إلى الدار الباقية التى هي محل الأرواح الطاهرة والنفوس الزاكية فإن مجرد العقل غير كاف في البداية إلى صراط مستقيم)) .

وقال سيد الوصيين عليه السلام ((بالعقل استخرج غور الحكمة وبالحكمة استخرج غور العقل)) (١) وأما العقلاء فهم أولو البصائر الذين تحلوا بصفات العقل وعملوا بمقتضاه وتخلوا عن رذائل الجهل فأدبوا نفوسهم بآداب الله فغلبوا هوى أنفسهم فذلوا وانقادوا لله فظهرت الحكمة من بواطنهم على ظواهرهم على قدر عقولهم فقويت عقولهم بما تحلوا به في ظواهرهم من الحكمة واستضاءت ظواهرهم بقوة عقولهم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((ما قسم الله للعباد شيئا أفضل من العقل فنوم العاقل أفضل من سهر الجاهل وفطر العاقل أفضل من صوم الجاهل ، وإقامة العاقل أفضل من شخوص الجاهل وما بعث نبيا ولا رسولا يستكمل العقل ويكون عقله أفضل من عقول جميع أمته وما يضمر في نفسه أفضل من اجتهاد المجتهدين وما أدى العبد فرائض الله حتى عقل عنه ولا بلغ جميع العابدين في فضل عبادتهم ما بلغ العاقل والعقلاء هم أولو الألباب الذين قال الله تعالى عنهم ﴿ وما يذكر إلا أولو

---

(١) الكافي ج ١ ص ٢٨

الألباب ﴾ (٢))) (٣)

عن الصادق عليه السلام ((لم يقسم الله بين العباد أقل من خمس اليقين القنوع والصبر والشكر والذي يكمل به هذا كله العقل)) (٣) .

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((لابد للمؤمن من أربعة ، دابة فارهة ودار واسعة وثياب جميلة وسراج مضيئة ، قالوا يا رسول الله ليس لنا ذلك فما هي فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، أما الدابة الفارهة فعقله وأما الدار الواسعة فصبره الثياب الجميلة حياؤه والسراج المضيئة فعمله)) .

وقال الصادق عليه السلام ((العقل دليل المؤمن)) (٤) ، وقال أمير المؤمنين عليه السلام ((العقل غطاء ستير والفضل جمال ظاهر فاستر خلل خلقك بفضلك وقاتل هوالك بعقلك تسلم لك المودة وتظهر لك المحبة)) .

واعلم أن للعاقل علامات يعرف بها فإذا ظهرت آثارها على ظاهره كانت دليلا على عقله فمنها ما أبانه عليه السلام بقوله ((ما عبد الله بشيء أفضل من العقل وما تم عقل امرئ حتى يكون فيه خصال شتى الكفر والشر منه مأمونان والخير والرشد منه مأمولان وفضل ماله مبذول وفضل قوله مكفوف ونصيبه من الدنيا القوت لا يشبع من العلم دهره الذل أحب إليه مع الله من العز مع غيره والتواضع أحب إليه من الشرف يستكثر قليل المعروف من غيره ويستقل كثير المعروف من نفسه ويرى الناس كلهم خيرا منه وأنه شرهم في نفسه وهو تمام الأمر)) (٥) ، يريد عليه السلام أنه إذا أبصر عيوب نفسه وجعلها نصب عينيه وغفل عن عيوب غيره لم يجد شرا إلا منه ولا عيبا إلا في نفسه فيرى حينئذ أنه شر الناس لأنه على يقين

---

(١) البقرة ١٦٩ (٢) شرح النهج ج ١٨ ص ١٨٦ (٣) الخصال ص ١٨٦
(٤) كنز الفوائد ج ١ ص ٥٩ (٥) مجموعة ورام ج٢ ص٣٥

من عيوبه وعلى شك من عيوب غيره فإذا كان كذلك دل على كمال عقله فيكون عند الله خيرا من غيره لمقته نفسه أبدا في جميع حالاته فنفسه منه في تعب والناس منه في راحة قال على أمير المؤمنين عليه السلام ((طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وطوبى لمن لزم بيته وأكل قوته واشتغل بطاعته وبكى على خطيئته فكانت نفسه منه في تعب والناس منه في راحة)) (١) وإن كان بخلاف ذلك ففتح عينه في عيوب الناس وعمى عن عيوب نفسه كان عند نفسه خير الناس وهو عند الله شرهم

قال على أمير المؤمنين عليه السلام ((أبصر الناس لعوار الناس المعور)) (٢) فدل على نقصه وجهله .

وعن أمير المؤمنين عليه السلام ((إعجاب المرء بنفسه برهان نقصه وعنوان ضعف عقله)) (٣) .

وقال الصادق عليه السلام ((يا هشام كيف يزكو عند الله عملك وأنت قد شغلت قلبك عن أمر ربك وأطعت هواك على غلبة عقلك يا هشام الصبر على الوحدة علامة قوة العقل فمن عقل عن الله تبارك و تعالى اعتزل أهل الدنيا والراغبين فيها ورغب فيما عند ربه وكان الله أنيسه في الوحشة وصاحبه في الوحدة وغناه في العيلة ومعزه من غير عشيرة يا هشام قليل العمل من العالم مقبول مضاعف وكثير العمل من أهل الهوى والجهل مردود يا هشام إن العاقل قد رضى من الدنيا مع الحكمة بالدون ولم يرض بالدون من الحكمة مع الدنيا فلذلك ربحت تجارتهم يا هشام إن العقلاء تركوا فضول الدنيا فكيف الذنوب وترك الدنيا من الفضل وترك الذنوب من الفرض يا هشام إن العاقل نظر إلى الدنيا وإلى أهلها فعلم أنها لا تنال إلا بالمشقة ونظر إلى الآخرة فعلم أنها لا تنال إلا بالمشقة

---

(١) شرح النهج ج ١٠ ص ٣٣ (٢) شرح النهج ج ٢٠ ص ٢٩١

(٣) الغرر والدرر ص ٣٠٨

فطلب بالمشقة أبقاهما يا هشام إن العقلاء زهدوا في الدنيا ورغبوا في الآخرة لأنهم علموا أن الدنيا طالبة و مطلوبة والآخرة طالبة و مطلوبة فمن طلب الآخرة طلبته الدنيا حتى يستوفي منها رزقه ومن طلب الدنيا طلبته الآخرة فيأتيه الموت فيفسد عليه دنياه وآخرته يا هشام من أراد الغنى بلا مال وراحة القلب من الحسد والسلامة في الدين فليتضرع إلى الله عز وجل في مسألته بأن يكمل عقله فمن عقل قنع بما يكفيه ومن قنع بما يكفيه استغنى ومن لم يقنع بما يكفيه لم يدرك الغنى - ومنه يا هشام إن العاقل لا يكذب وإن كان فيه هواه ويا هشام إن أمير المؤمنين عليه السلام كان يقول لله إن علامة العاقل أن يكون فيه ثلاث خصال يجيب إذا سئل وينطق إذا عجز القوم عن الكلام ويشير بالرأي الذي فيه صلاح أهله فمن لم يكن فيه من هذه الخصال الثلاث فهو أحمق لله ، إن أمير المؤمنين عليه السلام قال لله لا يجلس في صدر المجلس إلا رجل فيه هذه الخصال الثلاث أو واحدة منهن فمن لم يكن فيه شيء منهن فجلس فهو أحمق لله يا هشام إن لقمان قال لابنه لله تواضع للحق تكن أعقل الناس وإن الكيس لدى الحق يسير يا بني إن الدنيا بحر عميق قد غرق فيه عالم كثير فلتكن سفينتك فيها تقوى الله وحشوها الايمان وشراعها التوكل وقيمها العقل ودليلها العلم وسكانها الصبر فالعاقل فطن لبيب ينظر بنور الله وله مرآة صافية من الفكر والنظر والاعتبار فيستدل على الأمور الغائبة بالمشاهدة وتنفعه التجربة عن التردي في المهلكة لله)) (١) .

قال علي عليه السلام ((العاقل من وعظته التجارب)) (٢)
وفي الحكمة كل شيء يحتاج إلى العقل والعقل يحتاج إلى التجارب .

---

(١) تحف العقول ص ٣٩٠

(٢) مجموعة ورام ج ١ ص ٦٣

وقد قلت :

إن التجارب أصغت لي محدثة عن سرها وأباحت كل مكنون
من الزمان وأهليه فما ثقة يفي بعهد ولا دهر بمأمون

وعن علي عليه السلام ((العلم وراثة كريمة والآداب حلل حسان والفكرة مرآة صافية والاعتبار منذر ناصح وكفى بك أدبا لنفسك تركك ما كرهته من غيرك)) (١) فظن العاقل خير من يقين الجاهل لأن ظن العاقل مستنده التجربة

قال عليه السلام ((ظن المؤمن كهانة)) (٢) .

وقال عليه السلام ((اتقوا ظنون المؤمنين فإن الله تعالى جعل الحق على ألسنتهم)) (٣) وذلك هو الفراسة التي أشار الإمام عليه السلام إليها بقوله ((اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله)) (٤) وأما الجاهل فغر غبي لا يعرف موارد الأمور ولا مصادرها يدعي من بين يديه ويجيب من خلفه علمه جهل ويقينه شك ورأيه ضلالة مستند علمه الشك والريب

وسوء الظن فيستدل على حمقه بالأفعال الرديئة والأخلاق الدنيئة كتركه النظر في العواقب وثقته بكل من صحبه وكثرة الكلام فيما يعنيه وسرعة الجواب قبل النظر ودخوله فيما ليس له فيه نفع فيجب على اللبيب مواصلة العقلاء والأخذ عنهم إذا وجدوا ومجانبة الحمقاء فإن مقاربتهم الداء العضال ، فعن الصادق عليه السلام قال ((ما خلق الله عز وجل شيئا أبغض إليه من الأحمق لأنه سلبه أحب الأشياء إليه وهو العقل)) (٥) ، وقال عيسى عليه السلام ((داويت المرضى فشفيتهم بإذن الله ، وأبرأت الأكمه والأبرص بإذن الله وعالجت الموتى فأحييتهم بإذن الله وعالجت الأحمق فلم

---

(١) أمالي المفيد ص ٣٣٦ (٢) الغرر والدرر ص ٢٨ (٣) الوسائل ج ٢ ص ٢٨
(٤) علل الشرايع ص ١٧٣ (٥) علل الشرايع ص ١٠١

أقدر على إصلاحه)) (١)

لكل داء دواء يستطب به   إلا الحماقة أعيت من يداويها

وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال ((قطيعة الجاهل تعدل صلة العاقل)) (٢) والعلة في ذلك أن صلة العاقل ومصاحبته تؤدي إلى اكتساب الفضائل وقطعية الجاهل موجبة لاجتناب الرذائل وحيث كان اجتناب الرذائل طريقا إلى اكتساب الفضائل إذ لا يمكن اجتماعهما ، كانت المباعدة عن حاملي الرذائل تعدل مصاحبة الفضائل بل لا يمكن التحلي بالفضائل و الكمالات إلا بعد التخلي عن النقائص فيكون حينئذ التخلي عن الرذائل و مجانبة أهلها شرطا لحصول الكمالات و الفضائل و القرب من أهلها ، قال عليه السلام :

فلا تصحب أخا   الجهل فإياك وإياه

فكم من جاهل أردى   حكيما حين آخاه

يقاس المرء بالمرء   إذا ما هو ماشاه

وللشيء على الشيء   مقاييس وأشباه

وللقلب على القلب   دليل حين يلقاه

وروي عن الباقر عليه السلام قال ((أوصاني أبي فقال يا بني لا تصحبن خمسة ولا تحادثهم ولا ترافقهم في طريق ، فقلت جعلت فداك يا أبة : من هؤلاء الخمسة ؟ ، قال : لا تصحبن فاسقا فإنه يبيعك بأكلة فما دونها ، فقلت يا أبة : فما دونها ، قال : يطمع فيها ثم لا ينالها قال قلت يا أبة : ومن الثاني ؟ ، قال : لا تصحبن البخيل فإنه يقطع بك في ماله أحوج ما كنت إليه ، قال فقلت : ومن الثالث ؟ ، قال : لا تصحبن كذابا فإنه بمنزلة السراب يبعد منك القريب ويقرب منك البعيد ، قال

---

(١) الاختصاص ص ٢٢١   (٢) شرح النهج ج ١٦ ص ١٢

فقلت : ومن الرابع ؟ ، قال : لا تصحبن أحمقا فإنه يريد أن ينفعك فيضرك قلت : يا أبة من الخامس ؟ قال : لا تصحبن قاطع رحم فإني وجدته ملعونا في كتاب الله في ثلاثة مواضع)) (١) ، فيقول عليه السلام (ولا تصحبن قاطع رحم) ظاهره ظاهر عند الخاصة والعامة وأما التأويل فالمراد بها رحم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما دلت عليه نصوص أهل الخصوص وأشار إليها محكم التنزيل والتأويل بقوله تعالى ﴿ قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى ﴾ (٢) وقوله تعالى ﴿ واتقوا الله الذي تساءلون به و الأرحام ﴾ (٣) وقوله ﴿ والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك هم اللعنة ولهم سوء الدار ﴾ (٤) الآية .

فعلى هذا لا يجوز موادة أهل العداوة لرحم رسول الله والنصاب ولا مخالطتهم وقال أمير المؤمنين عليه السلام ((لا تدخلن في مشورتك بخيلا يعدل بك عن الفضل ويعدلك الفقر ولا جبانا يضعفك عن الأمور ولا حريصا يزين لك الشره فإن البخل والحرص والجبن غرائز شتى يجمعها سوء الظن بالله)) (٥) .

وفي الحكمة ثلاث تميت القلوب مجالسة الأنذال والحديث مع النساء ومجالسة الأغنياء والأخبار صريحة فيها والعلة في ذلك ظاهرة لأن معظم حديث الأنذال وجل مخاطباتهم في المضحكات والهزليات ورذائل الأخلاق وأما محادثة النساء فأكثرها في الشهوات و اللذات والبخل والجبن وما يضعف النفس عن اكتساب المكارم وأما الأغنياء فجل حديثهم ومحاوراتهم في الدنيا وتدبيرها وهذه كلها سفن النفس الأمارة لا يستطيع العقل الركوب فيها لأنها لا تسير إلا في غامر البحر المالح الأجاج الذي أشار إليه هن عليه السلام والبحر لا تسير سفنه

---

(١) الاختصاص ص ٢٣٩ — (٢) الشورى ٢٣ — (٣) النساء ١

(٣) الرعد ٢٥ — (٥) شرح النهج ج ١٧ ص ٣٦

إلا في غامر البحر الطيب العذب وهو الذي أراده أمير المؤمنين عليه السلام بقوله ((إن هذه القلوب تمل كما تمل الأبدان فابتغوا لها طرائف الحكمة)) (١) فليست طرائف الحكمة والأشعار والمضحكات والمروحات للنفس كما تفوه به بعض الغافلين وإنما أراد أن القلب يضيق بالعمل الواحد والمعرفة إذا أدمن على ذلك بمعنى أنه يعجز عن إدراك جميع ما يراد منه له فيمله لعجزه عن الاحاطة به وقصوره عن معرفة ما كلف به .

قال عليه السلام ((كونوا بقبول العمل أشد اهتماما بالعمل فإنه لا يقل عمل مع التقوى وكيف يقل عمل يتقبل)) (٢) فإذا انتقل إلى عمل آخر ومعرفة أخرى انفتح له من ذلك باب أدرك به ما خفي عليه في المقام السابق لارتباط الأعمال والمعارف بعضها ببعض فالقلب مأخوذ من التقلب وهو الانتقال من حال إلى حال أخرى فهو يسير أبدا إلى جهة مبدئه من ربه في مضمار لا نهاية له فيه ولا ينقطع سيره دون غايته وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال ((القلوب أربعة صدر وقلب وفؤاد ولب فالصدر موضع الاسلام ﴿ أفمن شرح صدره للإسلام ﴾ (٣) والقلب موضع الايمان ﴿ أولئك كتب في قلوبهم الايمان ﴾ (٤) ، والفؤاد موضع المعرفة ﴿ ما كذب الفؤاد ما رأى ﴾ (٥) ، واللب موضع الذكر { ليذكر أولو الألباب ﴾ (٦))) .

واعلم أن هذه القلوب أول مقاماتها الصدر وهو محل العلم الرسمي المدرك بالاكتساب فالصدر هو المشكاة التى أشار إليها بقوله تعالى } مثل نوره كمشكاة { ثم القلب وهو عقل اليمان الذي عناه الصادق عليه السلام (ما عبد به الرحمن) الحديث ، الزجاجة التى عناها بقوله ﴿ في زجاجة ﴾ وهو محل العلم الذوقي ثم الفؤاد أعنى

---

(١) شرح النهج ج١٧ ص٣٦ (٢) مجموعة ورام ج١ ص٦٤ (٣) الزمر ٢٢
(٤) المجادلة ٢٢ (٥) النجم ١١ (٦) إبراهيم ٥٢

العقل الجبلي اللدني وهو الزيت الذي عناه بقوله تعالى ﴿ يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار ﴾ وهو محل العلم الوجداني ثم اللب وهذا العقل هو عقل الكل أعني به مبدأ النفس اللاهوتية الملكوتية الكلية وهو المصباح الذي عناه بقوله تعالى ﴿ فيها مصباح المصباح في زجاجة ﴾ وأشار علي عليه السلام بقوله للأعرابي ((العقل جوهر درالك محيط بالأشياء من جميع جهاتها عارف بالشيء قبل كونه فهو علة الموجودات ونهاية المطالب)) وهذا العقل محل العلم الوجودي .

ثم اعلم أن أسباب التعريف ثلاثة السمع والبصر والفؤاد قال سبحانه ﴿ إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا ﴾ (١) فالسمع هو المرتبة الأولى أي قبول المعرفة بالتعريف ، والبصر هو المرتبة الثانية أي إدرالك المعرف بعد كمال المعرفة ، والفؤاد هو المرتبة الثالثة أي محل ظهور المعرف ووجدانه فيه يعرف الله المعرفة الوجدانية فالأولى مرتبة القبول والثانية مرتبة الشهود قال سبحانه ﴿أو ألقى السمع وهو شهيد ﴾ (٢) الثالثة مرتبة ظهور الوجود وأما الرابعة التى هي اللب فهي رتبة انمحاق الواجد وعدم تحققه في نفسه عند نفسه بمعنى عدم رؤيته لنفسه فيفنى عن وجدانه لا عن وجوده كما تفوه به أهل الضلال حيث قالوا أنه يفنى عن وجوده بمعنى انمحاق وجوده فيبقى بالحق على أنه عينه تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا لأن الخلق لا يكون حقا والحق يكون خلقا وإنما يكون فناء العبد في صفه فعليه من صفات الأفعال لأن الحق لا يتجلى بذاته ولا بصفاته الذاتية لأنها ذاته وإنما يتجلى لعباده في صفات أفعاله قال علي عليه السلام ((لم تحط به الأوهام بل تجلى لها بها وبها امتنع منها)) (٣) وقال الصادق عليه السلام ((لقد تجلى الله لعباده في كلامه ولكن لا يبصرون)) (٤) وروي عن أنه عليه السلام كان يصلي فقرأ ﴿ إيالك نعبد ﴾ فخر مغشيا عليه فسئل

---

(١) الإسراء ٣٦ (٢) ق ٣٧ (٣) الاحتجاج ص٢٠٤ (٤) غوالي اللآلي ج٤ ص١١٦

بعدها غشيته عن سبب ذلك فقال ((ما زلت أردد هذه الآية حتى سمعتها من قائلها)) (١) ، قال بعض أهل المعرفة أن لسان جعفر الصادق عليه السلام كان في ذلك الوقت كشجرة الطور عند قوله تعالى ﴿ إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري ﴾ (٢) ، وأما أنا فأقول أن الخطاب قد ظهر به المخاطب اسم مفعول على المخاطب اسم فاعل فكان هو المخاطب للمخاطب واعلم أن الخطاب من الأعلى حكم وتعليم ومن الأدنى قبول وتسليم ومن سائر الخلق رسم ووصف وروي أن الله قال على لسان عبده (سمع الله لمن حمده) فالكل عابد وسائل والمسئول الحق واحد في كل المراتب وخلف هذا الباب حجاب لا ينفتح للطلاب ولا يجوز السؤال عنه ولا يصح له الجواب .

---

(١) مفتاح الفلاح ص ٣٧٢ (٢) طه ١٤

فصل

في ذكر العلم والعلماء

فصل

في ذكر العلم والعلماء

اعلم أن العلم بعيد المرام لا يدرك بالسهام ولا يرى في المنام ولا يورث من الآباء والأعمام إنما هو شجرة طيبة لا تصلح إلا بالغرس ولا تنبت إلا في النفس ولا تسقى إلا بالدرس ولا تثبت إلا بالسهر وقلة النوم وصلة الليل باليوم

تعلم فليس المرء يولد عالما ... وليس أخو علم كمن هو جاهل
فإن كبير القوم لا علم عنده ... صغير إذا التفت عليه المحافل
وإن صغير القوم إن كان عالما ... كبير إذا دارت عليه المسائل

فالعلم يرفع قدر حامله وإن كان دني النسب قليل الحسب قال سبحانه ﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ﴾ (١)، وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((فضل العالم على العابد سبعون درجة بين كل درجتين حضر الجواد المضمر سبعين سنة)) (٢) ، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم ((فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على الكواكب)) (٣)، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم ((ثلاثة يشفعون إلى الله يوم القيامة فيشفعهم الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء)) (٤) وكان الزهري يقول

(١) المجادلة ١١
(٢) روضة الواعظين ص ١٤
(٣) أمالي الصدوق ص ٦٠
(٤) قرب الإسناد ص ٣١

(العلم ذكر ولا يحبه إلا الذكور من الرجال فالعالم حي بعد موته الحياة الأبدية والجاهل ميت في حياته لانغماره في ظلمات جهله) ، وعليه تأويل قوله تعالى ﴿ أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها ﴾ (١) .

أخو العلم حي خالد بعد موته ... وأوصاله تحت التراب رميم
وذو الجهل ميت وهو يمشي على الثرى ... يظن من الأحياء وهو هشيم

إذا عرفت ذلك فاعلم أن العلم سراج العقل فكل عقل لم يستضئ بنور العلم ضل وحار وقد عرفوا العلم بما ليس مرادا منه لأن العلم المطلوب هو الذوقي المشار إليه بقوله ((ليس العلم بكثرة التعليم وإنما هو نور يقذفه الله في قلب من يحب)) وهو الذي يكون نتيجة العمل وأما الصور الارتسامية وحصول الإدراكات والحكم بها فليست بالعلم المقصود وقد ذكرت تقسيمه وبيانه في رسالة العلم بما لا مزيد عليه ولا مطلوب وراءه فحقيقة العلم هو الإدراك اللدني والنور الجبلي ويكون الاكتساب والتعليم داعيا وسببا لظهور صورة ذلك النور الكامن وأما الإخلاص في العمل فعلة لوجود العلم في ظاهر العبد من باطنه واتصافه به وظهور آثاره عليه ، قال عليه السلام ((من أخلص لله العبودية أربعين صباحا تفجرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه فإن كان مؤمنا كان حجة له وإن كان كافرا كان حجة عليه)) ، والمراد بالإخلاص هنا الانقطاع عن العلائق الدنيوية وترك الشواغل النفسانية والتوجه إلى جهة واحدة هي مبدأ الجهات وأول التعينات ، وهذا الإخلاص أعم من الإخلاص المراد لله الذي هو طلب رضاه وترك مالا يرضاه لأن نتيجة ذلك معرفة ما يراد من العبد ونتيجة هذا فعل ما يراد منه ولذا قال عليه

---

(١) الأنعام ١٢٢

السلام (فإن كان مؤمنا كان حجة له) يعنى أن المعرفة اقترنت بالعمل (وإن كان كافرا كان حجة عليه) لأن المعرفة لم تقترن بالعمل وإنما سمي المعرفة عبودية لأنها عمل قلبي في جهة التعريف خالصة من شوب الكثرة وهذا الذي أريده من قولي ، إذا ركب المؤمن مطية الكافر لم يستجب له دعاؤه وإذا ركب الكافر مطية المؤمن استجيب له دعاءه بلا مهلة وبيانه أن مطية المؤمن الموصلة له إلى المطلوب هي التوجه لجهة المدعو والانقطاع عما سواه وعدم الالتفات إلى غيره ولا إلى نفسه فهذه الحالة قد تحصل أحيانا لغير المؤمن في الشدائد التى تصيبه فيدعو على غير طهر ولا في مكان شريف فيستجاب دعاءه .

نقل أنه سرق حمار نبى من الأنبياء فدعا الله أن يظهره على السارق ، فأوحى الله إليه أن السارق سألنى أن أستر عليه فلا أفضحه ولكن أعوضك عن حمارك غيره فلما التجأ السارق إلى سدة المطلقة وانقطع إلى حجاب الستر الجميل حين خاف الفضيحة استجاب سبحانه دعائه وجلله بستره وأخفى عليه بلطفه ورحمته .

وأما مطية الكافر فهي التحقق لنفسه عند نفسه ودعوى الانية المشتملة على الشواغل الدنية والرذائل الخلقية الموجبة للإعراض عن جهة المدعو فإذا امتطى المؤمن هذه المطية وسار عليها بعد عن الله فلم يستجب له دعاءه وسئل عليه السلام ما بالنا ندعو الله عز وجل فلا يستجاب لنا فقال ((لأنكم تدعون من لا تعرفون)) (١) ، وقال علي عليه السلام ((الداعي بلا عمل كالرامي بلا وتر)) (٢) ، ولذا نجد أن أناسا من صلحاء المؤمنين يقوون عند رأس الحسين عليه السلام تحت القبة المشرفة التى هي محل استجابة الدعاء دهرهم الأطول يدعون فلا يرون أثر الاجابة والعلة في ذلك ما ذكرته واعلم أن المراد بقبة الحسين عليه السلام في الظاهر الحائر الشريف

---

(١) فلاح السائل ص ٦ (٢) الخصال ٦٢١

كما تفيده مضامين بعض الأخبار ، وفي الباطن المراد بها الخضوع والانقطاع فإذا أردت من الله حاجة فاركب مطية المؤمن فإنها توصلك إلى مطلوبك في أسرع وقت ولا ينافي ما قلته تأخير ظهور أثر إجابة دعوات الأنبياء عليهم السلام كما جرى لنوح عليه السلام مع قومه ، ولموسى عليه السلام مع فرعون ، والقبط لأن ذلك التأخير مشروط في أصل إجابة الدعاء لمصالح اقتضتها الحكمة الالهية منوطة بنظام الوجود كما نبه سبحانه بقوله لموسى وهارون ﴿ فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون ﴾ بعد أن قال لهما سبحانه ﴿ قد أجيبت دعوتكما ﴾ (١) بخلاف عدم حصول الاجابة عند الاعتماد على غير الله والنظر إلى ما سواه قال أبو عبدالله عليه السلام ((ليس بين الايمان والكفر إلا قلة العقل ، قيل كيف ذلك يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال إن العبد يرفع رغبته إلى مخلوق فلو أخلص نيته لله لأتاه الذي يريد في أسرع من ذلك)) .

قال أويس القرني أحكم كلمة قالها الحكماء قولهم (صانع وجها واحدا يكفيك الوجوه كلها) فالعلم المقترن بالعمل ثلاثة علم مطلوب لذاته وعلمان مطلوبان لغيرهما ، فالأول هو غاية كل غاية ونهاية ومقره السر ومظهره الفؤاد وثمرته المعرفة الوجودية وهو حق اليقين الذي أشار إلى حقيقته بقوله تعالى ﴿ وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون ﴾ (٢) أي ليعرفون ، وفي الحديث القدسي ((كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لكي أعرف)) (٣) فعمل السر حقيقة هو تلك المعرفة لا غير وبها تدرك الأشياء على ما هي عليه وهو الذي أراده صلى الله عليه وآله ((اللهم أرني الأشياء كما هي)) وذلك بعد قطع السالك للمرتبتين أعني علم الشريعة وعلم الطريقة فعند هذه المرتبة ينقطع السير

---

(١) يونس ٨٩ (٢) الذاريات ٥٦ (٣) البحار ج ٨٤ ص ٦٠

والسلوك ، وهذا العلم لا يتحقق به صاحبه إلا بعد فناء صفات العبد الحقيقية في صفات الحق الفعلية وبقاؤه في مقام وجوده بعد غيبته عن شهوده وتركه نفسه عند نفسه روي أن نبيا ناجى ربه فقال يا رب كيف الوصول إليك فأوحى الله إليه ((ألق نفسك وتعال إلي)) وقد أشرت إلى تحقيق ذلك في شرح توحيد عبد الكريم الجيلاني فليطلب هنالك وفي هذا المقام يأتي قوله تعالى ﴿ وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ﴾ (١) فعند ذلك تتحقق حقيقة كمال العبودية فكمال الوصول إلى الحق تعالى حقيقة عبودية الواصل لا كما تقول أهل الضلال من الفناء في ذات الحق تعالى عن ذلك كما في الحديث في معنى العبد بقوله ((وحروف العبد ثلاثة ع ب د فالعين علمه بالله والباء بونه عمن سواه والدال دنوه من الله بلا كيف ولا حجاب)) (٢) ، وفيه إشارة إلى مرتبة علم اليقين وهي أول درجة العبودية وإلى عين اليقين وهي ثاني درجة العبودية وإلى حق اليقين وهي ثالث درجة العبودية فأعلى الخلق مرتبة وأقربهم منزلة أشدهم عبودية وهي كمال دنو العبد من ربه ولذا قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لامرأة قالت له يا محمد إنك لتأكل أكل العبد وتجلس جلوسه ((ويحك وأي عبد أعبد مني)) (٣) .

وأما العلم المطلوب لغيره فهو إما أن يكون طريقا إلى الأول بالتجريد والتحلي وإما أن يكون سببا ووصلة له بالعمل والتخلي فالأول مقره القلب ومظهره الصدر أعني النفس وثمرته المعرفة الشهودية لأنه علم كشفي وجداني وعمله تهذيب النفس عن الرذائل والتحلي بالفضائل ومكارم الأخلاق فإذا أكملت مرتبته لحامله في ترقيه ظهرت على ظاهره الأنوار ، فكان نظره بالله فحينئذ أخلص العبودية لله وهي رضا ما يفعله سبحانه فلم ينظر إلى ما سواه فكانت محبته محبة الله وفي هذا المقام الإشارة بقوله ((لا يزال

(١) الأنفال ١٧ (٢) مصباح الشريعة ص ٧ (٣) مكارم الأخلاق ص ١٦

العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي عليها)) (١) ، وهذا هو اليقين والثاني مقره النفس ومظهره الجوارح وثمرته المعرفة الذوقية وطريقة الكسب ومفاده الأخبار وعمله الأفعال البدنية الشرعية والتأدب بها والقيام بالخدمة التي قررها صاحب ناموس الشريعة عليه السلام وحصوله يكون بالدليل العقلي والعلم الذوقي فإذا كمل صاحبه وأخلص لله العبادة أي فعل ما يرضى به ظهرت الآثار على ظاهره فلا يرد دعاه إذا دعا ولا يمنع إذا سأل ، قال سبحانه ((يا عبدي أطعني فيما أمرتك أجعلك تقول للشيء كن فيكون)) (٢) وهذا العلم والعمل به سلم للثاني لأن عين اليقين ثمرة علم اليقين كما أن حق اليقين ثمرة عين اليقين وإلى ترتب هذين العلمين على الآخر أشار سبحانه بقوله ﴿ كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين ﴾ (٣) ، فحق اليقين تكليف السر من حيث ظهوره في القلب وعين اليقين تكليف القلب من حيث ظهوره في النفس وعلم اليقين تكليف النفس من حيث تعلقها وظهورها بالجوارح البدنية ويسمى الأول علم الحقيقة والثاني علم الطريقة والثالث علم الشريعة ، فمن نظر إلى الخلق بعين الشريعة أثبتهم ومن نظر إليهم بعين الطريقة ألزمهم الخدمة ومن نظر إليهم بعين الحقيقة نفاهم ثم اعلم أن كل مرتبة سلم لما فوقها لا يمكن للسالك التحلي بالعلياء إلا بعد التلبس بالتي هي أدنى منها لأنها شرطها لا كما تفعله أهل التصوف في تركهم العبادة وزعمهم أنهم يصلون بدونها فإذا طهر ظاهره بالانقياد للشريعة الالهية أمكنه الترقي إلى تهذيب النفس وتطهيرها من الشواغل الدنيوية والأخلاق الرديئة والملكات الدنية وإذا تحلى بالمكارم الخلقية أمكنه الترقي إلى المعارف الالهية والتجليات القدسية الخالية عن شوب الشكوك

---

(١) جامع الأخبار ص ٨١ (٢) إرشاد القلوب ص ٧٥ (٣) التكاثر ٥ ـ ٧

والأوهام فعن علي عليه السلام وقد سئل عن العالم العلوي قال ((صور عارية عن المواد عالية عن القوة والاستعداد تجلى لها فأشرقت وطالعها فتلألأت وألقى في هويتها مثاله فأظهر عنها أفعاله وخلق الإنسان ذا نفس ناطقة إن زكاها بالعلم فقد شابهت جواهر أوائل عللها وإذا اعتدل مزاجها وفارقت الأضداد فقد شارك بها السبع الشداد)) (١) .

وورد الحث على طالب علم الشريعة وعلم الطريقة للعمل لأن العلم إذا لم يقترن بالعمل كان وبالا على صاحبه والعلم بلا عمل لا نفع فيه بل يكون ضررا فعن أمير المؤمنين عليه السلام ((جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال : ما ينفي عنى حجة الجهل ؟ قال : العلم ، قال : فما ينفي عنى حجة العلم ؟ قال: العمل))(٢) ، وقال أمير المؤمنين عليه السلام ((العلم يهتف بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل)) (٣) ، وعن عيسى بن مريم عليه السلام ((ليس بنافعك أن تعلم ما لم تعمل إن كثرة العلم لا يزيدك إلا جهلا إذا لم تعمل به)) (٤) ، وأما سائر العلوم الرسمية فإن استعملت وطلبت لتكون مفتاحا لهذه العلوم المطلوبة من باب المقدمة فهي نافعة بالتبع وإلا فهي هباء كما روي عن الكاظم عليه السلام قال ((دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المسجد فإذا جماعة قد طافوا برجل فقال ما هذا ؟ ، فقيل علامة ، فقال : وما العلامة ؟ ، فقالوا أعلم بأنساب العرب ووقائعها وأيام الجاهلية والأشعار العربية ، قال فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذلك علم لا يضر من جهله ولا ينفع من علمه ثم قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم إنما العلم ثلاثة آية محكمة أو فريضة عادلة أو سنة قائمة وما خلى ذلك فهو فضل)) (٥) ، والمراد بالآية المحكمة معرفة الأشياء كما هي وجدانا ، والفريضة العادلة إقامة

---

(١) المناقب ج ٢ ص ٤٩ (٢) مجموعة ورام ج ١ ص ٦٤ (٣) الغرر والدرر ص ٤٣
(٤) مجموعة ورام ج ١ ص ٦٤ (٥) جامع الأخبار ص ١٤١

حدود النفس كما يراد منها ، والسنة القائمة إقامة العمل بما أتى به صاحب الشريعة ، فهي إشارة إلى العلوم الثلاثة التى ذكرتها وإن كان في الظاهر يراد بالآية المحكمة القرآن والفريضة القائمة ما افترضه الله وأمر به ، والسنة العادلة ما سنه صاحب الدعوة بأمر الله إلا أن لكل ظاهر باطنا فلا إيمان بأحدهما بدون الايمان بالآخر ، فمن اعترف بالباطن وأنكر الظاهر كفر ومن اعترف بالظاهر وأنكر الباطن جهل وخسر ، قال الصادق عليه السلام ((إن قوما آمنوا بالظاهر وكفروا بالباطن فلم ينفعهم شيئا وجاء قوم من بعدهم فآمنوا بالباطن وكفروا بالظاهر فلم ينفعهم ذلك شيئا ولا إيمان بظاهر إلا بباطن ولا إيمان بباطن إلا بظاهر)) (١) .

وعن الكاظم عليه السلام في قول الله عز وجل ﴿ إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منه وما بطن ﴾ (٢) قال ((إن القرآن له بطن وظهر فجميع ما حرم الله في القرآن هو الظاهر والباطن من ذلك أئمة الجور وجميع ما أحل الله في القرآن هو ظاهر والباطن من ذلك أئمة الحق عليهم السلام)) (٣) .

ومما ورد في طلب العلم قول النبى صلى الله عليه وآله وسلم ((طلب العلم فريضة على كل مسلم ألا أن الله يحب بغاة العلم)) (٤) .

وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه كان يقول ((أيها الناس اعلموا أن كمال الدين طلب العلم والعمل به إن طلب العلم أوجب عليكم من طلب المال إن المال مقسوم بينكم مضمون لكم قد قسمه عادل بينكم وضمنه سيفي لكم والعلم مخزون عليكم عند أهله وقد أمرتم بطلبه منهم فاطلبوه)) (٥) ، يريد عليه السلام إن طلب المال لقوام هذا الهيكل الوضيع في أيام متناهية وأزمان متقضية غير

---

(١) بصائر الدرجات ص ٦٣٥ — (٢) الأعراف ٣٣ — (٣) تأويل الآيات ص ٢٨

(٤) أمالي المفيد ص ١٩٩ — (٥) تحف العقول ص ١٩٩

دائمة وقد ضمنه الله وحتمه حيث يقول ﴿ وفي السماء رزقكم وما توعدون ، فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون ﴾ (١) والفضول منه لا فائدة فيه وأما العلم فهو قوام لجوهر الروح وسراج العقل في مدد غير متناهية وحالات غير متصرمة فاللبيب يكثر ما يبقى لما يبقى ويقنع باليسير مما يفنى لما يفنى قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم في وصيته لسلمان في خبر ((وأكثر من الزاد فإن السفر بعيد بعيد)) .

ومن ذلك ما رواه أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال ((تعلموا العلم فإن تعليمه لله حسنة ومدارسته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه من لا يعلمه صدقة وتذكره لأهله قربة لأنه معالم الحلال والحرام ومنار سبيل الجنة والأنيس في الوحشة والصاحب في الغربة والمحدث في الخلوة والدليل على السراء والضراء والسلاح على الأعداء والقربة عند الغرباء ويرفع الله به أقواما فيجعلهم في الخير قادة يقتدى بهم ويقتص بآثارهم وينتهى إلى رأيهم وترغب الملائكة في خلتهم وبأجنحتها تمسحهم وفي صلاتها تستغفر لهم ، ويستغفر لهم كل رطب ويابس حتى حيتان البحار وهوامها وسباع الأرض وأنعامها والسماء ونجومها ألا وإن العلم حياة القلوب ونور الأبصار وقوة الأبدان يبلغ بالعبد منازل الأحرار ومجالس الملوك والذكر فيه يعدل بالصيام ومدارسته بالقيام وبه يعرف الحلال والحرام وبه توصل الأرحام)) (٢) .

وقال صلى الله عليه وآله ((الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها ثم تمنى على الله)) (٣)

وعن أبي جعفر عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام ((ألا أخبركم بالفقيه حقا ، قالوا : بلى يا أمير المؤمنين ، قال : من لم يقنط الناس من رحمة الله ولم يؤمنهم من عذاب الله ولم

(١) الذاريات ٢٢ ـ ٢٣ (٢) أعلام الدين ٩٢ (٣) مكارم الأخلاق ص ٤٢٦

يرخص لهم في معاصي الله ولم يترك القرآن رغبة عنه إلى غيره ألا لا خير في علم ليس فيه تفهم ألا لا خير في قراءة ليس فيها تدبر ألا لا خير في عبادة ليس فيها تفقه)) (١) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم ((تعلموا ما شئتم أن تعلموا فلن ينفعكم الله بالعلم حتى تعملوا به فإن العلماء همتهم الرعاية وأن السفهاء همتهم الرواية)) (٢) ، فهذا المراد به علم الشريعة وشرطه التسليم والانقياد ، قال عليه السلام ((ولا يحصل العلم لطالب حتى ينقاد لأمر الله ويسلم لأوليائه ويقبل عنهم ويأخذ بقولهم)) .

وأما الحث على طلب علم الطريقة فما روي عن الصادق عليه السلام أنه قال ((من رعى قلبه عن الغفلة ونفسه عن الشهوة وعقله عن الجهل فقد دخل في ديوان المتنبهين ثم من رعى علمه عن الهوى ودينه عن البدعة وماله عن الحرام فهو من جملة الصالحين ، و قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة هو علم الأنفس)) (٣) ، وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((نعم وزير الايمان العلم ، ونعم وزير العلم الحلم ، ونعم وزير الحلم الرفق ، ونعم وزير الرفق اللين)) (٤) .

وأما علم الحقيقة فطريق حصوله التحلي بالعلمين السابقين ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله ((العلم نور يقذفه الله في قلوب أوليائه وانطلق به على لسانهم العلم علم الله لا يعطى إلا لأوليائه)) ، وروي أن عيسى عليه السلام قال لبني إسرائيل ((لا تقولوا العلم في السماء من يصعد يأتي به ، ولا في تخوم الأرض من ينزل يأتي به ، ولا من وراء البحر من يعبر يأتي به ، العلم

---

(١) معاني الأخبار ص ٢٢٦
(٢) مجموعة ورام ج ١ ص ٦٤
(٣) مصباح الشريعة ص ٢٢
(٤) قرب الاسناد ص ٣٢

مجبول في قلوبكم تأدبوا بين يدي الله بآداب الروحانيين وتخلقوا بأخلاق الصديقين يظهر العلم من قلوبكم حتى يغطيكم ويغمركم)) .

وإلى المراتب الثلاث أشار الصادق عليه السلام ((وجدت علم الناس كلهم في أربع ، أولها أن تعرف ربك ، والثاني أن تعرف ما صنع بك ، والثالث أن تعرف ما أراد منك ، والرابع أن تعرف ما يخرجك من دينك)) (١) ، فالأول والثاني والثالث والرابع للثالث ، وأما العلماء فاثنان عالم طلب العلم لله وعالم طلبه للدنيا فالأول هو العالم والمأمور بإتباعه والأخذ عنه لأنه حجة لله على عباده وعلامته العمل بما يعلم ، والثاني جاهل غوي يجب اجتنابه والتباعد عنه فإنه فتنة وعلامته أن يخالف عمله قوله وباطنه وظاهره .

قال صلى الله عليه وآله وسلم ((من أكرم عالما فقد أكرمني)) (٢) ، وقال ((من أكرم عالما أو متعلما فكأنما أكرم سبعين نبيا)) وقال ((من حقر طالب العلم فهو منافق ملعون في الدارين)) .

وعن الصادق عليه السلام ((يغدو الناس على ثلاثة صنوف عالم ومتعلم وغثاء فنحن العلماء وشيعتنا المتعلمون وسائر الناس غثاء)) (٣) ، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله ((مجالسة أهل الدين شرف الدنيا والآخرة)) (٤) ، وقال الكاظم عليه السلام ((محادثة العالم على المزبلة خير من محادثة الجاهل على الزرابي)) (٥) .

وقال أمير المؤمنين عليه السلام : ((يا طالب العلم إن للعالم ثلاث علامات العلم والحلم والصمت وللمتكلف ثلاث علامات ينازع من فوقه بالمعصية ويظلم من دونه بالغلبة ويظاهر الظلمة)) (٦) ، وقال عليه السلام ((لا يكون السفه والغرة في قلب العالم)) (٧) .

---

(١) الخصال ص ٢٣٩ (٢) جامع الأخبار ص ٣٨ (٣) بصائر الدرجات ص ٨

(٤) أمالي الصدوق ص ٦٠ (٥) الاختصاص ٣٣٥ (٦) منية المريد ص ١٨٣

(٧) الكافي ج ٢ ص ٢٥

وعن الصادق عليه السلام ((كونوا دعاة للناس إلى الخير بغير ألسنتكم ليروا منكم الاجتهاد والصدق والورع)) (١).

وقال الصادق عليه السلام في قوله تعالى ((﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ (٢) ((يعني من صدق قوله فعله ومن لم يصدق فعله قوله فليس بعالم)) (٣)، وذكر عنده قول النبي صلى الله عليه وآله ((النظر إلى وجه العالم عبادة)) فقال عليه السلام ((هو العالم الذي إذا نظرت إليه ذكرك الآخرة ومن كان على خلاف ذلك فالنظر إليه فتنة)) (٤).

واعلم أن الخشية والخوف عند أهل اللغة بمعنى واحد وعند العلماء بينهما فرق لأن الخوف تألم النفس من العقاب المتوقع بسبب تفريط في جنب الله أو مخالفة أمره وإن كان أمرا إرشاديا وذلك يحصل لكثير من الناس ومراتبه متفاوتة جدا فأعلاها مرتبة لا تحصل إلا للقليل وهو من يجعل الله نصب عينيه وخطيئته بين يديه ونريد بالمرتبة العليا من الخوف نهايته وهي الداعية إلى ترك المخالفة وطلب الرضا والموافقة فتلك حقيقة الخوف من الله جل اسمه وأما الخوف الغير الداعي إلى ترك المخالفة فيما يستقبل والندم على ما مضى فهو وسوسة شيطانية وطمع نفساني غايته الأماني.

وأما الخشية فحالة تحصل للعبد عند استشعار عظمة الحق تعالى وهيبته وخوف الحجب و البعد عنه وهذه الحالة لا تحصل إلا لمن ظهرت على باطنه أنوار الكبرياء وذاق لذة القرب ولذا قال سبحانه ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ فالخشية خوف خاص فلأجل ذلك يطلق عليها الخوف كما قال في مدح أهل بيت الرسالة ﴿ يخافون يوما كان شره مستطيرا ﴾ (٥) وأراد به الخشية التى هي الهيبة الحاصلة من تجلي الجلال لا الهيبة الحاصلة من تصور

---

(١) مجموعة ورام ج ١ ص ١٢ (٢) فاطر ٢٨ (٣) مشكاة الأنوار ص ١٣٢
(٤) مجموعة ورام ج ١ ص ٨٤ (٥) الإنسان ٧

النكال وقد قال العلماء أن اليوم في الآية مفعول به لا مفعول فيه لأن المراد أنهم يخافون نفس ذلك اليوم الذي هو يوم لقاء الله والقدوم عليه لا أنهم يخافون في ذلك اليوم عقابا ومعنى أنهم يخافونه أنه يوم لقاء الله بالقرب من رحمته والبعد عنه كما نقل عن الحسن بن علي عليهما السلام أنه قال ((لقاء الله شديد وذلك حقيقة الخشية من هيبة الملك الجبار)) قال تعالى ﴿ إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون ﴾ (١) إلى قوله ﴿ والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة إنهم إلى ربهم راجعون ﴾ (٢) ولما كان ذلك اليوم يوم الحساب والجزاء ثوابا وعقابا ناسب التعبير بالخوف لا بالخشية وإن كانت هي المرادة دونه .

وعن أبي بصير قال سمعت أبا عبد الله يقول كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول ((يا طالب العلم إن العلم ذو فضائل كثيرة فرأسه التواضع وعينه البراءة من الحسد وأذنه الفهم ولسانه الصدق وحفظه الفحص وقلبه حسن النية وعقله معرفة الأسباب والأمور ويده الرحمة ورجله زيارة العلماء وهمته السلامة وحكمته الورع ومستقره النجاة وقائده العافية ومركبه الوفاء وسلاحه لين الكلمة وسيفه الرضا وقوسه المدارة وجيشه محاورة العلماء وماله الأدب وذخيرته اجتناب الذنوب ورداؤه المعروف ومأواه الموادعة ودليله الهدى ورفيقه محبة الأخيار)) (٣) ، يريد عليه السلام أن العالم حق العالم هو من اتصف بهذه الصفات كلها وليس المراد مجرد وصف العلم والدليل على ما قلته قوله عليه السلام (يا طالب العلم إن للعلم فضائل كثيرة) إلى آخر كلامه .

وعن النبي صلى الله عليه وآله ((العلم علمان فعلم في القلب فذالك العلم النافع وعلم على اللسان فذالك حجة الله على ابن آدم)) (٤) .

---

(١) المؤمنون ٥٧ (٢) المؤمنون ٦٠ (٣) منية المريد ١٤٨ (٤) منية المريد ١٣١

وعن أبي جعفر عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام ((قوام الدين بأربعة بعالم ناطق مستعمل له وبغنى لا يبخل بماله على أهل دين الله وبفقير لا يبيع آخرته بدنياه وبجاهل لا يتكبر عن طلب العلم فإذا كتم العالم علمه وبخل الغنى بماله وباع الفقير آخرته بدنياه واستكبر الجاهل عن طلب العلم رجعت الدنيا إلى ورائها القهقرى فلا تغرنكم كثرة المساجد وأجساد قوم مختلفة ، قيل : يا أمير المؤمنين كيف العيش في ذلك الزمان ؟ ، قال : خالطوهم بالبرانية يعنى في الظاهر وخالفوهم في الباطن للمرء ما اكتسب وهو مع من أحب ، وانتظروا مع ذلك الفرج من الله عز وجل)) (١) .

وعن الصادق عليه السلام ((العارف شخصه مع الخلق وقلبه مع الله لو سهى قلبه عن الله طرفة عين لمات شوقا إليه والعارف أمين ودائع الله وكنز أسراره ومعدن أنواره ودليل رحمته على خلقه ومطية علومه وميزان فضله وعدله قد غنى عن الخلق والمراد والدنيا فلا مؤنس له سوى الله ولا نطق ولا إشارة ولا نفس إلا بالله ولله ومن الله ومع الله فهو في رياض قدسه متردد ومن لطائف فضله إليه متزود والمعرفة أصل فرعه الايمان)) (٢) .

وسئل رسول الله صلى الله عليه وآله عن صفة العبد الحقيقي فقال صلى الله عليه وآله ((الذين طاعة الله حلاوتهم وحب الله لذاتهم وإلى الله حاجاتهم ومع الله تجارتهم وعلى الله اعتمادهم وحسن الخلق عادتهم والسخاء حرفتهم والهدى مركبهم والتقوى زادهم والقرآن حديثهم وذكر الله جليسهم والفقر لباسهم والجوع طعامهم والظمأ شرابهم والحياء قميصهم والدنيا سجنهم والشيطان عدوهم والحق حارسهم والموت راحتهم والقناعة زينتهم والفردوس مسكنهم)) ، فخواص العبد الحقيقي هكذا ، يقول الله

---

(١) الخصال ص ١٩٧

(٢) مصباح الشريعة ص ١٩١

تعالى بعد أن ذكر أنبياءه ﴿ إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار ﴾ (١) فهذه صفة الذين يقتدى بهم وهم أولياء الله وأحباؤه وعليهم دارت الرحى .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله ((المؤمن إذا مات وترك ورقة واحدة عليها علم تكون تلك الورقة يوم القيامة سترا فيما بينه وبين النار وأعطاه الله تبارك وتعالى بكل حرف مكتوب عليها مدينة أوسع من الدنيا وما فيها ، ومن جلس عند العالم ساعة إلا ناداه ربه عز وجل جلست إلى حبيبي وعزتي وجلالي لأسكننك الجنة معه ولا أبالي)) (٢) .

وأما علماء السوء فهم الذين خالف باطنهم ظاهرهم ، ففيهم قال رسول الله صلى الله عليه وآله ((الويل للعالم يتكلم بهوى الناس لا أحد يكون أشد عذابا منه)) .

وقال الصادق عليه السلام ((يا حفص إنه يغفر للجاهل سبعون ذنبا قبل أن يغفر للعالم ذنب واحد)) (٣) .

وقال عليه السلام ((لا تقعدوا إلا إلى عالم يدعوكم من ثلاث إلى ثلاث ، من الكبر إلى التواضع ومن المداهنة إلى المناصحة ومن الجهل إلى العلم)) (٤) ، يريد عليه السلام أنكم تجنبوا من العلماء من لم يكن هذا شأنه ويريد بالمداهنة إظهار الموافقة بالغش والنفاق والمناصحة إظهار الحق وإقامته .

وقال عيسى بن مريم عليه السلام ((الدينار داء الدين والعالم طبيب الدين فإذا رأيتم الطبيب يجر الداء إلى نفسه فاتهموه واعلموا أنه غير ناصح لغيره)) (٥) ، وقال عليه السلام ((ويل لعلماء السوء كيف تصلى عليهم النار)) (٦) .

---

(١) ص ٤٦ (٢) منية المريد ص ٣٤١ (٣) تفسير القمي ج ٢ ص ٣٤١

(٤) مجموعة ورام ج٢ص ٢٣٣ (٥) الخصال ص ١١٣ (٦) منية المريد ص ١٤١

وعن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عز وجل ﴿ والشعراء يتبعهم الغاوون ﴾ (١) قال ((هل رأيت شاعرا يتبعه أحد إنما هم قوم تفقهوا لغير الدين فضلوا وأضلوا)) (٢) .

وعن الصادق عليه السلام في قول الله عز وجل ﴿ فكبكبوا فيها هم والغاوون ﴾ (٣) ، قال ((هم قوم وصفوا عدلا بألسنتهم ثم خالفوه إلى غيره)) (٤) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله ((من لم يتورع في دين الله ابتلاه الله بثلاث إما أن يميته في شبابه أو يوقعه في خدمة السلطان أو يسكنه في الرساتيق)) (٥) .

وعن الصادق عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله ((ما زاد خشوع الجسد على ما في القلب فهو خشوع نفاق)) (٦) .

وقال الصادق عليه السلام ((إذا رأيتم العالم محبا للدنيا فاتهموه على دينكم فإن كل محب يحوط بما أحب)) (٧) .

وعن أبي جعفر عليه السلام قال ((من طلب العلم ليباهي به العلماء أو يماري به السفهاء أو يصرف به وجوه الناس إلى نفسه أو يقول أنا رئيسكم فليتبوأ مقعده من النار إن الرياسة لا تصلح إلا لأهلها)) (٨) .

وعن الصادق عليه السلام ((أوحى الله إلى داود لا تجعل بيني وبينك عالما مفتونا بالدنيا فيصدك عن طريق محبتي فإن أولئك قطاع طريق عبادي المريدين إن أدنى ما أنا صانع بهم أن أنزع حلاوة مناجاتي من قلوبهم)) (٩) .

---

(١) الشعراء ٢٢٤ (٢) معاني الأخبار ص ٣٨٥ (٣) الشعراء ٩٤
(٤) فقه الرضا ص ٣٣٦ (٥) جامع الأخبار ص ١٣٩ (٦) جعفريات ص ١٦٣
(٧) علل الشرايع ص ٣٩٤ (٨) دعائم الاسلام ج ١ ص ٩٨ (٩) علل الشرايع ص ٣٩٤

وعن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال ((ألا إن شر الشر شرار العلماء ، وإن خير الخير خيار العلماء)) (١) .

وقال النبي صلى الله عليه وآله ((إني لا أتخوف على أمتي مؤمنا ولا مشركا ، فأما المؤمن فيحجزه إيمانه وأما المشرك فيقمعه كفره ولكن أتخوف عليكم منافقا عليم اللسان يقول ما تعرفون ويفعل ما تنكرون)) (٢) .

وقال صلى الله عليه وآله ((من أراد في العلم رشدا ولم يزدد في الدنيا زهدا لم يزدد من الله إلا بعدا)) (٣) .

وقال أمير المؤمنين ((قطع ظهري رجلان ، رجل عليم اللسان فاسق ، ورجل جاهل القلب ناسك ، هذا يصد بلسانه عن فسقه ، وهذا بنسكه عن جهله ، فاتقوا الفاسق من العلماء والجاهل من المتعبدين أولئك فتنة كل مفتون فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول هلاك أمتي على يدي كل منافق عليم اللسان)) (٤) .

وعن الصادق عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله ((صنفان من أمتي إذا صلحا صلحت أمتي وإذا فسدا فسدت أمتي قيل : يا رسول الله ومن هما ؟ ، قال : الفقهاء و الأمراء)) (٥) ، وقد ذكرت في المقدمة خبرا فيه أن الحسد عشرة أجزاء تسعة منها بين الفقهاء وواحد بين الناس وهم منه الحظ الأوفر ، وقد روي أن أول ما عصي الله بالحسد .

ونقل أن عيسى عليه السلام لقي إبليس وهو يسوق أحمرة عليها أحمال فسأله عن الأحمال فقال تجارة أطلب لها مشتري ، قال عليه السلام ما هي ، قال أحدها الجور قال ومن يشتريه قال السلاطين والثاني الكبر ، قال عليه السلام ومن يشتريه ، قال

---

(١) منية المريد ص ١٣٧ (٢) منية المريد ص ١٣٧ (٣) كنز الفوائد ج ٢ ص ١٠٨

(٤) الخصال ص ٦٩ (٥) الخصال ص ٣٧

الدهاقون ، والثالث الحسد ، قال ومن يشتريه ، قال العلماء ، والرابع الخيانة ، قال ومن يشتريه ، قال عمال التجار ، والخامس الكيد ، قال ومن يشتريه ، قال النساء ، فمن كانت هذه صفتهم فهم هالكون .

لو كان في العلم من دون التقى شرف لكان أشرف كل الناس إبليس

وعن أبي ذر رضي الله عنه ((من تعلم علما من علم الآخرة ليريد به عرضا من عرض الدنيا للدنيا لم يجد ريح الجنة أبدا)) (٢) ، لأن ذلك غاش منافق قد أشرك بالله معه غيره إذ استعمل ما كان له تعالى لغيره مع أنه يظهر أنه لله فيكون مضلا مغريا فالعالم إذا لم يكن عاملا لم تقبل منه حكمته ولم تنفع موعظته لأن فعله يكذب قوله وعمله يخاصم علمه ، نقل في خبر ((من نصب نفسه للناس إماما فعليه أن يبدأ بتعليم نفسه ومؤدبها أحق بالإجلال من معلم الناس ومؤدبهم)) (٢) لأنه إذا حبس كلبه العقور وقيده أمن الداخلون داره ، وإذا لم يقيده أضر بمن يأتي إليه فيعود نفعه ضررا ، وما أحسن ما قيل في هذا المقام .

يا أيها الرجل المعلم غيره هلا لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء وأنت أحوج للدواء وتعلم المرضى وأنت سقيم
وتراك تصلح بالرشاد عقولنا أبدا وأنت من الرشاد عديم
فابدأ بنفسك فانهها عن غيها فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يقبل ما تقول ويقتدي بالعلم منك ويقبل التعليم
لا تنه عن الخلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

وقيل أن بعض الواعظين وعظ يوما فأحسن الوعظ وكان ممن حضره شاب متعفف فشهق ومات فأخبرت أمه فلبست إزارها وأسرعت إلى الواعظ فحين شاهدته قالت .

أيا حجر الشحذ ما تستحي تسن الحديد ولا تقطع

اللهم اغفر لي ما أسلفت فيما مضى وفرطت فيه واعصمني فيما بقي بجودك يا كريم .

الباب الثاني

في ذكر الدنيا وماهيتها والزهد فيها

الباب الثاني
في ذكر الدنيا وماهيتها والزهد فيها

اعلم أن الدنيا ظاهرها هي النشأة للإنسان في التكليف وآخر نشأة تنزله ومنها مبدأ نشأته في قوس الرجوع في الدورة الثانية وهذا هو المراد بقوله عليه السلام ((الدنيا مزرعة الآخرة)) (١) ((من يزرع خيرا يحصد غبطة ومن يزرع شرا يحصد ندامة)) (٢) .

وأما حقيقتها فهي اللذات النفسانية والشهوات الرديئة البدنية ، وهذه اللذات المردية والشهوات المهلكة طبائعها مختلفة فإذا اجتمعت بالازدواج تكونت منها امرأة شمطاء حسنة المنظر قبيحة المخبر ، صورتها رائقة نظرة ومادتها جيفة قذرة ، في ظاهرها وفاق وباطنها نفاق ، مكارة غدارة يأنس بها الرجل الجاهل ويستوحش منها اللبيب العاقل وقد أخبر سبحانه عن ماهيتها بقوله ﴿ اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ﴾ (٣) ثم يكون حطاما ، فاللهو قلبها واللعب لسانها والزينة لباسها والتفاخر طبعها والتكاثر فعلها ، وقال جل شأنه ﴿ وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب وإن الدار الآخرة

(١) مجموعة ورام ج ١ ص ١٨٣ (٢) تحف العقول ص ٤٨٩ (٣) الحديد ٢٠

هي الحيوان لو كانوا يعلمون ﴾(١) فذكر في هذه الآية ما به قوامها وفي آية أخرى ذكر عوارضها فقال ﴿ المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا ﴾(٢) وقال ﴿ فما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ﴾(٣) فأبان سبحانه بأن الحياة فانية منقطعة لأنها مركبة من طبائع مختلفة غير معتدلة التركيب فكان ذلك سبب فنائها ودثورها لتفكك طبائعها إذ علة التفكك عدم اعتدال التركيب ، كما أن علة البقاء اعتدال التركيب الاعتدال الحقيقي فصارت الدار الآخرة باقية لا تفنى ولا يتجدد عليها دثور لمشابهة تركيبها الاعتدالي من البساطة التى هي أصل البقاء قال سبحانه ﴿ وإن الدار الآخرة لهي الحيوان ﴾(٤) يعني حياة لا موت فيها وكل ما فيها حي مدرك وفي البحار قال سألته عليه السلام عن الموت ما هو ؟ من أي شيء هو ؟ فقال ((هو من الطبائع الأربع التى هي مركبة في الانسان وهي المرتان والريح والبلغم ، فإذا كان يوم القيامة نزعن هذه الطبائع من الانسان فيخلق منها الموت فيؤتى به في صورة كبش أملح أي أغبر فيذبح بين الجنة والنار فلا يكون في الانسان هذه الطبائع الأربع فلا يموت أبدا)) فبين عليه السلام بأن تركب الأجسام وتكثفها أصله من امتزاج الطبائع بعضها بعضا ، فكيفية تجسم الأعمال والأعراض هي أن الطبائع إذا تناكحت تولدت منها العناصر فإذا امتزجت العناصر بنسبة إعتدالية تكونت منها المواد الجسمانية فإن كانت الطبائع التى هي مبدأ تركيب الطبائع الفاعلية الكائنة عن حقائق الطبائع الجوهرية الكونية تكونت

---

(١) العنكبوت ٦٤ (٢) الكهف ٤٦ (٣) الشورى ٣٦ (٤) العنكبوت ٦٤

منها الأجسام اللطيفة الفلكية وما في باطنها ، وإن كانت آثار تلك الطبائع وتنزلها كانت مبدأ تركيب الأجسام الكثيفة المادية ، وقد ذكرت في رسالة المعاد نمط إيجاد الطبائع وتناكح بعضها بعضا وتركب العناصر منها إجمالا فمن عرف ذلك أدرك معنى تجسم الأعمال يوم القيامة والميزان والصراط والأعراض أيضا في هذه النشأة في بعض الأحوال ، وعرف كيفية ظهور الدنيا بمادتها في صورة من صورها التى تلبسها في حالاتها كما ظهرت لعلي عليه السلام حالة مكرها في صورة جميلة حين طلبت منه أن يتزوجها فطلقها طلاق سراح لا طلاق نكاح وسأذكر لك في زهده إنشاء الله تعالى ، وكما ظهرت لعيسى عليه السلام حين إعراضه عنها حالة بلائها له في صورة قبيحة ، فظاهرها جميل وباطنها قبيح ولأجل ذلك أمر آدم عليه السلام حين أصابته الخطيئة وحصل له الأذى في بطنه لما أكل من الشجرة بالنزول إليها لأن الجنة ظاهرها جميل وباطنها طاهر طيب لا يقبل الخبائث والقذر ، وأما الدنيا فأحسن ما فيها صورتها وظاهرها وأما باطنها فقذر نجس يلائمه القذارات قال سبحانه ﴿ ألم نجعل الأرض كفاتا أحياء وأمواتا ﴾ (١) يعنى أنها تطم الجيف بعد الموت والقذارات في الحياة وتحيلها من نوعها لكثافتها ولو كانت لطيفة صافية غير متحللة الأجزاء لما احتملت من ذلك شيء كما في الجنة ، وقد أمر الشارع بطم السن والدم والشعر والظفر ، وكذلك كان أحسن ما في جسم الانسان صورته الظاهرة فلو قلبته لوجدت باطنه قذرا لا تقدر تألفه لأنه بول وغائط ودم وقيح ونخام ولعاب سائل ، وعن علي بن إبراهيم بسنده عن الصادق عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله

---

(١) المرسلات ٢٥ - ٢٦

في حديث ((إن الموت فخر في نفسه فقال الله عز جل لا تفخر فإني ذابحك بين الفريقين أهل الجنة وأهل النار ثم لا أحييك أبدا فخاف)) (١) يريد عز اسمه أن الطبائع الغير المعتدلة التركيب نهايتها إلى يوم القيامة وليس في الدار الآخرة بعده تركيب غير معتدل يؤدي إلى فساد وفناء بل تصاغ الأشياء صياغة لا تحتمل الفساد ، وأما فخر الموت فلجهله لأن الفاني لباسه الذل لا العز الذي يوجب الفخر .

واعلم أن المراد بالطبائع التى تنزع من الانسان المعبر عنها بالموت بعد اجتماعها هي الطبائع التى تكون مبدأ الجسد العنصري المتكون من مواد الأغذية فإن تركيبها غير معتدل ، وهذا الذي أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام بقوله ((وسبب مفارقتها - يعنى الروح - تخلل الآلات الجسمانية)) فالموت حيوان صامت مركب من الطبائع التى هي مبدأ الماديات والحياة حيوان ناطق مركب من الطبائع الكونية الفاعلية قال سبحانه ﴿ الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا ﴾ (٢) ، وتلك الطبائع أثر الطبائع الكونية التى في جسم الانسان الأصلي كما بينته في رسالة المعاد فتلك لا تقبل التفكك لاعتدال تركيبها الذي هو سبب الحياة والبقاء ، وسئل الصادق عليه السلام عن قوله تعالى ﴿ وأنذرهم يوم الحسرة ﴾ (٣) قال ((ينادي مناد من عند الله وذلك بعدما صار أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار يا أهل الجنة ويا أهل النار هل تعرفون الموت في صورة من الصور فيقولون لا فيؤتى بالموت في صورة كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار ثم ينادون جميعا أشرفوا وانظروا إلى الموت فيشرفون فيأمر الله به فيذبح ثم يقال يا أهل الجنة خلود فلا

---

(١) تحف العقول ص ٢٤ (٢) الملك ٢ (٣) مريم ١٣٩

موت أبدا ، ويا أهل النار خلود فلا موت أبدا وهو قوله تعالى ﴿ وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة ﴾ أي قضي على أهل الجنة بالخلود وعلى أهل النار بالخلود فيها)) (١).

ومما يدل على تجسم الأعمال ما روي أن عيسى عليه السلام لقي إبليس وهو يسوق أحمرة عليها أحمال الخبز ، وهو مذكور في باب العلم .

وأما وصف الدنيا ومعرفة حالها فقد أخبر الله سبحانه عنها بأنها مركبة في سبع شهوات عدد أبواب النار كل شهوة باب من أبواب النيران فقال ﴿ زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب ﴾ (٢) فجعل لكل باب منهم جزء مقسوما فالدرك الأسفل أعنى السابع من طبقات النار متعلق الشهوات للنساء وحبهن لأنهن أصل كل فتنة وكل فساد في الأرض كما نقل في بعض الأخبار ما معناه أنه ما سفك دم حرام ولا اغتصب مال حرام من لدن آدم إلا وأصله النساء ، ونقل في خبر آخر أن الله لما خلق المرأة ورآها إبليس فرح وقال : أنت سؤلي وموضع سري ونصف جندي وسهمي الذي أرمي به ولا أخطئ ، فجعل جميع الشهوات النفسانية مما يناط بملاذ الدنيا التى ذكرها الله سبحانه في كتابه وكذا جميع أجناده من المردة والعتاة والشياطين وما استنبطته طبائعهم الخبيثة نصف جنده والمرأة النصف الآخر .

واعلم أن المراد بالمرأة في الظاهر الجنس وفي التأويل النفس الأمارة وفي الباطن امرأة خاصة ففي الظاهر ورد

---

(١) تفسير القمي ج ٢ ص ٥٠

(٢) آل عمران ١٤

ذم النساء وأنهن أصل كل شر وورد الأمر بمخالفتهن ، فنقل أن رسول الله قال ((طاعة المرأة ندامة)) (١) وقال صلى الله عليه وآله وسلم ((عظوهن بالمعروف قبل أن يأمرنكم بالمنكر ، وتعوذوا بالله من شرارهن وكونوا من خيارهن على حذر)) (٢) وعن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((من أطاع امرأته أكبه الله على منخريه في النار ، فقال علي عليه السلام : وما تلك الطاعة ؟ قال : يأذن لها في الذهاب إلى الحمامات والعرسات والنياحات ولبس الثياب الرقاق)) (٣) .

وعنه عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((لا تسكنوا النساء الغرف ولا تعلموهن الكتابة ومروهن بالغزل وعلموهن سورة النور)) (٤) ، وقال صلى الله عليه وآله وسلم ((لا تحملوا الفروج على السروج فتهيجوهن)) (٥) ، وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام ((كل امرئ تدبره امرأته فهو ملعون)) (٦) ، وقال عليه السلام ((في خلافهن البركة)) (٧) ، وشكى رجل من أصحابه نساءه فقام عليه السلام خطيبا فقال ((معاشر الناس لا تطيعوا النساء على حال ولا تأمنوهن على مال ولا تذروهن يدبرن أمر العيال فإنهن إن تركن وما أردن أوردن المهالك وعدون أمر المالك فإنا وجدناهن لا ورع لهن عند حاجتهن ولا صبر لهن عند شهوتهن البذخ لهن لازم وإن كبرن والعجب بهن لاحق وإن عجزن لا يشكرن الكثير إذا منعن القليل ينسين الخير ويحفظن الشر يتهافتن بالبهتان ويتمادين بالطغيان ويتصدين للشيطان فداروهن على كل حال وأحسنوا

---

(١)(٢)(٤)(٥)(٦)(٧) مكارم الأخلاق ص ٢٣١ (٣) الخصال ١٩٦

لهن المقال لعلهن يحسن الفعال))(١) .

وعن أبي جعفر عليه السلام قال ((لا تشاوروهن في النجوى ولا تطيعوهن في ذي قرابة إن المرأة إذا كبرت ذهب خير شطريها وبقي شرهما ذهب جمالها وعقم رحمها واحتد لسانها ، وإن الرجل إذا كبر ذهب شر شطريه وبقي خيرهما ثبت عقله واستحكم رأيه وقل جهله)) (٢) وإنما لم يذكر الثاني من شر شطري الرجل أي السفاهة لأنها لازمة للجهل فاكتفي بقوله وقل جهله .

هذا في الظاهر وأما في التأويل فالمراد بالمرأة النفس الأمارة وهي بنت الجهل ، وأما في الباطن فالمراد بها امرأة خاصة وهي بنت الإنسان الذي عناه الإمام عليه السلام بقوله ((إمام يعصي الله فيطاع)) ، ففي الخصال عن الصادق عليه السلام عن أبيه عن جده عن أمير المؤمنين عليهم السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله في وصيته لي ((يا علي أربعة من قواصم الظهر إمام يعصي الله ويطاع أمره ، وزوجة يحفظها زوجها وهي تخونه ، وفقر لا يجد صاحبه له مداويا ، وجار سوء في دار مقام)) (٣) فقوله عليه السلام وهي تخونه يعني بالكفر وعدم إتباعه كما قال سبحانه ﴿ وضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين ﴾ (٤) وسأشير لك إلى باطنها مطابقا للتأويل بما هو موجود في مطاوي الأخبار عن الأئمة الأطهار عليهم السلام إن الظاهر لا يحتاج إلى فضل بيان .

---

(١) أمالي الصدوق ص ٢٠٦ (٢) مكارم الأخلاق ص ٢٣١

(٢) الخصال ص ٢٠٦ (٤) التحريم ١٠

فأقول المراد في الباطن بالإمام الذي يعصي الله ويطاع أمره، رجل شخصي وهو الإنسان الجهول الذي تحمل الأمانة التي عجز عن حملها السموات والأرض وأشفقن منها، وهو أول أئمة الضلال الاثني عشر المعنيين بالأئمة الذين يدعون إلى النار كما في حديث الاحتجاج عن أمير المؤمنين عليه السلام منهم عشرة من بني أمية.

وأما الزوجة التي يحفظها زوجها وتخونه وتبغي له الغوائل فهي ابنة الإنسان حين أفشت سر زوجها وأعانت على قتله، ففي تفسير العياشي قال الصادق عليه السلام ((تدرون مات النبي صلى الله عليه وآله أو قتل إن الله تعالى يقول ﴿ أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ﴾ (١) فسم قبل الموت إنهما سقتاه فقلنا : إنهما وأبوهما شر خلق الله)) (٢)، وذلك أن النبي أخبرهن أن أبا بكر سيلي الخلافة من بعده فحكت كل واحدة منهما لأبيها فأمراهما فعجلا عليه بالسم مبادرة إلى الخلافة، واعلم أنه صلى الله عليه وآله أخبرهما بما يؤول أمرهم إليه من الملك والقهر الذي فعلوه وتغلبوا به على أهل بيته ليستنبط طبائعهم وما هم عليه من حقيقة النفاق ﴿ ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة ﴾ (٣) فكان إخباره لهم أقوى الدواعي إلى قتلهم له صلى الله عليه وآله ومسارعتهم إلى خلافه ومبادرتهم إلى طلب الخلافة، إذ لولا إخباره لبقي أمرهم مستورا فلم تقم الحجة البالغة عليهم مع علم الله ورسوله بما هم عليه، فاقتضت الحكمة بمناط التكليف تمييز الخبيث من الطيب إقامة للحجج وإظهارا للفلج.

---

(١) آل عمران ١٤٤ (٢) تفسير العياشي ج ١ ص ٢٠٠ (٣) الأنفال ٤٢

وأما الفقر الذي لا يجد صاحبه له مداويا فهو رأس الشجرة الملعونة في القرآن الذي أخبر عنه أمير المؤمنين عليه السلام بقوله ((وقام ثالث القوم نافجا حضنيه بين نثيله ومعتلفه ، وقام معه بنو أمية يخضمون مال الله خضم الابل نبت الربيع)) (١) فهو الفقر في كتاب الله والامام الذي ذكره هو الفحشاء في كتاب الله وجار السوء في دار مقام ، هو الشيطان في كتاب الله قال سبحانه ﴿ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا ﴾ (٢) .

وفي التأويل الإمام المضل هو الجهل لأنه وجه الماهية وصاحب الهيمنة لحامله إبليس في هذه النشأة والمواد الظلمانية ، والمرأة هي النفس الأمارة وهي بنت الجهل وبابه كما ذكرته ، وأما الفقر فهو الطمع والاعتماد على غير الله وحب الدنيا الذي هو رأس كل خطيئة ، وأما جار السوء فهو الذنب وارتكابه ، وهو سيئة من سيئات الجهل فافهم تطبيق التأويل على الباطن ومطابقتهما للظاهر ﴿ والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ﴾ (٣) .

وإنما أطلت البحث هنا لأبين أن المراد بالمرأة التى فرح بها إبليس حين خلقها وهي نصف جنده إنها هذه لا كما تفوه به من يدعي العلم من أن المراد بها حواء عليها السلام ، إذ لو نظروا في أخبار آل محمد وعرفوا ما انطوت عليه لوجدوها ظاهرة فيما قلته .

والدرك السادس من دركات النار حب البنين والاشتغال بهم عن أمر الله وما يراد من العبد والفتنة بهم قال سبحانه ﴿ أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون ﴾ (٤) وقال تعالى ﴿ إنما

---

(١) علل الشرايع ص ١٥٠ (٢) البقرة ٢٦٨ (٣) البقرة ٢١٣

(٤) المؤمنون ٥٥ ـ ٥٦

أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم ﴾ (١) وأخر البنين عن المال في الآيتين للترقي كما في قوله ﴿ المال والبنون زينة الحياة الدنيا ﴾ (٢) وقال تعالى ﴿ لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ (٣) وقال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون ﴾ (٤)، وقال عز اسمه ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم ﴾ (٥)، وسمع أمير المؤمنين عليه السلام رجلا يقول اللهم إني أعوذ بك من الفتنة فقال عليه السلام ((أراك تتعوذ من مالك وولدك، يقول الله عز وجل ﴿ إنما أموالكم وأولادكم فتنة ﴾ ولكن قولوا اللهم إنا نعوذ بك من مضلات الفتن)) (٦).

والدرك الخامس حب الدينار والدرك الرابع حب الدرهم لأنهما عون إبليس وعضده القوي على معصية الله ومعاداة أولياء الله وإتباع أعداء الله قال عليه السلام ((أنا يعسوب المؤمنين والدينار يعسوب الظلمة)) (٧)، وعن النبي صلى الله عليه وآله ((علي يعسوب المؤمنين والدينار يعسوب المنافقين)) (٨) يعني أن عليا عليه السلام رئيس الدين وقائد المؤمنين المقدم فيهم، والدينار رئيس الدنيا وقائد المنافقين والمقدم عندهم، وقيل إن أول دينار خرج لما وقع على الأرض سجد له إبليس لعنه الله وقال: أفدي من يكون عونا لي على بني آدم وأنسب ما قيل في الدينار

(١) التغابن ١٥ (٢) الكهف ٤٦ (٣) المجادلة ١٧
(٤) المنافقون ٩ (٥) التغابن ١٤ (٦) مجموعة ورام ج ٢ ص ٧٢
(٧) الاختصاص ص ١٥١ (٨) اليقين ص ١٢٢

والدرهم قوله :

النار آخر دينار نطقت به　　والهم آخر هذا الدرهم الساري
والمرء ما دام مشغوفاً بحبهما　　معذب القلب بين الهم والنار

والدرك الثالث حب الخيل وخيلاها وزينتها كما قال تعالى ﴿ إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب ﴾ (١).

والدرك الثاني حب الأنعام وجمعها والاستكثار منها .

والدرك الأول الأعلى حب الحرث وجمع الحطام وهو الجحيم قال تعالى ﴿ فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هي المأوى ﴾ (٢).

وكل هذه موجبة لمعصية الله فعن الأصبغ بن نباتة قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام ((الفتن ثلاث حب النساء وهو سيف الشيطان ، وشرب الخمر وهو فخ الشيطان ، وحب الدينار والدرهم وهم سهم الشيطان ، فمن أحب النساء لم ينتفع بعيشه ، ومن أحب الأشربة حرمت عليه الجنة ، ومن أحب الدينار والدرهم فهو عبد الدنيا)) (٣).

وروي عن مولانا الباقر عليه السلام في طبقات النار أنه قال ((إن الله جعلها سبع درجات ، أعلاها الجحيم يقوم أهلها على الصفا منها تغلي أدمغتهم فيها كغلي القدور بما فيها ، و الثانية ﴿ لظى نزاعة للشوى تدعو من أدبر وتولى وجمع فأوعى ﴾ (٤) ، و الثالثة ﴿ سقر لا تبقي ولا تذر لواحة للبشر عليها تسعة عشر ﴾ (٥) ، و الرابعة الحطمة ﴿ ترمي بشرر كالقصر كأنه جمالات صفر ﴾ (٦) تدق

(١) ص ٢٣　(٢) النازعات ٣٨ ـ ٣٩　(٣) الخصال ص ١١٣
(٤) المعارج ١٥ ـ ١٨ (٥) المدثر ٢٧ ـ ٣٠　(٦) المرسلات ٣٢

كل من صار إليها مثل الكحل فلا تموت الروح كلما صاروا مثل الكحل عادوا ، والخامسة الهاوية فيها ملك يدعون أهلها يا مالك أغثنا فإذا أغاثهم جعل لهم آنية من صفر من نار فيها صديد ماء يسيل من جلودهم كأنه مهل فإذا رفعوه ليشربوا منه تساقط لحم وجوههم فيها من شدة حرها وهو قول الله ﴿ وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا ﴾(١) ومن هوى فيها هوى سبعين عاما في النار كلما احترق جلده بدل جلدا غيره ، والسادسة السعير فيها ثلاثمائة سرادق من نار في كل سرادق ثلاثمائة قصر من نار في كل قصر ثلاثمائة بيت من نار و في كل بيت ثلاثمائة لون من عذاب النار فيها حيات من نار وعقارب من نار و جوامع من نار وسلاسل وأغلال من نار وهو الذي يقول الله ﴿ إنا أعتدنا للكافرين سلاسل وأغلالا وسعيرا ﴾(٢) ، والسابعة جهنم وفيها الفلق وهو جب في جهنم إذا فتح أسعر النار سعرا وهو أشد النار عذابا ، وأما صعود فجبل من صفر من نار وسط جهنم))(٣) .

واعلم أن كل طبقة من طبقات النار في باطن أرض من الأرضين السبع ، كما أن كل جنة في باطن سماء من السموات السبع وجنة عدن في باطن الكرسي وسقفها عرش الرحمن فتظهر بواطنها وهو معنى كشط السماء وطيها في قوله تعالى ﴿ وإذا السماء كشطت ﴾(٤) وقوله تعالى ﴿ يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده ﴾(٥) وهو معنى تبديلها ، وتبديل الأرض في قوله تعالى ﴿ يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار ﴾(٦) .

---

(١) الكهف ٢٩ (٢) الإنسان ٤ (٣) تفسير القمي ج ١ ص ٣٧٦ – ٣٧٧
(٤) التكوير ١١ (٥) الأنبياء ١٠٤ (٦) إبراهيم ٤٨

فالأولى من الأرضين تسمى أرض النفوس كانت بيضاء فتكدرت بالمعاصي ، والثانية أرض العادات لونها أخضر ، و الثالثة أرض الطبيعة لونها أزرق ، والرابعة أرض الشهوة لونها أحمر ، والخامسة أرض الطغيان لونها كالنيل ، والسادسة أرض الإلحاد لونها أسود مظلم ، والسابعة أرض الشقاوة ما جرى عليها الضياء ولا رأت النور قط وهي سطح جهنم وفيها الجب مقر إبليس والفراعنة ، وهو مقابل جنة عدن أرضها الكرسي وسقفها عرش الرحمن لا يسكنها إلا محمد وآل محمد والأنبياء والمرسلون ، كما أن الجب لا يسكنه إلا ستة من الأولين وستة من الآخرين وفي نقل آخر فيه ثلاثة من الأولين وثلاثة من الآخرين ، فالثلاثة الذين من الأولين إبليس وقابيل وفرعون موسى عليه السلام ، والذين من الآخرين التيمي والعدوي والأموي وهؤلاء الستة في أسفل الجب مترتبون فيه فأسفلهم إبليس والتيمي والعدوي وأما الثلاثة الذين من الأولين الذين هم أدنى رتبة من إبليس وقابيل وفرعون موسى عليه السلام ففرعون إبراهيم عليه السلام أي النمرود والذي هود اليهود والذي نصر النصارى يعني الذين ابتدعا في دين موسى وعيسى وغيراهما وحرفا كتابيهما ، وأما الثلاثة الآخرين الذين من هذه الأمة فالأخبار مختلفة ففي بعضها أنهم معاوية وذو الثدية وعبدالرحمن بن ملجم وفي بعضها معاذ بن جبل ، وروي أنه سئل أبو جعفر عليه السلام عن أول من يدخل النار فقال ((إبليس ورجل عن يمينه ورجل عن يساره)) (١) ، وفي آخر أنه يفترشهما ويلتحفهما .

وأما الدنيا فتظهر بصورة شخصية من صورها لأولياء الله ويخبرون عنها بالحالة التي يرونها فيها وبها أخبروا عنها بمادتها وأحوالها لا في صورة خاصة إذ لم تجتمع طبائعها في

---

(١) ثواب الأعمال ص ٢١٥

مادة واحدة ، فمن الأول ما نقل عن المسيح أنه قال ((إني أرى الدنيا في صورة عجوز هماء عليها كل زينة ، قيل لها : كم تزوجت ، قالت : لا أحصيهم كثرة ، قيل : أماتوا عنك أو طلقوك ، قالت : بل قتلتهم كلهم ، قيل : فتعسا لأزواجك الباقين كيف لا يعتبرون بأزواجك الماضين ؟ وكيف لا يكونون منك على حذر ؟)) (١).

وعن ابن عباس أنه قال ((يؤتى يوم القيامة بالدنيا في صورة عجوز شمطاء زرقاء أنيابها بادية مشوهة خلقها تشرف على الخلائق أجمعين فيقال تعرفون هذه ؟ فيقولون : نعوذ بالله من معرفة هذه ، فيقول لهم : هذه الدنيا التى تناجزتم عليها و بها تقاطعتم الأرحام و بها تحاسدتم و تباغضتم و اغتررتم)) (٢) ولا ريب أنها لو ظهرت بصورتها لما قدر أحد أن يألفها ولكنها ظهرت بزينتها ولباسها للجهال ، وأما العقلاء فكشفوا ذلك اللباس فرأوها بهيئتها فبغضوها وتركوها ، نقل أنه لما أهبط الله آدم وحواء إلى الأرض وجدا ريح الدنيا وفقدا ريح الجنة غشي عليهما أربعين صباحا من نتن ريحها ولا ريب أن الدنيا بغية تتزين لأولادها فتنكحهم نفسها فإذا أذاقتهم حلاوتها مكرت بهم فأردتهم في هواتها وهذا دأبها ، وهي مع ذلك تدعو إلى نفسها بجاهها وتعظهم بفعالها فهي أبلغ ناصح لمن يعقل وأفصح واعظ لمن يسمع بأذن قلبه ويرى ببصر بصيرته فقد بالغ في النصح من ترك ضرب الأمثال وكشف حقيقة الحال بتنقل الأحوال وتصرم الآجال فالجاهل من خدعته بزخرفها وزينتها فركن إليها وهو ينظر إلى ما صنعت بأهلها بعد أن عمروا الدور وشيدوا القصور ، فنقلوا إلى ضيق القبور ، فرسومهم هامدة وأصواتهم خامدة ، لم

---

(١) مجموعة ورام ج ١ ص ٦٩ (٢) مجموعة ورام ج ١ ص ١٤٦

ينفعهم جمع المال، ولم تمنعهم العدة والرجال، و مع ذلك تسمعهم أخبار الماضين، وتريهم مصارعهم في الهالكين، والقرآن يهتف بهم في أفنيتهم صارخا بهم ﴿ فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور ﴾ (١)، ﴿ إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير ﴾ (٢) فمن اغتر بها بعد ما رآها ورأى صنعها بأهلها، وسمع مواعظ الله وزواجره هلك، روي عن الصادق عليه السلام أنه قال لرجل ((فإنك جعلت طبيب نفسك و عرفت آية الصحة وبين لك الداء ودللت على الدواء فانظر كيف قيامك على نفسك)) (٣)، ونقل أن من لعن الدنيا قالت له لعن الله أعصانا لربه، تريد أنك طلبتني بعدما عرفتني وعصيت أمر ربك بتركي فأي حجة لك علي في لعني فلو أنصفت للعنت نفسك إذ هي أحق بذلك مني، فإذا كان الطبيب غير ناصح قتل المريض.

واعلم أن الأدواء أربعة الهوى وإبليس والدنيا والنفس كما أشار عليه السلام بقوله ((ياغوثاه يا الله يا رباه أعوذ بك من هوى قد غلبني ومن عدو قد استكلب علي ومن دنيا قد تزينت لي ومن نفس أمارة بالسوء إلا ما رحم ربي)) (٤) فاجتهد بالخلاص من كيد الأعداء واعتصم بالله من شرهم، قال الشاعر:

إبليس والدنيا ونفسي والهوى ... كيف الخلاص وكلهم أعدائي

وأما آية الصحة فترك الشهوات، وأما الدواء فشربة القنوع بكأس التجافي عن دار الغرور، والمريض هو النفس وهو أقوى الأعداء قال صلى الله عليه وآله ((أعدى عدولك لك نفسك التي بين جنبيك)) (٥)، وأما الدنيا والهوى فهما الداء الدفين وهما جناحان للنفس تطير بهما في أودية الضلالة ومراتع الهلكة، فإن قصصت جناحيها ضعفت عن الطيران وقدرت على

(١) لقمان ٣٣ (٢) فاطر ٦ (٣) تحف العقول ص ٣٠٥
(٤) الاقبال ص ٥٢ (٥) مجموعة ورام ج ١ ص ٢٣٩

حبسها في سجن الإنابة ، فعند ذلك أرسل لبلقيس النفس من سليمان القلب طائر العقل بمرسوم النقل ، وهددها بجنود الحق ولا تقبل منها هدية الخداع ونكر لها عرش شهواتها و أمرها بدخول صرح التسليم وأدبها بسوط الخشوع ورضها بزاد القناعة ، فإذا شمرت عن ساق الجد في امتثال الطاعة رجعت إلى ربها راضية مرضية وفازت بالسعادة الأبدية ، وقال عليه السلام ((اجعل قلبك قرينا واصلا واجعل عملك والدا تتبعه ، واجعل نفسك عدوا تجاهده واجعل مالك كعارية تردها)) (١) ، وما أحسن ما قال الحسين عليه السلام يوم الطف

فإن تكن الدنيا تعد نفيسة ... فدار ثواب الله أعلى وأجزل
وإن تكن الأرزاق قسما مقدرا ... فقلة سعي المرء في الرزق أجمل
وإن تكن الأموال للترك جمعها ... فما بال متروك به المرء يبخل
وإن تكن الأجساد للموت أنشئت ... فقتل الفتى بالسيف في الله أفضل

و أما إبليس فهو الدليل الداعي للنفس الأمارة و هو أضعف الأعداء كما حكى الله عنه بقوله ﴿ و قال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق و وعدتكم فأخلفتكم و ما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني و لوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم و ما أنتم بمصرخي إني كفرت بما أشركتموني من قبل ﴾ (٢) فإنه إذا لم يجد له مركبا يمتطيه و لا مسكنا يؤويه ولى هاربا و رجع خاسئا كالكلب إن حملت عليه و أقبلت إليه تبعك و إن أعرضت عنه أكثر النباح و تركك قال عليه السلام ((من لم يكن له واعظ من قلبه و زاجر من نفسه ولم يكن له قرين مرشد استمكن عدوه من عنقه)) (٣) يريد بواعظ القلب طول الفكر الناشئ عن المعرفة المؤدي إلى النجاة بارتكاب ما أمر به و بزاجر النفس العمل المانع من ارتكاب ما نهي عنه بمعونة النفس اللوامة و بالقرين المرشد العلم المأخوذ عن أهل النجاة عليهم السلام فمن

---

(١) مشكاة الأنوار ص ٢٤٤ (٢) إبراهيم ٢٢ (٣) أمالي الصدوق ص ٤٤٧

تحلى بهذه الأوصاف لم يتمكن عدوه الخبيث من عنقه و من لم يتحل بها تمكن منه في عقله بالوساوس الابليسية الناشئة عن الغفلة الداعية إلى العجب والكبر لأن مبدأها الجهل الذي هو رأس الماهية فيبعد عن الله بعدا حقيقيا فيصطاده في شرك النفس الأمارة التي هي بنت الجهل، فيتحلى بالرذائل الخلقية ويترك حينئذ ما أمر به من القيام بمراسم العبادات الشرعية فيخر من سماء الهدى فتخطفه طير الشياطين وتهوي به ريح الهوى في مكان سحيق من أودية الضلالة، وقد ورد اعتراف الكفار بأن إبليس لعنه الله إنما هو مخادع غاش ما رواه جابر بن يزيد الجعفي عن الباقر عليه السلام عن جابر بن عبدالله الأنصاري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله ((إذا حمل عدو الله إلى قبره نادى حملته ألا تسمعون ؟ يا أخوتاه إني أشكو إليكم ما وقع فيه أخوكم الشقي، إن عدو الله خدعني فأوردني ثم لم يصدرني، وأقسم لي أنه ناصح لي فغشني، وأشكو إليكم دنيا قد غرتني حتى إذا اطمأننت إليها صرعتني، وأشكو إليكم أخلاء الهوى منوني ثم تبرءوا مني وخذلوني، وأشكو إليكم أولادا حميت عنهم وآثرتهم على نفسي فأكلوا مالي وأسلموني، وأشكو إليكم مالا منعت فيه حق الله فكان مباله علي ونفعه لغيري، وأشكو إليكم دارا أنفقت فيها حريتي وصار سكانها غيري)) إلى أن قال ((وا حسرتاه على ما فرطت في جنب الله ويا طول عولتاه فمالي من شفيع يطاع، ولا صديق يرحمني، فلو أن لي كرة فأكون من المؤمنين)) (١).

وعن أبي عبدالله عليه السلام قال ((ما من قبر إلا وهو ينطق كل يوم ثلاث مرات أنا بيت التراب، أنا بيت البلاء، أنا بيت الدود، قال: فإذا دخله عبد مؤمن قال مرحبا وأهلا)) إلى أن قال ((وإذا دخل الكافر قبره قالت مرحبا

(١) البحار ج ٦ ص ٢٥٨

بك ولا أهلا)) إلى أن قال ((ثم أنه يخرج منه رجل أقبح من رأى قط فيقول يا عبد الله من أنت فما رأيت شيئا أقبح منك ، فيقول : أنا عملك السيء الذي كنت تعمله ورأيك الخبيث ، قال : ثم تؤخذ روحه فتوضع حيث رأى مقعده من النار ثم لم تزل نفحة من النار تصيب جسده فيجد ألمها وحرها في جسده يوم البعث ويسلط على روحه تسعة وتسعون تنينا تنهشه ليس فيها تنين تنفخ على ظهر الأرض فتنبت شيئا)) (١) .

واعلم أن نداء القبر كل يوم ثلاث مرات عند الصباح وعند الزوال وعند المغرب في أوقات عمل العاملين وغفلة الفاسقين ، وقوله تسعة وستون تنينا هو ما يسلط على روحه كما صرح به عليه السلام ، وواحد تمام السبعين يسلط على جسده ، وهذا الذي ذكرته تشعر به بواطن كلامهم عليهم السلام .

وأما وصف الدنيا بأحوالها لا بصورة خاصة فكما روي عن سلمان الفارسي قال : كنت يوما عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فبدأ يذم الدنيا فقال ((يا سلمان قال الله عز وجل ما خلقت خلقا أبغض علي من الدنيا ، ثم قال عليه السلام : لو كانت الدنيا وما فيها تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافرا شربة ماء أبدا ، ثم قال : يا سلمان ألا أريك الدنيا وما فيها ، قلت : بلى يا رسول الله ، فأخذ بيدي وأتى بي إلى مزبلة من مزابل المدينة فإذا فيها خرق كثيرة وخزف وقذرات وعذرات كثيرة ، فقال لي : يا سلمان هذه الدنيا وما فيها وعلى هذا يحرص الناس ، وهذه العذرات ألوان أطعمتهم التى اكتسبوها من الحلال والحرام

---

(١) البحار ج ٦ ص ٢٦٦

ثم قذفوها من بطونهم ، وهذه الخرق البالية كانت زينتهم ولباسهم فأصبحت الرياح تصفقها يمينا وشمالا ، وهذه العظام عظام مواشيهم ودوابهم وأنعامهم وأغنامهم التى كانوا يتشاجرون عليها ، وهذه الخزف كانت أوانيهم التى يأكلون فيها ويشربون بها ، فهذه الدنيا وهذه منتهاها أصبحت في إقبالها مدبرة وفي إغنائها لأهلها مفقرة بؤسها مقرون بنعيمها)) .

قال علي عليه السلام ((الدنيا دار ممر لا دار مقر)) (١) وبطن أمه مبدأ سفره ، والآخرة مقصده ، وزمان حياته مقدار مسافته ، وسنوه منازله ، وشهوره فراسخه ، وأيامه أمياله ، وأنفاسه خطاه يسار به سير السفينة براكبها كما قيل :

رأيت أخا الدنيا وإن كان خافضا

أخا سفر يسري به وهو لا يدري

وعن الصادق عليه السلام عن آبائه عن علي عليهم السلام أنه قال ((إن الدنيا دار فناء وعناء وغير وعبر ، فمن الفناء أن الدهر موتر قوسه لا تخطيء سهامه ولا تؤسى جراحه يرمي الحي بالموت والصحيح بالسقم والناجي بالعطب آكل لا يشبع وشارب لا ينقع ، ومن العناء أن المرء يجمع ما لا يأكل ويبنى ما لا يسكن ثم يخرج إلى الله تعالى لا مالا حمل ولا بناء نقل ، ومن غيرها أنك ترى المرحوم مغبوطا والمغبوط مرحوما ليس ذلك إلا نعيما زل وبؤسا نزل ، ومن عبرها أن المرء يشرف على أمله فيقتطعه دونه أجله فلا أمل يدرك ولامؤمل يترك)) (٢) .

واعلم أن أحسن أحوال الدنيا بلاءها لأنه يتعقبه نعيم لعدم دوامها ، وأقبح ما فيها نعيمها لأنه يعقبه بلاء لعدم بقائها وكان صلى الله عليه وآله وسلم إذا اشتدت به الضراء فرح وإذا أصابته النعماء حزن فقيل له في ذلك فقال ما معناه : إن بعد كل رخاء شدة وبعد

---

(١) شرح النهج ج ١٨ ص ٣٢٩ (٢) شرح النهج ج ١٧ ص ٢٥٠ - ٢٥١

كل شدة رخاء ، فحال الدنيا عكس أحوال الآخرة لأن نعيمها لا يزول وبلائها لا يتحول ، فخير الدنيا وشرها تغيرها وفنائها ، وخير الآخرة وشرها ثباتها وبقائها .

وخطب أمير المؤمنين عليه السلام فقال ((أما بعد أيها الناس فإن الدنيا قد أدبرت وأذنت بوداع ، وإن الآخرة قد أقبلت وأشرفت باطلاع ، ألا وإن اليوم المضمار وغدا السباق والسبقة الجنة والغاية النار ، أفلا تائب من خطيئته قبل منيته ألا عامل لنفسه قبل يوم بؤسه ، ألا وإنكم في أيام أمل من ورائه أجل فمن عمل في أيام أمله قبل حضور أجله فقد نفعه عمله ولم يضرره أجله ، ومن قصر في أيام عمله قبل حضور أجله فقد خسر عمله وضره أجله ، ألا فاعملوا في الرغبة كما تعملون في الرهبة ، ألا وإني لم أر كالجنة نام طالبها ولا كالنار نام هاربها ، ألا وإنه من لا ينفعه الحق يضره الباطل ومن لا يستقم به الهدى يجر به الضلال إلى الردى ، ألا وإنكم قد أمرتم بالظعن ودللتم على الزاد وإن أخوف ما أخاف عليكم إتباع الهوى وطول الأمل)) (١) ، وقال عليه السلام ((ألا حر يدع هذه اللماظة لأهلها إنه ليس لأنفسكم ثمن إلا الجنة فلا تبيعوها إلا بها)) (٢) ، وكان الحسن بن علي عليهما السلام كثيرا ما يتمثل :

يا أهل لذات دنيا لا بقاء لها إن اغترارك بظل زائل حمق

وقال أمير المؤمنين عليه السلام ((ما أسرع الساعات في اليوم و أسرع الأيام في الشهور وأسرع الشهور في السنة و ما أسرع السنين في العمر)) (٣) ، وأوفى الكلام وأخصره في هذا المضمار قوله عليه السلام ((إذا كنت في إدبار والموت في إقبال فما أسرع الملتقى)) (٤) .

---

(١) شرح النهج ج ٢ ص ٩١

(٢) شرح النهج ج ٢٠ ص ١٧٣

(٣) شرح النهج ج ١٣ ص ٩٩

(٤) شرح النهج ج ١٨ ص ١٤٠

وعن الصادق عليه السلام ((أطول عمر ابن آدم أول يوم ولدته أمه)) يريد عليه السلام أنه في اليوم الثاني نقص من عمره المكتوب له يوم وهكذا فعمره تعده بالأيام خليق بالانصرام .

وعن المسيح عليه السلام أنه قال ((الدنيا ثلاثة أمس مضى ما يدلك منه شيء وغد لا تدري تدركه أم لا ويوم أنت فيه فاغتنمه)) ، وقال أبو ذر ((الدنيا ثلاث ساعات ساعة مضت وساعة أنت فيها وساعة لا تدري أتدركها أم لا ، فلست تملك في الحقيقة إلا ساعة واحدة إن الموت يزورك ساعة فساعة)) ثم قال ((العباد في الدنيا على ثلاثة أنفاس نفس مضى عملت فيه ما عملت ونفس لا تدري تدركه أم لا إن كم متنفس نفسا فاجأه الموت على النفس الآخر)) فلست تملك إلا نفسا واحدا لا يوما ولا ساعة وذلك لأن بناء عمر الإنسان على النفس فينقطع بنفس .

وعن الصادق عليه السلام في قوله تعالى ﴿ وما تدري نفس بأي أرض تموت ﴾ (١) قال ((يعني قدما عن قدم)) .

وتأمل قول الحسن عليه السلام ((يومك ضيفك وهو مرتحل يحمدك أو يذمك)) (٢) .

وقال أمير المؤمنين عليه السلام ((مسكين ابن آدم مكتوم الأجل ، مكنون العلل ، محفوظ العمل ، تؤلمه البقة وتقتله الشرقة وتنتنه العرقة)) (٣) ، وقال عليه السلام ((ما لابن آدم والفخر أوله نطفة وآخره جيفة لا يرزق نفسه ولا يدفع حتفه)) (٤) فهذه الكلمات كلما أردت أن أبين ما فيها عجزت قريحتي

---

(١) لقمان ٣٤

(٢) مجموعة ورام ج ٢ ص ٣٠

(٣) شرح النهج ج ٢٠ ص ٦٢

(٤) شرح النهج ج ٢٠ ص ١٥٠

عن استنباط ما انطوت عليه حقيقتها لأنها ظاهرة لا تخفى على ناظر ، باطنه لا تدركه خافيات السرائر محجوبة عن أن تدرك بالحجاب الظلماني الغليظ الذي هو أعظم حجاب بين العبد وربه وهو اشتغاله بتدبير نفسه واعتماده على عاجز مثله .

وقد قالوا عليهم السلام ((لم يخلق الله عز وجل يقينا لا شك فيه أشبه بشك لا يقين فيه من الموت)) (٣) والعلة في ذلك ما روي ما معناه أن الله لما خلق آدم جعل أجله بين يديه وأمله خلفه فلم ينتفع بنفسه ثم أنه جعل أمله بين يديه وأجله خلفه ، وفي نقل أن عيسى عليه السلام مر على رجل يحرث بمسحاته فوقف قربه فقال ((اللهم انزع عنه الأمل ، فوضع الشيخ المسحاة واضطجع ، فلبث ساعة ، فقال عيسى عليه السلام : اللهم ألق اردد إليه الأمل ، فقام فجعل يعمل ، فسأله عن ذلك ، فقال : قد فكرت أن هذا الذي أحرثه لعلي لا أبقى إلى أوانه فلم أزرعه فجلست ، ثم فكرت بأن الإنسان لا بد له من خبز يعيش به في الدنيا ثم قمت إلى مسحاتي)) (٤) فتجد أن كل أحد يعمل عمل البقاء وهو يعلم أنه لا يبقى فإما أن يموت غدا أو بعد غد فكل يوم يمر عليه إما أن يكون فيه أجله أو فيما بعده .

قال عليه السلام ((ما أنصف الموت من عد غدا من أجله ، فأمس الدابر مثل ويومك الذي أنت فيه عمل وغد بعده أجل وبعد غد أمل ربما لا تدركه فالماضي مضى بما فيه ، والآتي لا تدري عسى أن يكون أجلك فيه ، وإنما لك الذي أنت فيه فاجتهد أن يمضي عنك بما يرضاه فتحاسب فيه بما ترتضيه)) .

---

(١) الخصال ص ١٤ (٢) مجموعة ورام ج ١ ص ٢٧٢

واعلم أن الأجل أجلان أجل محتوم أي الأجل المسمى عند الله وهو الذي عناه عليه السلام ومقره عالم الملكوت ، وأجل مقضي أي مكتوب ومقره عالم الملك ، قال الله سبحانه ﴿ هو الذي خلقكم من طين ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده ﴾ (١) وقال عز اسمه ﴿ ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى ﴾ (٢) وقال تعالى ﴿ ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ﴾ (٣) وقال ﴿ إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ﴾ (٤) يعنى إذا نزل من عالم الغيب إلى الشهادة فقد حتم فلا محو فيه ولا إثبات ولا زيادة ولا نقصان لأن الزيادة والنقصان تكون في الأجل المقضي الذي هو السنون والأيام فهذا هو محل المحو والإثبات ، وهذا الأجل محل ذلك الأجل المسمى فينزل الذي في الغيب إلى الشهادة في المدد الزمانية بمعنى أنه يحل في وقت منها فتكون هي أيضا أجل الإنسان أي غاية بقائه لكونها محل ذلك الحال فينطبق الأجل المحتوم على المخروم فمدة البقاء هي الأجل الزماني الذي نسميه بالمخروم القابل للزيادة والنقيصة ، فمعنى أنه كتب الله في ألواح المحو والإثبات أن أجل زيد أي مدة بقائه مثلا عشر سنين هو أن تركيب جسده وبنيته تقتضي هذه المدة وعند اختلال ذلك التركيب ينزل الذي من عالم الغيب أعنى حقيقة موته الذي هو تفكك تركيبه الغير المعتدل فتجذب روحه عند مقابلة إسرافيل بالاسم الذي كتب على جبهته كانجذاب الحديد إلى المغناطيس فيقبضها ملك الموت عند ذلك ، كما نقل أن ملك الموت لما قبض روح النبي صلى الله عليه وآله قبل انفصالها قال جبرائيل : يا ملك الموت اصبر حتى أصعد إلى السماء وأنزل ، فقال ملك الموت : إنها صارت في موضع لا يمكن تأخيرها ، فإذا قابلها إسرافيل أي وقت كان فهو حقيقة أجله المحتوم ، وأما الأجل المخروم فهو نفس المدد الزمانية التي

---

(١) الأنعام ٢ (٢) طه ١٢٦ (٣) الحج ٥ (٤) يونس ٤٩

تقبل الزيادة والنقيصة باعتبار ما يحل فيها كما بينته ، فإن عمل طاعة والحال أن الذي كتب له عشر سنين بأن وصل رحمه أو تصدق زاد الله في بنيته وصحة تركيب بدنه مددا خارجيا عن الذي كان فيه ، وقيل الأجل الذي في الغيب تأخر سنة مثلا يعني إلى وقت نفاد الزيادة التي زيدها فلا يقابله لعدم اقتضاء كونه ذلك ، وإن زنى أو قطع رحمه نقص الله من أصل بنيته وتركيب جسده مقدار سنة مثلا فنزل الذي من عالم الغيب بمقابلة الاسم الذي على جبهة إسرافيل في السنة التاسعة .

وسأضرب لك مثلا تعقله ، فاعلم أن نظيره مثل تعلق النار بالفتيلة فإذا وضعت مثقالين من الشحم فيها فإنك تجزم بالضرورة وكذا كل من رآه بأن تعلق النار بالفتيلة لا يبقى أكثر من ساعة مثلا ، فإذا وضعت مثقالين آخرين حكمت وحكم كل من رآه بعد ذلك بتضاعف المدة السابقة ، وإن أخذت من الشحم شيئا حكمت بنقصان مدة التعلق بقدر ما نقص من الشحم ، وكذا لو بنيت جدارا فإن البناء يأتيه فيقول أن اقتضاء هذه البنية أن تبقى سنين ، ثم أنك تحفر تحت أساسه فيراه بعد ذلك فيجزم بأنه لا يبقى شهرا ، ثم أنك تضع فيما حفرت جصا وآجرا وتحكم أساسه فيراه ذلك البناء فيحكم ببقائه عشر سنين ، وهذا وجداني اقتضته حقائق الموجودات بما جرت الحكمة الالهية .

إذا عرفت هذا علمت أن حقيقة الأجل الذي ذكره الله وعبر عنه بالمسمى في آيات من كتابه مثل ﴿ ولولا أجل مسمى لجاءهم العذاب ﴾ (١) ، ومثل ﴿ وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى ﴾ (٢) يعني معينا محفوظا ، وأمثالهما من الآيات أنه هو الذي عنيته ،

---

(١) العنكبوت ٥٣   (٢) الأحقاف ٥٣

والمدد الزمانية هي الأجل المخروم المعبر عنه بالمقضي أي المكتوب عند الملائكة الموكلين بألواح المحو والاثبات، فتفهم ولا تعد عيناك عنه فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون، وخذها بيضاء صافية غير مشوبة بكدر التقليد فإنك لا تجدها إلا ها هنا.

وأما العلة في الأجل المقضي والسبب في كتابته مع جواز تغييره فلا يعرفه إلا من عرف حقيقة تعلق العلم بالمعلوم معرفة حقيقية ذوقية لا مجازية رسمية وقد بينت ذلك في رسالة العلم بما لا مزيد عليه ولا مدرك وراءه فيما أراه حقيقة لا ادعاء، ومع ذلك لا يعرفه إلا من فتح الله أذن فهمه بقارع من كلام آل محمد عليهم السلام

وكل يدعي وصلا بليلى | وليلى لا تقر لهم بذاكا
إذا انبجست دموع من عيون | تبين من بكى ممن تباكا

وأما قوله عليه السلام مكنون العلل فلأن سقمه في صحته ومرضه في عافيته فكلما قوي جسمه قويت فيه المرتان والدم والبلغم فمع اختلافها وعدم صلاح تركيبها

تكون سبب الأسقام ومبدأ العلل والآلام فربما يكون مرضه وسقمه في طعامه وشرابه أو حركته وسكونه أو راحته وتعبه ففي الحقيقة أنه كله علل وأسقام لا صحة فيه لأن تركيب جسمه من العناصر المختلفة التركيب لاختلاف الطبائع الأربع الغير المعتدلة وذلك نفس العلل المكنونة والأسقام المخزونة وسبب الفناء والانتقال من هذه الدار إذ تعلق روحه بجسمه تعلق ضعيف الاتصال لعدم صلاح التركيب والاعتدال مع بعد المناسبة فهو كالسراج الضعيف بين رياح أربع في فلاة واسعة تهب عليه الشمال والجنوب والصبا والدبور فكيف يبقى وقد اكتنفته الأغيار أو يقر له قرار في معهد موحش

من الأنيس بلا حصن حصين ولا مربع أمين فناسب الروح أن تقول :

أأرضى بالإقامة في فلاة وأربعة العناصر في جواري

وإلى هذا أشار أمير المؤمنين عليه السلام بقوله ((وسبب مفارقتها تخلل الآلات الجسمانية)) التى هي منشأ الكثافة والتركيب الغير المعتدل الطبائع ولذا لما قال إبليس لآدم ﴿ هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى ﴾ (١) وقال ﴿ ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين ، وقاسمهما إني لكما من الناصحين ﴾ (٢) قال سبحانه ﴿ فدلاهما بغرور ﴾ (٣) يعنى بخلاف ما وعدهما بل بضده لأن طعام أهل الجنة لا كثافة فيه ولا تخلل فيه فيكون سبب البقاء لاعتدال طبائعه المقتضي لاعتدال التركيب الموجب للبقاء فإن البساطة وما يقرب منها في الاعتدال علة البقاء ، بخلاف الشجرة التى أكلا منها بسبب مخادعته فإنها مبدأ الكثافة وفساد التركيب المقتضي لتخلل الآلات الجسمانية الموجب للفناء .

وأما قوله عليه السلام ((محفوظ العمل)) فالمراد به أن أعماله صفاته وتشكلات ذاته فوجودها مرتبط بوجوده ارتباط نسبة الحصول والاتصال لا نسبة الأثر والانفصال كما فهمه الجهال ، قال جل شأنه ﴿ وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا ، ﴿ اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها ﴾ (١) ، نعم الأعمال العرضية نسبتها إلى ذاته نسبة أثر وانفصال فلذا كان ثوابها وعقابها منقطعا بالنسبة إلى من قامت به في مدد متناهية بخلاف الأعمال

---
(١) طه ١٢٠ (٢) الأعراف ٢٠ – ٢١ (٣) الأعراف ٢٢ (٤) الإسراء ١٣ ١٥

الذاتية فإن ثوابها وعقابها دائم لا انقطاع له ولا نفاد ، فاعمل في أيامك التي تسير كأنها تطير ، واغتنم الفرصة قبل الفوت والحياة قبل الموت ، ولا تغرر بوعد الدنيا بعدما أرتك ما صنعت بأهلها ممن كان قبلك فاقبل مواعظ أفعالها ولا تقبل منها خداع أحوالها ، قال أمير المؤمنين عليه السلام ((أوصيكم عباد الله بتقوى الله واغتنام طاعته ما استطعتم في هذه الأيام الخالية الفانية وإعداد العمل الصالح الجليل ما يشفي به عليكم الموت ، وآمركم بالرفض لهذه الدنيا التاركة لكم الزائلة عنكم وإن لم تكونوا تحبون تركها ، والمبلية لأجسادكم وإن أحببتم تجديدها فإنما مثلكم ومثلها كركب سلكوا سبيلا فكأنهم قد قطعوه فأموا علما فكأنهم قد بلغوه ، وكم عسى المجرى إلى الغاية أن يجري إليها حتى يبلغها ، وما عسى أن يكون بقاء من له يوم لا يعدوه ، وطالب حثيث يحدوه فلا تنافسوا في عز الدنيا وفخرها ولا تعجبوا بزينتها ونعيمها ولا تجزعوا من ضرائها وبؤسها فإن عز الدنيا وفخرها إلى انقطاع وزينتها ونعيمها إلى زوال ، وإن ضراءها وبؤسها إلى نفاد وكل مدة فيها إلى انتهاء وكل حي فيها إلى فناء ، أوليس لكم في آثار الأولين مزدجر وفي آبائكم الماضين تبصرة ومعتبر إن كنتم تعقلون ، أولم تروا إلى الأموات لا يرجعون وإلى الأخلاف منهم لا يخلدون قال الله تعالى ﴿ وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون ﴾ (١) و ﴿ كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة ﴾ (٢) أولستم ترون إلى أهل الدنيا وهم يصبحون على أحوال شتى فميت يبكى ومفجوع يعزى وصريع مبتلى وآخر يبشر ويهنا

---

(١) الأنبياء ٩٥ (٢) آل عمران ١٨٥

ومن عائد يعود وآخر بنفسه يجود وطالب الدنيا و الموت يطلبه وغافل وليس بمغفول عنه وعلى أثر الماضي ما يمضي الباقي والحمد لله رب العالمين)) (١).
وما أبلغ ما قال في مثل هذا الحال قس بن ساعدة الأيادي رحمه الله تعالى

في الذاهبين الأولين من القرون لنا بصائر
لما رأيت مواردا للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها تمضي الأكابر والأصاغر
لا يرجع الماضي إلي ولا من الباقين غابر
أيقنت أني لا محالة حيث صار القوم صائر

وقال آخر:

يا غافلا غافلا والموت يطلبه وسالكا سفرا لا يعرف السفر

ونقل أسد بن أسيد الأنصاري قال لما فتحت اليمن أمر بقصر همدان يهدم فهدم فوجد فيه تابوت من حديد فظنوا أن فيه مالا فكسروه فوجدوا فيه حقة وظنوا أن في الحقة جوهرا فكسروا الحقة فإذا برق مكتوب فيه سطران فقرأ أحدهما فإذا فيه مكتوب:

لا تؤثرن بما جمعت سواكا فالموت لا تدري متى يغشاكا
إن البنين مع البنات رأيتهم يتوقعون ويشتهون فناكا
من كان يعلم أن مالك ما له من بعد موتك لا يحب بقاكا

وإذا في السطر الثاني مكتوب فيه:

يا عجبا للأرض ما تشبع وكل حي فوقها يفجع
ابتلعت عادا فأفنتهم وبعد عاد هلكت تبع

(١) مجموعة ورام ج ٢ ص ٢٥

وقوم نوح أدخلت بطنها فظهرها من جمعهم بلقع
يا أيها الطامع فيما مضى هل لك فيما بقي مطمع

وقد قيل على لسان الدنيا شعرا :

هي الدنيا تقول لمن عليها حذار حذار من بطشي ومن فتكي
فلا يغررك حسن ابتسامي فقولي مضحك والفعل مبكي

وأبلغ منه قول الآخر :

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت له عن عدو في ثياب صديق

وقال سلمان الفارسي رحمه الله ((أضحكني ثلاث وأبكاني ثلاث ، أضحكني غافل وليس بمغفول عنه ، ومؤمل الدنيا والموت في طلبه ، وضاحك ملأ فيه ولا يدري متى يومه ، وأبكاني فراق الأحبة وهول المطلع والوقوف بين يدي الله ولا أدري أساخط أم راض)) (١) .

وروى الحارث الأعور قال بينا أنا أسير مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في الحيرة إذا نحن بديراني يضرب الناقوس قال : فقال علي عليه السلام ((يا حارث أتدري ما يقول هذا الناقوس ؟ فقلت : الله ورسوله وابن عم رسوله أعلم ، قال : إنه يضرب مثل الدنيا وخرابها ويقول لا إله إلا الله حقا حقا صدقا صدقا ، إن الدنيا قد غرتنا وشغلتنا واستهوتنا واستغوتنا ، يا ابن الدنيا مهلا مهلا ، يا ابن الدنيا دقا دقا ، يا ابن الدنيا جمعا جمعا تفنى الدنيا قرنا قرنا ما من يوم يمضي عنا إلا أوهن منا ركنا قد ضيعنا دارا تبقى واستوطنا دارا تفنى ، لسنا ندري ما فرطنا فيها إلا لو قد متنا ، قال الحارث يا أمير المؤمنين النصارى يعلمون ذلك ، قال : لو علموا ذلك لما اتخذوا المسيح إلها من دون الله عز وجل ، فذهبت إلى الديراني فقلت : بحق المسيح عليك لما ضربت بالناقوس على

---

(١) مجموعة ورام ج ٢ ص ٢٢٤

الجهة التى تضربها ، قال : فاخذ يضرب و أنا أقول حرفا حرفا حتى بلغ إلى قوله إلا لو قد متنا ، فقال : بحق نبيكم من أخبرك بهذا ، قلت : هذا الرجل الذي كان معي أمس ، قال : هل بينه وبين النبى من قرابة ، قلت : هو ابن عمه ، قال : بحق نبيكم أسمع هذا من نبيكم ، قلت : نعم ، فاسلم ثم قال لي : والله إني وجدت في التوراة أنه يكون في آخر الأنبياء نبى وهو يفسر ما يقول الناقوس)) (١) .

ومن شعر قلته في مخادعة الدنيا وخلفها بوعدها وغدرها بأهله

نزلنا على الدنيا ضيوفا أعزه ... وكنا نرجي وصلها بوداد
وطلبنا القرى منها فابدت ... بشاشة وقبل قراها آذنت ببعاد
ونادى مناديها ألا فترحلوا ... فإن مزاد السفر غير مزاد
ولا تطلبوا منى النزول فإن لي ... منازل ما حلت بغير مصاد
هلموا ولموا ما أردتم وجمعوا ... رويدا فعقبى جمعكم لنفاد

قيل مر الإسكندر ببابل فاخبر عن غار هنالك وبه آثار عظيمة فإذا عليه مكتوب بالسرياني يا من نال المنى وأمن الفنا وقد وصل إلى هنا اقرأ وافتكر وادخل واعتبر واعلم أني قد ملكت البلاد وحكمت على العباد وما نلت من الدنيا المراد ، قال فدخل الإسكندر الغار وقد أسبل الدموع الغزار فوجد شخصا عظيم الهامة طويل القامة على سرير من الذهب ملقى وقد ترك جميع ما ملك وأبقى ، ويده اليمنى مقبوضة والأخرى مفتوحة ومفاتيح خزائنه تحت رأسه مطروحة وعلى يمينه لوح مكتوب فيه جمعنا المال وملكنا ، وعلى شماله لوح مكتوب فيه ثم رجعنا وتركناه ، وعند رأسه لوح مكتوب فيه هذه الأبيات :

لقد عمرت في زمن سعيد ... وكنت من الحوادث في أمان
وقارنت الثريا في علو ... فصرت على السرير كما تراني

(١) أمالي الصدوق ص ٢٢٦

فقال الإسكندر : فسبحان الملك الأعز الذي لا إله إلا هو ووقع في قلبه الوجل والوله فتخلى بنفسه وقال الأولى أن أعزل نفسي قبل أن أعزل وألبس الخشن والمسوح رغبة في ملك الأبد والثواب الممنوح ، فجرح نفسه بسكين الجوى حتى صلت مهاوي القوى حين وجد في الغار النوى وأنشد لسان حاله لما كمل عقله واستوى

دع الهوى فآفة العقل الهوى ... ومنتهى الوصل صدود ونوى
وراقب الله فأنت راحل ... إلى الثرى ومعظم العمر انطوى
ما ينفع الإنسان عند موته ... ما حاز من أمواله وما حوى
يقسمها وارثه برغمه ... وهو بنار إثمها قد اكتوى
تب قبل شيب الرأس فالتائب لا ... يتبع شيب رأسه إلا القوى
ما دام في العمر اخضرار عوده ... صعب وسهل عنده إذا ذوى
إذا أضيع أول العمر أتت ... أعجازه إلى اعوجاج والتوى

وكفى في ذم الدنيا أنك لا تنال شيئا منها إلا وقد كان له أهل قبلك فاختلسته منهم وتختلسه حتى يكون له أهل بعدك وليس لك منها إلا قوت يوم أو ليلة فلا تهلك نفسك لأجل أكلة تذهب لذتها ويبقى إثمها ، فصم عن الدنيا وأفطر على الآخرة قال عليه السلام ((ومن جهلها أنها لا تعطي أحدا ما يستحقه إما أن تزيده وإما أن تنقصه)) (١) ، وقال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام ((الدنيا ستة أشياء مطعوم ومشروب وملبوس ومركوب ومنكوح ومشموم ، فأشرف المطعومات العسل وهي مذقة ذباب ، وأشرف المشروبات الماء يستوي فيه البر والفاجر ، وأشرف الملبوسات الحرير وهو نسج دودة ، وأشرف المركوبات الخيل وعليها يقتل الرجال ، وأشرف

---

(١) شرح النهج ج ٢ ص ٩٦

المنكوحات النساء وهي مبال في مبال ، وإن المرأة لتزين أحسن ما فيها ويراد أقبح ما فيها ، وأشرف المشمومات هو المسك وهو بعض دم)) (١) .

يا خاطب الدنيا إلى نفسها … تنح عن خطبتها تسلم
إن التى تخطبها غدارة … قريبة العرس من المأتم

قال علي عليه السلام ((إن مثل الدنيا مثل الحية لين مسها قاتل سمها)) (٢) .

وكان عيسى عليه السلام يقول إذا مر بدار قد مات أهلها وخلف فيها غيرهم ((ويحا لأربابك الذين ورثوك كيف لم يعتبروا بإخوانهم الماضين)) (٣) .

قال بعضهم مررت بسويقة عبد الوهاب وقد خربت وإذا على حائط منها مكتوب :

هذي منازل أقوام عهدتهم … في خفض عيش وعز ماله خطر
صاحت بهم نائبات الدهر فا … نقلبوا إلى القبور فلا عين ولا أثر

وقال الآخر شعرا :

درج الليل والنهار على فهم … بن عمرو فأصبحوا كالرميم
وخلت دورهم فأمست خرابا … بعد عز وثروة ونعيم
وكذلك الزمان يلعب بالناس … وتبقى آثارهم كالرسوم

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله ((أشد ما أخاف على أمتي ثلاث زلة عالم و جدال منافق أو ذنب يقطع رقابهم ، إن هذين الحجرين قد أهلكا من كان قبلكم وإنهما مهلكاكم ، فانظروا كيف

(١) مجموعة ورام ج ١ ص ١٤١ (٢) روضة الواعظين ص ٤٤١ (٣) مجموعة ورام ج ٢ ص ٢٩١

تعملون)) (١) يريد بالحجرين الذهب والفضة .

وقال بعض العارفين لبعض الأغنياء : كيف طلبك للدنيا ، فقال : شديد ، قال : فهل أدركت منها ما تريد ، قال :لا ، فقال له : هذه التى صرفت همتك في طلبها وضيعت عمرك في تحصيلها لم تدركها فكيف تطمع في تحصيل التى لم تطلبها ولم تعن بها ، لقد خاب سعي من هذا حاله يعصي الله ولا يطيعه ويتمنى عليه الأماني ويقول : يا نفس لا تجزعي فإن الله غفور رحيم ، ويل له ألم يسمع الله ينادي في محكم كتابه العزيز ﴿ وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى ﴾ (٢) ، ويقول ﴿ إن رحمة الله قريب من المحسنين ﴾ (٣) .

وفي خبر أن عيسى عليه السلام صعد جبلا فرأى شخصا يعبد الله تعالى في حر الشمس فقال : لم لا تستظل ، فقال : يا نبي الله إني سمعت من الأنبياء أني لا أعيش أكثر من سبعمائة سنة فلم أجد من عقلي أن أشتغل بالبناء ، فقال عيسى عليه السلام : ألا أخبرك بما يعجبك ، قال : فماذا ، قال : يكون في آخر الزمان قوم لا ينتهي عمر أحدهم إلى أكثر من مائة سنة وهم يبنون الدور والقصور ويتخذون الحدائق والبساتين ويأملون عمر ألف سنة ، قال الشيخ : فوالله إني لو أدركت زمانهم لجعلت عمري في سجدة واحدة ، ثم قال لعيسى عليه السلام : أدخل هذا الكهف حتى ترى عجبا ، فدخل فرأى سريرا من حجر وعليه ميت وعلى رأسه لوح من حجر مكتوب عليه : أنا فلان الملك عمرت ألف سنة وبنيت ألف مدينة وتزوجت ألف بكر وهزمت ألف عسكر ثم كان مصيري إلى هذا .

ومما ينسب إلى أمير المؤمنين عليه السلام قوله :

---

(١) مجموعة ورام ج ٢ ص ٢١٧ (٢) طه ٥٦ (٣) الأعراف ٥٦

قد شاب رأسي ورأس الحرص لم يشب
إن الحريص على الدنيا لفي تعب

مالي أراني إذا رمت مرتبة — فنلتها طمحت نفسي إلى رتب
بالله ربكم بيت مررت به — قد كان يعمر باللذات والطرب
طارت عقاب المنايا في جوانبه — فصار من بعدها للويل والحرب
فاحبس عنانك لا تبغي به طربا — فلا وربك ما الأرزاق بالطلب
قد يأكل المال من لم يخف راحلة — ويترك المال من جد في الطلب

وأنت إن قنعت بالدنيا فأقل ما فيها يكفيك، وإن طمعت فيها فكلما فيها لا يكفيك والسبب في ذلك أن دائرة النفس أوسع من الدنيا لأن النفس من عالم المجردات، والأجسام كلها نقطة في فضاء ذلك العالم، فإن حبست في سجن القنوع وقيدت بقيد الخشوع وريضت في مضمار المعرفة وأجريت في ميدان اليقين أدركت بدء نشأتها فتصاغر عندها هذا العالم فزهدته وطلبت الفضاء الواسع الأصلي فإذا رأته طلبت العروج إليه فتصاغرت عند نفسها في عظمته وفسحته فرضيت بما تصل إليه منه مما يسد فاقتها ويغني فقرها، وإن أهملت تسبح في بحر جهلها غفلت عما أمامها فبقيت ما تراه حقيرا بالنسبة إليها فكلما نالت شيئا طلبت ما وراءه فإذا أدركته رأت أنها أعظم منه فطلبت ما فوقه ليسد فاقتها ويكفي عيلتها ويطفي غليل فقرها وهكذا حالها فلا تجده أبدا فيزداد حرصها فيما لا يكفيها طمعا في حصول ما يكفيها وفي الخبر ((منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب دنيا)) (١)، فاجتهد أن ترضى بالقليل منها ما يغنيك فتستريح من التعب والنصب في طلب ما لا يعنيك فإن الدنيا

---

(١) معدن الجوهر ص ٢٥

كالنار كلما عظمت قويت إحالتها لما فيها ، فتحتاج إلى الحطب أكثر مما فيها لسرعة إهالتها له فإذا وضع الحطب عظمت فطلبت أكثر مما كان وهكذا حالها بلا غاية تنتهي إليها .

واعلم أن الدنيا إنما تطلب لثلاث خلال لا توجد إلا في تركها ، الغنى والعز والراحة فهذه غاية طلبها فمن قنع استغنى ومن زهد فيها وجانب أهلها عز ومن قل سعيه وكدحه استراح فالسعيد من قذفها خلف القفا واستقبل دار البقاء .

قال رجل لأبي عبدالله عليه السلام : من أعظم الناس قدرا ؟ فقال له ((الذي لا يرى الدنيا لنفسه خطرا)) (١) فالدنيا جيفة قذرة احتوشتها كلابها كاشرة أنيابها فلا يجوز الأكل منها إلا عند الضرورة بقدر ما يسد الرمق فمن يذق الدنيا فأني طعمتها وسيق إلينا عذبها وعذابها فما هي إلا جيفة مستحيلة عليها كلاب همهن اجتذابها فإن تجتنبها كنت سلما لأهلها وإن تجتذبها نابحتك كلابها .

ولتعلم أن الغنى غنى النفس لا غنى المال والفقر شره النفس وطمعها لا قلة المال فإذا طلبت الغنى فاستخرجه من كنز القنوع والصبر إذا شئت أن تستقرض المال منفقا على شهوات النفس في زمن العسر فسل نفسك الإنفاق من كنز صبرها عليك وإمهالا إلى زمن اليسر وعن أبي جعفر عليه السلام قال ((أتى رسول الله صلى الله عليه وآله رجل فقال علمني : يا رسول الله ، فقال : عليك باليأس عما في أيدي الناس فإنه الغنى الحاضر ، قال : زدني يا رسول الله ، قال : إياك والطمع فإنه الفقر الحاضر ، قال : زدني يا رسول الله ، قال : إذا هممت بأمر فتدبر عاقبته فإن يك خيرا أو رشد فاتبعه ، وإن يك غيا فدعه)) (٢)

---

(١) تحف العقول ص ٣٨٩

(٢) المحاسن ص ١٦

وكان أمير المؤمنين عليه السلام يقول ((طوبى لمن أخلص لله العبادة والدعاء ولم يشغل قلبه بما ترى عيناه ولم ينس ذكر الله بما تسمع أذناه ، ولم يحزن صدره بما أعطي غيره)) (١) ، وقال عليه السلام ((اليأس يعز الفقير والطمع يذل الأمير)) .

وقد قلت في اليأس عز وإكرام ومنجحة وفي المطامع ذل غير منحصر .

وعن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله ((إن الصفا الزلزال الذي لا يثبت عليه أقدام العلماء الطمع)) (٢) يريد صلى الله عليه وآله بالصفا الزلزال الحجر الأملس فينبغي للعاقل أن يقنع لئلا يملكه من فوقه ولا يطمع لئلا يملكه من دونه في المرتبة .

قال عليه السلام ((أكثر مصارع العقول تحت بروق الأطماع)) (٣) فإذا أردت أن تعيش حرا فلا تسكن الطمع قلبك فيجعلك عبدا للأدنين من الناس فإن العبيد ثلاثة عبد رق وعبد شهوة وعبد طمع فعبد الرق أحسن الثلاثة لأنه يمكن أن يتحرر فيكون عزيزا ، وأما عبد الشهوة فهو أذل من عبد الرق كما قال عليه السلام وأما عبد الطمع فهو أخس من عبد الشهوة لأن عبد الشهوة قد يملكه واحد كأكثر العشاق ، وأما عبد الطمع فرق لكل أحد .

قيل للاسكندر ما سرور الدنيا ؟ قال الرضا بما رزقت منها ، قيل : فما غمها ؟ قال : الحرص عليها إذا حدثتك النفس أنك قادر على ما حوت أيدي الرجال فكذب .

وعن النبي صلى الله عليه وآله قال ((شيئان

---

(١) البحار ج ٦٧ ص ٢٩٩ (٢) شرح النهج ج ١٨ ص ٨٤
(٣) مجموعة ورام ج ١ ص ٤٩

يكرههما ابن آدم يكره الموت والموت راحة للمؤمن من الفتنة ، ويكره قلة المال وقلة المال أقل للحساب)) (١) .

وعن عطية أخي أبي قال سمعت أبا جعفر عليه السلام ((إنا لنحب الدنيا ولا نؤتاها خير لنا وما أوتي عبد منها شيئا إلا كان أنقص لحظه في الآخرة وليس من شيعتنا من له مائة ألف ولا خمسون ألف ولا أربعون ألف ولو شئت أن أقول ولا ثلاثون ألفا وما جمع رجل قط عشرة آلاف من حلها قال أبو الحسن عليه السلام : دراهم)) (٢).

وعن محمد بن إسماعيل بن بزيع قال سمعت الرضا عليه السلام يقول ((لا يجتمع المال إلا بخصال خمس ببخل شديد وأمل طويل وحرص غالب وقطيعة رحم وإيثار الدنيا على الآخرة)) (٣) فعلى هذا يكون جمع المال جامعا لمساوئ الأخلاق .

وقوله عليه السلام ((إنا لنحب الدنيا ولا نؤتاها خير لنا)) يعني من أن نؤتاها فإن حصولها يكون سببا للاشتغال بها عما يراد من الإنسان ولو في بعض الأحوال هذا أدنى ما يكون من الابتلاء بها ويلزم منه البعد من الله والتجافي عن الآخرة وربما تكون والمعاذ بالله مهلكة لصاحبها ، فمحبتها مع عدم حصولها أسلم من حصولها وإن كان بدون محبة وطلب لها .

وقوله عليه السلام ((وما أوتي عبد منها إلا كان أنقص لحظه من الآخرة)) يريد أنه وإن عمل فيها بما يريده الله ولم يتجاوز حدود الله فلا أقل من أن يطول وقوفه بين يدي الله للحساب وقد روي أن الفقراء يدخلون الجنة قبل الأغنياء بأربعين عاما ، ونقل أن سليمان عليه السلام يدخل

---

(١) الخصال ص ٧٤ (٢) مستطرفات السرائر ص ٥٦٥ (٣) الخصال ص ٢٨٢

الجنة بعد الأنبياء بأربعين عاما ، وإن الله ليزوي الدنيا عن المؤمن كما يمنع الراعي الشفيق غنمه عن مراتع الهلكة لئلا يبطر أو يحبها ويأنس بالدعاء فيها ، ويؤتيها الكافر لأنها نصيبه من عطاء الله له ورحمته إياه .

نقل في خبر أنه التقى ملكان في السماء الرابعة فقال أحدهما للآخر : من أين ؟ ، قال : أمرت بسوق حوت في البحر اشتهاها فلان اليهودي ، وقال الآخر : أمرت بإهراق زيت اشتهاه فلان العابد ، فخلق الله الدنيا سجنا للمؤمن وجنة للكافر ، وقد ورد عن أبي الحسن عليه السلام ((الدنيا سجن المؤمن ، والقبر حصنه ، والجنة مأواه ، والدنيا جنة الكافر ، والقبر سجنه ، والنار مأواه)) (١) قيل المراد به أنه إذا نسب نعيم الدنيا للمؤمن إلى مقامه في الجنة كانت له سجنا وإذا نسبت محنها وبلاؤها للكافر إلى مقامه في النار كانت له جنة .

واعلم أن المراد بالمؤمن المؤمن الخصيص ، وبالكافر الكافر الخاص لتقابلهما في المرتبة وأما غير الخصيصين من الطرفين فقد تكون الدنيا راحة لهما في بعض الأحوال وسجنا أيضا في بعض الأحوال والآخرة كذلك في البرزخ وقبل دخول الجنة والنار إلا أن الكافر لا يحس بتخفيف العذاب عنه ، وهذا معنى يدق إدراكه لبعد غوره عن عقول أكثر الخلق وإن قبله بعض من باب التسليم وتأوله بما يسكن الله النفس عن الطموح إلى الإنكار من أفكار فاسدة وتأويلات سخيفة واهية ، والحق أن المؤمن الحقيقي لا يلتذ بعيش ولا بفرح ولا سرور له في الدنيا أبدا لما يصيبه من محنها في نفسه أو أهله أو إخوانه ولا يشغل نفسه به من أمر آخرته وذكر الموت وما بعده ، وما يظهر منه للناس من سرور فهو لمخالطة أبناء نوعه

(١) الخصال ص ٢٨٢

ظاهرا ، وأما في باطنه فهو في وجل وخوف عظيم كما نقل أن نبيا من الأنبياء سجد وبكى وتضرع إلى الله فأوحى إليه أن ارفع رأسك فإني لا أعذبك ، فقال : يا رب أرأيت إن قلت لا أعذبك ثم عذبتني ألست عبدك ، يريد عليه السلام أن وعد الله له بالنجاة لا يخرجه عن ربقة العبودية وإن أخرجه عن العذاب والانتقام الصوري لصدق الوعد فليس يخرج عن الاحتياج إلى سيده فهو في كل رتبة يحتاج إلى الترقي طالب للقرب المعنوي منه ، إذ كل مقام قرب فيه ففوقه مقام أقرب منه فما لم يصل إلى الثاني فهو بعيد في المقام الأول معذب بذلك البعد وهكذا ، ومصداقه قوله ((ليس لمحبتي علم ولا غاية ولا نهاية كلما رفعت لهم علما وضعت لهم حلما)) (١) .

وعن النبي صلى الله عليه وآله ((بكى شعيب عليه السلام من حب الله حتى عمي فرد الله عز وجل عليه بصره ثم بكى حتى عمي فرد الله عز وجل عليه بصره ، ثم بكى حتى عمي فرد الله عليه بصره ، فلما كانت الرابعة أوحى الله إليه يا شعيب إلى متى يكون هذا أبدا منك إن يكن هذا خوفا من النار فقد أجرتك ، وإن يكن شوقا إلى الجنة فقد أبحتك ، قال : إلهي وسيدي أنت تعلم أني ما بكيت خوفا من نارك ولا شوقا إلى جنتك ولكن عقد حبك على قلبي فلست أصبر أو أراك ، فأوحى الله جل جلاله إليه ، أما إذا كان هذا هكذا فمن أجل هذا سأخدمك كليمي موسى بن عمران عليه السلام)) (٢) .

فالمؤمن الخالص الخصيص أبدا في خوف ووجل ، لا لذة له بحال لأن طلبه القرب ، نعم لو كانت لذاته لذة بدنية

---

(١) إرشاد القلوب ص ١٩٩ — (٢) علل الشرايع ٥٧

وشهوته شهوة نفسانية كانت الدنيا جنته ، فإذا أكل أو لبس ففعله لستره وقوام صلبه لا لتمتعه وتلذذه كفعل من يطلب الدنيا الذين حكى الله عنهم والذين يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم ، فالدنيا ليست طلبة المؤمن وإن أتته .

وقد نقل أن سليمان عليه السلام إذا جنه الليل نزع ثيابه ولبس المسوح وافترش التراب وبقي يبكي إلى الصباح ، والجاهلون يرون أنه في أكمل لذة نفسانية ونعمة بدنية ، هيهات صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالملأ الأعلى ، قال علي عليه السلام ((هجم بهم العلم على حقائق الأمور فباشروا روح اليقين واستلانوا ما استوعره المترفون ، وآنسوا بما استوحش منه الجاهلون ، صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحل الأعلى يا كميل أولئك خلفاء الله في والدعاة إلى دينه)) (١) .

فحقيقة نار الدنيا هي نار التكليف الذي من آثارها ولوازمها المحن الدنيوية والمصائب ، فمن أجل ذلك تجد المؤمن إذا ورد عليه وارد من أوامر الله يكاد يحترق حتى يأتي به فيستريح وتطمئن نفسه كما أن أمير المؤمنين عليه السلام إذا دخل وقت الصلاة استقبلته الرعدة و اصفر لونه فإذا سئل عن ذلك يقول ((جاء وقت أمانة عرضها الله على السموات والأرض فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان)) ، هذا ما يعرى ظاهره وأما باطنه فحال لا يمكن تقدير ما يصيبه ويحصل له من خشية الله وخوف مقامه .

وأما الكافر فلإعراضه عن الله وعدم نظره إليه لم يصبه من وهج التكليف شيء فهو في أتم راحة همه إقامة

---

(١) الخصال ١٨٧

بدنه وشهوة نفسه ، فحقيقة جنة الدنيا هي ترك التكاليف الظاهرة والباطنة واستراحة من مكابدة أوامر الله والانزجار عن نواهيه فيعطي نفسه مناها مهما أمكنه ولا يقيدها بقيد الطاعة في الحال ، فكانت الدنيا سجن المؤمن بهذه النار ، وجنة الكافر بذلك الاعتبار ، فعن النبي صلى الله عليه وآله قال في مواعظه لأبي ذر ((إن المؤمن ليرى ذنبه كأنه تحت صخرة يخاف أن تقع عليه ، والكافر يرى ذنبه كأنه ذباب مر على أنفه)) (١) يعني عدم مبالاته به وهذا أحد وجوه الآية ﴿ وإن منكم إلا واردها ﴾ (٢) فإن النار لها معنيان ولا بد لكل أحد من ورود أحدهما ، أما المؤمنون فوردوا نار التكليف وصبروا على اقتحام أهوالها وشدة حرارتها وأول من دخلها رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي وأهل بيته عليهم السلام ثم إبراهيم ونوح وموسى وعيسى ثم الأنبياء والصديقون عليهم السلام ثم التابعون لهم من أشياعهم ومحبيهم بعد أشياعهم ، وأما الكفار فامتنعوا من الدخول فيها فلا بد من أن يردوا النار الصورية التي خلقت من جحودهم وإنكارهم ، فظاهر نار التكليف الذي هو نار الدنيا وهو الجنان الثمان التي ذكرها الشارع عليه السلام فتكون مستقر أهل الطاعة وعاقبتهم ، وظاهر نار الجحود الذي هو جنة الدنيا هي النيران السبع فسير دونها وتكون مقرهم ، وأما أرواح الكفار فلم تخرج من النار الصورية أبدا إلا أيام تعلقها بالأجسام في دار الدنيا ، كما أن أرواح المؤمنين ما خرجت من الجنة الصورية إلا أيام تعلقها بأبدانهم في دار الدنيا ، وهذا المعنى هو الذي أعرفه بما ظهر لي في قوله تعالى في أهل الجنة وفي أهل النار ﴿ خالدين فيها ما دامت السموات

---

(١) مجموعة ورام ج ٢ ص ٥٣ (٢) مريم ٧١

والأرض إلا ما شاء ربك ﴾(١) وإن لم أظفر بقائل به بادي الرأي ، فمعنى ﴿ إلا ما شاء ربك ﴾ استثناء من الخلود السابق واللاحق لا من اللاحق خاصة كما فهمه عامة المفسرين ممن قال بحقيقة الاستثناء والمعنى أن أهل الجنة خالدون فيها وموجودون قبل هذه النشأة وبعدها إلا هذه الأيام التي هي أيام التكليف في الدنيا وكذلك أهل النار موجودون وخالدون في النار بلا انقطاع إلا مدة بقائهم في الدنيا فالمؤمن من الجنة بدأ وإليها يعود فهو أبدا فيها لم يخرج في الحقيقة منها لأن روحه فيها وإن تعلقت ببدنه في الدنيا للتدبير تعلق إشراق فإذا كانت النشأة الآخرة تعلقت روحه بجسمه الأصلي تعلق اتصال فيرجعان إلى ما بدءا منه في الجنان وهكذا حكم الكفار والنسبة إلى النار هذا في نفس الأمر ، وله وجه آخر لازم الأول وهو أن نعم الدنيا ولذاتها عقوبات ومحن وآثام في الآخرة لمن نظر ببصر بصيرته فهي كالجسد لعذاب الآخرة لتلازمهما قال سبحانه ﴿ الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا (يعني في الدنيا) وسيصلون سعير (يعني في الآخرة) ﴾(٢) فلو فعله المؤمن أحس بالنار وعلى قدر إيمانه يكون إحساسه ويتألم به ، وأما غير المؤمن فلما كان غافلا ليس له نور يبصر به كان في هذه النشأة كالميت الذي لا إحساس له فلم يحس بالنار لاشتماله عليها وعدم ظهورها عليه ، فإذا مات وانتبه من نومة الغفلة أحس بالنار التي كانت فيه بخلافه في هذه الدار فإن إحساسه يكون بما يؤلم بدنه وقد أخبر عليه السلام حين سئل عن هذه الآية بأن النار كيف لا تحرقهم قال ما معناه أنها الآن فيهم وهم غدا فيها أي يظهر عليهم ما بطن منها فتحيط بهم ظاهرا وباطنا ولو أن المؤمن زنى لكان يموت أسفا وحسرة على ما فرط وفعل بخلاف حال المنافق ، وأما آلام الدنيا فيتلذذ بها أولياء الله الصادقون

---

(١) هود ١٠١ (١) النساء ١٠

كتلذذ الآكل للطيبات لأنها جسد لذات الآخرة ونعم الآخرة لبها وروحها فتجد أن خصيص خواص المؤمنين يفرح بنزول البلاء لأنه وصلة للمنازل العليا ، ويحزن عند حصول لذات الدنيا .

وأما إن أريد بالمؤمن والكافر ما هو الأعم فالمراد بكون الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر أن المؤمن لا يخلو من المحن والبلايا إلا ما ندر من حالاته فيمتحن في نفسه أو ماله أو ولده وأهله ولا يزال خائفا وجلا ، والكافر لا يخلو من الراحة والتنعم إلا ما قل من أحواله كل بحسبه هذا في أغلب الفريقين ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله ((يؤتى يوم القيامة بأنعم أهل الدنيا من الكفار فيغمس في النار غمسة فيقال له هل رأيت نعمة قط فيقول لا ، فيؤتى بأشد المؤمنين بؤسا في الدنيا فيقال اغمسوه في الجنة غمسة فيقال له هل رأيت بؤسا قط فيقول لا)) (١) يعني أن المؤمن ينسى ما لقيه من الضراء في الدنيا والكافر ينسى ما أصابه من النعماء فيها ، قال علي عليه السلام ((ما خير بخير بعده النار وما شر بشر بعده الجنة ، وكل نعيم دون الجنة محقور وكل بلاء دون النار عافية)) (٢) ، وقوله عليه السلام في حق المؤمن ((والقبر حصنه)) يريد أن آخر بلائه ومحنه خروجه من هذه الدار مكفر الذنوب ممحصا من الخطايا فيكون له قبره روضة من رياض الجنة قد امتنع فيه من جميع نكبات الدنيا وشدائدها حتى يصل إلى مأواه ومقره ، والكافر آخر نعمه وأمنه خروجه من هذه الدار فيكون قبره حفرة من حفر جهنم فيسجن فيها بأنواع الآلام والنكال حتى يصل إلى مأواه ومقره نعوذ بوجه الله الكريم من سخطه والنار .

واعلم أن محبة الدنيا لا تجتمع مع محبة الآخرة لاختلاف

---

(١) مجموعة ورام ج ٢ ص ٢٢٦ (٢) شرح النهج ج ٩ ص ٣٣٥

مطلوبيهما ولأن ترك أحدهما قد يكون سببا لحصول الآخر ، كما أن حب الله لا يجتمع مع حب أعدائه في قلب وطاعته لا تجتمع مع إتباع الهوى وشهوات النفس في محل ، كما روي أن سليمان بن داود عليهما السلام رأى عصفورا يقول لعصفورته : لم تمنعين نفسك مني ولو شئت أخذت قبة سليمان بمنقاري فألقيتها في البحر ، فتبسم سليمان عليه السلام من كلامه ثم دعاهما وقال للعصفور : أتطيق ذلك ، فقال : لا يا رسول الله ولكن المرء قد يزين نفسه ويعظمها عند زوجته والمحب لا يلام على ما يقول ، فقال للعصفورة : لم تمنعيه من نفسك وهو يحبك ، فقالت : يا نبي الله إنه ليس محبا ولكنه مدع لأنه يحب معي غيري ، فأثر كلام العصفورة في قلب سليمان وبكى بكاء شديدا واحتجب عن الناس أربعين يوما يدعو الله أن يفرغ قلبه لمحبة وألا يخالطها بمحبة غيره ، قال الشاعر :

تود عدوي ثم تزعم أنني صديقك إن الرأي عنك لعازب

واعلم أن هذا الكلام وأمثاله من الحيوانات العجم والجمادات من الوحي الإلهامي الخاص الذي ينبه الله به أنبياءه ويقرع قلوبهم لا أنه جاء من باب الاتفاق كما يتوهمه الجاهلون .

وقال عيسى عليه السلام ((بحق أقول لكم كما ينظر المريض إلى طيب الطعام فلا يلتذه مع ما يجده من شدة الوجع كذلك صاحب الدنيا لا يلتذ بالعبادة ولا يجد حلاوتها مع ما يجد من حلاوة حب المال)) (١) فحب الآخرة منجاة لصاحبه وحب الدنيا مهلكة .

---

(١) تحف العقول ص ٥٠٧

فعن النبي صلى الله عليه وآله ((أول ما عصي الله تبارك وتعالى بست خصال حب الدنيا وحب الرئاسة وحب الطعام وحب النساء وحب النوم وحب الراحة)) (١) فحب الدنيا أصل والخمسة الباقية فروع فحب الدنيا له أصول ثلاثة هي أصول الكفر، قال الصادق عليه السلام ((أصول الكفر ثلاثة الحرص والاستكبار والحسد)) (٢) ، وفي بعض الأخبار ((لو أن جبرائيل وميكائيل كان في قلبيهما شيء (من حب الدنيا) لأكبهما الله على وجوههما في النار)) (٣) وفي بعضها ((لا يدخل الجنة من كان في قلبه حبة من خردل من حب الدنيا)) والمراد بالدنيا في التأويل حب أعداء الله وموالاتهم كما أن المراد باليوم الآخر ولاية أمير المؤمنين عليه السلام كما صرحت به نصوص أهل الخصوص.

قال الصادق عليه السلام قال رسول الله صلى الله عليه وآله ((لا يدخل الجنة أحد فيه مثقال حبة من خردل من كبر، ولا يدخل النار عبد فيه مثقال حبة من خردل من إيمان، فقلت له: جعلت فداك إن الرجل ليلبس الثوب الجديد أو يركب الدابة فيكاد أن يدخله، قال: ليس ذلك إنما الكبر من تكبر عن ولايتنا وأنكر معرفتنا فمن كان فيه مثقال حبة من خردل من ذلك لم يدخله الجنة، ومن أقر بمعرفة نبينا وأقر بحقنا لم يدخل النار)) (٤) وهذا حقيقة معنى ((حب الدنيا رأس كل خطيئة)) (٥) كما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال ((جمود العين من قسوة القلب وقسوة القلب من كثرة الذنوب وكثرة الذنوب

---

(١) الخصال ص ٣٣٠ (٢) أمالي الصدوق ص ٤١٩ (٣) البحار ج ٣٥ ص ٣٣٩

(٤) المستدرك ج ١٢ ص ٣٥ (٥) شرح النهج ج ٩ ص ٢٣٩

من أكل الحرام وأكل الحرام من نسيان الموت ونسيان الموت من طول الأمل وطول الأمل من حب الدنيا وحب الدنيا رأس كل خطيئة وترك الدنيا رأس كل عبادة)) ففي هذا الخبر من الأسرار كما تضمنته الأخبار ما تكل عنه الأبصار ولو كان هذا مقامها لذكرت بعضها .

وفي الخبر الأول إشارة إلى أن كل من قدم على غيره هالك خبيث وإن كان جاهلا لقوله عليه السلام مثقال حبة من خردل ، فكيف بمن يقول من العامة أن الايمان لا يكمل حتى يكون في قلب الرجل من بغض علي عليه السلام ولو بقدر الحمصة ، معللين ذلك بدفع الغلو عن المسلم فوقعوا في العداوة إذ أعداء علي عليه السلام غالي وقالي هذا في الباطن ومعناه حينئذ ظاهر وأما في الظاهر فالمراد بحب الدنيا حبها لنفسها فمن أحب الدنيا ليتوصل بها إلى طاعة الله والآخرة فليس هو محب لها حقيقة بل إنما اتخذها وصلة لغيرها ، كما قال عليه السلام ((اللهم أعنى على ديني بدنياي وعلى آخرتي بتقواي)) (١) فإن من أحب الدنيا لنفسه لينال منها مراده ويعطي نفسه لذاتها وشهواتها فذالك عاص مبعد عن مقام القرب من الله ، لكنه ليس بهالك إذا كان له أصل ثابت في الدين ومن أحبها لنفسها لا ليستعين بها على طاعة الله ولا لنفسه كمن يكدح في جمعها مع حرمانه نفسه كما في كثير من أهل الهند وقليل من غيرهم فذالك هالك لا يكاد ينجو ولا يثبت على أصل قائم في الدين فربما أظهر الايمان وزل قدمه عند موته نعوذ بالله من نزعات الشيطان وهوى النفس ، لأن حب الدنيا لها لا يكاد يجتمع مع الايمان في قلب إنسان ، وقد

---

(١) المصباح ص ٢٣٥

يراد بحب الدنيا الرئاسة فإن كان طلب الرئاسة إنما لصرف الحق عن أهله فقد يظهر الزهد في الدنيا فيترك الملاذ النفسانية ليتمكن بذلك من اختلاس منصب أهل الهدى عليهم السلام ومنعهم حقهم وقد ذكرت هذا المعنى مبسوطا في نهج المحجة فليطلب هنالك ، وإن كان طلبه للرئاسة والعلو لا على أولياء الله بل يدين الله بولايتهم وإتباعهم فهو من القسم الثاني أعني من يحب الدنيا لنفسه ويرجى له الخير والنجاة برحمة الله تعالى كما روي في شأن المختار بن أبي عبيدة الثقفي .

واعلم أن من حب الدنيا وطلب الرئاسة فيها التصدر في صدور المجالس والجلوس في وسط الخلق كأنه قطب ، فإن ذلك من أعظم أسباب البعد عن الله فإن الله يحب المتواضعين الخاملي الذكر ، نقل أنه قعد رجل في وسط الحلقة فقال لحذيفة بن سليمان بن اليمان : إن فلان أخاك مات ، فقال : وأنت حقيق على الله أن يميتك ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول ((الجالس في وسطة الحلقة ملعون))(١) ، ويحتمل أن يراد بوسط الحلقة موضع اللعب والأول أظهر .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله ((من تواضع رفعه الله إلى السماء السابعة ومن تكبر وضعه الله الأرض السابعة)) .

وقال صلى الله عليه وآله ((من رأس التواضع أن تبدأ بالسلام على من لقيت و ترد على من سلم عليك وأن ترضى بالدون من المجلس ولا تحب المدحة و التزكية))(٢) .

وقال صلى الله عليه وآله ((يأتي في آخر الزمان أناس يأتون المساجد فيقعدون فيها حلقا ذكرهم الدنيا وحب الدنيا لا تجالسوهم فليس لله فيهم حاجة))(٣) .

---

(١) مجموعة ورام ج ١ ص ٣٠ (٢) روضة الواعظين ص ٣٨٣ (٣) مجموعة ورام ج ١ ص ٦٩

ومن علامات المؤمن فقره وانصراف الدنيا عنه وصرف وجهه عنها ويرضى بما أعطي منها من القليل ويخاف من الكثير منها ويبغضه ، فمن كان كذلك فهو ممن لا يحب الدنيا فيكون الفقر شعاره والفاقة دثاره فعن أمير المؤمنين عليه السلام ((طوبى لمن كان عيشه كعيش الكلب ففيه عشر خصال فينبغي أن تكون كلها في المؤمن ، أولها ليس له مقدار بين الخلق وهو حال المساكين ، وثانيهما أن يكون فقيرا ليس له مال ويكون صفة المجردين ، وثالثها ليس له مأوى معلوم والأرض كلها بساط له وهو من آداب المتوكلين ، ورابعها أكثر أوقاته جائعا وهو من آداب الصالحين ، وخامسها إن ضربه صاحبه لا يترك بابه وهو من علامات المريدين ، وسادسها لا ينام من الليل إلا اليسير وذلك من صفات الخاشعين ، وسابعها أن يطرد ويضرب ويجفى ثم يدعى فيجيب ولا يحقد وذلك من علامات العاشقين ، وثامنها أكثر عمله السكوت وذلك من علامات المرتاضين ، وتاسعها يرضى بما يدفع إليه صاحبه وهو حال القانعين ، وعاشرها إذا مات لم يبق له شيء من الميراث وهو من مناقب الزاهدين)) .

وعن النبي صلى الله عليه وآله ((ليجيئن أقوام يوم القيامة لهم من الحسنات كجبال تهامة فيؤمر بهم إلى النار ، فقيل : يا نبي الله أمصلون ؟ ، قال : كانوا يصلون ويصومون ويأخذون وهنا من الليل ولكنهم كانوا إذا لاح لهم شيء من أمر الدنيا وثبوا عليه)) (١) .

وقيل لحكيم : ألا تتفقه ، قال : تعلمت ثلاث مسائل ، تعلمت من كتاب النكاح أن الجمع بين الأختين حرام فقلت إن الدنيا أخت الآخرة فلا أجمع بينهما ، الثانية من كتاب الطلاق أن مطلقة

---

(١) عدة الداعي ص ٣١٤

النبي حرام على الناس والدنيا مطلقته فلا تحل لي أن أتزوجها ، الثالثة أن بيع الحنطة مثلا بمثل ويدا بيد والفضل ربا ، وقيل لحكيم : ألا تتزوج ، قال : لو قدرت أن أطلق نفسي لطلقتها .

وعن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال ((إذا كان يوم القيامة أنبت الله لطائفة من أمتي أجنحة فيطيرون من قبورهم إلى الجنان يسرحون فيها ويتنعمون كيف شاءوا ، فتقول لهم الملائكة : هل رأيتم حسابا ؟ ، فيقولون : ما رأينا حسابا ، فيقولون : هل جزتم على الصراط ؟ ، فيقولون : ما رأينا صراطا ، ، فيقولون : هل رأيتم جهنم ؟ ، فيقولون : ما رأينا شيئا ، فتقول الملائكة : من أمة من أنتم ؟ ، فيقولون : من أمة محمد صلى الله عليه وآله ، فيقولون : نشدناكم الله حدثونا ما كانت أعمالكم ؟ ، فيقولون : خصلتان كانتا فينا فبلغنا الله هذه المنزلة بفضل رحمته ، فيقولون : وما هما ؟ ، فيقولون : كنا إذا خلونا نستحيي أن نعصيه ونرضى باليسر مما قسم لنا ، فتقول الملائكة : يحق لكم هذا)) (١) .

وقال عيسى عليه السلام ((بحق أقول لكم إن أكناف السماء لخالية من الأغنياء ولدخول جمل في سم الخياط أيسر من دخول غني في الجنة)) (٢) .

وعن النبي صلى الله عليه وآله ((اطلعت في الجنة فوجدت أكثر أهلها الفقراء والمساكين ، وإذا ليس فيها أحد أقل من الأغنياء والنساء)) (٣) .

وقال صلى الله عليه وآله ((الفقر فخري وبه أفتخر)) (٤) .

وعن أبي سعيد الخدري إن النبي صلى الله عليه وآله إذا تغدى لم يتعش وإذا تعشى لم يتغد ، وكان الصحابة يأكلون في كل يوم مرة واحدة ، وقال صلى الله عليه وآله ((إياك والإسراف فإن أكلتين في كل يوم من السرف وأكلة واحدة في

---

(١) مجموعة ورام ج ١ ص ٢٣٠ (٢) (٣) (٤) عدة الداعي ص ١٢٣ ـ ١٢٤

يومين إقتار وأكلة في كل يوم قوام بين ذلك وهو المحمود في كتاب الله)) أشار عليه السلام إلى قوله تعالى ﴿ كلوا واشربوا ولا تسرفوا ﴾ (١) وإلى قوله تعالى ﴿ ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط ﴾ (٢) وذلك لأن الجوع أدام الروح والشبع يطفئ نور العقل قال عليه السلام ((الجوع أدام المؤمنين وغذاء الروح)) (٣) .

وقال صلى الله عليه وآله ((نور الحكمة والمعرفة الجوع ، والتباعد من الله الشبع ، والقربة إلى الله حب المساكين والدنو منهم)) (٤) .

وقال صلى الله عليه وآله ((لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب فإن القلوب تموت كالزرع إذا كثر عليها الماء)) (٥) فالجوع سحاب الحكمة فإذا جاع العبد مطر بالحكمة .

وقال عليه السلام ((لا تشبعوا فيطفى نور المعرفة من قلوبكم ومن بات يصلي في خفة من الطعام باتت حور العين حوله)) (٦) .

وسئل رسول الله صلى الله عليه وآله : ما أكثر ما يدخل الناس النار ، قال ((الأجوفان البطن والفرج)) (٧) .

وقال الحسن عليه السلام ((من قلة الطعام موت الشهوات ، ومن قلة المنام صفو الارادات ، ومن قلة الكلام السلامة من الآفات)) (٨) .

وأكل حميحا بن سعيد الغفاري عند رسول الله صلى الله عليه وآله فأكثر أكله ثم أسلم فأكل أكله فقال صلى الله عليه وآله ((المؤمن يأكل في معاء واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء)) (٩) ، يريد أن المؤمن قنوع يرضى باليسير والكافر همه بطنه لا يرضى

---

(١) الأعراف ٣١ (٢) الاسراء ٩ (٣) مصباح الشريعة ص ٧٧

(٤) (٦) (٧) روضة الواعظين ص ٤٥٧ (٥) مشكاة الأنوار ص ٨٧

(٨) مجموعة ورام ج ١ ص ٩٧ (٩) الخصال ص ٣٥١

إلا بالكثير فيعطي نفسه مرادها ، وكان للإنسان سبعة أمعاء المعدة وثلاثة متصلة بها رقاق وثلاثة غلاظ ، فالمؤمن يكتفي بما يقيم صلبه في واحدة منها والكافر يملؤها كلها لشهوة نفسه ، قال سبحانه فيمن ترك لذات الدنيا وزخرفها وشهواتها ﴿ كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية ﴾ (الحاقة ٣٤)، وقال سبحانه فيمن أعطى نفسه شهواتها وأدرك من دنياه لذاتها ﴿ ويوم يعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون ﴾ (٢).

وقال صلى الله عليه وآله ((إن أهل الجوع في الدنيا هم أهل الشبع في الآخرة ، وإن أبغض الناس إلى الله المتخمون الملاء ، وما ترك العبد أكلة يشتهيها إلا كانت له درجة في الجنة)) (٣).

وقال صلى الله عليه وآله ((من السرف أن تأكل كل ما تشتهيه)).

وعن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال ((إياكم وفضول المطعم فإنه يسم القلب بالقسوة ويبطئ الجوارح عن الطاعة ويصم الهمم عن سماع الموعظة ، وإياكم وفضول النظر فإنه يبذر الهوى ويولد الغفلة ، وإياكم واستشعار الطمع فإنه يشوب القلب شدة الحرص ويختم على القلوب بطبائع حب الدنيا وهو مفتاح كل معصية ورأس كل خطيئة وسبب إحباط كل حسنة)) (٤).

وقال علي عليه السلام ((من شبع عوقب في الحال ثلاث عقوبات ، يلقى الغطاء على قلبه ، والنعاس على عينيه ، والكسل على بدنه)) (٥).

وعن الكاظم عليه السلام ((ينادي مناد من السماء اللهم

---

(١) الحاقة ٣٤ (٢) الأحقاف ٢٠ (٣) مجموعة ورام ج ١ ص ١٠٢

(٤) أعلام الدين ص ٣٣٩ (٥) شرح النهج ج ٢٠ ص ٣٢٠

بارك في الخلالين والمتخللين ، والخل بمنزلة الرجل الصالح يدعو لأهل البيت بالبركة)) (١) .

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله ((نعم الأدام الخل)) (٢) ، وروي ((ما افتقر بيت من أدام فيه خل)) (٣) ، وروي أنه يشد الذهن ويزيد في العقل ويكسر المرة ويحيي القلب ويقتل دود البطن ويشد الفم ويقطع شهوة الزنى .

وروي أن يوسف عليه السلام لما شكى إلى ربه وهو في السجن أكل الخبز وحده ، فأمره أن يأخذه ويجعله في خابية ويصب عليه الماء والملح .

وقال صلى الله عليه وآله ((من علامات الشقاء جمود العين وقسوة القلب وشدة الحرص في طلب الرزق والإصرار على الذنب)) .

وعن الصادق عليه السلام قال ((كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول : لا تزال هذه الأمة بخير ما لم يلبسوا لباس العجم ويطعموا أطعمة العجم فإذا فعلوا ذلك ضربهم الله بالذل)) (٤) .

وفي حديث أسامة بن زيد ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله فضل الجوع وفيه ((إن أقرب الناس من الله تعالى يوم القيامة من طال جوعه وعطشه وحزنه في الدنيا الأخفياء الأتقياء الذين إن شهدوا لم يعرفوا ، وإن غابوا لم يفقدوا ، تعرفهم بقاع الأرض وتحف بهم ملائكة السماء ، نعم الناس بالدنيا ونعموا بطاعة الله تعالى ، افترش الناس الفرش فافترشوا الجباه والركب ، ضيع الناس فعل النبيين وأخلاقهم وحفظوا هم ، تبكي الأرض إذا فقدتهم ويسخط الله على كل بلدة ليس فيها منهم ، لم يتكالبوا على الدنيا تكالب الكلاب على الجيف ، أكلوا العلف ولبسوا الخرق ، شعثا غبرا يراهم الناس

---

(١) مكارم الأخلاق ص ١٥٣
(٢) الخصال ٦٣٦
(٣) دعائم الإسلام ج ٢ ص ١١٢
(٤) المحاسن ص ٤١٠

يظنون أن بهم داء وما بهم داء ، يقال لقد خولطوا وذهبت عقولهم وما ذهبت عقولهم ولكن ينظر القوم بقلوبهم إلى أمر أذهب عنهم الدنيا فهم عند أهل الدنيا يمشون بلا عقول ، عقلوا حيث ذهبت عقول الناس ، هم الشرف في الآخرة ، يا أسامة إذا رأيتهم في بلدة فاعلم أنهم أمان هذه البلدة ، لا يعذب الله قوما هم فيهم ، الأرض بهم فرحة والجبار عنهم راض ، اتخذهم لنفسك إخوانا عسى أن تنجو بهم ، وإن استطعت أن يأتيك الموت وبطنك جائع وبطنك ظمآن فإنك تدرك بذلك أشرف المنازل وتجعل مع النبيين وتفرح بقدوم روحك الملائكة ويصلي عليك الجبار)) ، وفي مثل هؤلاء يأتي قول القائل :

لله تحت قباب الأرض طائفة ... أخفاهم عن عيون الناس إجلالا
هم السلاطين في أطمار مسكنة ... جروا على الفلك الدوار أذيالا
تلك المكارم لا ثوبان من عدن ... خيطا قميصا فعادا بعد أشمالا
هذي المناقب لا قعبان من لبن ... شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

ويصح فيهم قوله :

تشاغل قوم بدنياهم ... وقوم تخلوا بمولاهم
فألزمهم باب رضوانه ... وعن سائر الخلق أغناهم

وقال آخر :

كم من فقير تحت أطماره ... لكنه سلطان أهل السلوك
كم من غنى وسط ديباجه ... كأنه بعض كلاب الملوك

فهؤلاء هم الذين يستجاب بهم الدعاء

تحيى بهم كل أرض ينزلون بها ... كأنهم لبقاع الأرض أمطار

وعن النبي صلى الله عليه وآله ((ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه ، فحسب الرجل من طعامه ما أقام به صلبه ، وأما إذا أبيت يا ابن آدم فثلث طعام وثلث شراب وثلث نفس)) (١) .

وقال عليه السلام ((من قل طعامه صح بدنه وصفا قلبه ومن كثر طعامه سقم بدنه وقسا قلبه)) (٢) .

وعن عوف بن أبي جحيفة عن أبيه قال أكلت يوما ثريدا ولحما سمينا ، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وآله وأنا أتجشأ ، فقال ((احبس جشاءك يا أبا جحيفة إن أكثركم شبعا في الدنيا أكثركم جوعا في الآخرة ، قال فما أكل أبو جحيفة ملء بطنه إلى أن قبضه الله تعالى)) (٣) .

وقال ((من أدخله بطنه النار فأبعده الله)) (٤) .

وقال عيسى عليه السلام ((يا بني إسرائيل لا تكثروا الأكل فإنه من أكثر من الأكل أكثر من النوم ، ومن أكثر النوم أقل الصلاة ، ومن أقل الصلاة كتب من الغافلين)) (٥) .

وقال لقمان لابنه ((كل أطيب الطعام ونم على أوطأ الفراش)) (٦) أراد عليه السلام أطل الصيام وأدم الجوع وأقل الأدام تستطيب الطعام فإن الشبعان لا يجد للطعام لذة وإن طاب وحسن ، وكثرة ألوان الطعام تقلل اللذة وتحدث البطر في النفس ، وكذلك أمره أن يطيل السهر ويديم قيام الليل ليحصل له عند نومه كمال الراحة التي يستطيب بها فرش التراب ويستلينه أحسن من فرش الديباج مع طول النوم والراحة .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله ((أربع لا يصيبهن إلا مؤمن ، الصمت وهو أول العبادة ، والتواضع لله سبحانه ، وذكر الله

(١) مجموعة ورام ج ١ ص ٤٦ (٢) مجموعة ورام ج ٢ ص ٢٢٩ (٣) شرح النهج ج ١٩ ص ١٨٧
(٤) مجموعة ورام ج ١ ص ٤٦ (٥) شرح النهج ج ١٩ ص ١٨٨ (٦) مجموعة ورام ج ١ ص ٤٨

تعالى على كل حال وقلة الشيء يعنى قلة المال)) (١) .

وفي الخبر عن الصادق عليه السلام فيما أوحى الله إلى موسى عليه السلام ((يا موسى إذا لقيت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين ، وإذا رأيت الغنى مقبلا فقل ذنب تعجلت عقوبته ، يا موسى إن الدنيا دار عقوبة عاقبت فيها آدم عند خطيئته وجعلتها ملعونة ملعونة بمن فيها إلا ما كان فيها لي ، يا موسى إن عبادي الصالحين زهدوا فيها بقدر علمهم بها ، وسائرهم من خلقي رغبوا فيها بقدر جهلهم ، وما أحد من خلقي عظمها فقرت عيناه فيها ، ولم يحقرها إلا تمتع بها ، ثم قال أبو عبدالله عليه السلام إن قدرتم أن لا تعرفوا فافعلوا وما عليك إن لم يثن عليك الناس وما عليك أن تكون مذموما عند الناس وكنت عند الله محمودا ، إن أمير المؤمنين عليه السلام كان يقول : لا خير في الدنيا إلا لأحد رجلين رجل يزداد كل يوم إحسانا ، ورجل يتدارك منيته بالتوبة وأنا له بالتوبة ، والله إن سجد حتى ينقطع عنقه ما قبل الله منه إلا بولايتنا أهل البيت ألا ومن عرف حقنا ورجا الثواب فينا رضي بقوته نصف مد كل يوم وما يستر به عورته وما أكن رأسه وهم في ذلك والله خائفون وجلون)) (٢) .

ولا ريب أن الغنى يكون سببا للطغيان والفخر والتجبر والخروج عن طاعة الله في أغلب الأحوال ، ولقد ورد عن الصادق عليه السلام أنه قال ((ما كان من ولد آدم مؤمن إلا فقيرا ، ولا كافر إلا غنيا حتى جاء إبراهيم عليه السلام فقال ﴿ ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا ﴾ ، فصير الله في هؤلاء أموالا وحاجة ، وفي هؤلاء أموالا وحاجة)) (٣) .

---

(١) مجموعة ورام ج ٢ ص ٦٤ (٣) تفسير القمي ج ١ ص ٢٤٣ (٣) الكافي ج ٢ ص ٢٦٢

وهذا منصوص عليه كما في قضية نوح عليه السلام مع قومه حيث قالوا ﴿ أنؤمن لك واتبعك الأرذلون ، قال وما علمي بما كانوا يعملون ، إن حسابهم إلا على ربي لو تشعرون ، وما أنا بطارد المؤمنين ﴾ (١) .

وأما الفقر فيكون سببا للخضوع والذلة فإن كان لله فاز صاحبه وإن كان لطلب الدنيا هلك قال صلى الله عليه وآله ((إذا كان يوم القيامة جيء بالدنيا فيميز الله منها ما كان لله عز وجل وما كان لغيره رمي به في النار فخاف)) (٢) إبراهيم عليه السلام أن تكون تلك الذلة والخضوع من المؤمنين لغير الله فيفتتنوا عن دينهم وتفتتن الكفار بدنياهم فدعا بما دعا به لأجل هذه العلة ومصداقه قوله تعالى ﴿ ولولا أن يكون الناس أمة واحدة (يعني كافرة) لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكئون وزخرفا وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين ﴾ (٣) وقال أمير المؤمنين عليه السلام ((قال الله تبارك وتعالى لموسى عليه السلام ، احفظ وصيتي لك بأربعة أشياء ، أولهن : ما دمت لا ترى ذنوبك تغفر لا تشتغل بعيوب غيرك ، والثانية : ما دمت لا ترى كنوزي قد نفدت فلا تغتم بسبب رزقك ، والثالثة : ما دمت لا ترى زوال ملكي فلا ترج أحدا غيري ، والرابعة : ما دمت لا ترى الشيطان ميتا فلا تأمن مكره)) (٤) .

وعن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال ((إن الله عز وجل يقول بجلالي وجمالي وبهائي وعلائي وارتفاعي لا يؤثر عبد هواي على هواه إلا جعلت غناه في نفسه وهمته في آخرته

---

(١) الشعراء ١١١ – ١١٤

(٢) مجموعة ورام ج ١ ص ٥

(٣) الزخرف ٣٣ – ٣٥

(٤) الخصال ص ٢١٣

وكففت عنه ضيعته وضمنت السموات والأرض رزقه وكنت له من وراء تجارة كل تاجر)) (١).

وعن علي عليه السلام ((من أصلح فيما بينه وبين الله عز وجل أصلح الله له فيما بينه وبين الناس)) (٢).

ونقل بعض العلماء أن المنصور الدوانيقي كتب إلى الصادق عليه السلام لم لا تغشانا كما يغشانا سائر الناس ؟ ، فأجابه ((ليس لنا من الدنيا ما نخافك من أجله ولا عندك من أمر الآخرة ما نرجوك له ولا أنت في نعمة فنهنيك ولا تراها نقمة فنعزيك بها فما نصنع عندك؟)) ، فكتب المنصور إليه : تصحبنا لتنصحنا ، فكتب إليه الصادق عليه السلام ((من أراد الدنيا لا ينصحك ومن أراد الآخرة لا يصحبك)) (٣).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله ((إن الله سبحانه يحتج بأربعة أنفس على أربعة أجناس من الناس ، على الأغنياء بسليمان عليه السلام ، وعلى الفقراء بعيسى عليه السلام ، وعلى العبيد بيوسف عليه السلام ، وعلى المرضى بأيوب عليه السلام)) يريد عليه السلام أن الأغنياء لا عذر لهم في عدم الشكر وإضاعة حقوق الله وتعللهم باشتغالهم بدنياهم فإن سليمان أعظم من كل أحد منهم غنى فلم يشغله ذلك عن طاعة الله ، وكذلك الفقراء لا عذر لهم في عدم القنوع والرضا باليسير وتعللهم الحاجة فإن عيسى عليه السلام أعظم فقرا من كل أحد فلم يمنعه ذلك عما يرضي الله ، وكذلك العبيد لا عذر لهم في طاعة مواليهم ومعصية الله وعدم تعففهم لتعللهم بقيد الرقية فإن يوسف عليه السلام أعظم من كل أحد منهم لم يصب أحد مثل ما أصابه من شدة الضر وطول السجن فلم يطع من دعاه إلى معصية الله ولم يطع أحدا في غير ما يرضي الله ، وكذلك لا عذر لأهل البلاء في عدم الصبر على البلاء فإن أيوب

---

(١) الخصال ص ٣ (٢) أمالي الصدوق ص ٣٤ (٣) البحار ج ٤٧ ص ١٨٤

عليه السلام ابتلي بأعظم مما ابتلوا به فصبر راضيا عن الله بما أصابه ولم ينقم على الله ولا شكاه إلى مخلوق قط ولم يزدد على البلاء إلا شكرا .

وعن الرضا عليه السلام يقول ((كان الكنز الذي قال الله تعالى ﴿ وكان تحته كنز لهما ﴾ (١) كان فيه بسم الله الرحمن الرحيم ، عجبت لمن أيقن بالموت كيف يفرح ، وعجبت لمن أيقن بالقدر كيف يحزن قلبه ، وعجبت لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يركن إليها)) (٢) .

وفي ذم الحرص على الدنيا قال الله تعالى ﴿ ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر ﴾ (٣) نقلوا أنه صلى الله عليه وآله إذا قرأ هذه الآية قال ((يقول ابن آدم مالي مالي ، وهل لك من مالك إلا ما تصدقت فأبقيت أو أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت)) (٤) ، ونقلوا أنه قال ((إن صلاح أول هذه الأمة بالزهد واليقين ، وهلاك آخرها بالشح والأمل)) (٥) .

واعلم أن الصبر على الفقر أمر من الحنظل ، والصبر أحسن عاقبة من مخزون التبر فإذا ابتليت به فكن صبورا ، وإن تمارى بك فكن في تلك الحال شكورا تنل الغنى الدائم ، قال لقمان لابنه ((يا بني أكلت الحنظل وذقت الصبر فلم أر شيئا أمر من الفقر ، فإذا افتقرت فلا تحدث به الناس كيلا ينقصوك ولكن اسأل الله)) .

ومما ينسب إلى أمير المؤمنين عليه السلام :

عاركت كل ملمة فغلبتها ... والفقر غالبني فأصبح غالبي

إن أبده يفضح وإن لم أبده ... يقتل فقبح وجهه من صاحب

---

(١) الكهف ٨٢ (٢) مجموعة ورام ج ٢ ص ١٨٤ (٣) التكاثر ١ – ٢

(٤) مجموعة ورام ج ١ ص ١٣٠ (٦) أمالي الصدوق ص ٢٢٧

قالوا قال رسول الله صلى الله عليه وآله ((اللهم توفني فقيرا ولا تتوفني غنيا ، واحشرني في زمرة المساكين)) (١) ، والفقر موهبة من مواهب الله ولا يختاره إلا أولياء الله وإن أهل الجنة كل أشعث أغبر ذو طمرين لا يوله إليه الذين إذا استأذنوا على الأمير لم يؤذن لهم ، وإذا خطبوا النساء لم ينكحوا ، وإذا قالوا لم ينصت لهم ، حوائج أحدهم تتلجلج في صدورهم لو قسم نوره يوم القيامة على الناس لوسعهم .

وقال أعرابي من ولد بالفقر أبطره الغنى ، ومن ولد بالغنى لم يزده الفقر إلا تواضعا ، فكانت العاقبة عاقبة الفقر لا عاقبة الغنى والعاقبة للمتقين .

وقال صلى الله عليه وآله ((إن أشد ما أتخوف عليكم منه إتباع الهوى وطول الأمل ، فإن إتباع الهوى يصد عن الحق ، وطول الأمل ينسي الآخرة ، ألا إن الله تعالى يعطي الدنيا لمن يحب ويبغض ، ولا يعطي الآخرة إلا لمن يحب ، وإن للدنيا أبناء وللآخرة أبناء فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا فإن الولد يتبع بأمه ، وإن الدنيا قد ترحلت مولية ، ألا إن الآخرة قد تجملت مقبلة ، وإنكم في يوم عمل ليس فيه حساب ، ويوشك أن تكونوا في يوم حساب ليس فيه عمل)) (٢) .

وقال صلى الله عليه وآله في دعائه ((اللهم إني أعوذ بك من دنيا تمنع خير الآخرة ومن حياة تمنع خير الممات ، وأعوذ بك من أمل يمنع خير العمل)) (٣) .

وقال عيسى عليه السلام ((لا تهتموا برزق غد فإن يكن من آجالكم فسيأتي فيه أرزاقكم مع آجالكم ، وإن لم يكن من آجالكم فلا تهتموا لآجال غيركم)) (٤)

---

(١) إرشاد القلوب ص ١٩ (٢) إرشاد القلوب ص ٢١

(٢) البحار ج ٩٨ ص ٢٦٠ (٣) مجموعة ورام ج ١ ص ٢٧٨

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله ((إذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء، وإذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح)) (١).

وقال صلى الله عليه وآله ((ما رأيت منظرا إلا والقبر أفظع منه)) (٢) وقيل أول ما يكلم ابن آدم حفرته فتقول أنا بيت الدود و بيت الوحدة وبيت الغربة وبيت الظلمة، هذا ما أعددت لك فما أعددت، لي فأقول أعددت لكل هول لا إله إلا اله، ولكل بلاء محمد رسول الله، ولكل خوف وعذاب علي ولي الله .

وقال أبو ذر رحمه الله ((ألا أخبركم بيوم فقري، يوم أوضع في قبري)) (٣).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام ((ما من يوم يمر على ابن آدم إلا قال له ذلك اليوم يا ابن آدم أنا يوم جديد وأنا عليكم شهيد فقل في خيرا واعمل في خير أشهد لك به يوم القيامة فإنك لن تراني بعده أبدا)) (٤).

ونقل أن امرأة العزيز قالت ليوسف عليه السلام بعدما ملك خزائن الأرض ((يا يوسف إن الحرص والشهوة صير الملوك عبيدا، وإن الصبر والتقوى صير العبيد ملوكا)) (٥)، قال الله عز و جل ﴿ إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين ﴾ (٦).

ولقد قال الله في آية أخرى ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ﴾ (٧)، ولكن للتقوى شرطان وجودي وعدمي، فالوجودي هو الاكتساب المعبر عنه بفعل الطاعات، والعدمي هو الاجتناب المعبر عنه بترك المنهيات، ولا

---

(١) مجموعة ورام ج ١ ص ٢٧١ (٢) شرح النهج ج ١١ ص ١٥٩ (٣) مجموعة ورام ج ١ ص٢٨٤
(٤) أمالي الصدوق ص ١٠٨ (٥) مجموعة ورام ج ١ ص ٩٧ (٦) يوسف ٩٠
(٧) الطلاق ٢ ـ ٣

يكون للوجودي تحقق إلا بعد تحقق العدمي فيكون أيضا شرطا للوجودي ، فشرطيته للتقوى حصولي لعدم تحققها بدونه ، وشرطيته للوجودي صلوحي لعدم خلوصها بدونه .

وعن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال ((كيف أنتم وقد التقم صاحب القرن القرن وجنا جثية وأصغى سمعه ينتظر أن يؤمر فينفخ ، قالوا : كيف نقول يا رسول الله ، قال : قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل)) (١) .

وقال سلمان ((أوصاني خليلي رسول الله صلى الله عليه وآله بسبع خصال لا أدعهن على كل حال ، أوصاني أن أنظر إلى من هو دوني ولا أنظر إلى من هو فوقي ، وأن أحب الفقراء وأدنو منهم ، وأن أقول الحق وإن كان مرا ، وأن أصل رحمي وإن كانت مدبرة ، وأن لا أسأل الناس شيئا ، وأوصاني أن أقول لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فإنه من كنوز الجنة)) (٢) .

وعن أبي بريدة الأسلمي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله ((لا تزول قدم عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع ، عن جسده فيما أبلاه ، وعن عمره فيما أفناه ، وعن ماله مما اكتسبه وفيما أنفقه ، وعن حبنا أهل البيت)) (٣) .

وقال أمير المؤمنين عليه السلام ((من نقله الله من ذل المعاصي إلى عز التقوى أغناه الله بلا مال وأعزه الله بلا عشيرة وآنسه بلا أنيس)) (٤) .

---

(١) مجموعة ورام ج ١ ص ١١

(٢) روضة الواعظين ص ٣٧١

(٣) مجموعة ورام ج ٢ ص ٧٥

(٤) مجموعة ورام ج ١ ص ٦٥

فصل

في الزهد في الدنيا والتجافي عنها

فصل
في الزهد في الدنيا والتجافي عنها

اعلم أن حقيقة الزهد هو الرضا عن الله في جميع ما آتاه وعدم النظر إلى ما زوي عنه فلا يطلبه ولا يتمناه، وأدنى منه الرضا بما أوتي والترك لما زوي عنه، فعن علي بن الحسين عليهما السلام وقد سأله رجل فقال له: ما الزهد؟، فقال ((الزهد عشرة أجزاء، فأعلى درجات الزهد أدنى درجات الورع، وأعلى درجات الورع أدنى درجات اليقين، وأعلى درجات اليقين أدنى درجات الرضا، وإن الزهد في آية من كتاب الله عز وجل ﴿ لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم ﴾ (١))) (٢).

واعلم أن الزهد ليس حقيقته لبس الخشن من الثياب وأكل الجشب من الطعام فإن ذلك يكون للحرص على الدنيا، وإنما حقيقته قصر الأمل في الدنيا بحيث لا يدخر ما في اليوم لغد، فرب جامع لما يترك ورب طالب لما لا يدرك، فعن سيد العابدين عليه السلام وقد سئل عن الزهد فقال ((من يتبلغ بدون قوته ويستعد ليوم موته)) (٣)، فأنت يا هذا لا تكن بعيد الأمل سيئ العمل فإنك قريب الأجل فإن أعقل الناس محسن خائف

---

(١) الحديد ٢٣ (٢) الخصال ٤٣٧ (٣) مجموعة ورام ج ١ ص ٢٣٧

وأحمقهم مسيء آمن ، فإن كنت تدخر مالك لعيالك فلا تؤثرهم على نفسك وادخره لنفسك وكلهم إلى من تكفل برزقك قبلهم وثق بوعده لهم ، فأخبر عليه السلام في الحديث السابق بأن أعلى مراتب الزهد هي أول مراتب الورع الذي هو ملاك الدين كما قاله سيد المرسلين حيث قال ((ملاك الدين الورع)) (٢) وقال ((لكل شيء حد وحد الإسلام أربعة الورع وهو ملاك الأمر ، والتواضع وهو شرف الدين ، والصبر على الشدائد وبه النجاة من النار ، والشكر في الرخاء وبه الفوز بالجنة)) ، وقيل الورع هو الخروج من كل شبهة ومحاسبة النفس في كل لحظة أو هو الكف عن المباحات خوفا من الوقوع في المحظورات .

وأقول إن حقيقته هو منع النفس عن كل ما تريد وترك كل ما تشتهيه ، وقال بعض الحكماء أصل الدين الورع وأساسه التقوى وبناؤه مجانبة الهوى وشرفه الفقه وحصنه ترك الشهوات وسوره الطاعة وبابه الحكمة ومعماره الفكرة وحارسه العزة وعمارته بذل المعروف ، فكان أول الورع الموصوف نهاية الزهد فإذا تورع العبد عن كل ما لا يحبه الله وجانب ما تشتهيه نفسه الأمارة تهذبت نفسه وصفت من الرذائل الخلقية فاطمأنت بوعد الله وذلك مقام اليقين .

ولليقين درجات أعلاها الرضا بالقضاء في جميع الأحوال وهو مقام المقربين فبين عليه السلام أن جميع مراتب الزهد منطوية في ذيل هذه الآية وهي قوله ﴿ لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم ﴾ (٢) إذ هي مشعرة بالرضا عن الله فيما يفعله وذلك حقيقة العبودية ، فإذا أخلص لله العبودية يرضى عن الله ورضى بما يفعله فلا يأسى على ما فاته ولا يفرح بما يؤتى لانقطاعه عن صلاح نفسه وتفويضه أمره إلى ربه وهذا مقام المقربين وذلك لأنهم أدركوا عن الله ما أراد بعد إذ كشف لهم الغطاء فاختاروا ما اختاره لهم

---

(١) ثواب الأعمال ص ٢٩٣ (٢) الحديد ٢٣

ورضوا بما رضيه لهم قال عليه السلام ((لو كشف الغطاء لما اخترتم إلا الواقع)) ، وإذا وصل العبد إلى هذه الغاية فقد انطوى على جميع مراتب الزهد التى هي سلم للورع الذي يكون أول منشئه من النفس اللوامة وهي التى تلوم على فعل المعصية ، وانطوى أيضا على جميع مراتب الورع التى هي سلم لليقين الذي أول منشئه من النفس المطمئنة ، وعلى جميع مراتب اليقين التى هي سلم للرضا الذي أول منشئه من النفس الراضية ، وعلى جميع أحوال الرضا عن الله تعالى التى هي سبب حصول رضا الله فتكون نفسه كاملة بعد إذ كانت مرضية قال سبحانه ﴿ يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي ﴾ يعنى كاملة ﴿ وادخلي جنتى ﴾ (١) أي جنة القرب فحينئذ لا يرى إلا الله ولا يلتذ بسواه فتكون كل لذة بغير ذكر الله عنده حينئذ خطيئة موجبة للاستغفار والإنابة كما قال سيد الساجدين ((وأستغفرك لكل لذة بغير ذكرك)) (٢) وعن علي عليه السلام ((أفضل الزهد إخفاء الزهد)) (٣) .

واعلم أن العلم علمان علم الطلب وعلم الترك فعلم الطلب علم العلماء وعلم الترك علم الزهاد ، فالعالم العامل طلبه الحلال والزاهد الورع طلبه ترك الحلال فإذا وصل إليه أنفقه ولم يجعل لنفسه فيه نصيبا ، وقد نقل أن أويس القرني رحمه الله قال ((إن حقوق الله لم تبق لنا ذهبا ولا فضة)) (٤) يريد أنه زهد في الدنيا فبذل ما في يده ، وسيأتي ذكر بعض أحواله وليس ذلك بإسراف ولا تبذير إذ الإسراف يختلف حاله بحسب حال الأشخاص فمن كان مؤونته نفسه لا غير ولا علاقة عليه ممن يقوم بمؤونته وهو يقدر على حبس نفسه فإنفاقه جميع ما يملكه في طاعة الله لما عد مسرفا ، ولو أنه أنفق

---

(١) الفجر ٢٨ - ٣٠
(٢) البحار ج ٩٤ ص ١٠١
(٣) شرح النهج ج ١٨ ص ١٣٩
(٤) البحار ج ٧٥ ص ٣٦٧

درهما في معصية الله لكان مسرفا وقال مجاهد : لو أنفق مدا في باطل كان تبذيرا ولو أنفق جميع ماله في الحق لم يكن مبذرا ، فالإسراف ضد التقتير وهما طرفي القصد ، فالإسراف لغة الإنفاق في غير حاجة داعية إليه وفي الشرع أكثر ما يطلق على الإنفاق في غير طاعة الله كما في الخبر ((ليس الكريم من يكتسب المال من غير حله ويضعه في غير محله)) .

وعن الأصبغ بن نباتة قال : قال علي عليه السلام ((للمسرف ثلاث علامات يأكل ما ليس له ويلبس ما ليس له ويشتري ما ليس له)) (١) يعني أنه يفعل في هذه الأشياء ما لا يليق به ، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله لسعد وهو يتوضأ ((ما هذا الإسراف يا سعد ، قال : وفي الوضوء سرف ، قال : نعم ، وإن كنت على نهر جار)) يريد أن حقيقة السرف وضع الشيء في غير ما ينبغي .

وأما من كانت مؤونة غيره منوطة به ولا يقدر على حبس نفسه فالإسراف في حقه عدم الاقتصاد في الإنفاق ، قال عليه السلام في الاقتصاد ((ما عال امرؤ اقتصد)) (١) وفي آخر ((التدبير نصف المعيشة)) (٢) ويحمل عليه قوله تعالى ﴿ ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا ﴾ (٤) .

واعلم أن النكتة في تقديم النهي عن التقتير على النهي عن التبذير مع أن السياق إنما هو للنهي عن الإسراف ولذا ذكر العلة فيه دون التقتير هي أن الإنسان لما كان مركب الطبائع من المرتين والدم والبلغم التى اقتضاؤها الحاجة والفقر كما أخبر بذلك سبحانه بقوله ﴿ قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي إذا لأمسكتم خشية الإنفاق وكان الإنسان قتورا ﴾ (٥) كان المطابق للحكمة في

---

(١) الخصال ص ٩٧ (٢) الخصال ص ٦٢٠ (٣) مجموعة ورام ج ١ ص ١٦٧
(٤) الإسراء ٢٩ (٥) الإسراء ١٠٠

الارشاد الحث على ترك التقتير الذي هو ذاتي الانسان وتعقيبه بالنهي عن ضده الذي هو عرضي للإنسان فافهم .

وعن علي عليه السلام ((لا يذوق المرء من حقيقة الايمان حتى تكون فيه ثلاث خصال الفقه في الدين والصبر على المصائب وحسن التقدير في المعاش)) (١) .

وأعلى مراتب الزهد في الدنيا أن يحب أن لا يعرف وأن يذم أحب إليه من أن يمدح .

قال الصادق عليه السلام ((لا يكون الرجل فقيها حتى لا يبالي أي ثوبيه ابتذل وبما سد فورة الجوع)) (٢) ، يريد أنه ليس له ثوب تجمل وآخر لغير التجمل بل كلا ثوبيه خلق فيكون خامل الذكر عند الناس غير مرفوع القدر عندهم .

وأوحى الله إلى داود عليه السلام ((لو لم تطب نفسك أن تكون كالمضغة في أفواه الآدميين لم أكتبك عندي من الصالحين)) (٣) وهذا هو مقام الرضا الذي أراده زين العابدين عليه السلام فإن من أحب أن يعلم الناس ما عنده من الفضل فهو أسير نفسه ومركب إبليس وذلك في الدرك السابع من النار كما في الخصال في ذكر أقسام العلماء ، قال جعفر الصادق عليه السلام ((سبعة من العلماء في النار ، إن من العلماء من يحب أن يخزن علمه ولا يؤخذ منه فذاك في الدرك الأول من النار ن ومن العلماء من إذا وعظ أنف وإذا وعظ عنف فذاك في الدرك الثاني من النار ، ومن العلماء من يرى أن يضع العلم عند ذوي الثروة والشرف ولا يرى له في المساكين وضعا فذاك في الدرك الثالث من النار ، ومن العلماء من يذهب في علمه مذهب الجبابرة والسلاطين فإن رد عليه شيء من قوله أو قصر في شيء من أمره غضب فذاك في الدرك الرابع

---

(١) قرب الاسناد ص ٤٦ (٢) الخصال ص ٤٠ (٣) مجموعة ورام ج ٢ ص ١٨٣

من النار ، ومن العلماء من يطلب أحاديث اليهود والنصارى ليغزر به علمه ويكثر به حديثه فذالك في الدرك الخامس من النار ، ومن العلماء من يضع نفسه للفتيا ويقول سلوني ولعله لا يصيب حرفا واحدا والله لا يحب المتكلفين فذالك في الدرك السادس من النار ، ومن العلماء من يتخذ علمه مروءة وعقلا فذالك في الدرك السابع من النار)) (١) يريد عليه السلام أن هذا أبعدهم عن الزهد في الدنيا لأنه يطلب الاستطالة على الخلق فيخرج عن ربقة العبودية وهذا هو المراد بقوله ((حب الدنيا رأس كل خطيئة)) (٢) يعنى طلب الرئاسة على العباد ولبس رداء الكبرياء ، نعوذ بالله من كل ما لا يرضي الله .

وأما طلب الدنيا للمآكل والملاذ وما يترتب عليها أو يكون سببا لتحصيلها فذالك أدنى رتبة من حب الرئاسة فكلما كان أقرب إلى هذه الرتبة كان أبعد عن الله والزهد في الدنيا إلى ينتهي إلى المرتبة الأولى وهي البخل بما عنده لشدة حرصه وشره نفسه وعدم محبته لإفشاء العلم ونفع المتعلمين طلبا لرضا الله وهي أول درجات السفلى ، وإنما كان من يذهب في علمه مذهب الجبابرة والسلاطين أهون وأقل إثما ممن يتخذ علمه مروة وعقلا لأن الأول يتكبر في ظاهره طلبا للرفعة والجاه بين الخلق لاقتناص الدنيا كما نبه عليه الإمام عليه السلام بقوله فإن رد عليه شيء إلى آخره ، وأما هذا فيتكبر في باطنه طلبا للعلو لا لحطام الدنيا فقط وذلك هو الكبر الذي يؤدي إلى صرف الحق عن أهله المعنى بقوله ﴿ إن في صدورهم إلا الكبر ما هم ببالغيه ﴾ (٣) فاستعذ بالله ، وقوله تعالى ﴿وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ﴾ (٤) .

وأما جامع مراتب الزهد فهو أن يكون العبد جهته لله في كل أحواله ليس لنفسه منه شيء وإلى هذا أشار النبى صلى الله

---

(١) الخصال ص ٣٥٢ (٢) الخصال ص ٢٥ (٣) غافر ٥٦ (٤) البقرة ٢٠٦

عليه وآله في وصيته لأبي ذر بقوله ((يا أبا ذر ليكن لك في كل شيء نية حتى في الأكل النوم)) (١) يريد أن تكون أفعالك وحركاتك كلها خالصة لله بقصد وإرادة بنية خالصة وهذا مقام لا يمكن أن يستكمله إلا محمد وأهل بيته المعصومين عليهم السلام خاصة ، وهذا المعنى الذي أتكلم به دائما وأقصده بقولي إن عبادة رسول الله صلى الله عليه وآله البدنية لا يقدر الخلق على الاتيان بها كثرة فينكر علي الجاهلون متعللين بأن عمر رسول الله صلى الله عليه وآله لا يحتمل من العبادة بقدر عبادة نوح الذي عمره ألف سنة وأربعمائة سنة فكيف بباقي الأنبياء والصالحين والتابعين لظنهم أن العبادة البدنية منحصرة في الصلاة والصيام والحج والجهاد وأمثالها المقررة في الشرائع ، وأنا مرادي أن جميع حركاته وسكناته وحركات أجزاء بدنه وسكناتها كطرفة العين وحركة العضو من يد ورجل وإصبع ومفصل كلها صادرة بإرادة خاصة واختيار مقترنة بنية خالصة وهذا ما لا يمكن حصره فإنك لو أردت أن تحصي حركاتك البدنية وحركات أجزائك يوما واحدا مدة عمرك ما أحصيتها فكيف بإحصاء جميع حركات بدنك وأجزائه مدة عمرك هذا مما يقصر عنه إحصاء العادين ، فإذا كانت كل حركة أو سكون صدر من كل جزء جزء في كل آن عبادة عجزت الثقلان عن الاتيان بمثلها فافهم ، وإن وفقت لفهم ذلك فاحمد الله وكن من الشاكرين .

وعن سفيان بن عيينة قال : سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عز وجل ﴿ إلا من أتى الله بقلب سليم ﴾(٢) ، قال ((القلب السليم الذي يلقى الله وليس فيه أحد سواه)) (تفسير القمي ج ٢ ص ١٢٣) ، قال وقال ((كل قلب فيه شرك أو

---

(١) مجموعة ورام ج ٢ ص ٥٨ (٢) الشعراء ٨٩ (٣) تفسير القمي ج ٢ ص ١٢٣

شك فهو ساقط ، وإنما أراد الزهد في الدنيا لتفرغ قلوبهم للآخرة)) (١)
وعن الصادق عليه السلام ((حب المؤمن عقلي خالص ، وحب الكافر نفسي مشترك)) ، وقال عليه السلام ((علامة حب الله حب ذكر الله)) (٢) وقال عليه السلام ((من أحب شيئا أكثر ذكره)) (٣) ، وقال صلى الله عليه وآله وسلم ((ثلاث من كن فيه استكمل إيمانه لا يخاف في الله لومة لائم ، ولا يرائي بشيء من عمله ، وإذا عرض عليه أمران أحدهما للدنيا والآخر للآخرة آثر الآخرة على الدنيا)) (٤) ، وقال صلى الله عليه وآله ((من أحب أن يعلم ما له عند الله عز وجل فلينظر ما لله عز وجل عنده فإن الله تعالى ينزل العبد حيث أنزله العبد من نفسه)) (٥) ، وعن الصادق عليه السلام قال ((إن الله عز وجل يطلع إلى الدنيا في كل يوم مرة أو مرتين فيقول : يا دنيا أنت دنية فتكدري على عبدي المؤمن ولا تحلي فيفتتن ، من خدمك فاستخدميه ومن خدمني فاخدميه)) (٦) .
وقال صلى الله عليه وآله ((من أصبح حزينا على الدنيا أصبح ساخطا على ربه ، ومن شكى مصيبة نزلت به فقد شكى ربه ، وأيما فقير تضعضع لغنى لدنياه ذهب ثلثا دينه ، ومن أصبح وهمه لغير الله فليس من الله ، ومن لم يتق بالله فليس من الله ، ومن لم يهتم للمسلمين فليس منهم ، ومن دخل النار بعدما قرأ القرآن فقد انسلخ من آيات الله)) (٧) .
وورد عن الصادق عليه السلام ((أيما مؤمن شكا حالته أو ضره إلى كافر أو إلى من يخالفه على دينه فكإنما شكا الله عز

---
(١) مجموعة ورام ج ٢ ص ٥٨ (٢) جامع الأخبار ص ١٢٨ (٣) المناقب ج ١ ص ٣٠٠
(٤) مجموعة ورام ج ١ ص ٢٣٦ (٥) مجموعة ورام ج ١ ص ٢٣٠ (٦) مجموعة ورام ج ٢ ص ٢٣٠
(٧) المصدر السابق

وجل إلى عدو من أعداء الله ، وأيما رجل مؤمن شكا حالته وضره إلى مؤمن مثله كانت شكواه إلى الله عز وجل)) (١) يعني أن المؤمن لا يسخط فعل الله وقضائه فإذا شكا إليه فكأنه طلب منه الوسيلة إلى الله بالدعاء والشفاعة بخلاف عدو الله فإنه يسخط قضاءه ويشمت بأولياء الله .

وعن الحسن بن راشد قال : قال أبو عبدالله عليه السلام ((يا حسن إذا نزلت بك نازلة فلا تشكها إلى أحد من أهل الخلاف ولكن اذكرها لبعض إخوانك فإنك لن تعدم خصلة من أربع خصال إما كفاية أو معونة بجاه أو دعوة تستجاب أو مشورة برأي)) (٢) .

وقال الأحنف شكوت إلى عمي صعصعة وجعا في بطني فنهرني ثم قال : يا ابن أخي إذا نزل بك شيء فلا تشكو إلى أحد فإنما الناس رجلان صديق تسوئه و عدو تسره والذي بك لا تشكوه إلى مخلوق مثلك لا يقدر على دفع مثله عن نفسه ولكن إلى من ابتلاك به فهو قادر على أن يفرج عنك ، يا ابن أخي إحدى عيني هاتين لا أبصر بها سهلا ولا جبلا منذ أربعين سنة وما اطلع على ذلك امرأتي ولا أحد من أهلي .

وشكى رجل الفقر فقيل له يا هذا أتشكو من يرحمك إلى من لا يرحمك ، قال الشاعر :

لا تشكون لراحم أو حاسد ... حاليك في السراء والضراء

فلرحمة المتوجعين حرارة ... في القلب مثل شماتة الأعداء

وفي مفاتيح العرفان أن نبيا من الأنبياء شكا بعض ما ناله من المكروه إلى الله تعالى فأوحى الله تعالى إليه ((أتشكوني ولست بأهل ذم ولا شكوى ، هكذا بدأ شأنك في علم الغيب فلم

---

(١) مشكاة الأنوار ص ٢١١ (٢) مجموعة ورام ج ٢ ص ١٤٩

تسخط قضائي عليك أتريد أن أغير الدنيا لأجلك أو أبدل اللوح المحفوظ بسببك فأقضي ما تريد دون ما أريد ويكون ما تحب دون ما أحب فبعزتي حلفت لئن تلجلج ذلك في صدرك مرة أخرى لأسلبنك ثوب النبوة ولأوردنك النار ولا أبالي)) .

واعلم أن المراد بالشكاية هنا الدعاء والالحاح المنافي للصبر هذا وإن كان حسنة للأبرار إلا أنه سيئة للمقربين ، وقوله عليه السلام ((من تضعضع لغنى فقد ذهب ثلثا دينه)) يريد أن من تواضع لغنى بجوارحه ومدحه بلسانه لأجل دنياه فقد ذهب ثلثا دينه لأن الذي هو الايمان قول باللسان وعمل بالأركان واعتقاد بالجنان ، فإن مال إليه بقلبه لأجل دنياه فقد ذهب دينه كله ، وقوله ((ومن دخل النار .. إلخ)) يريد أن من قرأ القرآن فلم يعمل بما أمر به فيه ولم يتعظ بمواعظه فقد انسلخ من آيات الله التى لو عمل بمقتضاها لنفعته ، إشارة إلى قوله تعالى ﴿ واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ، ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض فاتبع هواه ﴾ (١) الآية .

وعن النبى صلى الله عليه وآله أنه قال ((حرام على قلوبكم أن تعرف حلاوة الايمان حتى تزهدوا في الدنيا)) (٢) ، وقال أمير المؤمنين عليه السلام ((إن من أعوان الأخلاق على الدين الزهد في الدنيا)) (٣) ، وقال عليه السلام ((العفاف زينة الفقر)) (٤) وقال عليه السلام ((إن علامة الراغب في ثواب الآخرة زهده في عاجل زهرة الدنيا ، أما إن زهد الزاهد في الدنيا لا ينقصه مما قسم الله له فيها وإن زهد ، وإن حرص الحريص على عاجل زهرة الدنيا لا يزيده فيها وإن حرص ، فالمغبون من حرم حظه من الآخرة)) (٥) .

---

(١) الأعراف ١٧٥ ـ ١٧٦ (٢) مشكاة الأنوار ص ١١٦ (٣) مشكاة الأنوار ص ١١٣

(٤) كنز الفوائد ج ٢ ص ٢٩٩ (٥) مشكاة الأنوار ص ١١٣

وقال رجل يا رسول الله صلى الله عليك من أزهد الناس ؟ قال ((من لم ينس القبر والبلا وترك فضل زينة الدنيا وآثر ما يبقى على ما يفنى ولم يعد غدا من أيامه وعد نفسه من أهل القبور)) (١)

وعن الصادق عليه السلام أنه قال ((اتقوا الله وصونوا دينكم بالورع وقووه بالتقية والاستغناء بالله عز وجل ، إنه من خضع لصاحب سلطان الدنيا ولمن يخالفه على دينه طلبا لما في يديه من دنياه أهمله الله ومقته عليه ووكله إليه فإن هو غلب على شيء من دنياه فصار إليه شيء نزع الله البركة منه ولم يؤجر على شيء ينفقه في حج ولا عتق ولا بر)) (٢) .

وفي وصية أمير المؤمنين عليه السلام لابنه الحسن عليه السلام ((قصر الأمل واذكر الموت وازهد في الدنيا فإنك رهين موت وغرض بلاء وطريح سقم ، وأوصيك بخشية الله في سر أمرك وعلانيتك وأنهاك عن التسرع بالقول والفعل ، وإذا عرض شيء من أمر الآخرة فابدأ به ، وإذا عرض شيء من أمر الدنيا فلا تأته حتى تصيب رشدك فيه)) (٣) .

قال عليه السلام ((فما أقرب الراحة من التعب والبؤس من النعيم وما شر بشر بعده الجنة وما خير بخير بعده النار ، وكل نعيم دون الجنة محقور وكل بلاء دون النار عافية)) (٤)

وقال الحسن بن علي عليه السلام ((لو جعلت الدنيا كلها لقمة واحدة لقمتها من يعبد الله خالصا ولرأيت أني مقصر في حقه ، ولو منعت الكافر منها حتى يموت جوعا وعطشا ثم أذقته شربة من الماء لرأيت أني قد أسرفت)) (٥) .

---

(١) مجموعة ورام ج١ ص٢٨٤ (٢) أمالي المفيد ص ١٠٠ (٣) مجموعة ورام ج٢ ص١٧٨
(٤) التوحيد ص ٧٤ (٥) تفسير الامام ص ٣٢٩

وعنه عليه السلام ((من عرف الله أحبه ، ومن عرف الدنيا زهد فيها والمؤمن لا يلهو حتى يغفل فإذا تفكر حزن)) (١) .

وعن الصادق عليه السلام ((السخاء أن تسخو نفس العبد عن الحرام أن تطلبه فإذا ظفرت بالحلال طابت نفسه أن ينفقه في طاعة الله عز وجل)) (٢) ولا ريب أن هذا الحال من أحسن حال الزاهدين في الدنيا .

واعلم أن شرط الزهد معرفة الذي يزهد فيه فلا يكون إلا من العالم ، إذ رب جاهل زهد فيما ينبغي أن يرغب فيه وربما يكيده الشيطان بزهده في قليل يوجب طمعه في الكثير ويأتيه من حيث لا يعلم فيفسد دينه لفساد عقله وربما رغبه في ثواب قليل يفيته كثيرا مما يرغب فيه ولذا نهي عن التبتل والرهبانية ، ففي الكافي عن أبي عبدالله عليه السلام قال : جاءت امرأة عثمان بن مظعون إلى النبي صلى الله عليه وآله فقالت : يا رسول الله إن عثمان يصوم النهار ويقوم الليل ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله مغضبا يحمل نعليه حتى جاء عثمان فوجده يصلي فانصرف عثمان حين رأى رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال : يا عثمان لم يرسلني الله بالرهبانية ولكن بعثني بالحنفية السهلة السمحة ، أصوم وأصلي وألمس أهلي فمن أحب فطرتي فليستن بسنتي ومن سنتي النكاح)) (٣) .

وعنه عليه السلام ((إن ثلاث نسوة أتين رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت إحداهن : إن زوجي لا يأكل اللحم ، وقالت الأخرى : إن زوجي لا يشم الطيب ، وقالت الأخرى : إن زوجي لا يقرب النساء ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله يجر رداءه حتى صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : ما بال أقوام

---

(١) مجموعة ورام ج١ ص ٥٢ (٢) معاني الأخبار ص ٢٥٦ (٣) الكافي ج ٥ ص ٤٩٤

من أصحابي لا يأكلون اللحم ولا يشمون الطيب ولا يأتون النساء ، أما إني آكل اللحم وأشم الطيب وآتي النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني)) (١) .

وعنه عليه السلام قال ((نهى رسول الله صلى الله عليه وآله النساء أن يتبتلن ويعطلن أنفسهن عن الأزواج)) (٢) .

وقال أمير المؤمنين عليه السلام ((من اتخذ من الإماء أكثر مما ينكح أو ينكح فالاثم عليه إن بغين)) (٣) ، والمراد بقوله عليه السلام ((فالاثم عليه)) أن عليه إثم التسبيب فيكون شريكا لهن في الاثم لا أن المراد عدم حصول الاثم عليهن فعلن وإنما الاثم عليه خاصة .

وحكي أن سلمان جاء زائرا لأبي الدرداء فوجد أم الدرداء مستذلة ، فقال : ما شأنك ؟ ، قالت : إن أخاك ليس له حاجة في شيء من أمر الدنيا ، فلما جاء أبو الدرداء رحب بسلمان وقرب إليه طعاما فقال : يا سلمان اطعم ، فقال : إني صائم ، قال : أقسمت عليك إلا ما طعمت ، فقال : ما أنا بآكل حتى تأكل ، قال وبات عنده فلما جاء الليل قام أبو الدرداء فحبسه سلمان ثم قال : يا أبا الدرداء إن لربك عليك حقا وإن لجسدك عليك حقا ولأهلك عليك حقا فصم وافطر ونم واعط كل ذي حق حقه ، فأتى أبو الدرداء إلى النبي صلى الله عليه وآله فأخبره بما قاله سلمان فقال له مثل قول سلمان (٤) .

فهذه هي مرتبة الكمال التى لا يدركها إلا الكمل من الرجال وحيث كان سلمان مقتديا بمواليه عليهم السلام في أحوالهم وأقوالهم جرى على منوالهم وعرف مرادهم ، فلعلمه عرف بأن العالم هو الذي يجمع بين مرتبة العبادة لربه ومقام العبودية في تهذيب

---

(١) الكافي ج ٥ ص ٤٩٦ — (٢) الكافي ج ٥ ص ٥٠٩

(٣) الفقيه ج ٣ ص ٤٥ — (٤) مجموعة ورام ج ١ ص ٢

نفسه ويؤتي كل ذي حق حقه فلا يمنع حقا لأجل حق ولا يبخس منه شيئا ، ولأجل ذلك كانت ركعة من عالم تعدل سبعين ركعة من عابد وكان نوم العالم أفضل من قيام العابد وإقامة العالم أفضل من شخوص الجاهل لأن الجاهل لا يقدر على سد فرج الشيطان فربما كان ما يفسده أكثر مما يصلحه ، ولو كان سلمان جاهلا لاكتفى بسلوك طريق من الطرق التى أمر بها خاصة فلم يرشد الضال ولا يعلم الجاهل ولا ينتفع به غيره فيكون ما فاته من الخير أكثر مما أدركه .

قال صلى الله عليه وآله ((المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أعظم أجرا من المؤمن الذي لا يخالطهم ولا يصبر على أذاهم)) (١) .

وعن الصادق عليه السلام ((ثلاثة أشياء لا يحاسب عليهن المؤمن طعام يأكله وثوب يلبسه وزوجة صالحة تعاونه ويحصن بها فرجه)) (٢) .

وجاء عثمان بن مظعون يوما إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال ((يا رسول الله قد غلبنى حديث النفس ولم أحدث شيئا حتى استأمرتك ، فقال صلى الله عليه وآله : بما حدثتك نفسك يا عثمان ؟ ، قال : هممت بأن أسيح في الأرض ، فقال : فلا تسح فيها فإن سياحة أمتى المساجد ، قال : هممت أن أحرم على نفسي اللحم ، فقال : فلا تفعل فإني أشتهيه وآكله ولو سألت الله أن يطعمنيه كل يوم لفعل ، قال : هممت أن أجب نفسي ، قال : يا عثمان ليس منا من فعل ذلك بنفسه ولا بأحد إن وجاء أمتى الصيام ، قال : أن أحرم خولة على نفسي (يعنى امرأته) ، قال : لا تفعل يا عثمان فإن العبد المؤمن إذا أخذ بيد زوجته كتب الله عز وجل له عشر حسنات ومحي عنه عشر سيئات فإن قبلها كتب الله له

---

(١) مجموعة ورام ج ١ ص ٩ (٢) مكارم الأخلاق ١٩٧

مائة حسنة ومحي عنه مائة سيئة فإن ألم بها كتب له ألف حسنة ومحي عنه ألف سيئة وحضرتهما الملائكة ، وإذا اغتسلا لم يمر الماء على شعرة منهما إلا كتب الله لهما حسنة ومحي عنهما سيئة ، فإن كان ذلك في ليلة باردة قال الله تعالى للملائكة انظروا إلى عبدي هذين اغتسلا في هذه الليلة الباردة علما منهما أني ربهما أشهدكم أني قد غفرت لهما فإن كان لهما في وقعتهما تلك ولد كان لهما وصيفا في الجنة ، ثم ضرب رسول الله صلى الله عليه وآله يده على صدر عثمان وقال : يا عثمان لا ترغب عن سنتي فإن من رغب عن سنتي عرضت له الملائكة يوم القيامة فصرفت وجهه عن حوضي)) (١) .

وهذا ليس منافيا للزهد في الدنيا لأن ما كان لله فليس هو للدنيا وإنما يكون لها ما لم يرد به وجه الله ، فمن أكل حلالا ولبس حلالا من غير إسراف فذلك مرغوب مطلوب إذا قصد به وجه الله ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله ((إن لله ملكا ينادي على بيت المقدس كل ليلة ، من أكل حراما لم يقبل الله منه صرفا ولا عدلا ، والصرف النافلة والعدل الفريضة)) (٢) .

وفي آخر ((ليس الزهد بإضاعة المال ولا بتحريم الحلال بل الزهد في الدنيا أن تكون بما في يدك أوثق منك بما في يد الله)) (٣) ولذا أمروا بالتجميل في الظاهر وإظهار الغنى بين الأعداء والاكتساب لتطمئن نفوسهم ، ونهوا عن الكسل والعجز وذم الشارع عليه السلام السؤال فإنه اعتماد على غير الله فعن عبد الله بن جبلة الكناني قال استقبلني أبو الحسن عليه السلام وقد علقت سمكة في يدي فقال ((اقذفها إني لأكره للرجل السري أن يحمل الشيء الدني بنفسه ، ثم قال عليه السلام : إنكم قوم أعداؤكم كثير يا

---

(١) دعائم الاسلام ج ٢ ص ١٩٠ (٢) عدة الداعي ص ١٥٣ (٣) مشكاة الأنوار ص ١١٣

معشر الشيعة ، إنكم قوم عاداكم الخلق فتزينوا لهم ما قدرتم عليه)) (١) .

وفي بعض الكتب أن سلمان الفارسي رحمه الله اشترى وسقا من الطعام وهو ستون صاعا فقيل له في ذلك فقال ((فإذا هي أحرزت معيشتها اطمأنت)) (٢) ، واعلم أن فعله هذا تعليم لغيره .

وقد ورد ((من تزوج فقد أحرز نصف دينه فليتق الله في النصف الباقي)) (٣) يعني أن سورة شهوته تنكسر بالتزويج فلا يطمح نظره إلى الحرام ، وإذا حبس نفسه عن شهوة النكاح لم يبق إلا حبسها عن ملاذ الطعام وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وآله ما معناه ((هلاك أمتي من الأجوفين البطن والفرج)) فإذا أحرز نفقته سكنت نفسه واطمأنت فيتوجه إلى ما يراد منه وتعلو همته عن الخضوع والتذلل والتملق لأبناء الدنيا طمعا منه في تحصيل الحطام فيكون ذلك وصلة تامة إلى الإقبال على الله والإعراض عما سواه وهذا أمر وجداني لا يحتاج إلى الاستدلال هذا لذوي النفوس الضعيفة ، وأما ذوي النفوس القوية المنقادة لسلطان العقل فإنهم لا يحتاجون إلى ذلك لكمال توكلهم على الله بل ربما يكون جمع الحطام داعيا إلى سوء الظن بالله فيحتاج إلى اكتساب ما لا يعنيه ولو توكل على الله لكفاه ما يعنيه .

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال ((كانت الفقهاء والحكماء إذا كاتب بعضهم بعضا كتبوا ثلاثا ليس معهن رابعة ، من كانت الآخرة همته كفاه الله همه من الدنيا ، ومن أصلح سريرته أصلح الله علانيته ، ومن أصلح فيما بينه وبين الله عز وجل أصلح فيما بينه وبين الناس)) (٤) .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله ((لو أنكم تتوكلون

---

(١) صفات الشيعة ص ١٦ — (٢) تحف العقول ص ٣٥٢
(٤) غوالي اللآلي ج ٣ ص ٢٨٩ — (٤) الخصال ص ١٢٩

على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا)) (١) .

وقال صلى الله عليه وآله ((من انقطع إلى الله كفاه الله كل مؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب ومن انقطع إلى الدنيا وكله الله إليها)) (٢) .

وقال صلى الله عليه وآله ((من سره أن يكون أغنى الناس فليكن بما عند الله أوثق منه بما في يده)) (٣)

وروي عنه أنه إذا أصاب أهله خصاصة قال ((قوموا إلى الصلاة ويقول بهذا أمرني ربي قال الله تعالى ﴿ وأمر أهلك بالصلاة و اصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك و العاقبة للتقوى ﴾ طه ١٣٢)))(٥).

وروي لما قال جبرئيل عليه السلام لابراهيم عليه السلام وقد رمي إلى النار من المنجنيق : ألك حاجة ؟ ، قال : أما إليك فلا ، وفي قوله ((حسبي الله ونعم الوكيل)) أنه قال ذلك حين رمي به فأنزل الله تعالى ﴿ وإبراهيم الذي وفى ﴾ (٦) .

وأوحى الله إلى داود عليه السلام ((ما من عبد يعتصم بي من دون خلقي فتكيده السموات والأرض إلا جعلت له مخرجا)) (٧) .

وقال صلى الله عليه وآله ((أعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم وإلا فلا)) (٨) يريد عليه السلام أن الفقير إذا لم يكن صابرا قانعا راضيا فلا أجر له في فقره فيعرف إيمان الرجل بتوكله على الله ، وعبوديته برضاه عن الله بما يفعله به وعبادته بإخلاصه له تعالى في جميع أعماله ، فهذا ميزان الايمان والعبودية والعبادة .

---

(١) (٢) (٣) (٥) (٧) مجموعة ورام ج ١ ص ٢٢٢ (٤) طه ١٣٢
(٦) النجم ٣٧ (٨) مجموعة ورام ج ١ ص ٢٣٠

وأما ما ورد في الحث على السعي والتكسب فذلك للضعفاء ميانة لأنفسهم عن ذل السؤال، فروي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه إذا رأى الرجل وأعجبه يسأل هل له حرفة أم لا فإذا قيل له لا قال: سقط عن عيني، قيل وكيف ذلك يا رسول الله، قال ((لأن المؤمن إذا لم يكن له حرفة يعيش بدينه)) (١) يريد أنه إذا لم يحترف ألجاته الحاجة إلى السؤال والذل فربما يبيع دينه كما هو ظاهر في أكثر الخلق.

وعن أبي عبدالله عليه السلام قال ((ليكن طلبك المعيشة فوق كسب المضيع ودون طلب الحريص الراضي بدنياه المطمئن إليها، ولكن أنزل نفسك من ذلك بمنزلة المنصف المتعفف ترفع نفسك عن منزلة الواهي الضعيف وتكسب ما لا بد للمؤمن منه، إن الذين أعطوا المال ثم لم يشكروا لا مال لهم)) (٢) يريد عليه السلام أنك لا تجعل يدلك ذليلة بالسؤال والاحتياج إلى الخلق فإن ذلك اعتماد على غير الله فيذهب دين المرء لتحصيل حطام فلا يأمر بمعروف ولا ينهى عن منكر ولا يقول حقا عند من يرجوه ويخشاه، فحينئذ يعبد هواه ويعيش بدينه ويصانع به لأجل دنياه، وفي الحديث المعروف ((مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقربان أجلا ولا يبعدان رزقا إن الأرزاق تنزل من السماء كقطر المطر)) (٣).

وفي الإجمال في الطلب والاقتصاد ما روي عن الحسن عليه السلام أنه قال لرجل ((يا هذا لا تجاهد في الطلب جهد المغالب ولا تتكل على القدر اتكال المستسلم فإن ابتغاء الفضل من السنة والإجمال في الطلب من العفة وليست العفة بدافعة رزقا ولا الحرص بجالب فضلا فإن الرزق مقسوم والأجل موقوت واستعمال الحرص

---

(١) جامع الأخبار ص ١٣٩ (٢) مجموعة ورام ج ١ ص ١٣ (٣) الزهد ص ١٠٥

يورث المآثم)) (١) .

واعلم أن الرزق رزقان رزق يطلبك وهو المحتوم الذي هو من شروط البقاء وأسباب الوجود وبه قوام المرزوق فهذا إذا نفد مات صاحبه وهذا هو المشار إليه بقوله صلى الله عليه وآله ((إن الروح الأمين نفث في روعي أنه لا تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب)) (٢) يعني بالاجمال في طلب الرزق غير المحتوم وهو رزق الفضل والتوسعة فإنه ربما يحصل بالسعي وقد لا يحصل فلذا أمرتم بالاجمال في الطلب ، فالاجمال في طلبه أجمل بصاحبه فإن الإنسان إذا كفل له رزقه الذي به قوامه فطلب الفضول فضول للطالب لأنه يحاسب عليه طالبه مما طلبه وكيف ضيع في طلبه عمره وربما لا يدركه ، قال سبحانه ﴿ فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور ﴾ (٣) فيحاسبكم على ما طلبتم هل طلبتموه من حيث أمرتم أم من غير ما أمرتم بالطلب منه وإن لم يدركه ومن أدركه يحاسب على ما ذكرناه وفيما أنفقه وعمل فيه فالسلامة في القنوع ، فعن ابن عباس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وأنا رديفه يقول ((خلق الله الأرواح قبل الأجسام بأربعة آلاف سنة وخلق الأرزاق قبل الأرواح بأربعة آلاف سنة سواء لمن يسأل ولمن لا يسأل وأنا من الذين لم يسأل الله الرزق)) .

فالمؤمن يرضى بالرزق المحتوم الذي يطلب صاحبه في لجج البحار كما نقل في خبر معناه أن سليمان عليه السلام كان واقفا على ساحل البحر فإذا هو بنملة في فمها حبة قمح فلما وصلت خرج إليها ضفدع ففتحت فاها فوثبت النملة فيه فغاص الضفدع في البحر فبقي سليمان عليه السلام متعجبا مما رأى وبعد مدة خرج الضفدع من البحر ففتح فاه فوثبت النملة إلى الساحل فسألها سليمان عن شأنها فقالت له إن في لجة هذا

---

(١) الحكايات ص ٩٥ (٢) التمحيص ص ٥٢ (٣) الملك ١٥

البحر صخرة في بطنها دودة عمياء فوكلني الله بأن أحمل لها رزقها ووكل هذا الضفدع يحملني ويوصلني إليها ، فسأل سليمان النملة عن تسبيح الدودة ، فقالت : تقول سبحان من لا ينساني وسط هذه اللجة الدهماء في بطن هذه الصخرة الصماء سبحانه وتعالى ، وهذا معنى تعرفه عامة العرب ممن لا يدرك هذه المطالب بالطبيعة التي ركبت فيهم فتجد أحدهم إذا دعا على آخر قال قطع الله رزق فلان يريد به إهلاكه لا فقره يعني أنه إذا انقطع رزقه نفدت مدته وقرب أجله على أنه ليس كل من طلب وجد وجد فرب طالب للدنيا بالجد و العناء الشديد متعب نفسه بالكد و الجهد محروم ، ورب راغب عن الدنيا تارك لها تأتيه بلا عناء ولا طلب ، ورب عاقل لا يقدر على قوت ليلة ، وجاهل قد انقادت له أزمة الأمور بلا كسب ولا حيلة ولا فكر ، وفيما أوحى الله إلى موسى عليه السلام ((يا بن عمران أتدري لم رزقت الأحمق ، قال : لا يا رب ، قال : ليعلم العاقل أن طلب الرزق ليس بالاحتمال)) (١) .

قال أمير المؤمنين عليه السلام :

أرى عاجزا يدعى جليدا لعجزه ... ولو كلف التقوى لكلت مضاربه
وعفا يسمى عاجزا لعفافه ... ولولا التقى ما أعوزته مذاهبه
وآخر مصنوعا له في أموره ... يسدده إخوانه وأقاربه
على غير حزم في الأمور ولا تقى ... ولا نائل جزل تعد مواهبه
ولكنه قبض الإله وبسطه ... فلا ذا يجاريه ولا ذا يغالبه

ومثله :

كم من قوي قوي في تقلبه ... مهذب الرأي عنه الرزق ينحرف
وكم ضعيف ضعيف في تقلبه ... كأنه من خليج البحر يغترف
هذا دليل على أن الإله له ... في الخلق سر خفي ليس ينكشف

---

(١) شرح النهج ج ٣ ص ١٦٠

وما أحسن ما قيل في القناعة :

هي القناعة فالزمها تعش ملكا
لو لم تكن منك إلا راحة البدن
وانظر لمن ملك الدنيا بأجمعها
هل راح منها بغير القطن والكفن

وعن النبي صلى الله عليه وآله ((باكروا في طلب الرزق والحوائج فإن الغدو بركة ونجاح)) ، وقال حكيم الحركة بركة والتواني هلكة والكسل شؤم ، وكلب جوال خير من أسد رابض ، وبعض من الناس ممن لم ينعقد قلبه على التوكل الكامل يخدعه الشيطان عن الحزم فيمثل له الواني في صورة التوكل ويورثه الذل بإحالته على القدر أن الله سبحانه يقول ﴿ فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه ﴾ (١) وقال صلى الله عليه وآله ((اعملوا فكل ميسر لما خلق له وكل عامل بعمله فمن اتكل على الأماني حبسته في سجن الهوان)) ، قال علي أمير المؤمنين عليه السلام ((الأماني بضائع النوكى)) (٢)، وقال عليه السلام ((من أطاع التواني ضيع الحقوق)) (٣) ، وقال لقمان لابنه ((إيالك يا بني والكسل والضجر فإنك إذا كسلت لم تؤد حقا وإذا ضجرت لم تصبر على حق)) (٤) .

واعلم أن جلاء القلوب استماع الحكمة وصداها الملالة والفتور وفي خبر ((إن الله يبغض النوام)) (٥) ، وقال عليه السلام ((أشد الناس حسابا يوم القيامة المكفي الفارغ)) (٦) .

---

(١) الملك ١٥
(٢) الغرر والدرر ص ٣١١
(٣) شرح النهج ج ١٩ ص ٧٠
(٤) مجموعة ورام ج ١ ص ٦٠
(٥) الفقيه ج ٣ ص ١٩٩
(٦) مجموعة ورام ج ١ ص ٦٠

وفي وصية أم سليمان عليه السلام له قالت ((يا بنى إياك وكثرة النوم بالليل فإن كثرة النوم بالليل تدع الرجل فقيرا يوم القيامة)) (١).

وقال الشاعر :

إذا تمنيت بت الليل مغتبطا   إن المنى رأس أموال المفاليس

وقال آخر :

ألم تر أن العجز زوج ابنه بينت   التواني حيث أسدى لها مهرا
وقال اسكنا في الدار أنتما   إذا عشتما لا بد أن تلدا فقرا

ولتعلم أن التواني غير الأناة لأن التواني منشأه من الكسل وغايته تضييع الحزم بعدم القيام بمصالح النفس وإعطاء الحقوق مع الإحالة على القدر فيما لم يضمنه الله وهذا هو الطمع الكاذب ، وأما الأناة فهي حقيقة نفس الحزم بالنظر في العواقب بعدم التفريط في الأمور قبل مواقعها والصبر عليها إلى حين الفرصة ، فالتواني ضد الحزم والأناة ضد العجلة ، ومنشأ الأناة استحكام الرأي ومعرفة موارد الأمور ومصادرها ، ومنشأ العجلة ضعف الرأي والجهل بمواقع الأمور قال علي عليه السلام ((بئس الظهير الرأي القصير فمن نظر في عواقب الأمور وعمل بمقتضاها غنم ، ومن عرف كيف المخرج قبل الولوج فيها سلم)) (٢) وفي التوراة ((الرفق رأس الحكمة)) (٣) ، وعن النبى صلى الله عليه وآله ((من أعطي حقه من الرفق أعطي حظه في الدنيا والآخرة)) (٤) ، وقال لعائشة ((إن الرفق لم يوضع على شيء إلا زانه ولا نزع عن شيء إلا شانه)) (٥) ، وقد

---

(١) أمالي الصدوق ص ٢٣٣ (٢) كشف الغمة ج٢ ص٢٤٩ (٣) غوالي اللآلي ج١ص٣٧١
(٤) شرح النهج ج٦ ص ٣٣٩ (٥) مشكاة الأنوار ص ١٧٩

قيل يد الرفق تجنى ثمر السلامة ويد العجلة تغرس شـجر الملامـة وربما جنت ثمر الندامة .

وفي الاكتساب ما قيل ((إن الله يحب العبد يتخذ المهنة فيستغني بها عن الناس ويبغض العبد يتعلم العلم يتخذه مهنة)) (١) فإن من يكون كذلك لا ينتفع بعلمه بل يكون علمه وبالا عليه وضررا على غيره لبيعه بالثمن الأوكس فيجعل ما كان لله تعالى للخلق فيكون خادما للأوباش ، وحق للعالم أن يكون مخدوما لجميع الناس فينبغي لطالب العلم أن يتعلم حرفة يرفع بها قدره عن السؤال ويصون بها عرضه عن الابتذال .

إن شئت علما فاتخذ حرفة	تصون ماء الوجه لا يبذل
ولا تهنه إن ترى سائلا	فشأن أهل العلم أن يسألوا

وعن ثوبان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله ((من يتقبل لي واحدة أتقبل له الجنة ، فقلت : أنا يا رسول الله ، فقال : لا تسأل الناس شيئا ، فكان ثوبان إذا سقط سوطه لم يأمر أحدا أن يناوله إياه وينزل هو ويأخذه)) (٢) .

وعن علي عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله لأبي ذر رحمه الله ((يا أبا ذر إياك والسؤال فإنه ذل حاضر وفقر تتعجله وفيه حساب طويل يوم القيامة ، يا أبا ذر تعيش وحدك وتموت وحدك وتدخل الجنة وحدك ويسعد بك قوم من أهل العراق يتولون غسلك وتجهيزك ودفنك ، يا أبا ذر لا تسأل بكفك وإن أتاك شيء فاقبله ، ثم قال عليه السلام لأصحابه : ألا أخبركم بشراركم ، قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الأحبة الباغون للبرآء العيب)) (٣) .

---

(١) مجموعة ورام ج ١ ص ٤٢ (٢) مجموعة ورام ج ١ ص ٤٥ (٣) الخصال ص ١٨٢

وقال لقمان لابنه ((يا بني إياك والسؤال فإنه يذهب ماء الحياء من الوجه وأعظم من هذا استخفاف الناس بك)) ، ومن شعر قلته :

وما أنا براكب المفازة طالبا	مطامع تستندى من المدح والشعر
وأهجر إخواني إذا كنت معدما	قليل الثرى يوما وأكتمهم سري
أبذل مالي إذا كنت ذا ثرا	ولا آلف الاقتار أو طلب العذر

وأوصى الله لموسى عليه السلام ((لئن تدخل يدك في فم التنين إلى المرفق خير من أن تبسطها إلى غنى قد نشأ في الفقر)) (١) .

وقال صلى الله عليه وآله ((اطلبوا الحوائج من بطون شبعت ثم جاعت فإن الكرم فيها باق ، ولا تطلبوها من بطون جائعة ثم شبعت فإن اللؤم فيها باق)) .

وقال رجل لابنه إياك أن تريق ماء وجهك عند من لا ماء في وجهه ، يريد بماء الوجه الحياء يعنى لا تذهب حياءك عند بخيل لا حياء له فإن البخيل صلب الوجه ضعيف القلب كما قال علي عليه السلام ((السخي شجاع القلب والبخيل شجاع الوجه)) (٢) .

وقيل لأعرابي ما السقم الذي لا يبرأ والجرح الذي لا يندمل ؟ ، قال : حاجة الكريم إلى اللئيم ، وقال علي عليه السلام ((من كرمت عليه نفسه هان عليه ماله)) (٣) .

وقال عليه السلام ((أبخل الناس بماله أجودهم بعرضه)) (٤) .

---

(١) تحف العقول ص ٣٦٥

(٢) شرح النهج ج ٢٠ ص ٩٠

(٣) شرح النهج ج ٢٠ ص ٣٢٧

(٤) شرح االنهج ج ٢٠ ص ٣٢٧

وقال عليه السلام ((أكرم نفسك عن كل دنية وإن ساقتك إلى الرغائب فإنك لن تعتاض بما تبذل من نفسك عوضا ، ولا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حرا)) (١) .

قال الشاعر :

ما اعتاض باذل وجهه بسؤاله ... عوضا ولو نال الغنى بسؤال
وإذا النوال إلى السؤل قرنته ... رجح السؤال وخف كل نوال

واعلم أن الزهد جسم للتقوى وروحه العلم فرب زاهد متهتك في ظاهره وباطنه ورب جاهل زهد فيما يرغب فيه ، ونقل فيما أوحى الله إلى داود عليه السلام ((يا داود إن الزهد لا يصلح إلا بالعلم كما أن الجسد لا يصلح إلا بالروح ، والعلم لا يصلح إلا بالعمل كما أن الزرع لا يصلح إلا بالماء ، فالعلم دليل الهدى وتركه دليل الردى)) .

قال صلى الله عليه وآله ((هلاك نساء أمتي في الأحمرين في الذهب والثياب الرقاق ، وهلاك رجال أمتي في ترك العلم وجمع المال)) (٢) وكأنه أراد بالثياب الرقاق الغير الساترة تلبسها المتبرجات من النساء وتصبغها بالزعفران وشبهه فكنى عنها بالحمر وشركها مع الذهب في قوله في الأحمرين .

وفي بشارة المصطفى عن كميل بن زياد النخعي عن أمير المؤمنين عليه السلام فيما أوصى به قال ((يا كميل لا تغتر بقوم يصلون فيطيلون ، ويصومون فيداومون ، ويتصدقون فيحسنون وإنهم موقوفون ، يا كميل أقسم بالله لسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول إن الشيطان إذا حمل قوما على الفواحش من الزنى وشرب الخمر والربا وما أشبه ذلك من الخنا والمآثم حبب إليهم العبادة الشديدة والخشوع والركوع والخضوع

---

(١) شرح النهج ج ١٦ ص ٩٣ (٢) إرشاد القلوب ص ١٨٣

والسجود ثم حملهم على ولاية الأئمة الذين يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون ، يا كميل ليس الشأن أن تصلي وتصوم وتتصدق ، الشأن أن تكون الصلاة فعلت بقلب نقي وعمل عند الله مرضي وخشوع سوي)) إلى أن قال عليه السلام ((يا كميل انظر فيم تصلي وعلى ما تصلي إن لم يكن من وجهه وحله فلا قبول)) (١) ، فقوله عليه السلام ليس الشأن يريد ليس الشأن الكامل المراد لله عز وجل نفس الإتيان بظاهر العبادات بمقتضى العادات كما قال سبحانه ﴿ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر ﴾ (٢) يعني البر الكامل الحقيقي .

واعلم أن أئمة الهدى عليهم السلام كثيرا ما ينفون ما علم من الدين ومرادهم نفي الحصر فيه لا نفيه رأسا وذلك للرد على الذين يحصرون المعاني المرادة في بعض منها دون بعض وينفون ما سواه فيجعلونه مستمسكا لهم وحجة على خصومهم وهذا كثير متكرر في أخبارهم عليهم السلام وقد ذكرت طرفا منه في نهج المحجة في مخاطبة الصادق عليه السلام لأبي حنيفة ، وفي رسالة قاب قوسين .

ومن حيل الشيطان في هذا المقام ومخادعته للجهال ما نقله في تفسير قوله تعالى ﴿ كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين ، فكان عاقبتهما أنهما في النار خالدين فيها ﴾ (٣) ومجمل قصتهما أن في بني إسرائيل عابدا يقال له برصيصا وكان شديد العبادة والزهد والتجافي عن الدنيا فكاده إبليس بأنواع من مكائده وحيله من المطاعم وغيرها من المناكح ولذات النفس فلم يقدر عليه فأهمه ذلك فصاح في جنوده فاجتمعوا عنده وقالوا : ما الذي دهاك ، فقال :

---

(١) بشارة المصطفى ص ٢٨ (٢) البقرة ١٧٧ (٣) الحشر ١٦ ـ ١٧

أهمني أمر برصيصا الراهب وقد عجزت عن كيده فمن يكون له ، فقال واحد من أولاده : أنا له ، فقال له : من أين تأتيه ، قال : آتيه من حب النساء ، فقال : لست له ، فقام آخر وآخر وهكذا كل يقول آتيه من جهة كذا من الشهوات فيقول : لست له ، فقال له الأبيض لعنه الله : أنا له ، قال : من أين تأتيه ،قال : آتيه من طريق العبادة ، فقال : أنت له ، ثم أنه أتى له في صورة راهب واشتغل بالعبادة حتى أن برصيصا مقت نفسه واستقل عبادته عند عبادة الخبيث وهو لا يعلم به ، ثم أنه سأله كيف قويت على هذه الحالة من العبادة التى لا يقدر عليها غيرك ، فأعرض عنه ولم يجبه بشيء فاشتد طلبه لمعرفة العلة وتصاغر في نفسه ، ثم أن الشيطان أظهر له الجزع والخوف من الله والندم وأخبره بأنه اقترف ذنبا عظيما فتاب عنه وكان كلما ذكر ذنبه أناب إلى ربه وقويت نفسه وبدنه على فعل الطاعة لله لكسر نفسه ، وخدعه وقال له بأن من لم يذنب ربما دخله العجب ففسد عمله من حيث لا يشعر بخلاف من أذنب فإنه كلما ذكر ذنبه ذل وانكسر في نفسه فاجتهد في عبادة ربه فيكون أقرب إلى الله ، فما زال به حتى تمكنت الشبهة من نفسه ، وكان قد أصاب امرأة لمم من الشيطان فجيء بها إليه ليعزم عليها ويبرئها فزين له الفاحشة معها فأتاها فحملت فخوفه الفضيحة وزين له قتلها لستره على نفسه ويتوب إلى ربه بعد ذلك ، فقتلها وأخفاها ، فأخبر الأبيض أهلها بما جرى ودلهم عليها فأخذوا برصيصا ليقتلوه فتراءى له وقال : اسجد لي سجدة وأنا أخلصك فسجد له وكفر ، فلما هموا بقتله استغاث به فتبرء منه وقال ﴿ إني أخاف الله رب العالمين ﴾ ، وقد أخبر سبحانه بمكائد الشيطان حكاية عنه بقوله ﴿ لآتينهم من بين أيديهم (يعنى من طريق الآخرة) ومن خلفهم (يعنى من طريق الدنيا) وعن أيمانهم (يعنى عن طريق الدين)

وعن شمائلهم (يعني عن طريق الشهوات) ولا تجد أكثرهم شاكرين ﴾ (١).

وحذر منه سبحانه فبالغ في التحذير بقوله ﴿ إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير ﴾ (٢) وقال تعالى ﴿ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا ﴾ (٣)، وقال أمير المؤمنين عليه السلام وقد سمع حروريا يتهجد ((نوم على يقين خير من صلاة في شك أو ظن)) (٤)، وقال عليه السلام ((شتان ما بين عملين عمل تفنى لذته وتبقى تبعته، وعمل تذهب مؤنته ويبقى أجره)) (٥).

وسئل عليه السلام عن الخير ما هو ؟ فقال ((ليس الخير أن يكثر مالك وولدك ولكن الخير أن يكثر عملك وأن يعظم حلمك وأن تباهي الناس بعبادة ربك فإن أحسنت حمدت الله وإن أسأت استغفرت الله، ولا خير في الدنيا إلا لرجلين رجل أذنب ذنوبا فهو يتداركها بالتوبة ورجل يسارع في الخيرات، ولا يقل عمل مع التقوى وكيف يقل ما يتقبل)) (٦).

وقال صلى الله عليه وآله ((طوبى لمن هدي للإسلام وكان عيشه كفافا فقنع به)) (٧).

وقال صلى الله عليه وآله ((أعظم الناس هما المؤمن الذي يهتم لدنياه وآخرته)) (٨).

وقال صلى الله عليه وآله ((طوبى لمن طال عمره وحسن عمله)) (٩) يريد من أكثر الزاد ليوم المعاد فإن الدنيا مزرعة الآخرة.

---

(١) الأعراف ١٧ (٢) فاطر ٦ (٣) البقرة ٢٦٨
(٤) مجموعة ورام ج١ ص ٢٤ (٤) شرح النهج ج١٨ ص٣١٠ (٦) شرح النهج ج١٨ ص ٢٢٠
(٧) مجموعة ورام ج١ ص٢٣٠ (٨) مجموعة ورام ج ١ ص ٤ (٩) أمالي الصدوق ص ٥٦

وفي الاحتجاج بسنده إلى العسكري عليه السلام عن الرضا عليه السلام قال: قال علي بن الحسين عليهما السلام ((إذا رأيتم الرجل قد حسن سمته وهديه وتماوت في منطقه وتخاضع في حركاته فرويدا لا يغرنكم فما أكثر من يعجزه تناول الدنيا وركوب المحارم منها لضعف نيته ومهانته وجبن قلبه فنصب الدنيا فخا لها فهو لا يزال يختل بظاهره فإن تمكن من حرام اقتحمه وإذا وجدتموه يعف عن المال الحرام فرويدا لا يغرنكم فإن شهوات الخلق مختلفة فما أكثر من ينبو عن المال الحرام وإن كثر ويحمل نفسه على شوهاء قبيحة فيأتي منها محرما فإذا وجدتموه يعف عن ذلك فرويدا لا يغرنكم حتى تنظروا ما عقده عقله فما أكثر من ترك ذلك أجمع ثم لا يرجع إلى عقل متين فيكون ما يفسده أكثر مما يصلحه بعقله، فإذا وجدتم عقله متينا فرويدا لا يغرنكم حتى تنظروا أمع هواه يكون على عقله أو يكون مع عقله على هواه وكيف محبته للرئاسات الباطلة وزهده فيها فإن في الناس من خسر الدنيا والآخرة، يترك الدنيا للدنيا ويرى أن لذة الرئاسة الباطلة أفضل من لذة الأموال والنعم المباحة المحللة فيترك ذلك أجمع طلبا للرئاسة ﴿ وحتى إذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد ﴾ (١) فهو يخبط خبط عشواء يقوده أول باطل إلى أبعد غايات الخسارة ويمده ربه بعد طلبه لما لا يقدر عليه في طغيانه فهو يحل ما حرم الله ويحرم ما أحل الله لا يبالي بما فات من دينه إذا سلمت له الرئاسة التي قد شقي من أجلها فأولئك الذين ﴿ غضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيرا ﴾ (٢) ولكن الرجل كل الرجل هو الذي جعل هواه تبعا لأمر الله وقواه مبذولة في رضا الله يرى الذل مع الحق أقرب إلى عز الأبد من العز في الباطل ويعلم أن قليل ما يحتمله من ضرائها يؤديه إلى دوام النعيم في دار لا

---

(١) البقرة ٢٠٦ (٢) الفتح ٦

تبيد ولا تنفد وإن كثيرا ما يلحقه من سرائها ، إن اتبع هواه يؤديه إلى عذاب لا انقطاع له ولا يزول فذلكم الرجل نعم الرجل فيه فتمسكوا وبسنته فاقتدوا وإلى ربكم به فتوسلوا فإنه لا ترد له دعوة ولا تخيب له طلبة)) (١) فأبان عليه السلام في هذا الحديث كثيرا من حيل المتزهدين في الأحوال والهيئات التى يحتال بها على الجهال في طلب الدنيا ولذات نعيمها مرة و طلب رئاستها أخرى ، وإن الرئاسة لا تنحصر في تحشيد الجنود وتبنيد البنود بل من أعظم الرئاسة الباطلة حب الرجل ظهور شأنه ومفاخره وذكره بالجميل وكثير من الخلق يحب ذلك وذكره بعد موته جهلا منه وغفلة لظنه أن ذلك الذكر الجميل ينفعه ويبقى به اسمه ولو عقل لعلم أن كل ذكر جميل في الظاهر يبقى به ذكره بعد موته وبال عليه وعذاب يصل إليه ، وإنما الذكر الذي يصل إليه نفعه هو العمل الصالح الباقي قال سبحانه ﴿ والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا ﴾ (٢) فمهما قدرت تباعد أبناء الزمان ولا تركن إلى أحد منهم فإن قربهم لا ينفع وربما أضر إذ هم كل امرئ منهم نفع نفسه فهم عبيد من كانت الدنيا عنده لا يفون لصديق ولا يرعون حميما إن استغنى اتبعوه وإن افتقر تركوه وقلوه فكان فعلهم كاشفا عن عدم ودادهم وإنما مدار أمرهم نفع أنفسهم .

المرء في زمن الإقبال كالشجرة ... والناس من حوله ما دامت الثمرة
إذا تساقط عنها حملها ارتحلوا ... وخلفوها تقاسي الريح والغبرة

وما أحسن ما قيل :

الناس أتباع من دامت له النعم ... والويل للمرء إن زلت به القدم
المال زين ومن قلت دراهمه ... حي كمن مات إلا أنه صنم
لما رأيت أحبائي وخالصتي ... الكل مستتر عني ومحتشم
أبدوا جفاء وإعراضا قلت لهم ... ما الذنب مني فقالوا ذنبك العدم

---

(١) الاحتجاج ص ٣٢١ (٢) الكهف ٤٦

فإذا كانت الحال هذه فابعد عنهم حال غناك كما بعدوا عنك حال عناك و اطلب نفع نفسك عنه كما يطلب نفع نفسه منك ، قال بعض الحكماء : إذا افتقر الانسان اتهمه من كان به مؤتمنا وأساء به الظن من كان به محسنا ، وليس خلة هي للغنى مدح إلا وهي عيب لفقير فإن كان وقورا سمي بليدا وإن كان لينا سمي مهذارا وإن كان صموتا سمي عييا .

وأوصى حكيم ابنه وقال يا بنى عليك بطلب العلم وجمع المال فإن الانسان صنفان خاصة وعامة فالخاصة تكرمك للعلم والعامة تكرمك للمال .

وقال لقمان لابنه ((يا بنى شيئان إذا أنت حفظتهما لا تبالي ما ضيعت بعدهما دينك لمعادك ودرهمك لمعاشك)) .

وقال علي عليه السلام ((الأصدقاء كالنار خذ منها موضع الحاجة)) ، وقال الصادق عليه السلام ((اجعل ألف صديق واحدا وكن منه على حذر ، فقال له رجل يوما : أوصني يا ابن رسول الله ، فقال : أقلل معارفك ، قال : زدني ، قال : أنكر من عرفت منهم)) (١) .

واعلم أن المراد بجمع المال هو الجمع النافع في غير تقتير ولا إسراف بقدر الكفاف وما يغنى به عيلته ويصون بها عرضه ، لا أن المراد به جمع ما لا يحتاج له من الحطام وهو المشار إليه بقوله تعالى ﴿ كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين ﴾ (٢) يريد تصدقوا بالبعض وكلوا البعض ولا تتصدقوا بالكل فيبقى من تعولونه يتكفف الناس فإن ذلك من أعظم الاسراف فأمروا بالاقتصاد ، فعن سليمان بن صالح قال قلت لأبي عبدالله عليه السلام أدنى ما يجيء من حد الاسراف فقال ((السرف في ثلاث إبتذالك ثوب صونك ، وإلقاؤك النوى يمينا

---

(١) التحصين ص ١١
(٢) الأنعام ١٤١

ويسارا ، وإهراقك فضلة الماء)) (١) فيكون على هذا الإسراف في جميع مراتبه ضد الاقتصاد في جميع مراتبه فعليك بالعزلة عن الناس تنجو من شرهم وكيدهم ، فإن لقمان الحكيم عليه السلام كان يطيل الجلوس وحده فكان يمر به مولاه فيقول يا لقمان إنك تديم الجلوس وحدك فلو جلست مع الناس كان آنس لك فيقول لقمان إن طول الوحدة أفهم للفكرة وطول الفكرة دليل على طريق الجنة)) .

وقال صلى الله عليه وآله ((من أراد أن لا يستوحش في قبره فليكثر الاعتزال عن الناس ، و ((علامة الأنس بالله الوحشة من الناس)) (٢) وهذا ظاهر البيان لمن كانت له عينان لأن من أنس بالخلق غفل عن الخالق فيذهب أنسه به عند مفارقته لهم فيبقى بلا أنيس ، وأول الوحشة دخول القبر لأنه باب الآخرة وهو الحاجز بين الدنيا والآخرة ، ومن تخلى عن الخلق أنس بالخالق فكان نصب عينيه غير غافل عنه فإذا مات بقي أنيسه معه مقبلا عليه برحمته ، وعن سفيان الثوري قال : سمعت الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام يقول ((عزت السلامة حتى لقد خفي مطلبها فإن تكن في شيء فيوشك أن تكون في الخمول فإن طلبت في خمول فلم توجد فيوشك أن تكون في الصمت فإن طلبت في الصمت فلم توجد فيوشك أن تكون في التخلي فإن طلبت في التخلي فلم توجد فيوشك أن تكون في كلام السلف الصالح ، والسعيد من وجد في نفسه خلوة يشغل بها)) (٣) .

وعن النبي صلى الله عليه وآله أن قال ((طوبى للغرباء ، قيل : من الغرباء يا رسول الله ؟ ، قال : أناس صالحون قليل في أناس سوء كثير ، من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم)) (٤) .

وأوحى الله إلى بعض أوليائه ((إذا أردت لقائي في

---

(١) الخصال ص ٩٣ — (٢) أعلام الدين ص ٣١٣

(٣) البحار ج ٧٨ ص ٢٠٢ — (٤) مجموعة ورام ج ١ ص ٣

حظيرة القدس فكن في الدنيا غريبا وحيدا محزونا مستوحشا كالطير الوحداني الذي يطير في الأرض المقفرة ويأكل من رؤوس الأشجار المثمرة فإذا كان الليل أوى إلى وكره ولم يكن مع الطير استئناسا بربه واستيحاشا من الناس)) (١).

وقال صلى الله عليه وآله ((عليكم بالعزلة فإنها عبادة)) (٢)، ونقل عن بعضهم أنه قال: وجدت في قلبي في بعض الأيام قساوة فصعدت جبل بنان فاستقبلني رجل فقال لي: يا قاسي القلب، قلت: لبيك، قال: أمسك قلبك بالجوع يلن قلبك، ثم قال: يا كثير الغم، قلت: لبيك، قال: اقنع يذهب غمك، ثم قال: يا كثير الأحزان، قلت: لبيك، قال: اعتزل الناس يذهب همك، ثم قال: يا عبد الخلق، قلت: لبيك، قال: ارفض الشهوات تكن حرا، ثم قال: يا منغص العيش، قلت: لبيك، قال: اقتصر أملك يطب عيشك، ثم قال: يا غافل القلب، قلت لبيك، قال: إن لم تنتفع بهذه الخصال لم تنتفع بشيء بعدها))، ولا شك أن الوحشة عند العاقل مخالطة العامة، والأنس مفارقتهم فما دمت معهم لا تملك من نفسك شيئا ولا تنتفع بها فتكون مقيدا بقيد النفاق فتحملك نفسك على ما تريده منك فإذا فارقتهم أنست بنفسك إذ ملكتها فكانت في وثاقك تؤدبها بآدابك فتحملها على مرادك، وما أحسن ما قال دعبل بن علي الخزاعي حين سئل عن الوحشة فقال: النظر إلى الناس وأنشد:

ما أكثر الناس لا بل ما أقلهم ... الله يعلم أني لم أقل فندا
إني لأفتح عيني حين أفتحها ... على كثير ولكن لا أرى أحدا

وقال الآخر:

فطوبى لنفس أوطنت قعر دارها ... مغلقة الأبواب مرخى حجابها
فما تخرب الدنيا بموت شرارها ... ولكن بموت الأكرمين خرابها

---

(١) أعلام الدين ص ٢٧٩ (٢) مجموعة ورام ج ٢ ص ٢٣٥

والحق أن الدنيا تعمر بموت الأشرار قال عليه السلام ((أعم الأشياء نفعا موت الأشرار)) (١) فالأولى أن يقول :

بلى تعمر الدنيا بموت شرارها وكان بموت الأكرمين خرابها

واعلم أن أبناء الدنيا جواسيس العيوب فهم إخوان مكاشرة لا إخوان صفا فجانبهم تغنم وتجافى عن دارهم تسلم فإنها غدارة تقطع الرقاب وتؤدي إلى الخراب وتفرق الأحباب ، نقل أن رجلا قال لعيسى عليه السلام : أكون معك فأصحبك ، فانطلقا فانتهيا إلى شط نهر فجلسا يتغذيان ومعهما ثلاثة أرغفة فأكلا رغيفين وبقي رغيف فقام عيسى عليه السلام إلى النهر فشرب ماء ثم جاء فلم رجع الرغيف فقال للرجل : من أخذ الرغيف ؟ قال : لا أدري ، قال فانطلق ومعه صاحبه فرأى ظبية معها خشفان لها فدعا أحدهما فأتاه فذبحه فاشتوى منه فأكل هو وذلك الرجل ثم قال للخشف قم بإذن الله تعالى ، فقام فذهب فقال للرجل : أسألك بالذي أراك هذه الآية من أخذ الرغيف ؟ قال : لا أدري ، ثم انتهيا إلى وادي ماء فأخذ عيسى عليه السلام بيد الرجل فمشيا على الماء فلما جاوزا قال : أسألك بالذي أراك هذه الآية من أخذ الرغيف ؟ قال : لا أدري ، قال فانتهيا إلى مفازة فجلسا فجمع عيسى عليه السلام ترابا أو كثيبا فقال كن ذهبا بإذن الله فصار ذهبا فقسمه ثلاثة أثلاث فقال ثلث لي وثلث لك وثلث لمن أخذ الرغيف ، قال : فأنا أخذت الرغيف ، فقال : فكله لك ، قال وفارقه عيسى عليه السلام فانتهى إليه رجلان في المفازة ومعه المال فأرادا أن يأخذاه منه ويقتلاه ، قال : هو بيننا أثلاث ، قال : فابعثوا أحدكم إلى القرية حتى يشتري طعاما فبعثوا أحدهم فقال الذي

(١) شرح النهج ج ٢٠ ص ٣٣١

بعث : لأي شيء أقاسم هؤلاء هذا المال ولكني أضع في هذا الطعام سما فأقتلهما ففعل ، وقال أولئك لأي شيء نجعل لهذا ثلث المال ولكن إذا رجع قتلناه واقتسمنا المال بيننا ، قال فلما رجع إليهما قتلاه وأكلا الطعام فماتا فبقي ذلك المال في المفازة وأولئك الثلاثة قتلى عنده ، فمر بهم عيسى عليه السلام وهم على تلك الحال فقال لأصحابه : هذه الدنيا فاحذروها (١) .

وهذا مثال أوردناه في واقعة خاصة وهو مطابق لجميع أحوال الدنيا وأهلها فإن كل من جمع نحاسا أو حديدا أو فضة أو ذهبا وخزفا وترابا لا يصحب شيئا معه وإنما يدخره لمن بعده ومن بعده لمن بعده فإن سلب منه في حياته وإلا سلب منه بعد مماته وإليه الإشارة بقوله تعالى ﴿ إنا نحن نرث الأرض ومن عليها وإلينا يرجعون ﴾ (٢) يعني أنهم لا يملكون ما آتيناهم وإنما هي أمانة يستردها مالكها فيرجعون إليه فيحاسبهم على ما عملوا في الذي ائتمنهم فيه فلو عقلوا لعلموا أن ليس لهم من ذلك سوى ضر المناقشة وسوء الحساب ومصداقه قوله عليه السلام ((في حلالها حساب وفي حرامها عقاب)) (٣) فمثلهم كمثل من استودع وديعة فخان فيها فأخذه صاحبها فاستردها منه بعد طول الإهانة والتنكيل ولم ينتفع بها ولم يسلم من عقوبتها ، ولو أنه ردها لصاحبها لسلم مما أصابه من العذاب وحمده مالكها على أمانته وأثابه وقربه منه وانتفع أكثر مما لو وهبه إياها وكأني بك تعجب من جهل ذلك الرجل وتظن من نفسك أنك لو كنت أنت لما فعلت ما فعل لأجل هذه الدنية رغيف فما دونه ولم تعلم أنه من تجرأ على الصغائر هانت عليه الكبائر ومن فعل الكبائر لم يبالي بالصغائر فإن الدنيا رغيف ورغيف ودرهم ونصف درهم فمن ذلك اجتمعت .

---

(١) مجموعة ورام ج ١ ص ١٧٩ (٢) مريم ٤٠ (٣) شرح النهج ج ٦ ص ٢٣٨

اقنع بعيشك ترضه   واترك هواك فانت حر
فلرب حتف فوقه   ذهب وياقوت ودر

اللهم ارحمنى برحمتك وأعنى على طاعتك يا أرحم الراحمين .

وكان يقال : من جرى في عنان عمله كان عاثرا في ميدان أجله ، ولو ظهرت الآجال لافتضحت الآمال ، وقال حكيم : إياكم وطول الأمل فمن ألهاه طول أمله أخزاه عمله ففي هلاك الماضين عبرة للباقين .

قيل أن الاسكندر لما خرج قافلا من بابل وقد أحاطت به البلابل وظهرت على جسمه الأسقام وثقل لسانه عن الكلام وقد أخبر بأنه يموت فوق أرض من الحديد وتحت سماء من الحديد ثم أخذه العطش والحمى ففرشوا تحته درعا من حديد وأظلوه بحجب الفولاذ استجلابا للتبريد فلما أفاق ورأى ما تحته وما فوقه أيقن بالارتحال فكتب إلى أمه بصورة حاله وأوصاها أن تعمل وليمة عظيمة الأسلوب ولا يحضرها إلا من لم يصب بخليل ولا محبوب فلما مات ووضع في تابوت وحمل إلى أمه إلى الاسكندرية وكان عمره ست وثلاثين سنة وملكه تسع سنين فقال حكيم من الحكماء : ليتكلم كل منكم بكلام يكون واعظا للخاصة مغريا للعامة ، فقال واحدا منهم : لقد أصبح مستئسر الملوك أسيرا ، وقال آخر : يا من أغضبه الموت هلا غضبت على الموت ، وقال آخر : سيلحق بك من سره موتك وأطالوا ، فلما ورد على أمه في التابوت شرعت في عمل الوليمة وهيأت أنواع المآكل والمطاعم ونادت أن لا يحضر الوليمة إلا من لم يفجع في الدنيا بمحبوب ولا خليل فلم يحضر الوليمة أحد ، فقالت : ما بال الناس لا يحضرون الوليمة ، فقالوا : أنت منعتيهم من الحضور ، قالت : كيف ذلك ، فقالوا لها : إنك أمرت أن لا يحضر هذه الوليمة إلا من لم يفقد محبوبا ولم يفجع بخليل وليس في الناس إلا من

أصيب مرارا ، فحين سمعت ذلك خف ما بها من الحزن وتسلت بعض التسلية وقالت : يرحم الله ولدي لقد عزاني بنفسه بأحسن تعزية وألطف تسلية .

يا هذا أين الملوك وأين أرباب الدول لم يبق لهم عين ولا أثر قال سبحانه لنبيه صلى الله عليه وآله ﴿ وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون ﴾ (١) ﴿ كل نفس ذائقة الموت ﴾ (٢)

ومن شعر قلته :

لقد مات خير الخلق طرا محمد ... ومات علي ذو العلى والمكارم
وقد مات سبطا أحمد خيرة الورى ... ومات كرام الناس من آل هاشم
وقد مالت الدنيا على كل سيد ... كريم ولا تبقي إلا قرارا لظالم
فأين القرون الأولون وأين ... من سما منزلا فوق النجوم العواتم
وأين الصناديد القروم وأين من ... تحلى بأثواب الشباب النواعم
ومن يرتجى يوما لدفع كريهة ... إذا نشبت ناب الردى بالحيازم
لقد غالهم صرف الردى فتفرقوا ... عباديد أشلاء النسور القشاعم
وقد مات أصل الناس حوا وآدم ... ومن قد مضى في عصره المتقادم

ومن المأثور من النظم المهيج للشجون المحدر للشئون من مقرحات الجفون ما قيل في مثل هذا المقام .

يداي تجمع والآثار تندرس ... ونأمل اللبث والأرواح تختلس
يا آمل اللبث ما في الخلد من طمع ... لا بد أن ينتهي أمري وينعكس
أين الملوك وملاك الملوك ومـ ... ـن كانوا إذا الناس قاموا هيبة جلسوا
ومن سيوفهم في كل معركة ... تخشى ودونهم الحجاب والحرس
أمرهم حدث أم ضمهم جدث ... باتوا وهم جثث في الترب قد حبسوا
أضحوا بمعركة في وسط معركة صر ... عى وما للورى من فوقهم فطس
حتى كأنهم ما كانوا وما خلقوا ... ومات ذكرهم بين الورى ونسوا
والله لو شاهدت عيناك ما صنعت ... يد البلاء بهم والدود يفترس
لعاينت منظرا تسبى العقول به ... وعاينت منظرا من دونه البلس
من أوجه ناضرات حار ناظرها ... ورونق الحسن فيها كيف ينطمس

وأعظم باليات ما بها رمق — وليس تبقى بهذا وهي تنتهس
والسن ناطقات زانها أدب — ما شأنها شانها بالآفة الخرس
تشينهم ألسن في الدهر فاغرة — آها فآها لهم إذ بالردى ركسوا
وعاد ترب الحنايا من ملابسهم — جرد الثياب وقدما زانها الورس
حيا منادي الهوى لا ترعوي أبدا — ودمع عينيك لا تهمي وتنبجس

فسبحان من لا يزول ملكه ولا يبقى إلا وجهه له الحكم وإليه يرجع الأمر لا إله إلا هو العزيز الحكيم .

الباب الثالث

في الصبر وما يتعلق به من البلاء

وما يختص به من الأولياء

الباب الثالث

في الصبر وما يتعلق به من البلاء ومن يختص به من الأولياء

فالصبر في اللغة الحبس ومنه الحديث لم يقتل الرسول صلى الله عليه وآله رجلا صبرا قط .وفي الاصطلاح الصبر حبس النفس عما تحب وترك الجزع عند ما تكره وتوطينها على مالا يلائمها فإن كان امتثالا لأمر الله ورضا بقضاه فذالك هو المحمود وإن كان لغير الله فلا حمد فيه والصبر أفضل العبادات البدنيه ومن أعلى الأعمال القلبية حتى قال الصادق عليه السلام ((الصبر رأس الايمان)) (١) وقال ((الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد فإذا ذهب الرأس ذهب الجسد كذلك إذا ذهب الصبر ذهب الايمان)) (٢) .

وقد قال النبي صلى الله عليه وآله ((الايمان شطران شطر صبر وشطر شكر)) (٣) فمدح الله أهل الصبر في مواضع من كتابه فقال عز من قائل ﴿ والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون ﴾ (٤) ، وقال ﴿ أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ﴾ (٥) يعنى أجرا على الشدة وأجرا

(١) الغرر والدرر ص ٢٨٠ (٢) مشكاة الأنوار ص ٢١ (٣) غوالي اللآلي ج٢ص٦٦
(٤) البقرة ١٧٧ (٥) القصص ٥٤

على الصبر عليها ، وقال ﴿ ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور ﴾ (١) ، وقال تعالى ﴿ وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾ (٢) ، وفي الحديث ((الصبر صبران صبر على ما تكره وصبر عما تحب)) (٣) ، فالأول مقاومة النفس للمكاره وعدم انفعالها بها وثباتها عند الشدائد وتحمل مشاقها وهذا من أنواع الشجاعة فلا يكون إلا لرابط الجأش ، والثاني مغالبة النفس لشهواتها وقهرها عندها وهذا نوع من العفة ، فإن تعدى بعن هو عن المعاصي يقال صبرت عن أكل الحرام وعن الزنا وأمثال ذلك ، وإن تعدى بعلى فهو على الطاعات يقال صبرت على المكاره وصبرت على الصلاة والصوم والجهاد وأمثال ذلك وهو أشد الأعمال على النفس .

ففي الخبر ((يأتي زمان الصابر منهم على دينه كالقابض على الجمر)) (٤) وفي خبر آخر بدل الصابر القابض على دينه ، وعن أبي جعفر عليه السلام قال ((الجنة محفوفة بالمكاره والصبر ، من صبر على المكاره في الدنيا دخل الجنة ، وجهنم محفوفة باللذات والشهوات فمن أعطى نفسه لذتها وشهوتها دخل النار)) (١) .

وعن الصادق عليه السلام ((إذا دخل المؤمن قبره كانت الصلوة عن يمينه والزكاة عن يساره والبر مظل عليه ويتنحى الصبر ناحية ، قال : فإذا دخل عليه الملكان اللذان يليان مساءلته قال الصبر للصلوة والزكاة والبر دونكم صاحبكم فإن عجزتم عنه فأنا دونه)) (٦) ، وقال أبو جعفر عليه السلام لما حضرت أبي علي بن الحسين عليهما السلام الوفاة ضمني إلى صدره وقال ((بني أوصيك بما أوصاني به أبي حين حضرته الوفاة وما ذكر أن أباه أوصاه به يا بني اصبر على الحق وإن كان مرا)) .

---

(١) الشورى ٤٣ (٢) العصر ٣ (٣) شرح النهج ج ١٨ ص ١٨٩
(٤) جامع الأخبار ص ١٣٠ (٥) مسكن الفؤاد ص٤٦ (٦) ثواب الأعمال ص ١٧٠

وعنه عليه السلام قال ((الصبر صبران ، صبر على البلاء حسن جميل ، وافضل الصبرين الورع عن المحارم)) (١).

وعن علي عليه السلام قال رسول الله صلى الله عليه وآله ((الصبر ثلاثة ، صبر على المصيبة وصبر على الطاعة وصبر عن المعصية ، فمن صبر على المصيبة حتى يرها بحسن عزائها كتب الله له ثلاثمائة درجة ما بين الدرجة إلى الدرجة كما بين تخوم الأرض إلى العرش ، ومن صبر على الطاعة كتب الله له ستمائة درجه ما بين الدرجة إلى الدرجة كما بين تخوم الأرض إلى العرش ، ومن صبر عن المعصية كتب الله له تسع مائة درجة ما بين الدرجة إلى الدرجة كما بين تخوم الأرض إلى منتهى العرش)) (٢) .

وقال أبو عبدالله عليه السلام ((من ابتلي من المؤمنين ببلاء فصبر عليه كان له مثل أجر ألف شهيد)) (٣) .

وعنه عليه السلام قال ((إن الله عز وجل أنعم على قوم فلم بالمواهب يشكروا فصارت عليهم وبالا وابتلى قوما بالمصائب فصبروا فصارت عليهم نعمة)) (٤) .

وعن أبي جميلة عن بعض أصحابه قال ((لولا أن الصبر خلق قبل البلاء لتفطر المؤمن كما تتفطر البيضة على الصفا)) (٥) ، يريد أن المؤمن يوطن نفسه على المصائب قبل وقوعها فإذا وردت عليه وردت على نفس مطمئنة راضية محتملة ولو أتته المحن والمصائب غافلا غير موطن نفسه فجأة لمات لضعف نفسه عن احتمالها وهذا كثيرا ما يجري لبعض ضعفاء النفوس خصوصا المترفين وإنما ذكر المؤمن إيذانا بأن حلول المصائب وتداركها إنما يكون على المؤمن غالبا هذا في الظاهر وأما في الحقيقة فالمراد بخلق

---

(١) مجموعة ورام ج١ ص١٦ (٢) مجموعة ورام ج١ ص٤٠ (٣) مشكاة الأنوار ص ٢٦
(٤) أمالي الصدوق ص ٣٠٢ (٥) البحار ج ٧١ ص ٨٢

الصبر قبل البلاء إيجاده من لوازم النفوس وصفاتها وأما البلاء فليس من صفاتها ولا من لوازمها وإنما هو أمر طار لأجل دواع ومقتضيات عرضية إما للتكميل وزيادة الأجر أو للتنكيل وزيادة العذاب .

وعن أبي عبدالله عليه السلام قال((إنا لنصبر وإن شيعتنا أصبر منا ، قال : فاستعظمت ذلك فقلت جعلت فداك : كيف يكون شيعتكم أصبر منكم ، قال : لأنا نصبر على ما نعلم وأنتم تصبرون على مالا تعلمون)) (١) ومعناه أظهر مما قيل في بيانه .

وعن أبي جعفر عليه السلام ((مروة الصبر في حال الفاقة والحاجة والتعفف والغنى أكثر من مروة الاعطاء)) (٢) .

وعن أحدهما عليهما السلام ((من لا يعد الصبر لنوائب الدهر يعجز)) (٣) .

وعن جابر قال قلت لأبي جعفر عليه السلام ((يرحمك الله ما الصبر الجميل ؟ قال : ذلك صبر ليس فيه شكوى إلى أحد من الناس)) (٤) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم ((الصبر نصف الايمان واليقين الايمان كله)) (٥) .

وفي الخبر ((لو كان الصبر رجلا لكان كريما)) (٦) .

وقال أمير المؤمنين عليه السلام ((اصبر على عمل لا غنى لك عن ثوابه ومن عمل لا طاقة لك على عقابه ، اصبر لحكم من لا معول إلا عليه ولا مفزع إلا إليه)) (٧) .

وقال عليه السلام ((عليك بالصبر فبه يأخذ العاقل وإليه يرجع

---

(١) مشكاة الأنوار ص ٢٧٤ (٢) مشكاة الأنوار ص ٢٦ (٣) مجموعة ورام ج٢ ص٩٣
(٤) مشكاة الأنوار ص٢٧٦ (٥) مجموعة ورام ج١ ص٤٠ (٦) شرح النهج ج١ ص٣١٩
(٧) مجموعة ورام ج٢ ص٢٥٣

الجاهل)) (١) ، يعني أن العاقل يصبر باختياره لعلمه بعاقبته وأما الجاهل فلا بريص احتسابا ولكنه لابد من أن يصبر مكرها إذ لا مناص عنه وهو معنى إليه يرجع الجاهل .

ووقف عليه السلام على قوم قد أصيبوا بموت رجل منهم فقال لهم ((إن تجزعوا فحق الرحم بلغتم وحق الله ضيعتم ، وإن تصبروا فحق الله اديتم وحق الرحم بلغتم)) (٢)

وقال عليه السلام ((الصبر صبران صبر عند المصيبة جميل وأحسن من ذلك الصبر عن ما حرم الله عليك ، والذكر ذكران ذكر الله عز وجل عند المصيبة وأفضل من ذلك ذكر الله عز وجل عند ما حرم الله عليك فيكون حاجزا)) (٣) .

وروي عن الصادق عليه السلام ((إن قوما ممن كان قبلكم ابتلوا فصبروا وإنكم لستم مثلهم فاسئلوا الله العافية)) .

واعلم أن الصبر على البلاء مقام الأبرار والشكر عليه والرضا به مقام المقربين كما أخبر به الباقر عليه السلام عن نفسه في كلامه لجابر بن عبدالله الأنصاري وليس كل من قال صدق فعله قوله ، ونقل بعض أهل السير أن رجلا من الصلحاء لقب نفسه بالكذاب لأجل بيت قال وهو :

فليس لي في سوالك حظ   فكيف ما شئت فامتحنى

فابتلاه الله بحصر البول فتضجر ولم يصبر فلذا لقب نفسه بالكذاب .

ونقل عن ابن فارض أنه قال :

وبما شئت في هوالك اختبرني   فاختياري ما كان فيه رضاكا

أصابه حصر البول فكان يغدو إلى مكاتب الصبيان ويقول ادعوا لعمكم الكذاب .

وهذه حالة يدعيها بعض تبعا لبعض إما لصناعة الشعر والتمثيل وإما قصد لمشابهة الكمل من الرجال طمعا فيما لا مطمع له فيه عليه ،

---

(١) (٢) مجموعة ورام ج ٢ ص ٢٥٣   (٣) مجموعة ورام ج ١ ص ١٦

كما نقل أن داود عليه السلام لما قال ربي ابتلني لأصبر ، أوحى الله إليه هلا سألتني العافية استعد للبلاء فعند ذلك خاف وأناب وتنصل مما سأل .

واعلم أن الصبر مفتاح الفرج والنصر بالصبر فمن صبر فاز بالظفر وأدرك الأجر ، ونقل أن عليا عليه السلام قال ((الصبر مطية لا تدبر وسيف لا يكل)) وقال عليه السلام ((الصبر على المصيبة مصيبة على الشامت بها)) (١) .

((حيلة من لا حيلة له الصبر)) (٢) .

ومدح الله الصابرين ووعدهم النصرة قال سبحانه ﴿ وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا ﴾ (٣) وقال تعالى ﴿ وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا ﴾ (٤) وقال تعالى ﴿ إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ﴾ (٥) وقال لنبيه صلى الله عليه وآله ﴿ فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ﴾ (٦) وقال عز وجل ﴿ ولئن صبرتم لهو خير للصابرين ﴾ (٧) ﴿ واصبر وما صبرك إلا بالله ﴾ (٨) ، ومن الشعر المنسوب إلى أمير المؤمنين عليه السلام :

اصبر على مضض الادلاج والسحر وفي الرواح على الطاعات والبكر
اني علمت وفي الأيام تجربة للصبر عاقبة محمودة الأثر
وقل من جد في أمر يحاوله واستصحب الصبر إلا فاز بالظفر

وعن الصادق عليه السلام ((من أعطي أربعا لم يحرم أربعا ، من أعطي الدعاء لم يحرم الاجابة ، ومن أعطي الاستغفار لم يحرم التوبة ، ومن أعطي الشكر لم يحرم الزيادة ، ومن أعطي الصبر لم يحرم الآجر)) (٩) وهذه منصوص عليها في كتاب الله. يقول الله عز اسمه

---

(١) كشف الغمة ج٢ ص٣٩٤ (٢) كمال الدين ص ٥٧٥ (٣) السجدة ٢٤
(٤) الأعراف ١٣٧ (٥) الزمر ١٠ (٦) الأحقاف ٣٥
(٧) النحل ١٢٦ (٨) النحل ١٢٧ (٩) الخصال ص ٢٠٢

﴿ ادعوني أستجب لكم ﴾ (١) ويقول ﴿ استغفروا ربكم انه كان غفارا ﴾ (٢) ﴿ واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى ﴾ (٣) وقال عز من قائل ﴿ لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد ﴾ (٤) وقال تعالى ﴿ إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ﴾ (٥).

وأما البلاء فهو الاختبار والامتحان ويكون بالخير والشر وهو على ثلاثة أوجه نعمة واختبار ومكروه، ويفرق بين البلاء بالخير وبين البلاء بالشر. يقال بلاه الله بلاءا حسنا وابتلاه بالفقر والمرض، وفي الدعاء ((لا تبتلنا إلا بالبلاء الحسن)).

واعلم أن البلاء هدية الله إلى عبده المؤمن، فروي عن أبي عبدالله عليه السلام قال ((إن لله عز وجل عبادا في الأرض من خالص عباده ما تنزل من السماء تحفة إلى الأرض إلا صرفها الله عنهم وما تنزل من السماء بلية إلا صرفها إليهم)) (٦).

وقال الباقر عليه السلام ((إن الله تبارك وتعالى إذا أحب عبدا غته بالبلاء غتا وسجه بالبلاء سجا فإذا دعاه قال لبيك عبدي لئن عجلت لك ما سئلت إني على ذلك لقادر ولئن ذخرت لك فما ادخرت لك خير لك)) (٧).

وقال عليه السلام ((إنما ابتلي المؤمن في الدنيا على قدر دينه أو قال حسب دينه)) (٨).

وقال الصادق عليه السلام ((لو يعلم المؤمن ماله من الأجر في المصائب لتمنى انه قرض بالمقاريض)) (٩).

---

(١) غافر ٦٠ — (٢) نوح ١٠ — (٣) طه ٨٢
(٤) إبراهيم ٧ — (٥) الزمر ١٠ — (٦) مجموعة ورام ج١ ص ١٧
(٧) المؤمن ص ٢٥ — (٨) مشكاة الأنوار ص ٢٩٨ — (٩) مجموعة ورام ج٢ ص ٢٠٤

وقال ((إنما المؤمن بمنزلة كفة الميزان كلما زيد في إيمانه زيد في بلائه)) (١) .

وقال عليه السلام ((إن عظيم الأجر لمع عظيم البلاء وما احب الله قوما إلا ابتلاهم)) (٢) .

ونقل أن الله سبحانه ينزل كل يوم من السماء إلى الأرض تحفات ومصيبات فيأمر الملائكة اقسموا التحفات على أعدائي واقسموا المصيبات على أحبائي ، ونقل العامة عن النبي صلى الله عليه وآله ((إذا أحب الله عبدا ابتلاه فإذا أحبه الحب البالغ اقتناه ، قالوا : وما اقتناؤه ، قال : لا يترك له مالا ولا ولدا)) (٣) ، فالعبودية هنا المراد بها عبودية الاختصاص لا عبودية الرق ، إذ عبودية الاختصاص عبودية الأولياء الذين قال فيهم ﴿ إن عبادي ليس لك عليهم سلطان ﴾ (٤) ، وقال حكاية عن إبليس ﴿ لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين ﴾ (٥) ، وأما عبودية الملك والرق فهي الشاملة للنوعين المميزة في مقام العتاب لأحدهما أعني غير المخلصين وهما المرادان بقوله ﴿ يا عبادي فاتقون ﴾ (٦) وقوله ﴿ لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين وان اعبدوني هذا صراط مستقيم ﴾ (٧) .

فالبلاء تحفة الأولياء في دار الدنيا كما أن العافية خاصة الأعداء ، فالمؤمن الخالص لا يزال في البلاء حتى يأتيه الموت والكافر الخالص لا يزال في الراحة حتى يأتيه الموت وأما من سواهما فبلاؤه وعافيته على حسب مقامه في متابعته لمتبوعه فالكمل من أتباع أولياء الله وحججه يسرع إليهم البلاء وإنما تحصل لهم الراحة بالعافية في الأبدان والأهل والمال فترات عناية من الله بهم

---

(١) مشكاة الأنوار ص ٢٩٨ (٢) مجموعة ورام ج ٢ ص ١٨٩ (٣) شرح النهج ج ١٨ ص ٣١٨
(٤) الحجر ٤٢ (٥) ص ٨٢ ـ ٨٣ (٦) الزمر ١٦
(٧) يس ٦٠ ـ ٦١

لئلا يقنطوا ، والكمل من أتباع أعداء الله تتواتر عليهم الراحة بالعافية في الأبدان والأهل والمال وإنما يحصل لهم البلاء فترات تقريعا من الله لهم وتذكيرا بما هم إليه صائرون لئلا يبطروا ويتجبروا ، وأما الضعفاء من الفريقين فأولئك ذو الحالتين ، فربما تطول عافية المرء منهم في بدنه ويصاب في أهله وماله وقد تتعاقب عليه العافية والبلاء وقد يختص بأحدها في أكثر أوقاته لمصالح اقتضتها الحكمة ولو مصلحة عرضية راجعة إلى غيره ، وعن الباقر عليه السلام ((إن الله إذا أحب عبدا نظر إليه فإذا نظر إليه أتحفه من ثلاث بواحدة إما صداع وإما حمى وإما رمد)) (١) .

وعن الكاظم عليه السلام ((من عاش في الدنيا عيشا هنيئا فليهتم في دينه فإن البلاء أسرع إلى المؤمن من لمح البصر)) .

وعن الصادق عليه السلام ((المؤمن كثير البلاء قليل الشكوى)) .

وقال النبي صلى الله عليه وآله ((من صح إيمانه وحسن عمله اشتد بلاؤه ومن سخف إيمانه وضعف عمله قل بلاؤه)) (٢) .

وقال الباقر عليه السلام ((إن الله ليتعاهد المؤمن بالبلاء كما يتعاهد الرجل أهله بالهدية من الغيبة ويحميه من الدنيا كما يحمي الطبيب المريض)) (٣) .

وعن الصادق عليه السلام ((ما من مؤمن إلا وهو يذكر في كل أربعين يوما ببلاء يصيبه إما في ماله أو في ولده أو في نفسه فيؤجر أو هم وهو لا يدري من أين هو)) (٤) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله ((ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب ولا سقم ولا أذى ولا حزن ولا هم إلا كفر الله به خطاياه)) (٥) .

---

(١) التمحيص ٤٢ (٢) التمحيص ٣٩ (٣) مجموعة ورام ج٢ ص٢٠٤

(٤) مشكاة الأنوار ص ٢٩٣ (٥) البحار ج٨٧ ص ٨٨

وعن سعدان بن مسلم عن الصادق عليه السلام ((المؤمن مبتلى طوبى طوبى للمؤمن إذا صبر على البلاء وسلم لله تعالى القضاء، قلت جعلت فداك من المؤمن الممتحن قال الذي امتحن بوليه وعدوه إذا مر بإخوانه اغتابوه وإذا مر بأعدائه لعنوه فصبر على تلك المحنه كان مؤمنا ممتحنا)).

ومن كتاب التمحيص عن يونس بن يعقوب قال سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول ((ملعون كل بدن لا يصاب في كل أربعين يوما قلت: ملعون، قال: ملعون، قلت: ملعون، قال، ملعون، فلما رآني قد عظم ذلك علي قال يا يونس إن من البلية الخدشة واللطمة والعثرة والنكبة والهفوة وانقطاع الشسع واختلاج العين وأشباه ذلك، إن المؤمن اكرم على الله من أن يمر عليه أربعون يوما لا يمحصه فيها من ذنوبه ولو بغم يصيبه ما يدري ما وجهه، والله إن أحدكم ليضع الدراهم بين يديه فيزنها فيجدها ناقصة فيغتم بذلك ثم يعيد وزنها فيجدها سواء فيكون ذلك حطا لبعض ذنوبه)) (١).

وفي مسكن الفؤاد عن أبي عبدالله عليه السلام قال دعي النبي صلى الله عليه وآله إلى طعام فلما دخل إلى منزل الرجل نظر إلى دجاجة فوق حائط قد باضت فتقع البيضة على وتد في حائط فتثبت عليه ولم تنكسر فتعجب النبي صلى الله عليه وآله منها، فقال له الرجل: أعجبت من هذه البيضة فوالذي بعثك بالحق ما رزيت شيءا قط، فنهض رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يأكل من طعامه شيءا وقال من لم يرز فما لله فيه حاجه)) (٢).

وفي خبر أنه ((التقى ملكان فقال أحدهما للآخر: أمرت بسوق حوت اشتهاه فلان اليهودي، وقال الآخر: أمرت باهراق زيت اشتهاه فلان العابد)) (٣).

---

(١) التمحيص ص ٣١ (٢) مسكن الفؤاد ص ١٢٥ (٣) تنبيه الخواطر ج ٢ ص ٣٩

واعلم أن البلاء يكون كفارة للذنوب وأن المبتلى يكتب له أعمال البر في مرضه ما كان يعمل في صحته ، ومن تكفير البلاء لصاحبه ما روي عن أبي جعفر عليه السلام قال ((سهر ليلة من مرض أفضل من عبادة سنة)) (١) .

وعن الرضا عليه السلام ((المرض للمؤمن تطهير ورحمة وللكافر تعذيب ولعنه وإن المرض لا يزال بالمؤمن حتى لا يكون عليه ذنب)) (٢) .

وعن الصادق عن آبائه عليهم السلام أنه عاد (أمير المؤمنين عليه السلام) سلمان الفارسي فقال ((يا سلمان ما من أحد من شيعتنا يصيبه وجع إلا بذنب قد سبق منه وذلك الوجع تطهير ، قال سلمان : فإن كان الأمر على ما ذكرت وهو كما ذكرت فليس لنا في شيء من ذلك أجر خلا التطهير ، قال علي عليه السلام : ياسلمان لكم الأجر بالصبر عليه والتضرع إلى الله عز اسمه والدعاء له ، بهما يكتب لكم الحسنات ويرفع لكم الدرجات وأما الوجع فهو خاصة تطهير وكفارة)) (٣) .

ومن الأخبار الدالة على أنه يكتب للمبتلى مثل أجر عمله في صحنه إذا كان المانع له منه البلاء ما روي عن الصادق عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله ((يقول الله عز وجل للملك الموكل بالمؤمن إذا مرض اكتب ما كنت تكتب له في صحته فإني أنا الذي صيرته في حبالي ، يعنى في وثاقي)) .

وعن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال لي ((ياجابر يكتب للمؤمن في سقمه من العمل الصالح ما كان يكتب في صحته ويكتب للكافر في سقمه من العمل السيئ ما كان يكتب في صحته قال ثم قال يا جابر ما أشد هذا من

---

(١) مكارم الأخلاق ص ٣٥٨ (٢) ثواب الأعمال ص ١٩٣ (٣) طب الأئمة ص ٥١

حديث)) (١) .

واعلم أن هذا من أسرار القدر الذي لا يحتمله إلا مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان فعرف موصول الخطاب ومفصوله بتبيان من الله ورسوله وآل رسوله صلى الله عليه وآله بحقيقة ما هو أهله ولذا قال ياجابر ما أشد هذا من حديث على من لم يستقم صورته الإنسانية بقبول الإجابة في الذر الثاني حين سألهم ألست بربكم ، وبيانه إن الثواب والعقاب الدائمين ذاتيان للعاقل بموجبها إذ مناطهما الأعمال القلبية الذاتية لا البدنية العرضية فعمل كل إنسان صفة ذاته وأثر حقيقته ولازم كونه في التعين فما كان كذلك كان ثابتا في جميع مشاعره فيثاب ويعاقب عليه بلا انقطاع لعدم انفكاكه عنه في مشعر من مشاعره وما كان عرضيا فيثاب عليه بقدر عرضيته في مدة تحمله فيكون جزاؤه منقطعا فالأعمال البدنية إذا لم يكن لها أصل ثابت في مشاعر العامل تكون منقطعة الجزاء إن كانت خيرا أو شرا وقد أشار سبحانه إلى ما نبهت عليه بقوله ﴿ يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا ﴾ (٢) ، وقال في مقام آخر ﴿ بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار ﴾ (٣) ، ومعنى أحاطت به خطيئته أنها شملت جميع مشاعره من عقله ونفسه وطبيعته وجسده مع أنه قال بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته ولو واحدة وهنالك قال { يغفر الذنوب جميعا { إذا لم تحط بجميع مشاعره ، وقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله عن حقيقة ذلك بقوله ((حب علي حسنة لا تضر معها سيئة وبغض علي سيئة لا تنفع معها حسنة)) (٤) .

وقد أخبر سبحانه عن أعمال الكفار الصالحة ظاهرا بقوله

---

(١) المحاسن ص ٢٦٠
(٢) الزمر ٥٣
(٣) البقرة ٨١
(٤) غوالي اللآلي ج ٤ ص ٦٨

تعالى ﴿ والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءا حتى إذا جائه لم يجده شيءا ﴾ (١). وقال عز من قائل ﴿ مثل الذين كفروا أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء ﴾ (٢)، وقال تعالى ﴿ فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا ﴾ (٣).

وأخبر عن أعمال المؤمنين الصالحات مشروطة بالايمان حيث يقول ﴿ فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وإنا له كاتبون ﴾ (٤)، وقال سبحانه ﴿ من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾ (٥).

ولتعلم أن المبتلى إذا وفق للدعاء فهو علامة كشف بلائه، قال أبو عبدالله عليه السلام ((هل تعرفون طول البلاء من قصره ؟ قيل : لا ، قال : إذا ألهم أحدكم الدعاء عند البلاء فاعلموا أن البلاء قصير)) (٦).

وقال أبو الحسن عليه السلام ((ما من بلاء ينزل على عبد مؤمن فيلهمه الله الدعاء إلا كان كشف ذلك البلاء وشيكا، وما من بلاء ينزل على عبد مؤمن فيمسك عن الدعاء إلا كان كشف ذلك البلاء طويلا فإذا نزل البلاء فعليكم بالدعاء والتضرع إلى الله عز وجل)) (٧).

وقال صلى الله عليه وآله ((أفضل العبادة الدعاء فإذا أذن الله للعبد في الدعاء فتح له باب الرحمة إنه لن يهلك مع الدعاء أحد)) (٨).

---

(١) النور ٣٩ (٢) إبراهيم ١٨ (٣) البقرة ٢٦٤
(٤) الأنبياء ٩٤ (٥) النحل ٩٤ (٦) مكارم الأخلاق ص ٢٦٩
(٧) عدة الداعي ص ٤٠ (٨) مجموعة ورام ج ٢ ص٢٣٧

وينبغي أن تقول عند ورود المبتلى ما نقل عن أبي جعفر عليه السلام قال ((تقول ثلاث مرات إذا نظرت إلى المبتلى من غير أن تسمعه الحمدلله الذي عافاني مما ابتلاه ولو شاء فعل ، قال : من قال ذلك لم يصبه ذلك البلاء أبدا)) (١) والمراد بالبلاء ما يؤدي إلى التشويه .

فمن جميل الصبر على البلاء ما نقل أنه لما أصيبت السمراء بنت قيس فعزاها النبي صلى الله عليه وآله بهما فقالت كل مصيبة بعدك جلل والله لهذا النقع الذي في وجهك أشد من مصابي بهما يا رسول الله (٢) . فهذا ظاهره صبر وباطنه رضا وشكر .

ومثله ما ذكره الشهيد في كتاب مسكن الفؤاد روى أن أسماء بنت عميس لما جاءها خبر ولدها محمد بن أبي بكر أنه قتل وأحرق بالنار في جيفة حمار قامت إلى مسجدها فجلست فيه وكظمت الغيظ حتى تشخب ثدياها دما (٣) .

ومن أفضل الصبر وأجمل الشكر ما جرى للصادق عليه السلام فإنه لما حضرت إسماعيل ابنه الوفاة نظر الناس إلى الصادق جزعا يدخل مره ويقعد أخرى فلما توفى إسماعيل دخل الصادق عليه السلام إلى بيته ولبس أنظف ثيابه وسرح شعره وجاء إلى مجلسه ساكنا كأن لم يصب بمصيبة فقيل له في ذلك فقال ((إنا أهل بيت نطيع الله فيما أحب ونسأله ما نحب وإذا فعل بنا ما نحب شكرنا وإذا فعل بنا ما نكره رضينا)) (٤) .

وكان أسماء بن خارجه رجلا يذكر بالعلم وحسن الصبر فامتحنه قوم في ذلك فكتبوا كتابا على لسان أهله بموت ولده فقرء الكتاب ووضعه ولم يظهر تغيرا لذلك فقيل له ما في الكتاب قال ذكروا فيه أن ولدي نزل منزلا سبقني وأنا نازله بعده فقيل له ليس من

---

(١) مكارم الأخلاق ص ٣٥١
(٢) مسكن الفؤاد ص ٧٢
(٣) مسكن الفؤاد ص ٧٠
(٤) مجموعة ورام ج ٢ ص ٢٥٣

هذا شيء وإنما أردنا ننظر صبرك قال فإن لم يكن فسوف يكون قبلي أو بعدي .

وقيل مر رسول الله صلى الله عليه وآله بقوم فقال لهم ((ما أنتم ؟ فقالوا : مؤمنون ، فقال : ما علامة إيمانكم ؟ قالوا : نصبر على البلاء ونشكر عند الرخاء ونرضى بمواقع القضاء ، فقال : مؤمنون ورب الكعبة)) (١) وفي خبر آخر أنه قال حكماء حلماء علماء كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء .

وفي خبر أن الصادق عليه السلام كان له ابن فبينما هو يمشي بين يديه إذ غص فمات فبكى وقال ((لئن أخذت لقد بقيت ولئن ابتليت لقد عافيت ، ثم حمل إلى النساء فلما رأينه صرخن فأقسم عليهن ألا يصرخن فلما أخرجه للدفن قال : سبحان من يقتل أولادنا ولا نزداد له إلا حبا ، فلما دفنه قال : يا بني وسع الله في ضريحك وجمع بينك وبين نبيك صلى الله عليه وآله ، وقال عليه السلام : إنا قوم نسأل الله ما نحب فيمن نحب فيعطينا وإذا أحب ما نكره فيمن نحب رضينا)) (٢) ، فقوله عليه السلام ما نكره يريد ما يكون مكروها لمن نحبه فكراهتنا له تبعا لكراهة من نحب لا عدم رضا بفعل الله وكراهة له ولذا قال رضينا ونسب كراهتهم فيما يقع على غيرهم لا على أنفسهم فلأجل ذلك لم يقل فإذا أحب ما نكره في أنفسنا .

ومثله قوله عز من قائل ((ما ترددت في شيء أنا فاعله مثل ترددي في قبض روح عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته)) (٣) ، ومعنى ترددت فعلت فعل المتردد بأن أبتليه حتى يبغض الدنيا ويتشوق إلى الموت فإذا خاف عليه من القنوط عافاه فإذا خاف أن يبطر ابتلاه وهكذا فيفعل به فعل المتردد لا أنه يتردد من لا يعرف وجه الصواب في أفعاله ولا مقتضى الحكمة فكانت

---

(١) مجموعة ورام ج١ ص٢٢٩ (٢) دعوات الراوندي ص٢٦٨ (٣) علل الشرايع ص١٢

كراهته تابعة لكراهة المؤمن وكذلك كراهتهم عليهم السلام تابعة لكراهة محبيهم لقصور محبيهم عن إدراك وجه المصلحة فإذا كرهوا ما يقع عليهم كره آل محمد صلى الله عليه وآله شفقة ورحمة لهم فالعزاء والصبر الجميل إظهار الرضا بفعل الله فإن من فعل ذلك أثيب عليه الثواب الجزيل.

فعن النبي صلى الله عليه وآله ((ما من مسلم يصاب بمصيبة وإن قدم عهدها فذكرها العبد فقال الحمدلله إلا جدد الله له ثوابه كيوم وجدها)).

وقال الباقر عليه السلام ((ما من مؤمن يصاب بمصيبة في الدنيا فيسترجع عند مصيبته حتى تفجأه المصيبة إلا غفر له ما مضى من ذنوبه)) (١).

وعن الصادق عليه السلام أنه قال ((وإذا أصبت بمصيبة في نفسك أو مالك أو ولدك فاذكر مصابك برسول الله صلى الله عليه وآله فإن الخلائق لم يصابوا بمثله قط)) (٢).

وقال الباقر عليه السلام ((إن أصبت بمصيبة في نفسك أو في مالك أو في ولدك فاذكر مصابك برسول الله صلى الله عليه وآله فإن الخلائق لم يصابوا بمثله قط)) (٣)، وفي هذا الباب أخبار كثيرة.

ومن أعظم البلاء وأجمل الصبر ما جرى لنبي الله أيوب على نبينا وآله وعليه السلام حتى صار يضرب به المثل في الصبر فيقولون عند اشتداد المحن صبر أيوب على بلائه يعني نصبر صبر أيوب. ففي تحفة الاخوان بحذف الاسناد عن أبي بصير عن الصادق عليه السلام قال سألته عن بلية أيوب عليه السلام التي ابتلاها في الدنيا لأي شيء علته كانت؟ قال ((لنعمة أنعم الله عليه

---

(١) ثواب الأعمال ص ١٩٧ (٢) الزهد ص ١٢ (٣) مشكاة الأنوار ص ٢٧٩

بها في الدنيا وأدى شكرها وذلك لأنه لم يكن بعد يوسف بن يعقوب بن اسحق بن إبراهيم عليهم السلام إلا أيوب بن موسى بن رعويل بن العيص بن اسحق بن إبراهيم .

وكان أيوب رجلا عاقلا حليما نظيفا حكيما وكان أبوه رجلا مثريا كثير المال يملك الماشية من الابل والبقر والغنم والحمير والبغال والخيل ولم يكن في أرض الشام من كان في غنائه فلما مات ورث أيوب وكان أيوب يومئذ عمره ثلاثون سنة فأحب أن يتزوج فوصفت له رحمة بنت أفراهيم بن يوسف عليهم السلام وكانت رحمة عند أبيها بأرض مصر وكان أبوها شديد الفرح بها يحبها حبا عظيما لأنه رأى في المنام أن جدها يوسف عليه السلام نزع قميصا كان عليه فالبسها إياه وقال : يا رحمة هذا حسنى وجمالي وبهائي قد وهبته لك وكانت رحمة أشبه الخلق بيوسف وكانت زاهدة عابدة ، فلما سمع بها أيوب رغب فيها فخرج إلى بلدها ومعه مال جزيل وهدايا وسار حتى وصل إلى أبيها فخطب منه ابنته رحمة فزوجها إياه لزهده وماله وجهزها إليه فحملها إلى بلده فرزقه الله منها اثنى عشر بطنا في كل بطن ذكر وأنثى .

ثم بعثه الله إلى قومه رسولا وهم أهل حوران والتيه وأعطاه الله من حسن الخلق والرفق ما لم يخالفه أحد ولا يكذبه أحد لشرفه وشرع لهم الشرائع وبنى لهم المساجد وكان له موائد يضعها للفقراء والمساكين والأضياف يضيفهم ويكرمهم وكان لليتيم كالأب الرحيم وللأرملة كالزوج العطوف وللضعيف كالأب الودود وكان قد أمر وكلاءه وأمناءه ألا يمنعوا أحدا من زرعه وأثماره وكان الطير والوحوش وجميع الأنعام ترعى في كسبه وبركة الله تعالى تزاد لأيوب صباحا ومساءا وكانت جميع مواشيه تحمل في كل سنة توأمين ولم يكن أيوب عليه السلام يفرح بشيء من ذلك لكنه يقول إلهي

وسيدي ومولاي وسندي هذه الدنيا على هذه الحالة فكيف بالآخره والجنه التى خلقتها لأهل كراماتك.

وكان إذا جاء الليل يجمع من يلوذ به في مسجده يصلون بصلاته ويسبحون بتسبيحه حتى إذا أصبح أمر باتخاذ الطعام لهم ولجميع الضعفاء، وكان يذهب له في ذلك مال لا يحصى، وكان له من الخيل ألف فرس وألف رمكة وألف بغل وألف بغلة وثلاثة آلاف بعير وألف وخمسمائة ناقة وألف ثور وألف بقره وعشرة آلاف شاة وخمسمائة فدان وثلاثمائة أتان وخلف كل رمكة من الرماك مهر ومهران أو ثلاثة وكل ناقة فصيل وكذلك جميع مواشيه وعلى كل خمسين من هذه راع مملوك لأيوب ولكل عبد منهم أهل وولد.

وكان إبليس اللعين لا يمر على شيء من مال أيوب إلا رآه مختوما بخاتم الشكر مطهرا بالزكوة فحسده ولم يقدر له على ضر وكان إبليس في ذلك الزمان يصعد إلى السموات السبع ويحجب من دون العرش ويقف في أي مكان شاء منها حتى رفع عيسى بن مريم عليه السلام فحجب عن أربع سموات ويصعد إلى ثلاثة منها حتى بعث النبى صلى الله عليه وآله فحجب إبليس عن جميعها وكان يسترق السمع بعد ذلك ومنه تعجبت الأنس والجن وذلك معنى قوله تعالى ﴿ وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا، وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا ﴾ (١).

فصعد إبليس في زمان أيوب عليه السلام إلى ما دون العرش كما كان يصعد ووقف في الموضع الذي كان يقف فيه وفي قلبه من النبى أيوب ما فيه والله مطلع على السر والعلانية، فنودي: يا ملعون من أين أقبلت؟ فقال: إلهي طفت الأرض

---

(١) الجن ٨-٩

لأفتن من أطاعني ففتنتهم إلا عبادك منهم المخلصين ، فنودي : يا لعين ما في قلبك من نعمة أيوب ؟ فقال : إبليس يا رب ذكرته فصلت عليه ملائكتك ، فنودي : يا لعين هل نلت منه شيءا مع طول عبادته ؟ فهل تستطيع أن تغويه عن عبادتي ؟ فقال : إلهي ومولاي إن أيوب لم يؤد شكر هذه النعمة ونظرت في أمره وإذا هو عبد عافيته فقبل عافيتك ورزقته فشكرك ولم تجربه في البلاء والمصائب فلو ابتليته لوجدته بخلاف ما هو عليه ، ولو سلطتني يا رب على ماله لرأيته كيف ينسالك ، فنودي : يا ملعون قد سلطتك على ماله لتعلم أنك كاذب فيما تعتقد فيه ، قال : فانقض من السموات حتى وقف على الصخرة التى رضخ عليها قابيل رأس أخيه هابيل عليه السلام وهي صخرة سوداء ينبع منها صديد اللعنة ، فوقف إبليس عليها ورن رنة حتى اجتمع عليه العفاريت المتمردون من المشرق والمغرب وقالوا : يا أبانا ما وراءك وما دهاك قال إني مكنت من فرصة ما تمكنت من مثلها منذ أخرجت آدم من الجنة ، وذلك أني سلطت على مال أيوب لأفقره وأعطب ماله فقال بعضهم : سلطني على أشجاره فإني أتحول نارا لا أمر على شيء إلا أحرقته وصيرته رمادا ، فقال : أنت لذلك ، وقال آخر سلطني على مواشيه حتى أصيح صيحة تخرج أرواحها ، فقال : أنت لذلك ، فأقبل الأول وتحول نارا حتى أحرق تلك الأشجار والآجام ، وأقبل الآخر على المواشي فصاح بها صيحة خرت كلها ميتة مع رعاتها ، فرأى أهل القرية دخانا عظيما وصيحة عظيمة ففزعوا فزعا شديدا فأقبل اللعين إلى أيوب وهو في صلاته وخيل إلى أيوب أنه أصابه وهج ذلك الحريق وقد اسود وجهه وتمعط شعره وهو ينادي : يا أيوب أدركني فإني الناجي من دون غيري فما رأيت نارا أقبلت من السماء فيها دخان فأحرقت مالك يا أيوب وأصابتني نفحة من نفحاتها وسمعت مناديا من السماء هذا جزاء

من كان مرائيا في عبادته يريد بها الناس دون الله تعالى ، قال إبليس : وسمعت النار تقول أنا نار الغضب أنا نار السخط ، قال : فلما سمع أيوب ذلك أقبل على صلاته ولم يلتفت إليه حتى فرغ من صلاته تامة كاملة ، فقال : يا هذا ليست هي أموالي وإنما هي أموال الله تعالى يفعل بها ما شاء ، قال : إبليس لعنه الله صدقت ، وماج الناس فقال بعضهم : هذا ما قبضته قبضا جميلا ولكن قبضته قبض العجب وقال آخرون : ما كان أيوب صادقا في توبته فلهذا جازاه با هذا الجزاء ، فشق ذلك على أيوب من قولهم ولم يجبهم غير أنه قال الحمدلله على قضائه وقدره ، فأقبل النبي أيوب على اللعين إبليس وقال له : من أنت أيها العبد وكأنك من أخرجه الله من رحمته وسلب عنه نعمته ولو علم فيك خيرا لأخبرني بك ولقبض روحك مع أرواح الرعاة ولكنه علم فيك شرا فخلصك منها كما يخلص الزوان من القمح فر عنى أيها العبد مذموما مدحورا ، فقال إبليس : صدق من قال لا تخدموا المتكبرين ، يا أيوب الآن علمت أنك مرائيا في صلاتك ألم أكن لك عبدا شفيقا من عبادك ألم أكن حريصا على أموالك فما جزائي منك إلا أن تعيرني بما نالني من وهج الحريق دون أن تقول ما تقوله ، فلم يكلم إبليس فأقبل أيوب على صلاته .

وانصرف عنه إبليس خائبا ذليلا وصعد إلى السماء كما كان يصعد ووقف كما كان يقف ، فنودي : يا ملعون كيف وجدت عبدي أيوب ؟ كيف صبره على ذهاب أمواله جميعا من المواشي والعبيد وغيرها ؟ وكيف حمدني على البلية ؟ فقال اللعين : إلهي وسيدي إنك متعته بعافية أولاده وزخارف دوره لو سلطتني على دنياه حتى تعلم أنه لا يؤدي شكر نعمة أبدا ، فنودي : يا ملعون اذهب فقد سلطتك على أولاده فانقض عدو الله إلى قصر أيوب الذي فيه أولاده أما البنون فحزقل وهو أكبرهم ومقبل

ورشد ورشيد وبهرون وبشير وأقرون والباقي من الذكور ولم نجد لهم أسماء في الكتب والقصص، وأما البنات فمنجاة وعبيدة وصالحة وعافية وتقية ومؤمنة.

قال فزلزل عليهم القصر بنفسه حتى سقط بعضه على بعض وجعل يسد أفواههم والخشب والخزف (بالخرق) ويقذفهم بالجبة حتى مثل بهم أقبح مثلة، فأوحى الله إلى الأرض أن احفظي أولاد نبيي أيوب بالغ مشيتى فيهم ولأجزينهم بذلك الثواب، فأقبل إبليس إلى أيوب وقال: يا أيوب لو رأيت قصرك وأولادك كيف صاروا ولقد صارت قصورهم لهم قبورا وطينها قد صار لهم حنوطا وثيابهم وفرشهم حتى صارت لهم أكفانا ولو أبصرت وقد تغيرت تلك الوجوه الحسان بالدماء والتراب والعظام كيف تهشمت واللحوم كيف رضضت (رضت) والجلود كيف تمزقت ولم يزل إبليس اللعين يعد عليه مثل هذا بافتجاع وانكسار وانتحاب حتى بكى أيوب وساعده إبليس على البكاء، فندم أيوب على بكائه وأخذ قبضة من التراب ووضعها على رأسه واستغفر الله تعالى وخر ساجدا، ثم أقبل على إبليس وقال: يا ملعون انصرف عني خائبا ذليلا مدحورا فإن أولادي كانوا عارية الله عندي ولا بد من اللحاق بهم.

قال: فانصرف إبليس ولم ينل منه وصعد إلى السماء كما كان يصعد ووقف كما كان يقف فأتاه النداء: يا ملعون كيف رأيت عبدي أيوب وتوبته واستغفاره بعد بكائه؟ فقال إبليس: إلهي وسيدي إنك متعته بعافية نفسه وفيها عوض عن المال والولد فلو سلطتنى على بدنه لرأيته كيف ينسى ذكرك ويترك شكرك، فنودي: يا لعين اذهب فقد سلطتك على بدنه ماخلى عينيه وعقله ولسانه الذي لا يفتر عن ذكري وأذنيه، قال: فانقض إبليس فوجد أيوب في

مسجده متضرعا إلى الله تعالى بأنواع الثناء داعيا إليه بأعظم الدعاء ويشكره على جميع النعماء ويحمده على جميع البلاء وهو يقول : وعزتك وجلالك لا ازددت على بلائك إلا شكرا ولو ألبستني ثوب البلاء سرمدا لما ازددت على بلائك إلا صبرا، قال فلما سمع إبليس اغتاظ من قوله وعجل ولم يتركه حتى يرفع رأسه من السجود، فانحدر في الأرض حتى صار تحت أنفه ثم نفخ في منخريه نار اللهب فاسود وجه أيوب عليه السلام في الحال فصار قرحة من قرنه إلى قدميه فتمعط منه شعره، فلما كان اليوم الثاني ورم وعظم ، وفي اليوم الثالث اسود ، وفي اليوم الرابع امتلأ ماءا أصفرا ، وفي اليوم الخامس صار قيحا ، وفي اليوم السادس وقع فيه الدود وسال صديده ، و وقع فيه الحكاك فحك جسده شهرين حتى سقطت أظافيره ، ثم حك بالمسوح والخرق وبالحجارة الخشنة وكان إذا رأى دودة سقطت من بدنه ردها بيده إلى موضعها ويقول لها كلي من لحمي ودمي حتى يأتي الله بالفرج، فقالت رحمة : يا أيوب ذهب المال والولد وقد بدا الضر في الجسد، فقال أيوب : يا رحمة إن الله تعالى ابتلى النبيين من قبلي فصبروا وإن الله تعالى وعد الصابرين خيرا ، ثم خر أيوب ساجدا وجعل يقول : إلهي وسيدي لو جعلت علي ثوب البلاء سرمدا وأحرمتني العافية ومزقتني الديدان ما ازددت إلا شكرا إلهي لا تشمت بي عدوي إبليس اللعين ، وكانت رحمة تبكي مرة وتصرخ أخرى لما ترى من بلاء أيوب وهو عليه السلام ينهاها عن ذلك ويقول لها : ألست أنت من بنات الأنبياء وتعلمين أنني نبي الله وإن لي أسوة بالنبيين والمرسلين وآبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب ويوسف ، ثم سأل الله تعالى لها الصبر على ما تشاهد منه ثم قال لها أيوب انطلقي التمسي موضعا غير مسجدي فاحمليني إليه ، فمضت رحمة فنظرت له موضعا ثم عادت إليه فاحتملته إلى فضاء من

الأرض ، وكان قد قال لها : إني لا أحب أن يتلوث المسجد ، ثم انطلقت إلى قوم وكان يبرهم أيوب عليه السلام ويحسن إليهم كثيرا فلما التمست له موضعا طلبتهم أن يعينوها على إخراج أيوب(ع) من المسجد فقالوا لها : إن أيوب قد غضب عليه ربه وهتك ستره لما كان فعله من الربا فياليت كان بيننا وبينه بعد المشرقين فإنه لو كان فيه خير في عبادة ربه ما ابتلاه فرجعت رحمة إلى أيوب وقالت له : يا أيوب جلت المصيبة خاب أملنا من أهل المعارف وأهل الاصطناع ، فقال لها يا رحمه هكذا يكون أهل البلاء ولكن تقدمي إلي قولي لاحول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم وادخلي يدك اليمنى تحت رأسي ويدك اليسرى تحت رجلي ، ففعلت ذلك فاحتملته بقوة الله تعالى حتى أخرجته إلى الفضاء وهو الموضع الذي فيه الموائد من أيوب للضعفاء والمساكين ، فقال : يا رحمة إن الصدقة حرام علينا ولا تحل لنا فاحتالي في الخدمة فاسبل دمعته ، فقالت رحمة : ما يبكيك يا نبي الله فقال لها يا رحمة أنت من بنات النبيين ومن نسل المرسلين وأنت امرأة عظيمة الحسن والجمال وما أعطي الحسن والجمال في زمانك إلا جدك يوسف عليه السلام وإن في القرية فساقا كثيره وأنت تخدمين وأخشى عليك من مكايدة إبليس اللعين ، فبكت رحمة وقالت : يا نبي الله ما جزائي منك إلا تتهمني وتنسبني إلى ذلك وأنا من بنات النبيين والصديقين الطاهرين وحق آبائي وأجدادي ما ملت بعيني إلى آدمي بعدك .

فعند ذلك أذن لها أيوب عليه السلام بالخدمة وكانت تخدم أهل القرية في سقي الماء وكنس البيوت وإخراج المزايل وغسل الثياب والخرق ويعطونها الأجرة وتنفقه على أيوب عليه السلام في طعامه وشرابه ، فأقبل إبليس في صورة شيخ كبير حتى وقف على أهل القرية فقال لهم كيف تطيب أنفسكم بامرأة تعالج من زوجها القيح

والصديد والنتن من الرائحة ثم تدخل بيوتكم وتدخل يديها في أوعيتكم وطعامكم وشرابكم ، قال : فوقع ذلك في قلوبهم ولم يتركوا رحمة أن تدخل بيوتهم من ذلك اليوم ، فكرهت رحمة أن تخبر أيوب عليه السلام بذلك حتى لا يزداد حزنا على حزنه وكانوا القوم لا يستخدمونها وكانوا يطعمونها الشيء فتطعمه ذلك ولا تخبره بشيء من أمرها .

قال فاشتد بأيوب البلاء ونتن رائحته حتى لا يقدر أحد من أهل القرية أن يستقر في بيته لشدة نتن الرائحة ولم يدروا ما يصنعون فاجتمع رأيهم على أن يرسلوا عليه كلابا لتأكله ، فبلغ ذلك رحمة فجاءت إلى أيوب فأخبرته بذلك ، فقال : لها يا رحمة لم يكن الله تعالى بأن يسلط علي الكلاب وأنا نبيه وابن أنبيائه ، قال : فاجمعوا أهل القرية كلاب الرعاة فأرسلوها على أيوب عليه السلام فجاءت تعدو إلى أيوب فلما تقاربت منه رجعت إلى خلفها ، فهربت الكلاب عن البلاد حتى لم يكن في تلك القرية كلب واحد ، وكان القوم يأتون أيوب ويقولون له لا صبر لنا على بليتك إما أن تخرج وإلا رجمناك بالحجارة حتى تموت ونستريح منك ، فقال لهم أيوب : لا ترجموني بالحجارة ولكن أخرجوني من قريتكم إلى بعض مزابلكم فإني أرجو من الله لا يضيعنى ، فقالوا : إنا نستقذرك وأنت بعيد منا فكيف ندنو منك ونحملك ثم انصرفوا عنه ، فقال أيوب لرحمة : أيتها الصديقة الطاهرة البارة قد عرفت هؤلاء القوم قد بغضوني وملوني فقفي في مفرق الطريق فلعلك أن تقفي على أحد من الناس فتخبرينه بقصتي وتسأليه أن يعينك على حملي من هذه القرية ، فقالت رحمة : لا تعجل حتى أخرج إلى بلد كذا وكذا وأتخذ لك هنالك عريشا ثم وقفت على الطريق تنتظر من يمر بها وإذا برجلين كأنهما قمران يفوح منهما رائحة طيبة فتوسمت فيهما الخير فاستحت أن تسألهما عن حاجتها ، فلما دنوا

منها قالا لها : وأين أيوب خليلنا وصديقنا وكيف هو على بلائه فأخبرتهما بحاله وضجر أهل القرية منه وكيف سوت له العريش على المزبلة ، ثم قالت لهما : إن لي إليكما حاجة وهي دعوة منكما له بالعافية فقالا نعم ولكن إذا رجعت إليه فاقرأيه منا السلام .

ثم أنهما مضيا فانصرفت رحمة إلى أيوب وأخبرته بحديث الرجلين وما كان منهما فصاح أيوب وقال : واشوقاه إليك يا جبرئيل واشوقاه إليك يا ميكائيل ، ثم قال : يا رحمة ومن مثلك الآن وقد كلمتك الملائكة ، فقالت رحمة : قد هيأت لك العريش ولكن إصبر حتى أقف على قارعة الطريق لعل أحدا يمر فيساعدني على حملك ، ثم مضت ووقفت على قارعة الطريق وإذا هي بأربعة نفر من الملائكة فسألوها وقالوا لها : أيتها المرأة ألك حاجة ؟ قالت : نعم وهي أن تعينوني على حمل نبي الله أيوب إلى مزبلة كذا وكذا ، فاقبلوا حتى وقفوا على أيوب عليه السلام وصبروه على بلائه ودعوا له بالعافية واحتملوه بأطراف النطع ووضعوه على باب العريش فانصرفوا عنه .

وكانت رحمة قد جمعت في العريش ترابا كثيرا واتخذت منصبة منه ، ثم قالت : قم يا أيوب إلى فراشك التراب من بعد الفرش الممهد ووسادك الحجارة من بعد الوسائد المنضدة ، فقال : أيوب ألم أنهك عن الذكر بشيء من نعيم الدنيا ، فزحف أيوب فالقى بنفسه على ذلك الرماد وهو يسبح الله تعالى الأعلى ويقول : سبحان العزيز الأدنى سبحان الرفيع الأعلى سبحانه وتعالى وكانت ، تتصدع بخدمته وتأتيه بما تجده ومضت تطلب له شيءا من الطعام لتأتيه فاقبلت إلى دار فسألتهم ، فقالت لها امرأة من داخل الدار : إليك فإن رب أيوب قد سخط عليه ، وسارت إلى باب آخر وقالوا لها مثل ذلك حتى دارت القرية ولم يعطوها شيءا فرجعت باكية إلى أيوب وقالت له : إن القوم طردوني وأغلقوا

الأبواب من دوني فقال لها أيوب لا بأس عليك يا رحمة إن أغلقوا أبوابهم دوننا فإن الله لا يغلق أبواب رحمته دوننا ، ولكن يا رحمة لعلك مليتيني ولكلع تريدين فراقي ، فقالت رحمة أعوذ بالله من ذلك وأي عذر يكون لي عند الله على فراق نبي الله حاشا وكلا ولكن أحملك من هذه القرية إلى قرية أخرى لعلهم يكونون أرحم من هؤلاء .

قال : فأخذته رحمة على النطع فغشي عليه من الوجع فجاءته بماء فرشته عليه حتى أفاق فغطته بذلك الكساء وجسد أيوب كلما انسلخ سلخا ، ثم حملته إلى قرية أخرى من حوران ثم وضعته إلى جانب القرية فرفعت يدها إلى الله ودعت الله أن يحفظه من السباع وغيرها ، ودخلت القرية ألا من أراد غسل ثياب أو خرق أو كنس دار أو حمل تراب إلى مزبلة أو استسقاء ماء بشيء من الطعام أحمله إلى نبي الله أيوب ، فخرجن إليها نساء القرية وقالت واحدة منهن : هذه غوله قد دخلت قريتنا ، فقالت لها رحمة : لا تقولي هذا الكلام وأنا رحمة بنت أفراهيم بن نبي الله يوسف صديق الله بن يعقوب إسرائيل الله بن إسحاق صفي الله بن إبراهيم خليل الله زوجة أيوب المبتلي نبي الله ، فقلن لها : وأين أيوب ؟ قالت : ها هو على باب القرية إلى جنب كنائسكم ومزابلكم فأقبلن إلى أيوب فلما رأين ما عليه من البلاء بكين أشد البكاء ثم قلن : هذا أيوب النبي صاحب الإماء والعبيد والمواشي ، فبكى أيوب عليه السلام ورحمة بكاء شديدا ، ثم قال : أنا أيوب عبد ربي ورسوله أنا الجائع الذي لا أشبع من ذكره ، وأنا العطشان الذي لا أروى من تسبيحه ، قال : فبكين وبكت رحمه معهن وقالت لهن لي إليكن حاجة وهي أن تعطوني فاسا أقطع به أشجارا لأتخذ لأيوب عريشا يكنه عن الحر والبرد فأعمل له طعاما فأتوها بجميع ذلك فعمدت إلى مطهرة معها من خزف وبلت ذلك

الخبز في ذلك المطهره ثم مرسته بيدها فأطعمته ذلك لأنه أسنانه تساقطت ثم قطعت أعوادا وظللت بها على رأس أيوب مثل العريش، ثم دخلت القرية فقربوها وأكرموها فعملت في ذلك اليوم خمس بيوت فاتخذت عشرة أقراص، فلما رجعت أخبرت أيوب بذلك وقالت أصبت اليوم طعاما كثيرا من رزق ربي فأقعد عندك فاني لا أفارقك حتى يفرغ هذا الطعام، فقال: لها أيوب جزاك الله خيرا يا رحمة فإنك من بنات النبيين، فقال: الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره ولا يخيب عبدا شكره ولا يضيع من توكل عليه له الحكم وإليه يرجع الأمر كله وهو على كل شيء قدير، قال: فأقبلن نساء أهل القرية فقعدن ذات يوم بقرب أيوب فشممن رائحته فانصرفن مسرعات إلى بيوتهن وأغلقن الأبواب عن رحمة وقلن لرحمة لا تدخلي بيوتنا ولكن نواسيك في طعامنا فرضيت رحمة بذلك. قال فبينما رحمة ذات يوم راجعة من القرية إلى أيوب وإذا هي بإبليس اللعين قد عرض لها في صورة طبيب ومعه آلة الطب وقال لرحمة: إني أقبلت من فلسطين حين سمعت بخبر زوجك أيوب جئت لأداويه وأنا سائر إليه غدا فأخبريه بقصتي وقولي له يأخذ عصفورا فيذبحه ولا يذكر اسم الله عليه ويشرب عليه قدحا من الخمر ويطلي نفسه بالدم وفرجه من ذلك، قال: فجاءت رحمة إلى أيوب فرحانة فأعلمته بذلك فبان الغضب في وجهه فقال لها: متى رأيت أني آكل مما لم يذكر اسم الله عليه وأطلي نفسي بشيء من الدم يا رحمة بالأمس كنت رسولة من جبرئيل وميكائيل واليوم رسولة من إبليس اللعين، فعلمت أنها اخطأت فاغتاظ فلم تزل تتلطف به حتى رضي عنها وحذرها أن لا تعود إلى مثلها.

قال فبينما هي ذات يوم راجعة من القرية إلى أيوب ومعها شيء من الطعام فاعترض لها إبليس في صورة رجل بهي

الصورة حسن الوجه وهو على حمار فقال لها : كأني أعرفك ، ألست رحمه بنت أفراهيم نبي الله زوجة المبتلى أيوب نبي الله ، قالت : نعم ، فقال اللعين : إني أعرفك وأنت أهل غنى وثروة فما الذي غير حالكم ؟ فقالت له : إنا بلينا بذهاب المال جميعه والولد ثم البلاء الأعظم ما نزل بصاحبي أيوب ، فقال لها الملعون : لأى شيء أصابتكم هذه المصائب ؟ قالت : لأن الله تعالى أراد أن يجرب صبرنا على بلائه ، قال اللعين : بئس ما قلت ولكن إله السماء هو الله وإله الأرض أنا فاردتكم لنفسي فعبدتم إله السماء ولم تعبدوني ففعلت بكم ما فعلت وسلبتكم أموالكم وأمت أولادكم ومواشيكم فها هي كلها عندي فان أردت ذلك فاتبعيني حتى أريك أولادك وعبيدك ومواشيك فإنهم عندي في واد كذا وكذا ، قال : فلما سمعت بذلك بقيت متعجبة وهي متحيرة فاتبعته غير بعيد حتى أوقفها على ذلك الوادي وسحر عينيها حتى رأت جميع ما فقدت هنالك ، فقال : ها أنا صادق عندك الآن أم كاذب ، فقالت رحمة : لا أدري ما أقول لك حتى أرجع إلى أيوب قال فرجعت إلى أيوب فأخبرته بما رأته جميعه ، قال أيوب : إنا لله وإنا إليه راجعون ويلك يا رحمة إن ليس مع الله إله آخر وإن الذي أماته الله فلا يقدر أحد أن يحييه ، قالت : نعم ، قال : ولئن هذه الشهادة عند إبليس لعنه الله فلو كنت عاقلة ما أصغيت إلى كلامه حتى سحر عينيك ، فقالت رحمة : يا نبي الله اغفر لي هذه الخطيئة فإني لا أعود إلى مثلها أبدا ، فقال لها أيوب : قد نهيتك عن هذا اللعين مرة وهذه ثانية فلله علي نذر لئن عافاني الله مما أنا فيه لجلدتك مائة جلدة على ما كان من مكالمتك لابليس لعنه الله، وكانت رحمة تقول : ليته قام من بلائه وجلدني مائة، قال ابن عباس : فلبث في بلائه ثماني عشرة سنة حتى لم يبق منه إلا عيناه يدوران في رأسه ولسانه ينطق به وقلبه على حاله وأذناه فإنه كان يسمع بها وكانت تحت لسانه

دودة عظيمة سوداء تولمه في خروجها من تحت لسانه فإذا رجعت إلى موضعها يتأوه لذلك ، فأوحى الله تعالى إليه : أن يا أيوب قد صبرت على رخائي فاصبر الآن على بلائي ، قال : وخرجت رحمة ذات يوم في طلب الطعام فلم تقدر على شيء فرفعت رأسها إلى السماء وقالت : إلهنا وسيدنا ارحم غربتنا وضعفنا، قال : فسمع ذلك بعض أهل القرية فقال لها : ادخلي على نساء القرية فإنهن أرق قلوبا ، فأقبلت رحمة وقرعت باب عجوز وقالت : أنا رحمة امرأة أيوب ولقد طفت يومي هذا فلم أجد طعاما ولقد بلغني جوع شديد ، فقالت العجوز : إلي يا رحمة إني قد زوجت ابنة لي فهل لك أن تعطيني ظفيرتين من ظفائرك أزين بها ابنتى وأعطيك رغيفين فقالت رحمة: ولا يرضيك منى إلا ذلك ؟ قالت : نعم ،قالت رحمة : أحضري إلي الرغيفين فوالله لو أردت شعري كله لأعطيتك لطعام أيوب ، قال : فجاءت العجوز بالرغيفين والمقص فقصت ظفيرتين وجاءت رحمة بالرغيفين إلى أيوب فأنكرها وقال لها : من أين لك هذا ؟ فأخبرته بالقصة لما اشتد عليها طلب الطعام ، فصاح أيوب صيحة فقال : إلهي أي ذنب عملته حتى صرفت بوجهك الكريم عنى ؟ إلهي الموت أجمل لي مما أنا فيه رب مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين ، فأوحى الله تعالى إليه : أن يا أيوب لقد سمعت كلامك وتمنيك الموت في ضرك ولو مت بغير هذا البلاء لم يكن لك من الأجر والثواب ما يكون لك مع البلاء ولا جزيتك على صبرك وأما رحمة فوعزتي وجلالي لأرضينها في الجنة .

فعند ذلك فرح أيوب وتسلى ، فلما طال على أيوب البلاء ورأى إبليس اللعين صبره أتى إلى أصحاب له وكانوا رهبانا في الجبال أحدهم اسمه فقير وهو من اليمن والآخر اسمه صوني وهو من فلسطين والثالث ملهم من حمص وكانوا من تلامذته وهم حكماء وكان أيوب هو الذي اصطنعهم ورفع أقدامهم وكانوا

يأتونه ويسألونه عن حاله فركبوا بغالا شهبا وجاءوا حتى دنوا منه فنفرت بغالهم من نتن رائحته فقرنوا بعضها إلى بعض ومشوا إليه وقعدوا عنده وقالوا : يا أيوب لو أخبرتنا بذنبك لعل الله تعالى يهبه لنا إذا سألناه ودعونا إليه ، وما نراك ابتلاك بهذا البلاء الذي لم يبتل به أحد إلا من أمر كنت تستره ، ولو كنت صادق النية في عبادتك لما وقع بك البلاء العظيم ، فوقع في قلوبهم أن يجتمعوا عليه ويذبحوه، فقال أيوب : وعزة ربي إنه يعلم أني ما أكلت طعاما إلا ويتيما أو ضعيفا معي وما عرض لي أمران كلاهما طاعة لله إلا أخذت بأشدها على بدني ، أيها القوم أراكم تعظوني وتوبخوني من غير معرفة وما كان هذا جزائي منكم فان الله تعالى يبتلي من يشاء زيادة في أجره كما ابتلى سائر النبيين والصالحين ، ثم رفع طرفه إلى السماء فقال: إلهي وسيدي أذقني طعم العافية ولو ساعة من النهار ولا تشمت بي الأعداء ولا تصرف وجهك الكريم عني فاني قد أجهدني البلاء وقد تقطعت أوصالي وورمت شفتاي حتى غطت العليا أنفي والسفلى ذقني وقد سقط لحمي ورأسي وما تبين أذناي من نفاخ وجهي ولقد غص من القيح والصديد جوفي ونخرت من الدود عظامي ولقد ملني وجفاني من كان يكرمني ، فبكى بكاء شديدا ، فلما فرغوا من توبيخه وهموا أن يقوموا التفت إليهم شاب حدث السن كان قد سمع كلامهم وكان قد قبضه الله إليهم فقال الشاب : شوه لكم صرتم إلي نبي الله فعيرتموه ولقد تركتم الرأي الصائب بتوبيخكم لأيوب ولقد كان عليكم من الحقوق ما كان الواجب عليكم أن تقصروا عما قلتموه ، ويحكم أتدرون من الذي وبختم ألم تعلموا أنه نبي الله اختاره لرسالته وائتمنه على وحيه فإن الله تعالى لم يطلعكم على أنه سخط عليه وأن هذا البلاء الذي نزل به قد صغر عندكم ولقد علمتم أن الله تعالى يبتلي النبيين والصديقين والشهداء والصالحين

ولا يكون ذلك سخطا ولا هوانا ولو كان لم يكن نبيا لكان لا يجمل للأخ أن يعير أخاه عند البلاء ولا يعاتبه عند المصيبة ولا يزيده غما إلى غمه، الله الله في أنفسكم ولو نظرتم فيها لوجدتم لها عيوبا كثيرة، ثم أقبل على أيوب وعزاه وسكن ما به، وأقبل أيوب على بلائه وقال لهم: إنكم أعجبتم أنفسكم فلو نظرتم فيها لوجدتم لها عيوبا كثيرة ولكن أصبحت اليوم وليس لي رأي معكم لأن أهلي ملوني وتنكرت معارفي وهربوا عني أصدقائي وقطعوني أصحابي وكفر بي أهل ملتي وإلا لم تكونوا تقولون ما تقولون، سبحان من لو يشاء لفرج عني ما أنا فيه من هذا البلاء الذي لم تقم به الجبال الرواسي، فقال أيوب: يا رب لو جلست مجلس الحكم منك لأدليت بحجتي، فبعث الله إليه غمامة سوداء مظلمة فيها رعد وبرق وصواعق متداركات ثم نودي منها بأكثر من عشرة آلاف صوت: يا أيوب إن الله تعالى يقول لك أدل بحجتك فقد أقعدتك مقعد الحكم وها أنا قريب منك ولم أزل قريبا دائما، فقال: يا رب إنك تعلم أنه لم يعرض لي أمران قط كلاهما طاعة إلا أخذت بأشدهما على نفسي، ألم أحمدك؟ ألم أشكرك؟ ألم أسبحك وأذكرك وأكبرك؟ فنودي من الغمامة بعشرة آلاف لسان: يا أيوب من صيرك تعبد الله والناس عنه غافلون وتحمده وتشكره والناس عنه لاهون تمن على الله بل المن لله تعالى عليك، فأخذ التراب ووضعه في فيه ثم قال: لك العتبى يا رب أنت فعلت ذلك، قال: فانصرفوا أولئك الذين ونحوه وانصرف الفتى الذي كان عن يمينه.

فلما كان في الغد وهو يوم الجمعة عند الزوال هبط جبرئيل عليه السلام، وقال: السلام عليك يا أيوب، فقال: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته، فمن أنت يا عبد الله؟ فإني أسمع منك نغمة حسنة وأجد منك رائحة طيبة وأرى صورة جميلة، فقال له: أنا جبرئيل رسول رب العالمين، أبشرك يا أيوب بروح الله وبرحمته فيه شفاؤك

وأن الله تعالى قد وهب لك أهلك ومثلهم معهم ومالك ومثله معه لتكون آية لمن مضى وعبرة لأهل البلاء ، قال : وكان أيوب عليه السلام على ما عليه من شدة حصل له فرح عظيم بعد ذلك ، فقال : الحمد لله الذي لا إله إلا هو ذو العزة والسلطان والمنة والطول ذو الجلال والإكرام الذي لم يشمت بي إبليس اللعين وأعوانه ، ثم قال جبرئيل : يا أيوب قم بإذن الله تعالى فنهض أيوب قائما على قدميه فقال له : جبرئيل اركل برجلك الأرض ففعل أيوب ذلك فإذا بالعين من الماء قد نبعت من تحت قدميه أشد بياضا من الثلج وأحلى من العسل وأذكى رائحة من الكافور فشرب منه شربة فلم يبق في بدنه دودة إلا سقطت ، فتعجب أيوب عليه السلام من كثرة الدود فأخبره جبرئيل بالغسل فاغتسل في تلك العين فخرج منها ووجهه كالقمر في ليلة البدر وعاد إليه حسنه وجماله وصار أحسن مما كان وأطرا ، ثم ناوله جبرئيل حلتين فاتزر بواحدة وارتدى بالأخرى وناوله نعلين من ذهب شراكهما من ياقوت وأعطاه سفرجلة من الجنة فأكل بعضا وترك منها لزوجته رحمة فقال جبرئيل (عليه السلام) : كلها يا أيوب فإن معي ثانية لها فأكل أيوب باقي السفرجلة ثم وثب وصف قدميه وقام يصلي فأقبلت رحمة وهي مهمومة مطرودة من جميع أبواب أهل القرية باكية العين ، فلما وصلت إلى الموضع رأت نظافة المكان وأن الله تعالى أنبت روضة خضراء ورأت نظافة الرجل الذي يصلي فظنت أنها قد ضلت الطريق ، ثم قالت : أيها المصلي أقبل علي حتى أكلمك ، فلم يكلمها أيوب وهو ساكت ، فصاحت وقالت : يا أيوب ما دهاك ؟ فلما أتم صلاته قال له جبرئيل : كلمها يا أيوب ، قال : ما حاجتك أيتها المرأة؟ قالت رحمة : ألك علم بأيوب المبتلى فإني أرى الموضع متغيرا علي فإني خلفته ههنا ولست أراه ، فالتثم أيوب وقال لها : إن رأيته تعرفيه ؟ فقالت رحمة : إنك لأشبه الناس به قبل أن يصيبه

البلاء ، فضحك أيوب عليه السلام فقال لها : أنا أيوب ، فبادرت إليه فاعتنقته واعتنقها فما فرغا من معانقتهما حتى بشرهما بأولادهما وأولاد أولادهما وإمائهما وعبيدهما ومواشيهما ومثلهم معهم وأمطر عليه جراد من الذهب والفضة ، وكان يلتقطه بثوبه فإذا ذهب الريح بشيء ركض خلفه فرده فقال له جبرئيل : ما تشبع يا أيوب ؟ فقال : يا جبرئيل ومن يشبع من رزق الله تعالى وكان له بئران عظيمان فافرغ في أحدهما الفضة وفي الآخر الذهب حتى فاض أحدهما على الآخر وأعطاه الله من الابل أربعين ألفا ومن النوق عشرين ألفا ومن البقر الاناث أربعين ألفا ومن الذكور أربعين ألفا ومن الضان أربعة آلاف ومن المعز كذلك ومن العبيد خمسة آلاف ومثلهم من الاماء وكان له في ضياعه أربعة آلاف وكيل وأجرة كل واحد منهم في كل شهر مائة مثقال من الذهب وبين يديه اثنى عشر من البنين واثنى عشر من البنات ، فلما رأى جميع ذلك سجد لله تعالى شكرا وملكه جميع الشام وما والاه وأعطاه مثل عمره الماضي ، وذكر كلام رحمة لابليس زمان بلائه وذكر نذره فاغتم أيوب من ذلك فأوحى الله إليه : وخذ بيدك ضغثا أي شمراخا مشتملا عدده على مائة فاضرب زوجتك رحمة ولا تحنث في النذر فأخذ شمراخا فقربها ضربة واحدة عن يمينه .

أقول وقد مدحه الله ونوه بصبره بقوله ﴿ إنا وجدناه صابرا نعم العبد انه أواب ﴾ (١) وقال تعالى ﴿ إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ﴾ (٢) وقال ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾ (٣) وإنما أوردت القضية بتمامها لأنها مشتملة على عظيم الصبر مع شدة البلاء والرضا بالقضاء ولما فيها من نكات الأسرار .

ونقل أن زوجته لما قالت له لو دعوت الله أن يشفيك قال

(١) ص ٤٤ (٢) الزمر ١٠ (٣) الطلاق ٢ – ٣

لها ويحك كنا في النعماء سبعين عاما فهلا نصبر على الضراء مثلا فلم يلبث إلا يسيرا حتى عوفي. ولا ريب أن هذه الحالة من أعلى مراتب الصبر التى هي مرتبة الرضا وأول مراتب الشكر فكان عند انتهاء اليأس من الخلق أتاه الروح من الله لانقطاعه عما سواه. وقوله مختوما بخاتم الشكر يعنى أنه محفوظ بالشكر للمنعم وأداء الحقوق المعبر عنه بالشكر الحقيقي من تطرق الزوال عليه لأن قلة الشكر تكون سببا لزوال النعمة .

قال علي عليه السلام ((إن لله عبادا يخصهم بالنعم ويقرهم فيهم ما بذلوها فإذا منعوها نزعها عنهم وحولها إلى غيرهم)) (١) .

وقال عليه السلام ((ما عظمت نعمة الله على أحد إلا عظمت إليه حوائج الناس فمن لم يحتمل تلك المؤنه عرض النعمة للزوال)) (٢) .

وقال عليه السلام ((إذا وصلت إليكم أطراف النعم فلا تنفروا أقصاها بترك الشكر)) (٣) .

ومن التحصين للمال وحفظه أداء زكوته وخمسه ، قال الصادق عليه السلام ((ما ضاع مال في بر ولا بحر إلا بتضييع الزكاة فحصنوا أموالكم بالزكوة وداووا مرضاكم بالصدقة وادفعوا نوائب البلايا بالاستغفار فإن الصاعقة لا تصيب ذاكرا)) (٤) .

واعلم أن المراد بصعود إبليس إلى السموات السبع في باطن الأمر هو إدراكه وإطلاعه على بعض أحكام كل سماء لأن في كل سماء ملائكة تدبيرها الموكلة بأفلاك تدويرها شغلهم يحكمون بأمر الله تعالى من إيجاد الأسباب التى أودعت فيها على ما يناط بها من المسببات واتصال العلوية بالسفلية ففي كل آن من آنات حركة الفلك يكون له تأثير خاص عند حصول تلك

---

(١) البحار ج ٧٨ ص ٧٩
(٢) كشف الغمة ج ٢ ص ٣٤٧
(٣) شرح النهج ج ١٢ ص ١١٦
(٤) المحاسن ص ٢٤٩

المقارنات ، قال سيد الساجدين عليه السلام.((وكيف أصف محن الدنيا وما وكل به دور الفلك)) فتسبيح ملائكة كل سماء غير تسبيح ملائكة السماء الأخرى على حسب اقتضاء أحكامها وتأثيرها لما دونها من الأحوال الوجودية المناطة بها وهيئته تسبيحهم وعبادتهم تدبير ما يناط بالعالم السفلي من أحكامه الوجودية والإخبار بها ففي بعضها الحكم على المولدات المعدنية وما يعقدها وما يفسدها وفي بعضها على المولدات النباتية وما يترتب على الأمطار والمياه في أوقات خاصة كنبات الزرع وأثمار الشجر وفي بعضها الحكم على المولدات الحيوانية وما يترتب عليها في أوقات وجودها وتقدير هيئتها في أماكنها وأزمانها من الحوادث الخاصة أو على الأماكن من الأمور العرضية لها بالخصوصيات الخارجة عن حقيقتها ، وفي بعضها الحكم على ما يناط بخصوصيات المولدات الثلاثة من اتصال نسب بعضها إلى بعض وارتباطها إلى غير ذلك من نظام أحوال العالم السفلي ، فمن نوع تسبيح ملائكة التدبير الإخبار بوقوع تلك الأحكام بأن يقول الملك سبحان الملك القهار الذي يسلب ملك آل فلان غدا ، سبحان العظيم الوهاب الذي يهبه لآل فلان ، وبعض يقول الله أكبر الذي قدر من قدح الزند بالحجر أحرق آل فلان ، وبعض يقول الحمد لله الذي جعل رزق زيد في جهة كذا عند حصول كذا ، وبعض يقول لا إله إلا الله الذي جعل امتزاج العقار الفلاني بالعقار الآخر تأثير المحبة في القلوب أو البغضاء في النفوس ، وهذا دأبهم أبدا يسبحون الليل والنهار لا يفترون ، يخبر كل واحد بما ركب في طبيعة فلكه من تأثيره بأسباب الايجاد في أنواع الحركات وأشخاصها بكل جزئي يصدر من العالم العلوي تأثيره في السفلي . وكان إبليس لعنه الله يعرف من تلك اللغات الجزئية المختلفة في سبع سموات ولا يعرف مما أودع في الكرسي ولا يحيط به لأن الكرسي مبدأ ظهور التكوين في عالم التمكين وفي مراكز

كواكبه ونسبتها بعضها إلى بعض جميع شئون العالمين فهو محل جميع صور المعاني التى انطوى عليها باطن العرش فالكرسي الظاهر باب خزائن العرش الظاهر الجسماني كما أن الكرسي الباطن باب خزائن عرش المعنوي الباطن ، فالمعاني جميعها في العرش وصورها في الكرسي وإليه الاشارة بقوله تعالى ﴿ وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم ﴾ (١) فمعنى حجب إبليس عما دون العرش يعنى الكرسي لأنه دون العرش ، وقول زين العابدين عليه السلام ((إن في العرش تماثيل جميع ما خلق الله في البر والبحر وإنه تأويل قوله عز وجل ﴿ وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم ﴾)) يريد بالتماثيل معانيها لا صورها المتشكلة ولذا قال إلا عندنا خزائنه أي مواد إيجاداته وكمه وكيفه ورتبته ووقته فكل تلك المواد فيه باطنة وصورها وتمايزها في الكرسي لأن العرش الظاهر الجسماني مظهر عقل الكل والكرسي الظاهر الجسماني مظهر نفس الكل فمبدأ المواد الغيبية والمعاني المجردة من عقل الكل ومبدأ الصور العينية والأشكال النوعية من نفس الكل وهكذا حكم العرش والكرسي بالنسبة إلى المواد الغيبية الغير المجردة والصور الجسمانيه كالشجرة في غيب النواة وكالصورة للحيوان في باطن النطفة فهيئة الشجرة كامنة في غيب النواة بكمون مادتها فيها التى هي مبدأ النمو وهكذا حكم الحيوان فإن صورة كل حيوان كامنة في نطفته بكمون مادته التى هي مبدأ النمو .

واعلم أن النطفة وإن كان مادة أولية للحيوان فليست هي مادة النمو ومنشأ التركيب بل هي مبدأ الجمود والانعقاد والاستحاله وذلك رتبة الجماد ، والعلقة مبدأ التكيف وهي رتبة المعدن والمضغة مبدأ النمو والزيادة في الكم وهي رتبة النبات

---

(١) الحجر ٢١

وهي التي أردت بقولي بكمون مادته التي هي مبدأ النمو وقد أشرت إلى تحقيق هذا في واضح المنار في علم الأسرار فيطلب هنالك وأما ظهور الصورة فإنما يكون مبدئه من المرتبة النامية ذات التفاصيل والتمايز فصح أن في العرش جميع صور الأشياء بهذا المعنى .

إطلاقات العرش

واعلم أن العرش يطلق على معان فمرة يطلق على الفلك التاسع الأطلس وهو العرش الجسماني ومحل خزائن الأجسام وما يتعلق بها ويناط بها من المعاني من عالم الكون والفساد . وتارة يطلق على القلب وهو العرش الباطن المشار إليه بقوله في الحديث القدسي ((لم يسعني سمائي ولا أرضي ووسعني قلب عبدي المؤمن)) (١) يعني محمد بن عبدالله صلى الله عليه وآله ويريد به أنه ما قدرت السموات والأرضون على احتمال أحكامه تعالى الوجودية والتشريعية واحتمالها ووسعها قلب المؤمن محمد صلى الله عليه وآله الذي قال فيه ﴿ آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه ﴾ (٢) وفيه يأتي تأويل قوله تعالى ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ (٣) فهو محل خزائن العلوم الإلهية والوجودات الكونية والأحكام الشرعية ومظهر تلك الخزائن وبابها النفس الكلية نفس الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام ، قال صلى الله عليه وآله ((أنا مدينة العلم وعلي بابها)) (٤) وهو الكرسي المعنى بصدر الإمام ولذا قال علي عليه السلام ((ظهرت الموجودات من باء بسم الله الرحمن الرحيم)) يعني باسم الله الباعث ولم يقل بدأت لأنها بدأت من ألف بسم الله باسم الله البديع وفي طي هذه الإشارة أسرار لا تحتملها العبارة .

---

(١) البحار ج٥٨ ص ٣٩ (٢) البقرة ٢٨٥ (٣) طه ٥ (٤) الخصال ص ٥٧٤

وتارة يطلق على الوجود المقيد وهو محل خزائن الوجودات الكونية وبابه العقل الأول وهو العرش المعنوي ، وأخرى يطلق على الوجود المطلق أعنى فعل الله وعالم الأمر وهو محل خزائن الوجودات الإمكانية وباب تلك الخزائن الحقيقة المحمدية ، وهذه المعاني أشارت إليها أخبار أهل العصمة متفرقة في بعضها صريحا وفي بعضها إشارة ، كما في الاحتجاج وغيره ، وروي أن داود عليه السلام ناجى ربه فقال ((إلهي لكل ملك خزانة فأين خزانتك فقال جل جلاله لي خزانة أعظم من العرش وأوسع من الكرسي وأطيب من الجنة وأزين من الملكوت أرضها المعرفة وسماؤها الايمان وشمسها الشوق وقمرها المحبة ونجومها الخواطر وسحابها العقل ومطرها الرحمة وأشجارها الطاعة وثمرها الحكمة ، ولها أربعة أبواب العلم والحكم والصبر والرضا أياد من القلب)) (١).

وإنما منع إبليس وحجب عن الكرسي الصوري لعدم إدراكه الأحكام التى تصدر عنه إذ هو محل جميع الكواكب وفيه ظهور نسب بعضها إلى بعض من نسبة كل واحد إلى آخر وهكذا ونسبة كل واحد إلى الكل منها بعد نسبة أفرادها بعضها إلى بعض بما لا تتناهى فيه تلك النسب والاتصالات الارتباطية ولا يقدر على إحصائها إلا الله عز اسمه ، بخلاف السموات السبع فإنما في كل سماء كوكب يظهر به حكم ما أودع فيه من أحكامها النوعية وكان إبليس لعنه الله يقعد من كل سماء مقعدا للإستماع من تجرده وعدم كثافة ظاهره فيعرف من أحكام كل سماء ما ظهر له منها ولم يطرد عن ذلك التعريف لأنه يسير في قوس أقبل فأدبر مدة دعوة نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام لعدم شمول ظاهر الشريعة لجميع الخلق بالتبليغ الخاص من واحد منهم عليهم السلام وعدم ظهور باطنها في أمة من الأمم قبل هذه الأمة الزكية ، فلما رفع عيسى عليه السلام

---

(١) غوالي اللآلي ج ١ ص ٢٤٩

وكانت بداية النوبة لسيد الرسل وخاتم النبيين صلى الله عليه وآله وعليهم بتهيؤ أسباب الظهور حجب عن أربع سموات هي متعلق الأحكام الباطنة الوجودية أي الفلك السابع فلك زحل وهو سماء العقل والفلك السادس فلك المشتري وهو سماء العلم والفلك الخامس فلك المريخ وهو سماء الوهم والإدراك والفلك الرابع فلك الشمس وهو سماء الوجود الثاني العيني إذ قبله الوجود الكوني ولم يحجب عن ثلاثة أفلاك هي متعلق الأحكام الظاهرة ، الفلك الثالث فلك الزهرة وهو سماء الخيال والفلك الثاني فلك عطارد وهو سماء الفكر ، والفلك الأول فلك القمر وهو سماء الحياة في النشأة الثانية ، فلما ولد سيد المرسلين صلى الله عليه وآله منع بسبب ظهور نور الحق وقوة سلطنته فانقشعت ظلم الجهل وغسق الضلالة بنور شمس الهداية فطرد هو وجنوده عن تعريف هذه الثلاثة الأفلاك لأنه كلما قويت شيطنته وعظمت غوايته بعد عن النور واشتد غسق ظلمته لاشتداد ظهور النور بحكم التقابل الذاتي قال سبحانه ﴿ وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا ﴾ (١) فأتى بيزيد نظرا إلى زيادته على أصله الذي هو مقتضى طينته الخبيثة بسبب ظهور النور وإشراقه ولم يقل وليجعلن ومثله من الألفاظ الدالة على أصل التكوين ، فلا يزال لعنه يزداد انطماسا وجهلا فينتكس أسفل سافلين وهكذا كلما قوى الحق ضعف إدراكه حتى يجتمع ظاهره في باطنه وباطنه في ظاهره إذا استقر في التابوت عند تمام دورته في قوس أدبر فأدبر فيرجع كرة في أصله أعنى جهل الكل بعد أن كان مظهرا له وحامله وذلك عند انقطاع سلطنته وسفارته للضلال والغواية فلا يعلم شيء مما كان يعلمه عكس عقل الكل وحامله فانه لا يجهل شيء أبدا فافهم .

فكان إبليس لعنه الله بعد ظهور سلطان محمد صلى الله

(١) المائدة ٦٤

عليه وآله يحصل له بعض التعريف الثاني عن الظن والتخمين لا عن العلم واليقين فحكى الله عنه وعن وجوده بقوله ﴿ وإنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الان يجد له شهابا (من الحق) رصدا ﴾ (١) لا يغفل أبدا يحرقه ويزيل تظنينه وإليه الاشاره بقوله ﴿ وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون ، إنهم عن السمع لمعزولون ﴾ (٢) وقال تعالى ﴿ يلقون السمع وأكثرهم كاذبون ﴾ (٣) يريد أنهم يلقون من السمع إلى أوليائهم ما يظنونه فإذا لم يجدوا طريقا إلى ذلك افتروا وكذبوا لاضلالهم وللتشبيه على القاصرين من غير أوليائهم فهذا الذي ذكرته هو المراد من تأويله وباطنه ، وأما ظاهره فمعلوم في الظاهر .

وقوله تعالى لابليس (من أين أقبلت) يريد من أي جهة أردت وقصدت أن تأتي أوليائي فإنك لا تستطيع ذلك لأنه لا سلطان لك عليهم ، قوله (فنودي) إلى آخره ، أراد به سبحانه إتمام الحجة على إبليس وإظهار الفلج وذلك أنه يريد الإذن ويخاف أن يمنع ويعاقب مع أنه أضمرلش ار لأيوب عليه السلام فنبهه سبحانه على ما أضمر فأذن له لئلا يظن أن لو لم يمنع بالقاسر من الله لوجد السبيل إلى أولياء الله فأراد عز شأنه أن يبين أنه ليس في أنبيائه ما يكون داعيا إلى معصيته تعالى لحقيقة ما هم أهله حيث تأدبوا بآداب الله وأقاموا أنفسهم على ما أراده الله منهم فلذا اختارهم على علم منه بهم ، قال سبحانه ﴿ الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس ﴾ (٤) وقال تعالى ﴿ الله أعلم حيث يجعل رسالته ﴾ (٥) ، وقال عليه السلام ((لعلمه أنه لا يختار من يلحقه التظنين)) .

وقول إبليس (لو سلطتني على ماله) إلى آخر كلامه مع

---

(١) الجن ٩ (٢) الشعراء ٢١٠ـ٢١٢ (٣) الشعراء ٢٢٣
(٤) الحج ٧٥ (٥) الأنعام ١٢٤

علمه بعناية الله لأيوب دليل على جهله وشدة طمعه فيما لا مطمع فيه لخبث ما انطوت عليه حقيقته الابليسيه بحيث غلبت على معرفته به فطمع أن ينال من نبى الله غرة وقد أراد الله سبحانه أن يظهر عجزه وكذبه في طمعه ودعواه أنه يقدر على إغواء أيوب لو سلط عليه، والحال أنه لا يغالب الله ولا يقهر أولياء الله، قال عز من قائل ﴿ كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز ﴾(١) وقال جل شأنه ﴿ إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا ﴾(٢) ﴿ كذلك حقا علينا نصر المؤمنين ﴾(٣) وقال ﴿ إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون ﴾(٤) وقال تعالى ﴿ إن عبادي ليس لك عليهم سلطان ﴾(٥) وقد قال أيوب عليه السلام عند ظهور الفرج (الحمد لله الذي لا إله إلا هو ذو العزة والسلطان والمنة والطول ذو الجلال والإكرام الذي لم يشمت بي إبليس اللعين وأعوانه).

واعلم أن المراد بالصخرة في الباطن القساوة التى ما شمت رائحة الرحمة يقول الله تعالى ﴿ فهي كالحجارة بل أشد قسوة ﴾(٦) وكانت سوداء مظلمة ما استنارت بنور الايمان ولا انتشقت من روح الله وهي مبدأ دحو الحسد والكبر والخيلاء والترفع عن طاعة الله، ينبع منها صديد اللعنة لأنها أصل الشرور ورأس كل بلاء مهلك وخطيئة موبقة فدحيت المفاسد والمآثم كلها من البخل والكبر والحسد والعجب وما يترتب على هذه الخبائث من تحت الصخرة الخبيثة كما دحيت أرض المساجد من تحت الكعبة وأرض الشهادة من تحت أرض كربلاء وحكم هذا الدحو لا يعرفه إلا العالمون، وليعلم أن مظهر تلك الصخرة في كربلاء عند مربع الأشقياء منها لأن قابيل لعنه الله قتل هابيل هنالك ولذا قال الله تعالى ﴿ من أجل ذلك كتبنا على بنى إسرائيل أنه من قتل نفسا

(١) المجادلة ٢١ (٢) غافر ٥١ (٣) الروم ٤٧
(٤) الصافات ١٧٢ـ١٧٣ (٥) الحجر ٤٢ (٦) المائدة ٣٢

بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ﴾(١) فهابيل خير الأولين وهو أول قتيل قتل وأول دم سفك على وجه الأرض دمه ، وعند محط تلك الصخرة الملعونة توازرت كلاب أهل النار على سيد الشهداء عليه السلام فقتلوه عندها وهو خير الآخرين من الشهداء فكانت موضع سفك الدماء ، ومبدأ الفساد وخاتمته كما في تفسير قوله تعالى ﴿ ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ﴾(٢) ، وروى مسيب ابن نجيه قال ((لما أتانا سلمان الفارسي قادما فلقيه من تلقاه فسار حتى انتهى إلى كربلاء فقال ما تسمون هذه قالوا كربلاء قال هذه مصارع إخواني هذا موضع رحالهم وهذا مناخ ركابهم وهذا مهراق دمائهم قتل بها خير الأولين ويقتل بها خير الآخرين ، ثم سار حتى انتهى إلى حرورا قال ما تسمون هذه الأرض قالوا حرورا فقال خرج بها شر الأولين ويخرج بها شر الآخرين)) الخبر .

فكانت كربلاء أول بقعة من الأرض سفك فيها دم حرام وأول ظهور الفساد في الأرض فيها وختمت بالفساد الأعظم فقتل الحسين عليه السلام فكانت مشتقة من كرب وبلاء وحرورا أول بقعة ظهرت فيها مكيدة إبليس فخرج فيها حين أغوى قابيل لقتل أخاه فسار حتى أمكنته الفرصة في كربلاء فرضخ رأسه على تلك الصخرة وقتله فيها فإبليس شر الأولين حقيقة وشر الأولين بالإضافة قابيل وشر الآخرين الشراه ذو الثدية وأصحابه وكون المراد بشر الأولين قابيل أنسب بالمقام ومعنى أن حرورا خرج بها شر الأولين على هذا أن قابيل أول ما ظهر حسده لأخيه فيها .

وأما بكاء أيوب عليه السلام إنما كان منشأه الرقة التي هي أثر الرحمة لا عدم الرضا بالقضاء وذلك محمود عند الله سبحانه فلا ينافي الصبر وإن كان تركه أولى خصوصا في هذا المقام الذي

---

(١) المائدة ٣٢ (٢) الروم ٤١

هو مقام الاختبار ونقل أن المذموم هو البكاء بالمد أي رفع الصوت والرنة وأما البكا بالقصر أي جريان الدموع الناشئ من رقة القلب فذلك من علامة الايمان نعم ينافي الشكر الذي هو الرضا بفعل المحبوب والمحبة لذلك من باب الاراده والطلب إذا رضا من باب التسليم مقام الصبر وهو أدنى من مقام الشكر ولأجل ذلك ترقى أيوب عليه السلام من مقام الصبر إلى درجة الشكر فندم على قصوره في مقامه الأول فوضع التراب على رأسه فعل النادم المنكسر الراجع المنيب إلى ربه وقال لا ازددت على بلائك إلا شكرا ولم يقل إلا صبرا وقد قال بأن أولادي كانوا عارية لله تعالى عندي ولابد من اللحاق بهم ، فالعارف الحقيقي غير الواصف يكون غاية مطلوبه المقام في دار مقره لا في دار سفره فإذا كان كذلك أحب تقديم رحله وأثاثه ليرجع إلى وطنه خفيف المؤنة من حمل الأثقال منجذب النفس إلى ما قدم انجذاب محبة وشوق ، قال علي عليه السلام لما قال له سويد بن غفلة ما لي لا أرى في هذا البيت شيء من الأثاث فقال ((يا ابن غفلة إن اللبيب لا يتأثث في دار النقلة وان لنا دار المقام قد قدمنا إليها خير متاعنا وإنا عن قريب إليها صائرون)) .

وأما الشاب الذي قيضه الله لردع أولئك النفر فهو ملك خلقه الله تعالى من صبر أيوب عليه السلام هو صورة صبره وكان شابا قويا لم يهرم لطول المدة والشدة في البلاء كما خلق سبحانه الملكين الذين أتيا داود عليه السلام من عمله وعمل أوريا وهذا معنى لا يعرفه أكثر الخلق فهو موضوع عنهم بل أقول أن كل حركة لك أو قول أو فعل أو فكر صور روحانية فإن كانت تلك الصور مبدؤها من النور كانت روحانية عقلية فصارت مادة لملك يخلقه الله منها يدعوك إلى طاعة الله ويعينك على النفس الأمارة ويكون من جنود عقلك ، وإن كان مبدؤها من الظلمة أعنى مادة الجهل

كانت روحانية نفسانية فصارت مادة لشيطان يخلقه الله منها يغويك ويهتف بك إلى اتباع الضلالة وترك الرشاد ويكون من جنود النفس الأمارة وذلك معنى قوله تعالى ﴿ نقيض له شيطانا فهو له قرين ﴾ (١) .

وقول أيوب (يا رب لو جلست مجلس الحكم منك) إلى آخره ، يريد به الاستعطاف من الله والاعتذار فقال لأدليت بحجتي ولم يقل لخاصمت وان كان السياق في بادئ الرأي لا يلائم ما قلته إلا أن المعنى به هو ما ذكرته .

وأما الغمامة السوداء ذات الرعد والبرق والصواعق المتداركة فهي مظهر القهر والعظمة فناسب ذلك مقام السلطنة عند ظهور قيام الحجة وأما المكلم لأيوب في الغمامة فهو لسان الله الذي كلم به موسى عليه السلام في الشجرة وذلك لسان الولاية المطلقة الناطق عن الله المعبر عنه في جميع ذرات الوجودات الذي جعله سفيرا بينه وبين حججه وأنبيائه وجميع خلقه وهو المعنى بقوله في دعاء رجب ((فبهم ملأت سماءك وأرضك حتى ظهر أن لا إله إلا أنت)) (٢) ، وقد كان هو أصل بلاء أيوب حيث شك عند الانبعاث للمنطق فبكى وقال ((خطب جليل وأمر جسيم فقال الله عز وجل له يا أيوب أتشك في صورة أقمته أنا إلى أن قال وعزتي لأذيقنك من عذابي أو تتوب إلي بالطاعة لأمير المؤمنين)) . وشك أيوب تردده لا إنكاره ومعنى تردده أنه حين سلم وانقاد كان ذلك لا عن معرفة وثبات فتردد بين طاعتين لله أعني الانقياد بالتسليم والثبات بالمعرفة فقام بحدود الأولى وقصر عن الثانية كما كان لآدم عليه السلام فإنه سلم وانقاد لا عن ثبات عند أخذ العهد ، قال سبحانه ﴿ ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما ﴾ (٣) يعني أنه ترك ولم نجد له ثباتا .

---

(١) الزخرف ٣٦ (٢) الإقبال ص ٦٤٦ (٣) طه ١١٥

سبب تسمية الخمسة بأولي العزم

وإنما سمي نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم السلام أولوا العزم لأنهم ثبتوا على ما كلفوا به بعد المعرفة بخلاف سائر الأنبياء فإنهم سلموا وانقادوا لا عن معرفة فابتلى الله أيوب عند ذلك كما ابتلى آدم فلما عرف وأذعن إذعان طاعة معرفة لا طاعة تسليم عافاه الله من بلائه المسبب عن قصوره بما وهبه من عافيته الناشئه عن كماله ومعرفته ولنقبض العنان فللجدران آذان وما أحسن ما قاله والدي أعلى الله مقامه في مثل هذا المقام :

لكن خشيت من الاغيار اذ جهلوا   ما قد علمت وشاني ستر مخبوري

ونظير قول أيوب عليه السلام انه لم يعرض لي أمران قط كلاهما طاعة لله إلا أخذت بأشدهما على نفسي قول أمير المؤمنين عليه السلام ((إنه ما ورد علي أمران كلاهما طاعة إلا أخذت بأحوطهما وبأشدهما على بدني)) وهذا مقام الصديقين الذين هذبوا نفوسهم وأدبوها وقهروها تحت سلطنة العقل من الجموح في مهاوي الهلكه ولا ينافي ذلك في الحقيقة ما روي عن الباقر عليه السلام أنه قال ((لم يعرض لي بابان كلاهما حلال إلا أخذت باليسير وذلك أن يسير ويحب اليسير ويعطي على اليسير ما لا يعطي على العنيف)) . لأنهم عليهم السلام أطباء النفوس والمعلمون للعباد ودعاة الخلق إلى الحق فما كان فيه إرشاد العباد وتعليمهم وتكليفهم أمروا فيه بالسهل اليسير وحملوهم على ما يطيقونه ، ويعملون هم أيضا به ليقتدي بهم غيرهم فلو حملوهم على الصعب العنيف لنفرت نفوس الحملة عن التحمل لعجزها فتقع فيما لا يراد منها ، وأما ما كان مختصا بهم في العمل أخذوا فيه بالأشد لقوتهم على ذلك

وأمروا به خواص شيعتهم وأهل الطاقة منهم وقد ورد مثل ذلك في موارد من الشرع ، منها استحباب تطويل الأذكار في الصلاة للمنفرد ولمن يحبه من الجماعة واستحباب التخفيف لعامة الناس في الجماعه كما في كتب أمير المؤمنين عليه السلام إلى عماله ((صلوا بصلاة ضعفاء الناس ولا تكونوا فتانين)) .

واعلم أن السبب في كون أيوب يجمع ما تذهب الريح به من الجراد الذي نزل عليه هو التعظيم لنعمة الله وقبول هديته لا لأجل طمع في نفس وحرص ناشئ عن طبع إنساني كما يظنه الجاهلون بمقام أنبياء الله وحججه ، فقاسوا ما سمعوه على ما وجدوه من نفوسهم الجاهلة الخاطئة فمالوا عن سواء الصراط ولذا لما قال له جبرئيل أما تشبع يا أيوب قال ومن يشبع من رزق الله تعالى ولم يقل ومن يشبع من الدنيا وحطامها لأنه عليه السلام يعلم أن الحكيم إنما أرسل له الجراد وأعطاه ما أعطاه لفائدة اقتضتها الحكمة الالهية .

قصة نوح عليه السلام

ومن عظيم الصبر على البلاء مع شدة اللأواء صبر نوح عليه السلام في مدة دعوته لقومه ألف سنة إلا خمسين عاما كل ذلك يحتمل منهم الأذى ويقابله بالصبر والرضا ومع ذلك لا يزالون يهزؤون به ويسخرون منه وهذا مالا تقوم له الجبال . فروي عن الصادق عليه السلام أنه قال ((لما أظهر الله تبارك تعالى نبوة نوح وأيقن الشيعه بالفرح اشتدت البلوى وعظمت الفريه إلى أن آل الأمر إلى شدة شديده نالت الشيعة والوثوب على نوح بالضرب المبرح حتى مكث عليه السلام في بعض الأوقات مغشيا عليه ثلاثة أيام يجري الدم من أذنه ، ثم أفاق وذلك بعد ثلاثمائة سنة من مبعثه وهو في خلال ذلك يدعوهم ليلا ونهارا فيهربون ويدعوهم سرا فلا يجيبون ويدعوهم

علانية فيولون فهم ثلاثمائة سنة بالدعاء عليهم وجلس بعد صلوة الفجر للدعاء فهبط إليه وفد من السماء السابعة وهو ثلاثة أملاك فسلموا عليه ثم قالوا يانبي الله لنا حاجة قال وما هي قالوا تؤخر الدعاء على قومك فإنها أول سطوة لله عز وجل في الأرض قال قد أخرت الدعاء ثلثمائة سنة أخرى .

ويئس من إيمانهم ، جلس في وقت ضحى النهار للدعاء فهبط إليه وفد من السماء السادسه وهم ثلاثة أملاك فسلموا عليه وقالوا نحن وفد من السماء السادسه خرجنا بكرة وجئنا ضحوة ثم سألوه مثل ما سأله وفد السماء السابعه فأجابهم إلى مثل ما أجاب أولئك الثلاثة .

وعاد عليه السلام إلى قومه يدعوهم فلا يزدهم دعاؤه إلا فرارا حتى انقضت ثلاثمائة سنة أخرى تمام تسعمائة سنه فصارت إليه الشيعة وشكوا ما يناهم من العامه والطواغيت وسألوه الدعاء بالفرج فأجابهم إلى ذلك وصلى ودعا فهبط عليه جبرئيل عليه السلام فقال له إن الله تبارك وتعالى قد أجاب دعوتك فقل للشيعه يأكلون التمر ويغرسون النوى ويراعونه حتى يثمر فإذا أثمر فرجت عنهم فحمد الله وأثنى عليه وعرفهم ذلك فاستبشروا به فأكلوا التمر وغرسوا النوى وراعوه حتى أثمر ثم صاروا إلى نوح عليه السلام وسألوه أن ينجز لهم الوعد فسأل الله تعالى في ذلك ، فأوحى الله إليه قل لهم كلوا هذا التمر واغرسوا النوى فإذا أثمر فرجت عنكم فلما ظنوا أن الخلف قد وقع عليهم ارتد منهم الثلث وثبت الثلثان فأكلوا التمر وغرسوا النوى حتى أثمر أتو به نوحا فأخبروه وسألوه أن ينجز لهم الوعد فسأل الله تعالى في ذلك فأوحى الله إليه قل لهم كلوا هذا التمر واغرسوا النوى فارتد الثلث الآخر وبقي الثلث فأكلوا التمر وغرسوا النوى فلما أثمر أتوا

به نوحا عليه السلام فقالوا لم يبق منا إلا القليل ونحن نتخوف على أنفسنا بتأخر الفرج أن نهلك .

فصلى نوح عليه السلام ثم قال يا رب لم يبق من أصحابي إلا هذه العصابة وإني أخاف عليهم الهلاك ان تأخر عنهم الفرج فأوحى الله عز وجل إليه قد أجبت دعاءك فاصنع الفلك وكان بين إجابة الدعاء والطوفان خمسون سنة)) .

فقوله قد أجبت دعاءك حين أمره يصنع الفلك بمعنى أنجزته لا بمعنى قبله لأنه قد قبله ووعده الفرج قبل ذلك حين أمر قومه بأكل التمر وغرس النوى .

واعلم أن المراد بالثلاثه الأملاك الذين وفدوا عليه من السماء السابعة صورة عقله وقرينيه الدين والحياء فخلق الله هذه الملائكه من مواد العقل والدين والحياء فسألوه الامهال وطلبوا منه عدم الاستعجال بالدعاء على قومه لأن طبع العقل التودة والنظر في عواقب الأمور وهكذا حكم تابعيه الدين والحياء فأجابهم وجعل لكل واحد منهم مائة سنة دوره تامة وكانت أعمار قوم نوح عليه السلام ثلاثمائة سنة كما رواه في الاكمال عن الصادق عليه السلام فعلى هذا مضت ثلاثة قرون فهو مجد في الدعوة صابر على شدة المحنة .

والمراد بوفد السماء السادسة أعني الثلاثة الأملاك صورة علمه وقرينيه الحلم والصبر لأن مقتضى العلم وقرينيه التأني والبصيرة في الأمور وهداية المسترشد وإرشاد الضال وإقامة الحجة البالغه ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيي عن بينة فأجابهم لما سألوه الامهال عليهم وطلب الهداية لهم فأجابهم أيضا لكل واحد مائة سنة فجعل الله الملائكة التى خلقت من صفات العقل والدين والحياء والعلم والحلم والصبر موكلة بالتبليغ عنه تعالى

والأداء إلى من اتصف بها لتسدده عن الزيغ والميل إلى أضدادها .

واعلم أنه لكل عقل من العقول كليها وجزئيها ملك مخلوق منه مطابق له لا يفارق صاحبه يسدده بتأييده من الله وكذا الدين والحياء ومقر هذه الملائكة ومراكزها في السماء السابعة وهي أعلى السموات الظاهرة والباطنة ليس فوقها إلا الكرسي والعرش وهكذا حكم العلم والحلم والصبر إلا أن مقرها ومركزها السماء السادسة بل وكل واحد من جنود العقل له ملك مخلوق من مادته أعني من مقتضاه لا من سنخه بالتولد أو الانقطاع كما يظنه من لا معرفة له ولا علم عنده فبعضها مقره السماء الخامسة وبعضها الرابعة أو الثالثة أو الثانية أو الأولى كما أنه سبحانه خلق لكل نفس أمارة كليها وجزئيها من صفاتها شيطانا مقيضا لا يفارق صاحبها يغويه ويضله بخذلان الله له مطابق لتلك النفس وهكذا حكم كل واحد من جنود الجهل على حكم التقابل بين العقل والجهل في منازلها ومستقرها من الأرض السابعة والسادسة وهكذا إلى الأولى لأن كل سماء محتد صنف من الملائكة وكل أرض مسكن صنف من الشياطين فخلقت الملائكة من شعاع نور العقل بالتكوين من فاضل وجود محمد صلى الله عليه وآله لا بالتوليد والانقطاع كل بحسبه في قربها من مبدئها وبعدها منه و خلقت الشياطين من غسق ظلمة الجهل بالتناسل من إبليس من فاضل ماهيته الخبيثة كل بحسبه في قربها من أصلها وبعدها منه .

وهذا الذي ذكرته أفاده صحيح العقل ودل عليه محكم النقل بإشارات لا ينالها إلا المتوسمون وإنما لم أذكر في الأخبار ما يشير إليه لوجهين أحدهما أن هذه الرموز متفرقة في شعب الأخبار المتفرقة وثانيهما خوف إنكار الأغيار من الجهال الذين لم يخاطبوا بها في سرهم ولا في علانيتهم قال عليه السلام ((ما كل ما يعلم يقال ولا كلما

يقال آن وقته ولا كل ما آن وقته حضر أهله ، إن من العلم ما يحتمل ومنه ما لا يحتمل ومن الناس من يحتمل ومن الناس من لا يحتمل)) .

وقوله إذا أثمر فرجت عنهم وعد حق وقول صدق ولكن الله سبحانه أخفى عنهم حرفا واحدا من القدر ابتلاء لهم واختبارا ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيي عن بينة كما أخفى حرفا واحدا من القدر عن يونس بن متى عليه السلام ليجري في أمره وينفذ حكمه حيث قال له إني سأنزل عليهم العذاب قبل طلوع الفجر (الشمس) من يوم كذا ولم يقل سأهلكهم به فأخفى ذلك عنه فعرف من الانزال الاهلاك فنزل عليهم العذاب وحاذى رؤوسهم في الوقت الموعود به حتى احمرت هراب رماحهم من النار فخروا ساجدين لله وأنابوا إليه فرحمهم وصرف العذاب عنهم إن لم يعده بإهلاكهم ، فقال يونس عليه السلام كذبني الوحي والله لا رأوا وجهي ، يريد كذبني الوحي عند قومي فيرون أني كاذب فلا يؤمنوا فذهب مغاضبا على قومه لله لا على الله فابتلاه الله بما ابتلاه به مع أنه سبحانه أخذ على أنبيائه وحججه أن يقروا له بالبداء وهكذا كان حكم قوم نوح عليه السلام فإنه قال إذا أثمر فرجت عنكم ولم يقل أهلكتهم بلا مهلة فأخفى عنهم هذا الحرف من سر القدر ففهموا غير ما أراده سبحانه من أول أسباب إهلاكهم لاقتضاء الحكمة الالهية هو وقت الاخبار لا وقوع الهلاك بهم وإنفاذ المشيئة فيهم وهكذا حكم جار في سنة الله مع أنبيائه وأممهم للعلة التي ذكرتها قال عز من قائل ﴿ الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ﴾ (١) يعني ليميزن بينهم بالاختبار في التكاليف ، وقال أمير المؤمنين عليه السلام

---

(١) العنكبوت ١ – ٣

((لتبلبلن بلبلة ولتغربلن غربلة ولتساطن سوط القدر حتى يعود أسفلكم أعلاكم وأعلاكم أسفلكم وليسبقن سابقون كانوا قصروا وليقصرن سابقون كانوا سبقوا)) (١).

وعن الصادق عليه السلام ((إذا تمنى أحدكم القائم فليتمنه في عافية فإن الله بعث محمدا صلى الله عليه وآله رحمة ويبعثه عليه السلام نقمة)) (٢) ويقول الله ﴿ يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق ﴾ (٣) يعني القيمه الصغرى.

و ورد أن القائم عليه السلام يخرج على ثلث الناس و ورد أنكم أنتم الثلث الباقي يعني الشيعة.

وورد عن أبي جعفر عليه السلام قال ((إن حديثنا هذا تشمئز منه قلوب الرجال فمن أقر به فزيدوه ومن أنكر فذروه إنه لابد من أن تكون فتنة يسقط فيها كل بطانة ووليجة حتى يسقط فيها من كان يشق الشعر بشعرتين حتى لايبقى إلا نحن وشيعتنا)) (٤). يريد أن الثبات على دين الله إنما يكون بفضل الله ورحمته محمد و علي عليهما السلام فيثبت قليل العلم على الحق لما سبق له من العناية ويسقط العالم الحاذق فلا يثبت على الحق، فالثابتون هم الشيعة الذين أقروا بالعهد المأخوذ في عالم الذر وهم الثلث الباقي لأنهم النمط الأوسط فيهلك الغالي المفرط والقالي المفرط كما في الأمم السالفة حذو النعل بالنعل و القذة بالقذة كما أخبر به الحسين عليه السلام حيث قال لحبابه الوالبية ((نحن وشيعتنا على الفطرة وسائر الناس منها براء)) (٥).

وإنما أبقى الله تعالى على قوم نوح ولم يبادرهم بالنقمه لتمحص الأصلاب و الأرحام من المؤمنين بحيث لا يولد منهم

---

(١) الغرر والدرر ص ١٠١ (٢) الصراط المستقيم ج ٢ ص ٢٦٢ (٣) الشورى ٢٣

(٤) بصائر الدرجات ص ٢٣ (٥) دعوات الراوندي ص ٦٦

مؤمن وذلك أنه سبحانه يضع الخلق في مناخل التكاليف ويغربلهم بغرابيل المحن حتى لايبقى منهم إلا القليل وهم صفوة الله من خلقه وخلاصته من عباده أولئك الذين هدى الله وأولئك هم المفلحون .

فلما علم سبحانه أنه ليس في أصلاب قوم نوح مؤمن أهلكهم وقد قال نوح عليه السلام ﴿ رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا ﴾ (١) .

وهذه العلة أحد أسباب قعود علي عليه السلام عن قتال من غصبه الخلافه وعدم خروج صاحب الأمر عليه السلام لأنه إذا قام عجل الله فرجه ارتفعت التقيه فاقام دين الله الحق كما أمر فإن ترك أعداءه ومن لم يؤمن به ترك إقامة الدين وإن قتلهم وفي أصلابهم مؤمنون قتل شيعته في أصلاب أعدائه .

ونقل أن الحسين عليه السلام يوم طف كربلاء كان ينظر في عمود النور الذي عند الامام إلى أصلاب أعدائه فمن رأى في صلبه من أعدائه مؤمنا تركه وهم الذين تألبوا عليه فقتلوه ولولا ذلك لأفناهم عن آخرهم وعليه تأويل قوله تعالى ﴿ لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما ﴾ (٢) ، وقيل أن زين العابدين عليه السلام قال لأبيه عليه السلام حين رجع إلى المخيم ما معناه يا أبه مالي أراك تقتل واحدا وتترك عشره فقال له يا بني عند الزوال ينكشف لك الحال يريد عليه السلام بعد قتله لأن العمود ينتقل إليه بعده فيرى فيه ما كان يرى فيه الامام السابق وتظهر العلة التى لأجلها ترك من ترك فعند ذلك أي عند خروج روح الامام السابق يتساوى علم الامام اللاحق والسابق كما روي عنهم عليهم السلام .

---

(١) نوح ٢٦ ـ ٢٧ (٢) الفتح ٢٥

ومن عظيم الصبر والرضا ما كان لإسماعيل بن حزقيل عليه السلام فإنه لما عذبه قومه أرسل الله إليه ما حاجتك لم يسأل الله كشف البلاء ورضي بما أصابه احتسابا لله وصبرا في جنب الله.

فعن الصادق عليه السلام أن الذي قال الله في كتابه ﴿ واذكر في الكتاب اسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا ﴾(١) سلط الله عليه قومه فكشطوا وجهه وفرو رأسه فبعث الله له ملكا فقال له إن رب العالمين يقرؤك السلام ويقول قد رأيت ما صنع بك قومك فسلني ما شئت فقال يا رب العالمين لي بالحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام أسوة قال أبو عبدالله عليه السلام وليس هو إسماعيل بن إبراهيم، ونظيره أخبار.

وعن بريد بن معوية العجلي قال قلت لأبي عبدالله عليه السلام ((يا ابن رسول الله أخبرني عن إسماعيل الذي ذكره الله في كتابه حيث يقول ﴿ واذكر في الكتاب اسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا ﴾ أكان إسماعيل بن إبراهيم؟ عليه السلام فإن الناس يزعمون أنه إسماعيل بن إبراهيم، فقال عليه السلام: إن إسماعيل مات قبل إبراهيم وإن إبراهيم كان حجة الله على خلقه (صاحب الشريعة) فإلى من أرسل إسماعيل إذن، قلت: من كان؟ فقال عليه السلام: إسماعيل بن حزقيل النبي بعثه الله إلى قومه فكذبوه وقتلوه وسلخوا فروة رأسه وجلدة وجهه فغضب الله عليهم فوجه سطاطائيل ملك العذاب فقال له: يا إسماعيل أنا ملك العذاب وجهنى رب العزة إليك لأعذب قومك بأنواع العذاب إن شئت، فقال له إسماعيل: لا حاجة لي في ذلك يا سطاطائيل، فأوحى الله إليه ما حاجتك يا إسماعيل فقال يا رب إنك أخذت الميثاق لنفسك بالربوبية ولمحمد بالنبوة ولأوصيائه بالولاية وأخبرت خلقك بما يفعل بالحسين بن علي عليهما السلام من بعد نبيها وإنك وعدت

---

(١) مريم ٥٤

الحسين عليه السلام أن تكره إلى الدنيا حتى ينتقم ممن فعل ذلك به فحاجتي إليك يا رب أن تكرني إلى الدنيا حتى أنتقم ممن فعل بي كما تكر الحسين عليه السلام فوعد إسماعيل بن حزقيل ذلك فهو يكر مع الحسين بن علي عليهما السلام)) (١) .

وعن سليمان الجعفري عن الرضا عليه السلام قال ((أتدري لم سمي إسماعيل صادق الوعد ؟ قلت : لا أدري ، قال : وعد رجلا فجلس له حولا ينتظره)) (٢) .

فحيث أنه استصغر ما أصابه عندما أصيب به الحسين عليه السلام هان عليه خطب مصيبته فكان الذي ابتلي به محبوبا عنده مطلوبا لديه بالعرض فوطن نفسه عليه طلبا للمتابعة وقصدا للمشابهة وهذه أعلى درجات الصابرين وأول الشاكرين .

وأما قوله عليه السلام (إن إسماعيل مات قبل إبراهيم) فلا ينافي ما دل من الأخبار على أنه وصي أبيه وما دل على أن إسحاق وصي إبراهيم عليهم السلام أيضا لأن الوصاية لا تستلزم موت الموصي قبل الموصى إليه ، كما كان في شأن موسى وهارون عليهما السلام فإن موسى أوصى إلى أخيه وصية خاصة في أيام حياته ولو بقي بعده عموما مقدما على يوشع بن نون ، وقد أوصى رسول الله صلى الله عليه وآله إلى علي عليه السلام ونص عليه في بدء الاسلام حين نزل قوله تعالى ﴿ وأنذر عشيرتك الاقربين ﴾ (٣) فكذلك أوصى إبراهيم إلى إسماعيل فلما قبض إسماعيل أوصى إبراهيم إلى إسحاق فاستقرت الوصية فيه كما استقرت الوصية في يوشع بعد موت موسى عليهم السلام .

وقوله عليه السلام أن ابراهيم كان حجة الله على خلقه (صاحب شريعة) فإلى من أرسل إسماعيل إذن) ، مراده الإخبار عما وقع لا نفي جواز اجتماع صاحب الشريعة مع رسول غيره في

---

(١) قصص الأنبياء ص ٣١٧ (٢) علل الشرايع ص ٧٧ (٣) الشعراء ٢١٤

وقت إلى غير من أرسل صاحب الشريعة إليهم فإن لوطا عليه السلام كان رسولا إلى سدوم والقرى مع وجود إبراهيم عليه السلام وقيامه بشريعته العامة وذلك لأن رسالته خاصة تجامع رسالة غيره ومعنى خصوص الرسالة مع عموم الشريعة العامة التكليف في الأزمان الخاصة تأتي على حسب اقتضاء الحكمة لمصالح اقتضاها الزمان الخاص فإذا تغيرت المصالح نسخت بشريعة أخرى هذا في غير شريعة صاحب خاتم الشرائع لأن شريعته ذاتية كلية مطابقة لمقتضى الكون الوجودي فلا يجوز نسخها بخلاف باقي الشرائع فإنها عرضية جزئية فصاحب الشريعة هو صاحب السلطنة والقوة على تحمل تبليغ أحكامها كلها وسائر الأنبياء الذين في وقته وبعده يأتيهم الوحي من الله طبق تلك الشريعة وليسوا تابعين لصاحب تلك الشريعة وإن أمرهم الله بالعمل بمقتضى تلك الشريعة لأن النبى هو الذي يأخذ عن الله لا بواسطة البشر فلا يكون نبى على نبى فلذا كانت رسالة الأنبياء خاصه ليست بعامه على جميع أهل زمانهم وإلا كانت الأنبياء رعية لهم وليس كذلك وحيث كانت الشريعة عامة التكليف في زمان ورودها وناسخة للتى قبلها ظن كثير ممن يتسمى بالعلم ولم يعرف ما أريد من معناهما التلازم بين عموم الرسالة وعموم الشريعة والعلة في ذلك عدم الفحص والبحث والجمود على ما سمع في أيام طفوليته ونشأ عليه ، وأما نبينا صلى الله عليه وآله فإنه عام الشريعة وعام الرسالة أيضا ولأجل ذلك كان صاحب ختم النبوة فلا يصح أن يكون في زمنه ولا بعده نبى لأن كل من سواه رعية له فكان علي وأولاده عليهم السلام غير أنبياء وإن كانوا أفضل من سائر الأنبياء غير رسول الله صلى الله عليه وآله للعلة التى ذكرتها وقد أخبر سبحانه عن عموم رسالته بقوله ﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ﴾ (١) وقال صلى الله

---

(١) سبأ ٢٨

عليه وآله ((فضلت على الأنبياء بخمس جعلت لي الأرض مسجدا وترابها طهورا وأحلت الغنائم لأمتي ونصرت بالرعب من مسيرة شهر وبعثت إلى الناس كافة)) وفي رواية وأحلت لي الغنائم .

ومن جميل الصبر ما نقله صاحب مسكن الفؤاد عن معاوية بن غزة قال كان أبو طلحة يحب ابنه حبا شديدا فمرض فخافت أم سليم على أبي طلحة الجزع حين قرب موت الولد فبعثته إلى النبي صلى الله عليه وآله فلما خرج أبو طلحة من داره توفي الولد فسجته أم سليم بثوب وعزلته في ناحية من البيت ثم تقدمت إلى أهل بيتها وقالت لهم لا تخبروا أبا طلحة بشيء ، ثم أنها صنعت طعاما ثم مست شيء من الطيب فجاء أبو طلحة من عند رسول الله صلى الله عليه وآله فقال : ما فعل ابني ؟ فقالت : هدأت نفسه ، ثم قال : هل لنا ما نأكل ؟ فقامت فقربت إليه الطعام ثم تعرضت له فوقع عليها فلما اطمأن ، قالت له : يا أبا طلحة أتغضب من وديعة كانت لنا فرددناها إلى أهلها ؟ فقال : سبحان الله لا أغضب ، فقالت : ابنك كان عندنا وديعة فقبضه الله تعالى فقال أبو طلحة : فأنا أحق بالصبر منك ، ثم قام من مكانه واغتسل وصلى ركعتين ثم انطلق إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبره بصنيعها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : فبارك الله لكما في وقعتكما ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله الحمد لله الذي جعل من أمتي مثل صابرة بني إسرائيل ، فقيل : يا رسول الله ما كان من صبرها ؟ فقال صلى الله عليه وآله : كان في بني إسرائيل امرأة وكان لها زوج وكان لها منه غلامان فأمرها بطعام ليدعو عليه الناس ففعلت واجتمع الناس في داره فانطلق الغلامان يلعبان فوقعا في بئر كانت في الدار فكرهت أن تنغص على زوجها الضيافة فأدخلتهما البيت وسجتهما بثوب فلما فرغوا دخل زوجها فقال أين ابناي قالت هما في البيت وإنها قد مست بشيء من

الطيب وتعرضت للرجل حتى وقع عليها ، ثم قال : أين ابناي قالت هما في البيت فناداهما أبوهما فخرجا يسعيان ، فقالت المرأة : سبحان الله و الله لقد كانا ميتين ولكن الله تعالى أحياهما ثوابا لصبري (مسكن الفؤاد ص ٨) .

ونقل أن قوما كانوا عند زين العابدين عليه السلام فاستعجل خادما بشواء في التنور فأقبل به مسرعا فسقط السفود من يده على ابن له عليه السلام فأصاب رأسه فقتله فوثب علي بن الحسين عليه السلام فلما رأى ابنه ميتا قال للغلام أنت حر لوجه الله أما أنك لم تتعمده وأخذ في جهاز ابنه .

وعن النبي صلى الله عليه وآله ((أحب المؤمنين إلى الله من نصب نفسه في طاعة الله ونصح لأمة نبيه وتفكر في عيوبه وأبصر وعقل وعمل)) (تنبيه الخواطر ج ٢ ص ٢١٣) .

وقال عليه السلام ((إن لله خواصا من خلقه يسكنهم الرفيع الأعلى من الجنان لأنهم كانوا أعقلهم في الدنيا قيل وكيف كانوا قال كانت همتهم المسارعة إلى ربهم فيما يرضيه فهانت الدنيا عليهم ولم يرغبوا في فضولها فصبروا قليلا واستراحوا طويلا)) (تنبيه الخواطر ج ٢ ص ٢١٤) .

وعن أمير المؤمنين عليه السلام ((الزاهدون في الدنيا قوم وعظوا فاتعظوا وأخيفوا فحذروا وعلموا فتعلموا وإن أصابهم يسر شكروا وإن أصابهم عسر صبروا)) (تنبيه الخواطر ج ٢ ص ٢١٣) .

ونقل أن أبا ذر كان لايعيش له ولد فقيل له إنك امرؤ لا يبقى لك ولد فقال : الحمدلله الذي يأخذهم في دار الفناء ويدخرهم في دار البقاء ، ولما مات ابنه ذر ابن أبي ذر وقف على قبره ومسح بيده ثم قال : رحمك الله ياذر والله إن كنت لي لبرا ولقد قبضت وإني عنك لراض والله ما بي فقدك وما بي من غضاضة وما لي إلى أحد سوى الله من حاجة ولولا هول

المطلع لسرني أن أكون مكانك ولقد شغلني الحزن لك عن الحزن عليك والله ما بكيت عليك بل بكيت لك فليت شعري ما قلت وما قيل لك ، اللهم فقد وهبته ما افترضت عليه من حقي فهب له ما افترضت عليه من حقك فإنك أحق بالجود والكرم مني)) (١) .

وعن الصادق عليه السلام أنه كتب إلى عبد الله بن الحسن حين حمل هو وأهل بيته يعزيه عما صار إليه ((بسم الله الرحمن الرحيم إلى الخلف الصالح والذرية الطيبة من ولد أخيه وابن عمه . أما بعد فإن كنت قد تفردت أنت وأهل بيتك ممن حمل معك بما أصابكم ما انفردت بالحزن والغيظ والكآبة وأليم وجع القلب دوني ولقد نالني من ذلك من الجزع والقلق وحر المصيبة مثل ما نالك ولكن رجعت إلى ما أمر الله عز جل جلاله المتقين من الصبر وحسن العزاء حين يقول لنبيه صلى الله عليه وآله ﴿ واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا ﴾ (٢) وحين يقول ﴿ فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت ﴾ (٣) وحين يقول لنبيه صلى الله عليه وآله حين مثل بحمزه ﴿ وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين ﴾ (٤) فصبر صلى الله عليه وآله ولم يعاقب ، وحين يقول ﴿ وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى ﴾ (٥) ، وحين يقول ﴿ الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون ﴾ (٦) . وحين يقول ﴿ إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ﴾ (٧) . وحين يقول لقمان لأبنه ﴿ واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور ﴾ (٨) ، وحين يقول عن موسى عليه السلام ﴿ قال موسى لقومه استعينوا

---

(١) مسكن الفؤاد ص ٨ (٢) الطور ٤٨ (٣) القلم ٤٨ (٣) النحل ١٢٦
(٥) طه ١٣٢ (٥) البقرة ١٥٦-١٥٧ (٧) الزمر ١٠ (٨) لقمان ١٧

بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ﴾ (١) وحين يقول ﴿ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾ (٢) وحين يقول ﴿ ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة ﴾ (٣) وحين يقول ﴿ ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين ﴾ (٤) وحين يقول ﴿ وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين ﴾ (٥) وحين يقول ﴿ والصابرين والصابرات ﴾ (٦) وحين يقول ﴿ فاصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين ﴾ (٧) وأمثال ذلك من القرآن كثير.

واعلم أي عم وابن العم أن الله جل جلاله لم يبال بضر الدنيا لوليه ساعة قط ولا شيء أحب إليه من الضر والجهد والأذى مع الصبر وأنه تبارك وتعالى لم يبال بنعيم الدنيا لعدوه ساعة قط ولولا ذلك ما كان أعداؤه يقتلون أولياءه ويخيفونهم ويخيفونهم ويمنعونهم وأعداؤهم آمنون مطمئنون عالون ظاهرون، ولولا ذلك ما قتل جدك علي بن أبي طالب عليه السلام لما قام بأمر الله عز وجل ظلما وعمك الحسين بن فاطمة عليهما السلام اضطهادا وعدوانا، ولولا ذلك ما قال عز وجل في كتابه ﴿ ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون ﴾ (٨) ولولا ذلك لما قال في كتابه ﴿ يحسبون أن ما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون ﴾ (٩) ولولا ذلك لما جاء في الحديث ((إن الدنيا لا تساوي عند الله جناح بعوضة، ولولا ذلك ما سقى كافرا شربة

---

(١) الأعراف ١٢٨ (٢) العصر ٢ – ٣ (٣) البلد ١٧

(٤) البقرة ١٥٥ (٥) آل عمران ١٤٦ (٦) الأحزاب ٣٥

(٧) يونس ١٠٩ (٨) الزخرف ٣٣ (المؤمنون ٥٥ – ٥٦

من الماء . ولولا ذلك لما جاء في الحديث ((لو أن مؤمنا على قلة جبل لبعث الله له كافرا أو منافقا يؤذيه)) ، ولولا ذلك لما جاء في الحديث ((إنه إذا أحب الله قوما و أحب عبدا صب عليه البلاء صبا فلا يخرج من غم إلا وقع في غم)) ، ولولا ذلك لما جاء في الحديث ((ما من جرعتين أحب إلى الله عز وجل أن يجرعهما عبده المؤمن في الدنيا من جرعة غيظ كظم عليها وجرعة حزن عند المصيبة صبر عليها بحسن عزاء واحتساب)) ، ولولا ذلك لما كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله يدعون على من ظلمهم بطول العمر وصحة البدن وكثرة المال والولد ، ولولا ذلك ما بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان إذا خص رجلا بالترحم عليه و الاستغفار استشهد . فعليكم يا عم وابن العم وبني عمومتي واخوتي بالصبر والرضا والتسليم والتفويض إلى الله عز وجل والرضا والصبر على قضائه والتمسك بطاعته والنزول عند أمره أفرغ الله علينا وعليكم الصبر وختم لنا ولكم بالأجر والسعادة وأنقذكم وإيانا من كل هلكة بحوله وقوته إنه سميع قريب وصلى الله على صفوته من خلقه محمد النبي وأهل بيته)) (١) .

وعن الصادق عليه السلام ((إن ملك الموت قال لرسول الله صلى الله عليه وآله يا محمد إني أقبض روح ابن آدم فيجزع أهله فأقوم في ناحية من دارهم فأقول ما هذا الجزع فوالله ما تعجلناه قبل أجله وما كان لنا في قبضه من ذنب فإن تحتسبوه وتصبروا تؤجروا وإن تحزنوا تؤثموا وتوزروا)) .

ونقل أنه مات ولد لداود عليه السلام فحزن عليه حزنا كثيرا فأوحى الله إليه ((يا داود ما كان يعدل هذا الولد عندك قال كان يا رب يعدل عندي ملأ الأرض ذهبا قال فلك عندي يوم القيمة ملأ الأرض ثوابا)) .

---

(١) الاقبال ص ٥٨

وأوحى الله إلى داود ((أن تخلق بأخلاقي وإن من أخلاقي الصبر)) (١) والمراد بصبره تعالى الأناة وعدم التعجيل على المؤمنين بالعقوبة ينتظر بهم الإنابة والتوبة ويمهلهم إقامة للحجة عليهم واظهارا للكرم ، قال علي عليه السلام في الدعاء ((لم تكن أناتك عجزا ولا إمهالك وهنا ولا انتظارك مداراة بل تكون حجتك أبلغ وكرمك أوفى ونعمتك أتم)) (٢) .

وقال عليه السلام ((من صبر ساعة حمد ساعات)) (٣) ، وعن النبي صلى الله عليه وآله ((الصبر ستر من الكروب وعون على الخطوب)) (٤) .

وقال امير المؤمنين عليه السلام ((اطرح عنك واردات الهموم بعزائم الصبر وحسن اليقين)) (٥) .

وقال بعض الحكماء السخاء سخاءان سخاء المرء بما يملك وسخاؤه عما في أيدي الناس ، والصبر صبران صبر على ما يكره وصبر عما يحب والعجز عجزان عجز هو طلب الأمر إذا فات وعجز هو تركه إذا أمكن .

وعن الصادق عليه السلام قال ((العبد بين ثلاث بين بلاء وقضاء ونعمة فعليه للبلاء من الله الصبر فريضة ، وعليه للقضاء من الله التسليم فريضة ، وعليه للنعمة من الله الشكر فريضة)) (٦) ..

وعنه عليه السلام قال ((سئل رسول الله صلى اله عليه وآله عن خيار العباد فقال : إذا أحسنوا استبشروا وإذا أساءوا استغفروا وإذا أعطوا شكروا وإذا ابتلوا صبروا)) (٧) .

---

(١) مسكن الفؤاد ص ٤٢ (٢) المصباح ص ٤٣٤ (٣) كنز الفوائد ج ١ ص ١٣٩
(٤) المصدر السابق (٥) شرح النهج ج ١ ص ٣٢٤ (٦) المحاسن ص ٧
(٧) أمالي الصدوق ص ١٠

واعلم أني إنما لم أذكر بعض مصائب محمد وأهل بيته عليهم السلام وعظيم ما جرى عليهم وصبر ما لا تقدر على تحمله السموات والارض والدهور والأيام كما قالت سيدة النساء صلى الله عليها وعلى أبيها وبعلها وبنيها .

صبت علي مصائب لو أنها صبت على الأيام صرن لياليا

لأنها طارت في الأصقاع وملأت القلوب والأسماع وكان ذكرها مع ذكر غيرها من المصائب والصبر عليها مما يحطها عن عظيم رتبتها ويسمها بالنقص بانتسابها مع غيرها مع أنها خفت على النفوس لتكررها في كل آن وكان قليل الذكر أقبل للنفوس إليه والتأثير به فنسبة مصائب جميع الخلق وصبرهم إلى مصائب محمد وآله وصبرهم صلى الله عليهم كنسبة فضلهم إلى فضلهم .

خذ ما تراه ودع شيء سمعت به
في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل

ويكفيك شاهدا قول زين العابدين عليه السلام :

نحن بنوا المصطفى ذو محن يجرعها في الأنام كاظمنا
قديمة في الزمان محنتنا أولنا مبتلى وآخرنا
يفرح هذا الورى بعيدهم ونحن أعيادنا مآتمنا

الباب الرابع

في الشكر وحقيقته

ومن يتحلى به

الباب الرابع
في الشكر وحقيقته ومن يتحلى به

الشكر هو الاعتراف بنعمة المنعم وإظهارها ، ومورده اللسان والقلب والجوارح ، فشكر اللسان هو الذكر الجميل والثناء على المنعم بما هو أهله ، فلو أثنى عليه بما ليس فيه لم يكن شكرا بل في الحقيقة ذمه ، وشكر القلب هو الرضا عن المنعم والميل إليه والمحبة له مع معرفة حقه ، وشكر الجوارح هو القيام بخدمة المنعم وإظهار آثار نعمته ومن ظهور ذلك التجمل على الخادم كما نقل في تفسير قوله تعالى ﴿ وأما بنعمة ربك فحدث ﴾ (١) ، وعن الصادق عليه السلام ((﴿ وأما بنعمة ربك فحدث ﴾ قال الذي أنعم عليك بما فضلك وأعطاك وأحسن إليك ، ثم قال : وحدث بدينه وما أعطاه الله وما أنعم به عليه)) ، قال الشاعر :

أفادتكم النعماء منى ثلاثة   يدي ولساني والضمير المحجبا

فمن شكر اللسان ما روي عن أبي عبدالله عليه السلام قال ((شكر كل نعمة وإن عظمت أن يحمد الله عز وجل)) (٢) ، وعن أبي الحسن عليه السلام ((من حمد الله على النعمة فقد شكره ، وكان الحمد أفضل من تلك النعمة)) (٣) ، وعن أبي عبدالله عليه السلام قال ((ما أنعم الله على عبد بنعمة صغرت أو

---

(١) الضحى ١١   (٢) الخصال ص ٢١   (٣) مشكاة الأنوار ص ٣١

كبرت فقال الحمد الله إلا أدى شكرها)) يريد عليه السلام أنه إذا قال الحمد لله فقد وصفه بجميع محامده كلها حين أشعر قلبه أنه لا حمد في الحقيقة إلا لله ولا يستحقه على نعمة حقيقية سواه فتكون اللام للاستغراق إذ كل حمد يحمد به غيره فهو إن كان حمدا مطابقا لفعل جميل فهو بالحقيقة له تعالى لأن ذلك الفعل الجميل أثره وصفة فعله فهو أولى وأحق به ، قال سبحانه ﴿ ما أصابك من حسنة فمن الله ﴾ (١) وفي الحديث ((أنا أولى بحسناتك منك)) (٢) وفي الآخر ((الخير من يديك)) .

فعن حماد بن عثمان قال : خرج أبو عبدالله عليه السلام من المسجد وقد ضاعت دابته فقال ((لئن ردها الله علي لأشكرن الله حق شكره ، قال : فما لبث أن أتي بها ، فقال : الحمد لله ، فقال قائل له : جعلت فداك قلت لأشكرن الله حق شكره ، فقال أبو عبدالله عليه السلام : ألم تسمعني قلت الحمد لله)) (٣) .

وفي خبر عن الباقر عليه السلام أنه قال ((لأحمدن الله بمحامده كلها ، فما زاد على قوله الحمد لله رب العالمين)) .

وعن أبي بصير قال قلت لأبي عبدالله عليه السلام ((هل للشكر حد إذا فعله العبد كان شاكرا ؟ قال : نعم ، قلت ما هو ؟ قال : يحمد الله على كل نعمة عليه في أهل ومال وإن كان في ما أنعم عليه في ماله حق أداه ، ومنه قوله جل وعز ﴿ سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين ﴾ (٤) ومنه قوله ﴿ ربي أنزلني منزلا مباركا وأنت خير المنزلين ﴾ (٥) وقوله ﴿ رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا ﴾ (٦))) (٧) .

---

(١) النساء ٧٩ (٢) التوحيد ص ٢٣ (٣) البحار ج ٧١ ص ٣٣
(٤) الزخرف ١٣ (٥) المؤمنون ٢٩ (٦) الاسراء ٨٠
(٧) تفسير العياشي ج ١ ص ٦٧

وعن أبي عبدالله عليه السلام ((إن الرجل منكم ليشرب الشربة من الماء فيوجب الله بها الجنة ، ثم قال إنه ليأخذ الاناء ويضعه على فيه فيسمي ثم يشرب فينحيه وهو يشتهيه فيحمد الله ثم يعود فيشرب ثم ينحيه فيحمد الله ثم يعود فيشرب ثم ينحيه فيحمد الله فيوجب الله عز وجل بها له الجنة)) (١) .

وعن الصادق عليه السلام قال ((كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا ورد عليه أمر يسره قال الحمد لله على هذه النعمة ، فإذا ورد عليه أمر يغتم به قال الحمد لله على كل حال)) (٢) .

وعن أبي جعفر عليه السلام قال ((تقول ثلاث مرات إذا نظرت إلى المبتلى من غير أن تسمعه ، الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به ولو شاء فعل)) (٣) .

وأما ما ورد في شكر القلب فمنه ما روي عن أبي عبدالله عليه السلام قال ((ما أنعم الله على عبد من نعمة فعرفها بقلبه وحمد الله ظاهرا بلسانه فتم كلامه حتى يؤمر له بالمزيد)) (٤) .

وعنه عليه السلام قال ((شكر النعمة اجتناب المحارم ، وتمام الشكر قوله الحمد لله رب العالمين)) (٥) يعني أنه إذا اجتنب المحارم فقد عرف الله وعظمه من المخالفة لأمره وعمل بالجوارح فإذا قال الحمد لله فقد شكره بلسانه فحينئذ أدى شكره بجميع مشاعره .

وعن الصادق عليه السلام قال ((أوحى الله عز وجل إلى موسى عليه السلام : يا موسى اشكرني حق شكري ، فقال : وكيف أشكرك حق شكرك ؟ وليس من شكر أشكرك به إلا وأنت أنعمت به علي ، قال : يا موسى الآن شكرتني حين علمت أن ذلك مني)) (٦) .

وفي نقل أن داود عليه السلام قال ((إلهي كيف أشكرك

---

(١) مشكاة الأنوار ٢٨ (٢) مشكاة الأنوار ٣١ (٣) مكارم الأخلاق ص ٣٥١

(٤) ثواب الأعمال ص ١٨٨ (٥) مشكاة الأنوار ٣١ (٦) قصص الأنبياء ص ٣٠٥

وشكري لك نعمة من عندك تستوجب علي شكرا ، فأوحى الله إليه : الآن شكرتني)) (١) .

كلما قلت أعتق الشكر رقي جعلتني لك المكارم عبدا
أين مهل الزمان حتى أؤدي شكر إحسانك الذي لا يؤدى

وفي مناجاة موسى عليه السلام ((إلهي خلقت آدم بيدك وفعلت وفعلت فكيف شكرك ؟ ، فقال : علم أن ذلك مني فكان معرفته بذلك شكره لي)) .

واعلم أن شكر القلب هو أعظم أنواع الشكر وأعلاها لأنه معرفة حق الله والرضا عنه المؤدي إلى الاجتهاد بالقيام بخدمة الله مع الاعتراف بالتقصير في أداء ما يجب عليه من حقه تعالى ، لأن شكر كل نعمة توجب شكرا .

وأما ما ورد في شكر الجوارح فمنه ما روي عن الصادق عليه السلام ((أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان في سفر يسير على ناقة له إذ نزل فسجد خمس سجدات فلما ركب قالوا : يا رسول الله إنّا رأيناك صنعت شيئا لم تصنعه ، فقال : نعم ، استقبلني جبرئيل عليه السلام فبشرني ببشارات عن الله عز وجل فسجدت لله شكرا لكل بشرى سجدة)) (٢) .

وعن هشام بن أحمر قال ((كنت أسير مع أبي الحسن عليه السلام في بعض أطراف المدينة إذ ثنى رجله عن دابته فخر ساجدا فأطال وأطال ثم رفع رأسه وركب دابته ، فقلت : جعلت فداك ، أطلت السجود ، فقال : إنني ذكرت نعمة أنعم الله عليّ فأحببت أن أشكر ربي)) (٣) .

وعن أبي عبدالله عليه السلام ((إذا ذكر أحدكم نعمة الله عز وجل فليضع خده على التراب شكرا لله ، فإن كان راكبا

---

(١) &رشاد القلوب ص ١٢٢ (٢) مكارم الأخلاق ص ٢٦٥ (٣) أمالي الصدوق ص ٥٠٩

فلينزل فليضع خده على التراب فإن لم يقدر على النزول للشهرة فليضع خده على قربوسه فإن لم يقدر فليضع خده على كفه ثم ليحمد الله على ما أنعم عليه)) (١) .

وعن أبي جعفر عليه السلام قال (كان رسول الله صلى الله عليه وآله عند عائشة ليلتها فقالت يا رسول الله لم تتعب نفسك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ ، فقال : يا عائشة ألا أكون عبدا شكورا ، وقال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقوم على أطراف أصابع رجليه ، فأنزل الله سبحانه ﴿ طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ﴾ (٢))) (٣) .

وفي فضل الشكر ما روي عن الصادق عليه السلام ((ثلاث لا يضر معهن شيء ، الدعاء عند الكرب والاستغفار عن الذنب ، والشكر عند النعمة فأجر الشاكر كأجر الصابر)) .

وعن الصادق عليه السلام قال ((قال رسول الله صلى الله عليه وآله : الطاعم الشاكر له من الأجر كأجر الصائم المحتسب ، والمعافى الشاكر له من الأجر كأجر المبتلى الصابر ، والمعطى الشاكر له من الأجر كأجر المحروم القانع)) (٤) .

وعنه قال رسول الله صلى الله عليه وآله ((ما فتح الله لعبد باب الشكر وخزن عنه باب الزيادة)) .

وعنه عليه السلام قال ((من أعطي الشكر أعطي الزيادة يقول الله عز وجل ﴿ لئن شكرتم لأزيدنكم ﴾ (٥))) (٦) .

وعنه عليه السلام ((إذا أصبحت وأمسيت فقل عشر مرات : اللهم ما أصبحت بي من نعمة أو عافية في دين أو دنيا فمنك وحدك لا شريك لك ، لك الحمد ولك الشكر بها علي يا رب حتى

---

(١) البحار ج ٧١ ص ٣٥ (٢) طه ١ – ٢ (٣) مشكاة الأنوار ص ٣٥

(٤) مشكاة الأنوار ص ٢٧ (٥) إبراهيم ٧ (٦) روضة الواعظين ص ٤٧٢

ترضى وبعد الرضا ، فإنك إذا قلت ذلك كنت قد أديت شكر ما أنعم به في ذلك اليوم وفي تلك الليلة)) (١) .

وعنه عليه السلام ((كان نوح يقول ذلك إذا أصبح فسمي بذلك عبدا شكورا)) (٢) .

وعن أبي عبدالله عليه السلام قال ((إن داود عليه السلام قال يا رب أخبرني من قريني في الجنة ونظيري في منازلي ، فأوحى الله تبارك وتعالى إليه إن ذلك متى أبو يونس ، قال فاستأذن الله في زيارته فأذن له ، فخرج هو وسليمان ابنه صلى الله عليهما حتى أتيا موضعه فإذا هما ببيت من سعف فقيل هما هو في السوق فسألا عنه فقيل هما اطلباه في الحطابين فسألا عنه فقال هما جماعة من الناس نحن ننتظره الآن يجيء ، فجلسا ينتظرانه إذ أقبل وعلى رأسه وقر من حطب فقام الناس وألقيا عنه الحطب وحمد الله وقال من يشتري طيبا بطيب فساومه واحد وزاده آخر حتى باعه من بعضهم ، قال فسلما عليه قال : انطلقا بنا إلى المنزل ، فاشترى طعاما بما كان معه ثم طحنه وعجنه في نقير له ثم أجج نارا وأوقدها ثم جعل العجين في تلك النار وجلس معهما يتحدث ثم قام وقد نضجت خبزته فوضعها في النقير وفلقها وذر عليها ملحا ووضع إلى جنبه مطهر يملؤه ماء وجلس على ركبته وأخذ لقمة فلما دفعها إلى فيه قال بسم الله فلما ازدردها قال الحمد لله من ذا الذي أنعمت عليه وأوليته مثل ما أوليتني قد صححت بصري وسمعي ويدي وقويتني حتى ذهبت إلى شجر لم أغرسه ولم أهتم لحفظه جعلته لي رزقا وسقت لي من اشتراه مني فاشتريت بثمنه طعاما لم أزرعه وسخرت لي النار فأنضجته وجعلتني آكله بشهوة أقوى بها على طاعتك فلك الحمد ثم بكى ، قال داود : يا بني قم فانصرف بنا فإني لم أر عبدا قط أشكر لله من هذا ، صلى الله

---

(١) مصباح المتهجد ص ٢١٠ (٢) تفسير العياشي ج ٢ ص ٢٨٠

عليه وعليهما)) (١) .

وقال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله ((من صدق الله نجا)) وفي نقل أن في ابن آدم ثلاثمائة وستون عرقا ، مائة وثمانون منها متحركة ومائة وثمانون منها ساكنة فلو سكن المتحرك لم يبق الانسان ولو تحرك الساكن هلك الانسان .

وكان عليه السلام في كل يوم إذا أصبح يقول ((الحمد لله رب العالمين كثيرا طيبا على كل حال يقولها ثلاثمائة وستين مرة شكرا)) (٢) .

ومن شكر المشاعر ما روي في الخصال ((الذكر مقسوم على سبعة أعضاء اللسان والروح والنفس والقلب والعقل والمعرفة والسر كل واحد منها يحتاج إلى الاستقامة ، فأما استقامة اللسان فصدق الاقرار ، واستقامة الروح صدق الاستغفار ، واستقامة النفس صدق ، واستقامة القلب صدق الاعتذار ، واستقامة العقل صدق الاختبار ، واستقامة المعرفة صدق الافتخار ، واستقامة السر بعالم الأسرار ، فذكر اللسان الحمد والثناء ، وذكر النفس الجهد والعناء ، وذكر الروح الخوف والرجاء ، وذكر القلب الصدق والصفاء ، وذكر العقل التعظيم والحياء ، وذكر المعرفة التسليم والرضا ، وذكر السر على رؤية اللقاء ، ومن شكر الله على نعمة شكر من أجرى سبحانه تلك النعمة على يده ، فمن شكر الله شكر العباد على صنيعهم فمن لم يشكر الخلق لم يشكر الخالق)) (٣) لتلازمها إذ مبدأ الشكر من الانسان معرفة نعمة المنعم والاقرار بايصالها من المنعم إليه فحقيقة الشكر أداء الحقوق من غير تصنع فيشكر الله حقيقة على ما أولاه ويشكر غيره مجازا على أنه كان سببا لايصال النعمة إليه من الله سبحانه .

---

(١) مجموعة ورام ج ١ ص ١٨ (٢) مجموعة ورام ج ٢ ص ٧٦ (٣) الخصال ص ٤٠٤

قال عليه السلام ((من حق الشكر لله تعالى على نعمه أن يشكر من أجرى تلك النعمة على يده)) (١) .

وكان علي بن الحسين عليهما السلام يقول ((إن الله يحب كل قلب حزين ويحب كل عبد شكور ، يقول الله تبارك وتعالى لعبد من عبيده يوم القيامة : أشكرت فلانا ، فيقول : بل شكرتك ، فيقول : لم تشكرني إذ لم تشكره ، ثم قال : أشكركم لله أشكركم للناس)) (٢) .

وفي خبر عنهم عليهم السلام ((مكتوب في التوراة اشكر من أنعم عليك وأنعم على من شكرك فإنه لا زوال للنعماء إذا شكرت ولا بقاء لها إذا كفرت ، الشكر زيادة في النعم وأمانة من الغير)) (٣) .

واعلم أن الشكر شكران شكر على حصول النعماء وشكر على حلول البلاء ، فالأول شكر الأخيار والثاني شكر الأبرار ، فشكر الأخيار الصالحين الثناء على الله على نعمائه وأداء حقوقه وإيثارهم على أنفسهم وهو نهاية الشكر في حقهم قال سبحانه ﴿ يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾ (٤) ، وشكر الأبرار المقربين في الثناء على الله على عظيم بلائه والرضا بقضائه رضا محبة لا رضا صبر وهذا أعلى مراتب الشكر وذلك لا يكون حقيقيا حتى يكون مطلوبا بالإرادة الاختيارية ، وهذه لا تحصل للعبد حتى ينكشف له غطاء الغفلة بنور العلم وحقيقة اليقين فيعرف مزبور الأمور وغابرها فيرى الأشياء شهودا عيانا فعند ذلك يختار الواقع ويحب وقوعه ، قال عليه السلام ((لو كشف الغطاء ما اخترتم إلا الواقع)) .

وهذا الشكر نوعان أدناه أن يطلب ليكون وصلة لمرتبة

---

(١) مستطرفات السرائر ص ٦٥١
(٢) البحار ج ٧١ ص ٣٨
(٣) مشكاة الأنوار ص ٣٠
(٤) الحشر ٩

عالية ودرجة رفيعة عند الله كما حصل لميثم بن يحيى التمار عندما أراد صلبه ابن زياد لعنه الله ، فروي عن الرضا علي السلام قال ((أتى ميثم التمار دار أمير المؤمنين عليه السلام فقيل له إنه نائم ، فنادى بأعلى صوته : انتبه أيها النائم فوالله لتخضبن لحيتك من رأسك ، فقال : صدقت ، وأنت والله لتقطعن يداك ورجلاك ولسانك ولتصلبن ولتقطعن النخلة بالكناسة وتشق أربع قطع فتصلب أنت على ربعها ومحمد بن أكتم على ربعها وخالد بن مسعود على ربعها ، قال ميثم : فشككت والله في نفسي وقلت إن عليا يخبرنا بالغيب ، فقلت له : أو كائن ذلك يا أمير المؤمنين ؟ ، فقال : إي ورب الكعبة كذا عهده إلي النبي صلى الله عليه وآله ، فقلت : ومن يفعل ذلك بي يا أمير المؤمنين ، قال : ليأخذنك العتل الزنيم ابن الأمة الفاجرة عبيدالله بن زياد ، قال : وكان يخرج إلى الجبانة وأنا معه فيمر بالنخلة فيقول : يا ميثم إن لك ولها شأن من الشأن فلما ولي عبيدالله بن زياد الكوفة ودخلها تعلق علمه بالنخلة التي بالكناسة فتخرق فتطير من ذلك فأمر بقطعها فاشتراها رجل من النجارين فشقها أربع قطع ، قال ميثم : فقلت لصالح ابنى فخذ مسمارا من حديد فانقش عليه اسمي واسم أبي ودقه في بعض تلك الأجذاع ، قال : فلما مضى بعد ذلك أيام أتوني قوم من أهل السوق فقالوا : يا ميثم انهض معنا إلى الأمير نشكو إليه عامل السوق ونسأله أن يعزله عنا ويولي علينا غيره ، وقال : وكنت خطيب القوم فنصت لي وأعجبه منطقي ، فقال عمرو بن حريث أصلح الله الأمير : تعرف هذا المتكلم ، قال : من هو ؟ قال : ميثم التمار الكذاب مولى الكذاب علي بن أبي طالب ، قال : فاستوى جالسا فقال لي : ما تقول ؟ فقلت : أصلح الله الأمير أنا الصادق مولى الصادق علي بن أبي طالب أمير المؤمنين حقا ، فقال لي : لتبرأن من علي ولتذكرن مساويه وتولى عثمان وتذكر

محاسنه أو لأقطعن يديك ورجليك ولأصلبنك ، فبكيت فقال لي : بكيت من القول دون الفعل ، فقلت : والله ما بكيت من القول ولا من الفعل ولكني بكيت من شك دخلني يوم أخبرني سيدي ومولاي ، فقال لي : وما قال لك ؟ قال فقلت : أتيت الباب فقيل أنه نائم فناديت انتبه أيها النائم فوالله لتخضبن لحيتك من رأسك فقال صدقت وأنت لتقطعن يداك ورجلاك ولسانك ولتصلبن فقلت ومن يفعل ذلك بي يا أمير المؤمنين فقال يأخذك العتل الزنيم ابن الأمة الفاجرة عبيدالله بن زياد ، قال فامتلأ غيظا ثم قال لي : والله لأقطعن يديك ورجليك ولأدعن لسانك حتى أكذبك وأكذب مولاك ، فأمر به فقطعت يداه ورجلاه ثم أخرج فأمر به أن يصلب فنادى بأعلى صوته أيها الناس من أراد أن يسمع الحديث المكنون عن علي بن أبي طالب صلوات الله عليه ، قال : فاجتمع الناس وأقبل يحدثهم بالعجائب ، قال : وخرج عمرو بن حريث وهو يريد منزله فقال : ما هذه الجماعة ، قالوا : ميثم التمار يحدث الناس عن علي بن أبي طالب صلوات الله عليه ، قال : فانصرف مسرعا فقال : أصلح الله الأمير بادر وابعث إلى هذا من يقطع لسانه فإني لست آمن أن يغير قلوب أهل الكوفة فيخرجوا عليك ، قال : فالتفت إلى حرسي فوق رأسه فقال : اذهب فاقطع لسانه ، قال : فأتاه الحرسي فقال : يا ميثم ، قال : ما تشاء ، قال : أخرج لسانك قد أمرني الأمير بقطعه ، قال ميثم : ألا زعم ابن الفاجرة أن يكذبني ويكذب مولاي فقال : هاك لساني ، قال : فقطع لسانه وشحط ساعة في دمه ثم مات فأمر به فصلب ، قال صالح : فمضيت بعد أيام فإذا هو قد صلب على الربع الذي كتبت ودققت فيه المسمار)) (١) .

فكان شأن ميثم حين أخبره بقطع لسانه شأن الشاكر

(١) روضة الواعظين ص ٢٨٨

الراضي لا شأن الكاره الصابر على ما وقع به ، وقوله لأمير المؤمنين عليه السلام انتبه أيها النائم ليس جاريا مجرى سوء الأدب مع مولاه وعدم المبالاة كما كان شأن المنافقين مع رسول الله صلى الله عليه وآله فيما أخبر به سبحانه عنهم بقوله ﴿ إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ، ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيرا لهم ﴾ (١) لأن المنافقين كانوا يحتكمون على رسول الله صلى الله عليه وآله اعتراضا عليه وقد ذكرت طرفا منه في نهج المحجة ولا كذلك ميثم فإن فعله كان من باب المطايبة الناشئة عن كمال الأنس مع مولاه كما جرى لبرخ الأعور حين استسقى .

وذلك أن بني إسرائيل قحطت على عهد موسى عليه السلام فسألوه أن يستسقي لهم فقال اخرجوا إلى الجبل معي فخرجوا ، فلما صعد الجبل قال موسى : لا يتبعني رجل أصاب خطيئة فانصرف أكثر من نصف الناس ، ثم نادى ثانية : لا يتبعني من أصابه ذنب ، فانصرفوا جميعا إلا رجل أعور يقال له برخ العابد فالتفت إليه موسى فقال له : ألم تسمع ما قلت ، قال : بلى ، قال : ألم تصب ذنبا ، قال : ما أعلمه إلا شيئا أذكره لك فإن كان ذنبا رجعت ، قال له موسى : ما هو ؟ ، قال برخ : مررت بطريق فإذا بباب حجرة مفتوح فلمحت بعيني هذه شخصا لا أعلم ما هو إنسان أو حيوان ذكر أم أنثى فقلت لعيني أنت من دون بدني سارعت إلى الخطيئة فلا تصحبيني بعدها فأدخلت إصبعي فيها فقلعتها فإن كان هذا ذنبا رجعت ، قال موسى عليه السلام : ليس هذا ذنبا ، ثم قال له موسى : استسق يا برخ ، فلما أمره تقدم برخ وقال : قدوس قدوس ما عندك ما ينفد وخزائنك لا تفنى وأنت بالبخل لا ترضى فما هذا الذي لا نعرفه اسقنا الغيث الساعة الساعة ، قال : فانصرفا

---

(١) الحجرات ٤ ـ ٥

يخوضان الماء بقدرة الله تعالى ، وفي بعض الكتب زيادة وتغيير يسير وهي أن بني إسرائيل قحطوا سبع سنين وخرج موسى عليه السلام في سبعين ألفا فأوحى الله عز وجل كيف أستجيب لهم وقد أظلمت عليهم ذنوبهم وسرائرهم خبيثة يدعونني على غير يقين و يأمنون مكري ارجع إلى عبد من عبادي يقال له برخ فقل له يخرج حتى أستجيب له ، فسأل عنه موسى فلم يعرف فبينا موسى عليه السلام ذات يوم يمشي في طريق إذا بعبد أسود قد استقبله بين عينيه تراب من أثر السجود في شملة قد عقدها على عنقه فعرفه موسى بنور الله تعالى فسلم عليه فقال : ما اسمك ، قال : اسمي برخ ، قال : فأنت طلبتنا منذ حين فاستسق لنا ، فخرج فقال في كلامه : ما هذا من فعالك ولا هذا من حلمك وما الذي بدا لك ؟ أتعصت عليك غيومك ؟ أم عاندت الرياح عن طاعتك ؟ أم نفد ما عندك ؟ أم اشتد غضبك على المذنبين ؟ ألست كنت غفارا قبل خلق الخاطئين ؟ خلقت الرحمة وأمرت بالعطف أم ترينا أنك ممتنع ؟ أم تخشى الفوت فتعجل بالعقوبة ؟ قال : فما برح حتى اخضلت بنو إسرائيل بالمطر وأنبت الله العشب في نصف يوم حتى بلغ الركب ، قال : فرجع برخ فاستقبله موسى فقال : كيف رأيت حين خاصمت ربي كيف أنصفني ، فهم موسى به فأوحى الله عز وجل إليه : إن برخ يضحكني كل يوم ثلاث مرات ، وفي بعض الكتب زيادة اسقنا الغيث لا أم لك ولا أب ، فقوله يضحكني كل يوم ثلاث مرات نقل بعض العلماء أن موسى عليه السلام قال : يا رب وكيف يضحكك ، قال : يضحك أوليائي ، وقوله لا أم لك ولا أب إخبار بأنه لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ، فهذا الكلام وإن كان مفاد سياق الخطاب بها سوء الأدب إلا أنه بهذا قد تجلى له ربه في مقام الأنس والمحبة لا في مقام الخوف والوحشة فكان مظهره صفة من صفات الجمال لا صفة من صفات الجلال فانشرح صدره بمشاهدة نور الجمال وكذلك

كان حال ميثم بالنسبة إلى أمير المؤمنين عليه السلام فإنه خالط أصحابه ومواليه مخالطة لا يرفع نفسه عنهم فكان كأحدهم حتى أنسوا به .

واعلم أن الجلال صفة الجمال فمن ظهرت آثار الجمال عليه وتحلى بها كان أفضل ممن تجلى له بآثار الجلال كما كان لعيسى ويحيى عليهما السلام ، روي أن يحيى عليه السلام لقي عيسى عليه السلام فقال له : مالي أراك لاهيا كأنك آمن ؟ فقال له عيسى عليه السلام : مالي أراك عابسا كأنك آيس ؟ ، فقالا : لا نبرح حتى ينزل علينا الوحي ، فأوحى الله إليهما : أحبكما إلي الطلق البسام وأحسنكما ظنا بي)) ، فكان عيسى عليه السلام حين ألبس حلة الجمال ظهرت آثار الرحمة والرأفة عليه والفرح والانبساط ، وقال العسكري عليه السلام ((فالكليم لما عهدنا منه الوفاء ألبس حلة الاصطفاء)) (١) ولما تردى يحيى عليه السلام بخلعة الجلال ظهرت آثار الهيبة والعظمة على يحيى عليه السلام والخشية والخوف ، ففي نقل عن دعاء إبراهيم على أهل المعاصي حين كشف له ملكوت السموات والأرض فقال له سبحانه فيما أوحى إليه ((فإن عذابي لعبادي على حسب جلالي وكبريائي يا إبراهيم فخل بيني وبين عبادي فإني أرحم بهم منك وخل بيني وبين عبادي فأنا الجبار الحليم العلام الحكيم أدبرهم بعلمي وأنفذ فيهم قضائي)) (٢) فالجلال صفة الرحيمية والجمال صفة الرحمانية .

فكان عيسى أفضل من يحيى وأكمل منه وسبق يحيى بالاعتراض دليل قصوره عن مرتبة عيسى عليهما السلام وأجابه لينهه على أن حالة الانبساط خير من حالة الانقباض ، وفي الدعاء لسيد الشهداء ((إلهي إن اختلاف تدبيرك وسرعة حلول مقاديرك منعا عبادك العارفين بك عن السكون إلى عطاء واليأس منك في

---

(١) البحار ج ٢٦ ص ٢٤٦ (٢) الاحتجاج ص ٣٦

البلاء)) (١).

واعلم أن عيسى عليه السلام مظهر صفة من مظاهر الرحمانية ويحيى عليه السلام مظهر صفة من مظاهر الرحيمية وأما المظهر الكلي الجامع لهما فمحمد وأهل بيته عليهم السلام فرسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام اعتدل فيهم الرجاء والخوف فهم أشد خوفا من الله من كل أحد وأشد رجاء لله من كل أحد فاعتدلا فيهم اعتدالا حقيقيا ، وأما من سواهم فاعتدال الرجاء والخوف فيمن تحلى بصفة من مظهريهما يكون اعتدالا إضافيا على حسب مقام العارف بالله من الأنبياء وغيرهم فإذا اعتدل الرجاء والخوف في العبد طار بهما إلى سماء المحبة والرضا وإن نقصا أو نقص أحدهما بقي يحوم في حضيض البعد كل في مقامه ، لأن الرجاء والخوف جناحان للموجود المقيد بقيد الماهية المقيدة بالحدود الستة ، قال أمير المؤمنين عليه السلام لابنه الحسن عليه السلام ((يا بني خف الله خوفا ترى أنك لو أتيته بحسنات أهل الأرض لم يقبلها منك وارج الله رجاء ترى أنك لو أتيته بسيئات أهل الأرض لغفرها لك)) (٢) ، يريد أنك تخافه بقدر احتياجك إليه ورقيتك له ، وترجوه بقدر غناه عنك وربوبيته لك فإذا كان الإنسان عند كثرة فعل الحسنات والطاعات خائفا من الله اتصف بالعبودية الحقيقية وتحقق بها للاعتماد على الله وقطع ما سواه وظهر له معنى قوله تعالى ﴿ فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون ﴾ (٣) وإذا كان عند كثرة فعل السيئات والمعاصي راجيا لله غير آيس من روحه ورحمته اتصف بالايمان بربه عند إقراره بخطيئته فيظهر له معنى قوله تعالى ﴿ إنه لا ييئس من روح الله إلا القوم الكافرين ﴾ (٤) ، وأما

---

(١) الإقبال ص ٣٤٨
(٢) مجموعة ورام ج ١ ص ٥٠
(٣) الأعراف ٩٩
(٤) يوسف ٨٧

من يأمن عند طاعته ويقنط ويقطع الرجاء عند معصيته فذلك حقيقة اعتماده إنما هو على عمله لا على ربه .

إذا عرفت هذا فاعلم أن من تجلى الله له بصفة من صفات جماله لا يزال فرحا مسرورا منبسطا ومن ظهر له بصفة من صفات جلاله لا يزال خائفا مغموما منقبضا كما كان يحيى عليه السلام حتى روي عن النبي صلى الله عليه وآله قال ((كان من زهد يحيى بن زكريا عليهما السلام أنه أتى بيت المقدس فنظر إلى المجتهدين من الأحبار والرهبان عليهم مدارع الشعر وبرانص الصوف وإذا هم قد خرقوا تراقيهم وتركوا فيها السلاسل وشدوها إلى سواري المسجد فلما نظر إلى ذلك أتى أمه فقال : يا أماه انسجي لي مدرعة من شعر وبرنصا من صوف حتى آتي بيت المقدس فأعبد الله مع الأحبار والرهبان ، فقالت له أمه : حتى يأتي نبي الله فأوامره في ذلك ، فلما دخل زكريا عليه السلام أخبرته بمقالة يحيى ، فقال له زكريا : يا بني ما يدعوك إلى هذا وأنت صبي صغير ، فقال له يا أبة أما رأيت من هو أصغر مني قد ذاق الموت ، قال : بلا ، ثم قال لأمه : انسجي له مدرعة من شعر وبرنصا من صوف ، ففعلت فتدرع بالمدرعة على بدنه ووضع البرنص على رأسه فأقبل يعبد الله عز وجل مع الأحبار حتى أكلت مدرعة الشعر لحمة فنظر يوما إلى ما قد نحل من جسمه فبكى ، فأوحى الله عز وجل إليه : أتبكي مما قد نحل من جسمك وعزتي وجلالي لو اطلعت على النار اطلاعة لتدرعت مدرعة الحديد ، فبكى حتى أكلت الدموع لحم خديه ثم بدا للناظرين من أضراسه فبلغ ذلك أمه فدخلت عليه وأقبل زكريا واجتمعت الأحبار والرهبان فأخبروه بذهاب لحم خديه ، فقال : ما شعرت بذلك ، فقال زكريا : ما يدعوك إلى هذا إنما سألت ربي أن يهبك لي لتقر بك عيني ، قال : أنت أمرتني بذلك يا أبة ، ألست القائل إن بين الجنة والنار

لعقبة لا يجوزها إلا البكاءون من خشية الله ، قال : نعم فجد واجتهد ، فقام يحيى فأخذته أمه فقالت : أتأذن لي يا بني أن أتخذ لك قطعتي لبود تواريان أضراسك وتنشفان دموعك ، فقال لها : شأنك ، فاتخذت له قطعتي لبود فسالتا من دموع خديه فعصرهما فتحدر الدموع من بين أصابعه فنظر زكريا إلى ابنه وإلى دموع عينيه فرفع رأسه إلى السماء وقال : اللهم هذا ابني وهذا دموع عينيه وأنت أرحم الراحمين ، وكان زكريا عليه السلام إذا أراد أن يعظ بني إسرائيل يلتفت يمينا وشمالا فإذا رأى يحيى لا يذكر جنة ولا نارا فجلس ذات يوم يعظ وأقبل يحيى فلف رأسه بعباءة وجلس في غمار الناس والتفت زكريا يمينا وشمالا فلم ير يحيى فأنشأ يقول : حدثني حبيبي جبرئيل عليه السلام عن الله عز وجل أن في جهنم جبلا يقال له سكران في أصل ذلك الجبل واد يقال له الغضبان يغضب لغضب الرحمن تبارك وتعالى وفي ذلك الوادي جب قامته مائة عام في ذلك الجب توابيت من نار في تلك التوابيت صناديق من نار وسلاسل من نار وأغلال من نار فرفع يحيى رأسه وقال واغفلتاه عن السكران ، ثم أقبل هائما على وجهه فدخل زكريا على أم يحيى وقال : اطلبي يحيى فإني أخاف أن لا نراه إلا وقد ذاق الموت ، فخرجت في طلبه حتى مرت بفتيان من بني إسرائيل فقالت لهم : اطلبوا ولدي يحيى ذكرت عنده النار فهام على وجهه ، فمضت أم يحيى والفتية حتى مروا براعي غنم فقالت : يا راعي هل رأيت شابا من صفته كذا وكذا ، فقال لها لعلك تطلبين يحيى ، قالت : نعم ، قال : إني تركته الساعة في مكان كذا ناقعا قدميه في الماء رافعا بصره إلى السماء يقول : وعزتك يا مولاي لا ذقت بارد الشراب حتى أنظر إلى منزلتي منك ، فأقبلت فلما رأته دنت منه وأخذت برأسه ووضعته بين ثدييها وهي تناشده بالله أن ينطلق معها إلى المنزل فانطلق معها ، فقالت له : هل لك أن تخلع

مدرعة الشعر وتلبس مدرعة الصوف فإنه ألين ، ففعل وطبخت له عدسا فأكل واستلقى فنام فذهب به النوم فلم يقم لصلاته فنودي في منامه يا يحيى أردت دارا خيرا من داري وجوارا خيرا من جواري ، فاستيقظ فقام فقال : يا رب أقلني عثرتي فوعزتك لا أستظل بظل سوى بيت المقدس ، وقال لأمه : ناوليني مدرعة الشعر فدفعت إليه المدرعة وتعلقت به فقال لها زكريا : يا أم يحيى دعيه فإن ولدي قد كشف له عن قناع قلبه ولن ينتفع بالعيش ، فقام يحيى ووضع البرنس على رأسه ثم أتى بيت المقدس فجعل يعبد الله عز وجل مع الأحبار حتى كان من أمره ما كان)) (١) .

ومثل ما جرى لميثم جرى لحبيب بن مظاهر الأسدي وأكثر أصحاب الحسين يوم الطف قبل القتال ، نقل أنه مر ميثم التمار على فرس له فاستقبله حبيب بن مظاهر الأسدي عند مجلس بني أسد فتحدثا حتى اختلفت أعناق فرسيهما ثم قال حبيب : لكأني بشيخ أصلع ضخم البطن يبيع البطيخ عند دار الرزق قد صلب في حب أهل بيت نبيه عليهم السلام يبقر بطنه على الخشبة ، فقال ميثم : وإني أعرف رجلا أحمر له ظفرتان يخرج لنصرة ابن نبيه فيقتل ويجال برأسه بالكوفة ، ثم افترقا فقال أهل المجلس : ما رأينا أحد أكذب من هذين ، قال فلم يفترق أهل المجلس حتى أقبل رشيد الهجري فطلبهما فسأل أهل المجلس عنهما ، قالوا : افترقا وسمعناهما يقولان كذا ، فقال رشيد : رحم الله ميثما نسي ويزداد في عطاء الذي يجيء بالرأس مائة درهم ثم أدبر ، فقال القوم : هذا والله أكذبهم ، فقال القوم : والله ما ذهبت الأيام والليالي حتى رأيناه مصلوبا على دار عمرو بن حريث وجيء برأس حبيب وقد قتل مع الحسين عليه السلام ورأينا كل ما قالوا وكان حبيب من السبعين الرجل الذين نصروا الحسين عليه السلام فاستقبلوا الرماح بصدورهم

---

(١) أمالي الصدوق ص ٢٧

والسيوف بوجوههم ولقد خرج حبيب وهو يضحك ويمازح بريرا فقال برير بن حصين الهمداني وكان يقال له سيد القراء : يا أخي ليس هذه بساعة ضحك ، قال : فأي موضع أحق من هذا بالسرور والله ما هو إلا أن تميل علينا هذه الطغاة بسيوفهم فنعانق الحور العين)) (١) .

فهذا حقيقة شكر الأبرار عند وقوع المحن وحلول البلاء وهو مقام صبر الأخيار ، وأعلى من هذا شكر المقربين وهو أن العبد يحب البلاء ويطلبه لأنه رضا الله مع قطع نظره عما يترتب عليه من جزيل الثواب بل ولو أداه إلى العقاب لكان محبوبا له لمحبة محبوبه له إذ حقيقة لذته هو الرضا بفعل المحبوب طلبا لقربه لا للذة ولا لما يرجع إلى نفسه في حال من حالاته ، ونفس تألمه وعذابه هو البعد عن المحبوب ، فحبه شوق وانجذاب عشق كما كان لشعيب عليه السلام وقد ذكرت قضيته ، وكما أخبر الباقر عليه السلام عن نفسه فروي أن جابر بن عبدالله الأنصاري ابتلي في آخر عمره بضعف الهرم والعجز فرآه محمد بن علي الباقر عليهما السلام فسأله عن حاله فقال ((أنا في حالة أحب فيها الشيخوخة على الشباب والمرض عل الصحة والموت على الحياة ، قال الباقر عليه السلام : أما أنا فإن جعلنى الله شيخا أحب الشيخوخة ، وإن جعلنى الله شابا أحب الشبوبة ، وإن أمرضنى أحب المرض إن شفاني فإني أحب الشفاء والصحة وإن أماتنى أحب الموت وإن أبقاني أحب البقاء)) (٢) .

فالحب ثلاثة حب عرضي وحب راجع إلى المحب وحب راجع للمحبوب ، ثلاثة أحباب فحب علاقة وحب تملاق وحب هو القتل فالأول نفاق والثاني اتفاق والثالث أعلى مراتب السباق ، وفي هذا مرتبتان أدناهما سوق جاذب للمحب إلى المحبوب لا لأمر يرجع إلى المحب وشغل بذكر المحبوب عما سواه مع عدم طلب اللقاء

---

(١) البحار ج ٤٥ ص ٩٢ (٢) مسكن الفؤاد ص ٨٧

والاتصال وقصوره وضعفه عن رؤية الجمال، وأعلاهما الاتصال بكشف الحجاب من البين والتمتع باللقاء وهذا يحصل لخواص الكمل من المحبين الفانين عن وجدانهم وقد تحصل هاتان المرتبتان لعشاق المجاز وذلك إذا تمادى به الطمع النفسي عند انقطاع أسباب الاتصال، واختلفوا فيه وفي سبب حصوله فقال أرسطا طاليس العشق عمى للعاشق عن عيوب المعشوق كما قال صلى الله عليه وآله ((حبك للشيء يعمي ويصم)) (١) وهذا تعريف لازمه لا تعريف حقيقته ولا سبب حصوله، وقال ابن سينا والأطباء هو مرض وسواسي شبيه بالماليخوليا يجلبه المرء لنفسه لتسليط فكرته على استحسان بعض الصور والشمائل وهذا أحد أفراد موارده، وقال أفلاطون العشق قوة غريزية متولدة من وسواس الطبع وأشباح التخيل نام باتصال الهيكل الطبيعي محدث للشجاع جبنا وللجبان شجاعة يكسو كل إنسان ضد طباعه حتى يبلغ به المرض النفساني والجنون الشوقي فيؤديانه إلى الداء العضال الذي لا دواء له، وهذا غير شامل لجميع أفراده فهو كسابقه، وقال فيثاغورس العشق طمع يتولد في القلب ويتحرك وينمو ثم يتربى وتجتمع إليه مواد من الحرص وكلما قوى زاد صاحبه في الاهتياج واللجاج والتمادي في الطمع والفكر في الأماني والحرص على المطلب حتى يؤديه ذلك إلى الغم المقلق وكلامه طويل لا فائدة فيه وهو كسابقيه، وقال الجنيد العشق ألفة رحمانية وإلهام شوقي أوجبها كرم الله تعالى عن كل ذي روح لتحصل به اللذة العظمى التى لا يقدر عليها إلا بتلك الألفة وهذا ذكر سبب حصوله لا تعريف حقيقته ولو اقتصر على قوله ألفة رحمانية بدون قوله إلهام شوقي لكان أشمل في التعريف للسبب والماهية على أنه نسبه إلى الرحمانية جريا على معتقده في الأصول.

---

(١) البحار ج ٧٧ ص ١٦٧

وقال جعفر الصادق عليه السلام في سبب العشق المجازي ((قلوب خلت عن ذكر الله فأذاقها الله حب غيره)) (١) ، وفي الحديث القدسي ما يؤيده قال سبحانه ((إن أدنى ما أنا صانع لهم أن أنزع حلاوة مناجاتي من قلوبهم)) (٢) وقد ذكرت الخبر بتمامه فيما سبق ، وأقول إن العشق انجذاب العاشق إلى المعشوق لنسبة جامعة بينهما وتلك النسبة الارتباطية إن كانت ذاتية أوجبت الميل الباقي المعبر عنه بالعشق الذاتي وإن كانت عرضية أوجبت ميلا من جهة عرضيتها باقيا ببقائها ، قال سبحانه ﴿ الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين ﴾ (٣) ، وعشاق المجاز منهم من يرضى بالحجاب ولزوم الخدمة بالباب ومنهم لو فارق محبوبه آنا من الآنات لصعق وربما مات وكثيرا ما يجري على من غلبت عليه المرة الصفراء وكذا يكون فيمن غلبت عليه المرة السوداء فما دام مشاهدا له فنفسه منبسطة فإذا فارق انقبضت إلى أعماق بدنه وتجاويف قلبه فإذا ذهب دمه الذي هو مركب الروح الحيواني مات لمفارقة الروح الحيوانية له عند نضوب مركبها وتلاشيه ، وكان ممن شغله الحب المجازي عن وجدانه قيس بن الملوح العامري حتى أنه رأى كلبا في البرية وقد رآه مرة في حي ليلى فأحسن صحبته فلاموه فلم يسمع ملامة اللائمين ونظموا قصته بقولهم :

رأى المجنون في البيداء كلبا ... فجر له من الاحسان ذيلا
فلاموه على ما كان منه ... وقالوا لم أنلت الكلب نيلا
فقال لهم دعوه إن عيني ... رأته مرة في حي ليلى

وكان هو القائل

أحب لحبها السودان حتى ... أحب لحبها سود الكلاب

---

(١) علل الشرايع ص ١٤١ (٢) إرشاد القلوب ١٤٠ (٣) الزخرف ص ٦٧

وقال :

أحب من الأسماء ما وافق اسمها ... وأشبه أو قد كان مدانيا

يعني إذا ذكر اسما فيه حرف من حروف اسم ليلى ذكره باسمها وصرفه عن الشغل بغيرها وكان هو القائل :

أمر على الديار ديار ليلى ... أقبل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حب الديار شغفن قلبي ... ولكن حب من نزل الديارا

وقال :

لو وقفت ليلى بقبري وقد عفت ... معالمه واستفتحت بسلام
لحسنت إليها بالتحية رمتي ... ورنت بترجيع السلام عظامي

فالمحب الصادق من يرى محبوبه نصب عينيه في غيبته كما يراه في شهوده لا يشغله عنه شاغل لأن منزله الحقيقي نفس محبه فهو يراه أبدا بصورته حاضرا عنده وقد رأي المجنون يقبل أرضا لم تسكنها ليلى فلاموه على ذلك فأنشأ يقول :

لا تقل أرضها بشرقي نجد ... كل نجد للعامرية دار
ولها منزل في كل أرض ... وعلى كل دمنة آثار

والسبب في ذلك ما قلته من أن محبوبه لا يذهب عن خياله فكل حالاته مستغرقة في شئون محبوبه فأي منزل نزل به رآه نصب عينيه فيراه بعين قلبه الذي هو فكره وخياله ، قال المجنون :

وشغلت عن فهم الحديث سوى ... ما كان منك فإنه شغلي
وأديم نحو محدثي نظري ... أن قد فهمت وعندكم عقلي

وقال :

وإني لأستحييك حتى كـــأنما ... على بظهر الغيب منك رقيـب
وألقى من الحب المبرح سورة ... لها بين جنبي والضلـوع دبيـب
ولو أنني أستغفـــر الله كلـمـا ... ذكرتك لم تكتب علي ذنـوب

وأما المحبون الصادقون للحب الحقيقي فمنه ما نقل أن عيسى عليه السلام مر على طائفة من العباد قد احترقوا كأنهم الشن البالي فقال لهم : ما أنتم ؟ ، قالوا : نحن عباد ، قال : لأي شيء تعبدتم ؟ قالوا : خوفنا الله من النار فخفناها ، قال : إن حقا على الله أن يؤمنكم ما خفتم ، ثم جاوزهم ومر بآخرين أشد عبادة منهم فقال : لأي شيء تعبدتم ، قالوا : شوقنا الله إلى الجنان وما أعد الله فيها لأوليائه فنحن نرجو ذلك ، فقال : إن حقا على الله أن يعطيكم ما رجوتم ، ثم جاوزهم ومر بآخرين يتعبدون فقال : ما أنتم ، قالوا : نحن المحبون لله سبحانه ، قال : لأي شيء تعبدتم ، قالوا : حبا لله عز وجل وتعظيما لجلالـه ولم نعبده خوفا من ناره ولا رجاء لجنته ، فقال : أنتم أولياء الله حقا فمعكم أمرت أن أقيم ، فأقام بين أظهرهم .

ومن الرضا بالبلاء والشكر عليه ما قيل أن بعض الزهاد يقول ((إلهي أجعتني وأجعت عيالي وتركتني في ظلم الليالي بلا مصباح وإنما تفعل هذا بأوليائك فبأي منزلة نلت هذا منك وبأي عمل أؤدي شكر ما أنعمت به علي)) .

فصاحب هذا المقام إذا وصلت إليه نعم الدنيا تألم بذلك كما يتألم الصابر عند حلول البلاء وهذا مقام الخواص ، وأعلى من هـذا مقام الخصيصين وهو الرضا والمحبة لما يفعله الله إن كان نعمة أو بلاء بلا فرق بينهما عنده كما أخبر به الباقر عن نفسه .

إذا عرفت هذا فاعلم أن الناس على أربعة أصناف هالكون ومبعدون وناجون وفائزون ، أما الهالكون فقوم أحاطت بهم السيئات فشملتهم إذ أشعروا قلوبهم المعاصي والتحفوا باليأس من روح الله وأمنوا مكره وتجلببوا بالقنوط من رحمته أولئك هم الخاسرون ، وأما المبعدون فهم قوم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا تحلوا بالايمان فلما نعق بهم هاتف الشيطان تبعوه وقلوبهم منكرة لما مالوا إليه وقد غلبتهم نفوسهم لشهواتها ولكن إذا سمعوا داعي الهدى إلى طريق النجاة أجابوه وأحبوا أتباعه فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم ، وأما الناجون فقوم حصلوا السلامة وسلموا من الغرم لعدم انهماكهم في المعاصي فأنابوا ورجعوا حين ألبسوا نفوسهم ملاحف الخوف وتجلببوا بجلباب الهيبة أولئك هم المفلحون ، وأما الفائزون فهم قوم نالوا الكرامة وأدركوا الغنم لعملهم بالطاعات طلبا لرضا الله ومحبة له وذلك حين تجلببوا بجلباب المحبة وتحلوا بزينة المواصلة بعد أن ألبسوا قلوبهم ملابس الخشية أولئك هم المتقون .

الباب الخامس

في ذكر الذين زهدوا في الدنيا
ورغبوا في الآخرة ومواعظ متفرقة

الباب الخامس
في ذكر الذين زهدوا في الدنيا ورغبوا في الآخرة
ويلحق به مواعظ متفرقة

فاعلم أن أفضل الزاهدين وأزهد الخلق أجمعين محمد بن عبدالله سيد المرسلين وخاتم النبيين صلى الله عليه وآله الطاهرين ، فمن زهده ما ذكره ابن عباس قال ((كان رسول الله صلى الله عليه وآله يبيت طاويا ليالي ، ماله ولا لأهله عشاء وكان عامة طعامه الشعير)) (١) ، وقالت عائشة ((والذي بعث محمدا بالحق ما كان لنا منخل ولا أكل النبي خبزا منخولا منذ بعثه الله إلى أن قبض)) (٢) ، وقال أبو هريرة ((ما شبع رسول الله صلى الله عليه وآله وأهله أياما تباعا من خبز الحنطة حتى فارق الدنيا ، وما اجتمع عند رسول الله صلى الله عليه وآله أدامان إلا أكل أحدهما وتصدق بالآخر ، وما كان يجتمع لرسول الله لونان في لقمة في فمه إن كان لحما لم يكن خبزا وإن كان خبزا لم يكن لحما)) (٣) ، ((وكان له تسع نسوة وكان بينهن ملحفة مصبوغة إما بورس أو بزعفران فإذا كانت ليلة امرأة منهن بعثوا بها إليها ويرش عليها شيء من ماء حتى يوجد ريحها)) (٤) .

---

(١) شرح النهج ج ١٩ ص ١٨٩
(٢) مجموعة ورام ج ١ ص ٤٨
(٢) مجموعة ورام ج ١ ص ٤٧
(٤) مجموعة ورام ج ٢ ص ١٢

ومن ذلك ما رواه عبدالله بن سنان ، قال سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول ((دخل رجل على النبي صلى الله عليه وآله وهو على حصير قد أثر في جسمه ووسادة ليف قد أثرت في خده فجعل يمسح ويقول ما رضى بهذا كسرى ولا قيصر إنهم ينامون على الحرير والديباج وأنت على هذا الحصير ، قال فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لأنا خير منهما والله لأنا أكرم منهما والله ما أنا والدنيا إنما مثل الدنيا كمثل رجل راكب مر على شجرة ولها فيء فاستظل تحتها فلما أن مال الظل عنها ارتحل فذهب وتركها)) (١).

وعن ابن عباس ((كان رسول الله صلى الله عليه وآله يجلس على الأرض ويأكل على الأرض ويعتلف الشاة ويجيب دعوة المملوك على خبز الشعير)) ، وعن أبي عبدالله عليه السلام أنه صلى الله عليه وآله ((كان يحلب عنز أهله)) ، وقال صلى الله عليه وآله ((خمس لا أدعهن حتى الممات ، الأكل على الحضيض مع العبيد ، وركوبي الحمار مؤكفا ، وحلب العنز بيدي ، ولبس الصوف ، والتسليم على الصبيان لتكون سنة من بعدي)) (٢).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال ((كان فراش رسول الله صلى الله عليه وآله عباءة وكان مرفقته أدم حشوها ليف فثنيت ذات ليلة ، فلما أصبح قال لقد منعني الليلة الفراش الصلاة ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله أن يجعل بطاق واحد)) (٣).

وفي كتاب التمحيص عن عبدالله بن أبي معتوق ، قال سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول ((إن رجلا من الأنصار أهدى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله صاعا من رطب فقال رسول الله صلى الله عليه وآله للخادمة التي جاءت به

---

(١) الزهد ص ٥٠ (٢) الخصال ص ٢٧١ (٣) مكارم الأخلاق ص ٣٩

ادخلي فانظري هل تجدين في البيت قصعة أو طبقا فتأتيني به فدخلت ثم خرجت إليه فقالت ، ما أصبت قصعة ولا طبقا فكنس رسول الله صلى الله عليه وآله بثوبه مكانا من الأرض ثم قال لها ، ضعيه ههنا على الحضيض ، ثم قال والذي نفسي بيده لو كانت الدنيا تعدل عند الله مثقال جناح بعوضة ما أعطى كافرا ولا منافقا منها شيئا)) (١) .

وقال أمير المؤمنين عليه السلام ((لما قدم عدي بن حاتم إلى النبي صلى الله عليه وآله ادخله النبي بيته ولم يكن في البيت غير خصفة ووسادة أدم فطرحهما رسول الله صلى الله عليه وآله لعدي بن حاتم)) (٢) .

وعن عمرو بن سعيد بن هلال قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام أوصني فقال ((أوصيك بتقوى الله والورع والاجتهاد ، واعلم أنه لا اجتهاد لا ورع فيه وانظر إلى من دونك ولا تنظر إلى من فوقك فلكثيرا ما قال الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وآله ﴿ فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم ﴾ (٣) وقال ﴿ ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا ﴾ (٤) ، وإن نازعتك نفسك إلى شيء من ذلك فاعلم أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان قوته الشعير وحلواه التمر ووقوده السعف ، وإذا أصبت بمصيبة فاذكر مصابك برسول الله صلى الله عليه وآله ، فإن الناس لم يصابوا بمثله ولن يصابوا بمثله أبدا)) (٥) ، يريد عليه السلام بأن هذا كان شأنه وهو يقدر أن أن يفعل كما يفعله المترفون ولا ينقص ذلك من حظه عند الله شيئا كما دلت عليه الأخبار ويأتي بعضها وليس كذلك الأنبياء فإنهم لو سألوا الله

---

(١) التمحيص ص٤٩ (٢) مشكاة الأنوار ص ١٧٧ (٣) التوبة ٥٥

(٤) طه ١٣١ (٥) أمالي المفيد ص ١٤٩

لأعطاهم ولكن ينقص ذلك من قدرهم ومقامهم فلذا قلنا أن رسول الله وأهل بيته عليهم السلام أزهد الخلق أجمعين لأن من يترك لذة نفسه وشهوته طلبا لما هو أعلى من ذلك أو خوفا من نقصان يلحقه أو يعاتب على فعل يفعله أدنى مقاما ممن يترك لذة نفسه لا لطلب مقام أعلى ولا لخوف عتاب وإنما ذلك تقربا إلى مولاه وتنزها عن الميل إلى سواه والأنبياء عليهم السلام وإن كانوا يحصل لهم هذا المقام في بعض الأحوال إلا أن هذا المقام له مراتب في الثبات واليقين فما كان يحصل لهم فهو أثر مما عنده وأهل بيته صلى الله عليهم أجمعين فافهم .

فعن محمد بن مسلم قال دخلت على أبي جعفر عليه السلام ذات يوم وهو يأكل متك قال وقد كان بلغنا أن ذلك يكره فجعلت أنظر إليه فدعاني إلى طعامه فلما فرغ قال ((يا محمد لعلك ترى أن رسول الله صلى الله عليه وآله ما رأته عين وهو يأكل متك منذ بعثه الله إلى أن قبضه ، ثم رد على نفسه فقال :لا والله ما رأته عين يأكل و هو متك منذ أن بعثه الله إلى أن قبضه ، ثم قال : يا محمد لعلك ترى أنه شبع من خبز البر ثلاثة أيام متوالية إلى أن قبضه ثم رد عاى نفسه ثم قال :لا و الله ما شبع من خبز البر ثلاثة أيام متوالية منذ بعثه الله تعالى إاى أن قبضه أما إني لا أقول أنه كان لا يجد ، لقد كان يجيز الرجل الواحد بالمائة من الابل فلو أراد أن يأكل لأكل ، ولقد أتاه جبريل عليه السلام بمفاتيح خزائن الأرض ثلاث مرات يخيره من غير أن ينقصه الله تبارك و تعالى مما أعد الله له يوم القيامة شيئا فيختار التواضع لربه جل و عز ، وما سئل شيئا قط فيقول لا فإن كان أعطى وإن لم يكن قال يكون إنشاء الله وما أعطى على الله شيئا قط إلا سلم الله له ذلك حتى أنه كان يعطي الرجل الجنة فيسلم الله ذلك له ، ثم تناولني بيده و قال :

وإن كان صاحبكم عليه السلام ليجلس جلسة العبد ويأكل أكلة العبد ، ويطعم الناس خبز البر واللحم ويرجع إلى أهله فيأكل الخبز والزيت وإن كان ليشتري القميصين السنبلانيين ثم يخير غلامه خيرهما ثم يلبس الباقي فإذا جاز أصابعه قطعه وإذا جاز كعبة حذفه ، وما ورد عليه أمران قط كلاهما لله رضا إلا أخذ بأشدهما على بدنه ، ولقد ولي الناس خمس سنين ما وضع آجرة على آجرة ولا لبنة على لبنة ولا أقطع قطيعة ولا أورث بيضاء ولا حمراء إلا سبعمائة درهم فضلت من عطاياه أراد أن يبتاع بها لأهله خادما ، وما أطاق أحد عمله وقد كان علي بن الحسين عليهما السلام لينظر في كتاب من كتب علي عليه السلام فيضرب به الأرض ويقول من يطيق هذا)) (١) .

واعلم أن أكل الباقر عليه السلام وهو متكئ مع إخباره ابتداء من غير أن يسأل عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه ما فعل ذلك قط إنما كان إيذانا بالجواز لأنهم عليهم السلام المعلمون للخلق فيكون فعل المكروه من غيرهم مستحبا إليهم بل ربما يكون واجبا لو ظن أنه حرام وتوقف معرفة الحكم على فعلهم عليهم السلام ، وقوله عليه السلام (وإن كان صاحبكم ... إلى آخره) يعني به أمير المؤمنين عليه السلام إعلاما منه بأنه ما كان لرسول الله صلى الله عليه وآله من الزهد وغيره من مكارم الأخلاق فهو ثابت لوصيه وأبنائه عليه السلام لا أن ذلك من خصائص النبي صلى اله عليه وآله بل هم شركاؤه في هديه قولا وفعلا وحالا ومعنى قوله أتاه جبرائيل بمفاتيح خزائن الأرض الإذن والرخصة ودفع الحرج .

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله ((أتاني ملك فقال يا محمد إن ربك يقرؤك السلام

---

(١) الكافي ج ٨ ص ١٣٠

ويقول إن شئت جعلت لك بطحاء مكة ذهبا ، قال فرفعت رأسي إلى السماء وقلت يا رب أشبع يوما فأحمدك وأجوع يوما فأسألك)) (١) .

وفي خبر أن رسول الله صلى الله عليه وآله ((ما أكل خبز البر قط)) ، فروى العيص بن القاسم قال قلت للصادق عليه السلام حديث يروى عن أبيك عليه السلام أنه قال ((ما شبع رسول الله صلى الله عليه وآله من خبز بر ، أهو صحيح ؟ فقال :لا ، ما أكل رسول الله صلى الله عليه وآله خبز بر قط ولا شبع من خبز شعير قط)) (٢) ، والظاهر أن الخبر الأول فيه تحريف من الراوي وأن بدل قوله ((ما شبع من خبز بر ثلاثة أيام متوالية ، شبع من خبز شعير)) ، كما في الاحتجاج عن علي عليه السلام في جوابه لليهودي إلى أن قال ((ما رفعت له مائدة قط وعليها طعام ولا أكل خبز بر قط ولا شبع من خبز شعير ثلاث ليال متواليات قط توفي رسول الله صلى الله عليه و آله ودرعه مرهونة عند يهودي بأربعة دراهم ما ترك صفراء ولا بيضاء مع ما وطئ له من البلاد ومكن له من غنائم العباد ولقد كان يقسم في اليوم الواحد الثلاثمائة ألف والأربعمائة ألف)) (٣) .

وعن أبي عبدالله عليه السلام قال ((أفطر رسول الله صلى الله عليه وآله عشية خميس في مسجد قباء فقال هل من شراب فأتاه أوس بن خولي الأنصاري بعس مخلط بعسل فلما وضعه على فيه نحاه ثم قال : شرابان يكتفى بأحدهما عن صاحبه ثم قال : لا أشربه ولا أحرمه ولكن أتواضع لله فإن من تواضع لله رفعه الله ، ومن تكبر خفضه الله ، ومن اقتصد في معيشته رزقه الله ، ومن بذر حرمه الله ، ومن أكثر ذكر الموت

---

(١) أمالي المفيد ص ١٢٤ (٢) أمالي الصدوق ص ٣٢٠ (٣) الاحتجاج ص ٢٢٦

أحبه الله)) (١).

وعن ابن عباس قال ((جاع النبي صلى الله عليه وآله جوعا شديدا فأتى الكعبة فتعلق بأستارها فقال يا رب محمد لا تجع محمدا أكثر مما أجعته قال فهبط جبرائيل عليه السلام ومعه لوزة فقال: يا محمد إن الله جل جلاله يقرأ عليك السلام، فقال: يا جبرئيل الله السلام ومنه السلام وإليه يعود السلام، فقال: إن الله يأمرك أن تفك عن هذه اللوزة ففك عنها فإذا فيها ورقة خضراء نضرة مكتوب عليها لا إله إلا الله محمد رسول الله أيدت محمدا بعلي ونصرته به ما أنصف الله من نفسه من اتهم الله بقضائه واستبطاه في رزقه)) (٢).

وقال موسى عليه السلام ((أي رب أي خلقك أعظم ذنبا؟ قال: الذي يتهمني، قال: يا رب هل يتهمك أحد؟ قال: نعم يا موسى الذي يستخيرني ولا يرضى بقضائي ولا يشكر نعمائي ولا يصبر على بلائي)) (٣).

قال رسول الله صلى الله عليه وآله ((لا تزال يد الله على هذه الأمة ما لم تمل قراؤهم إلى أمرائهم وما لم يوقر خيارهم شرارهم وما لم يعظم أبرارهم فجارهم فإذا فعلوا ذلك رفعها الله عنهم وقذف في قلوبهم الرعب)) (٤).

وفي خبر ((أنه خرج النبي صلى الله عليه وآله وهو محزون فأتاه ملك ومعه مفاتيح خزائن الأرض فقال: يا محمد هذه مفاتيح خزائن الدنيا يقول لك ربك افتح وخذ منها ما شئت من غير أن تنقص شيئا عندي فقال رسول الله صلى الله عليه وآله، الدنيا دار من لا دار له ولها يجمع من لا عقل له، فقال الملك

---

(١) مجموعة ورام ج ٢ ص ١٩٠
(٢) أمالي الصدوق ص ٥٥٤
(٣) مجموعة ورام ج ٢ ص ٢٣١
(٤) مجموعة ورام ج ٢ ص ٢٣٢

والذي بعثك بالحق لقد سمعت هذا الكلام من ملك يقول في السماء الرابعة حين أعطيت المفاتيح)) (١) .

وعن أبي عبدالله عليه السلام ((وكان أحب الأصباغ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ، الخل والزيت ، وقال وهو طعام الأنبياء)) (٢) .

وعنه عليه السلام ((ما قدم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله طعام فيه تمر إلا بدأ بالتمر)) (٣) .

وعنه عليه السلام ((أنه كان يجلس جلسة العبد ويضع يده على الأرض ويأكل بثلاث أصابع و قال : إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يأكل هكذا ليس كما يفعله الجبارون كان يأكل بإصبعيه)) (٤) .

وعنه عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله ((اللهم ارزق محمد وآل محمد ومن أحبهم العفاف والكفاف ، وارزق من أبغض محمدا وآل محمد المال والولد)) (٥) ، والمراد من أحب محمدا وآل محمد هنا المحبة الكاملة المشتملة على الاعتقاد والميل والمتابعة في القول والعمل وهؤلاء هم خصيصوا الشيعة .

وعنه عليه السلام قال ((إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يتوب إلى الله ويستغفره في كل يوم وليلة مائة مرة)) (٦) ، فالمراد بالتوبة الإنابة والرجوع وكذا الاستغفار ، وفي خبر أنه كان يقول ((أتوب إلى الله من غير ذنب)) ولم يقل أستغفر الله ، إشارة إلى ما ذكرته لأن الاستغفار طلب التغطية على الذنب ، وأما التوبة فتستعمل في الإنابة والرجوع من غير ذنب .

وعن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال ((بينا رسول

---

(١) البحار ج ١٦ ص ٢٢٦ (٢) قصص الأنبياء ص ١٠ (٣) المحاسن ٥٣١
(٤) المحاسن ٤٤٢ (٥) فقه الرضا ص ٣٣٦ (٦) معاني الأخبار ص ٣٨٤

الله صلى الله عليه وآله جالس إذ حانت من جبرائيل نظرة قبل السماء فامتقع لونه حتى صار كأنه كركمة ثم لاذ برسول الله صلى الله عليه وآله ، فنظر رسول الله صلى الله عليه وآله إلى حيث نظر جبرائيل وإذا شيء قد ملأ ما بين الخافقين مقبلا حتى كان كقاب قوسين أو أدنى من الأرض ثم قال : يا محمد إني رسول الله إليك أخبرك أن تكون ملكا رسولا أو تكون عبدا رسولا فالتفت رسول الله صلى الله عليه وآله إلى جبرائيل وقد رجع إليه لونه ، فقال جبرائيل : بل كن عبدا رسولا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : بل أكون عبدا رسولا ، فرفع الملك رجله اليمنى فوضعها في كبد سماء الدنيا ثم رفع الأخرى فوضعها في الثانية ثم رفع يمنى فوضعها في الثالثة ثم هكذا حتى انتهى إلى السماء السابعة بعد كل سماء خطوة وكلما ارتفع صغر حتى صار آخر ذلك مثل الذر الصر الصرد ، فالتفت رسول الله صلى الله عليه وآله إلى جبرائيل فقال : لقد رأيتك ذعرا ما رأيت شيئا كان أذعرلي من تغير لونك فقال : يا نبي الله لا تلمني أتدري من هذا ؟ قال : لا ، قال هذا إسرافيل حاجب الرب ولم ينزل من مكانه منذ خلق الله السماوات والأرض فلما رأيته منحطا ظننت أنه جاء بقيام الساعة ، فكان الذي رأيت من تغير لوني لذلك ولما رأيت ما اصطفاك الله به رجع إلي لوني ونفسي لما رأيته فلما ارتفع صغر ، إنه ليس شيء يدنو من الرب إلا صغر لعظمته إن هذا حاجب الرب وأقرب خلق الله منه واللوح بين عينيه من ياقوتة حمراء فإذا تكلم الرب تبارك وتعالى بالوحي ضرب اللوح جبينه فنظر فيه ثم ألقاه إلينا فنسعى به في السماوات والأرض إنه لأدنى خلق الرحمن منه وبينه سبعين حجابا من نور يقطع دونها الأبصار ما لا يعد ولا يوصف ، وإني لأقرب الخلق منه وبيني وبينه مسيرة ألف عام)) (١).

فقوله (إن هذا حاجب الرب وأقرب خلق الله منه) وكذا قوله (لأدنى خلق منه) يريد به قرب المكان من مبدأ تلقي الوحي الإلهامي ، وأما جبرائيل فأقرب مكانة من ميكائيل ، و ميكائيل أقرب من إسرافيل ، والعلة فيه أن كل بسيط يكون أقرب من المبدأ ، وكل مركب من ذلك البسيط يكون أفضل لجامعيته وهو معنى قرب المكانة وذلك كالعقل والعاقل ، فإن العاقل أفضل من العقل والعقل أقرب أجزاء العاقل ومشاعره من المبدأ .

ومن زهد أمير المؤمنين عليه السلام تركه للدنيا وتجافيه عنها فمن ذلك ما روي عن الصادق عليه السلام عن علي بن الحسين عليهما السلام قال سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول حدثني أمير المؤمنين عليه السلام قال (كنت بفدك في بعض حيطانها وقد صارت لفاطمة عليها السلام ، قال فإذا أنا بامرأة قد قحمت علي وفي يدي مسحاة وأنا أعمل بها ، فلما نظرت إليها طار قلبي مما تداخلني من جمالها ، فشبهتها بثينة بنت عامر الجمحي وكانت من أجمل نساء قريش ، فقالت يا ابن أبي طالب هل لك أن تتزوج بي فأغنيك عن هذه المسحاة وأدلك على خزائن الأرض فيكون لك الملك ما بقيت ولعقبك من بعدك فقلت لها من أنت حتى أخطبك من أهلك ، فقالت أنا الدنيا ، قلت لها : فارجعي واطلبي زوجا غيري ، وأقبلت على مسحاتي وأنشأت أقول :

لقد خاب من غرته دنيا دنية	وما هي أن غرت قرونا بطائل
أتتنا على ذي العروس بثنية	وزينتها في مثل تلك الشمائل
فقلت لها غري سواي فإنني	عزوف عن الدنيا ولست بجاهل

(١) تفسير القمي ج ٢ ص ٢٨

وما أنا والدنيا فإن محمدا أحل صريعا بين تلك الجنادل
وهبها أتتها بالكنوز ودرها وأموال قارون وملك القبائل
أليس جميعا بالفناء مصيرها وتطلب من خزائنها بالحوائل
فغري سوائي إنني غير راغب بما فيك من ملك وعز ونائل
فقد قنعت نفسي بما رزقته فشأنك يا دنيا وأهل الغوائل
فإني أخاف الله يوم لقائه وأخشى عذابا دائما غير زائل

فخرج من الدنيا وليس في عنقه تبعة لأحد حتى لقي الله محمودا غير ملوم ولا مذموم، ثم اقتدى به الأئمة عليهم السلام من بعده بما قد بلغكم لم يتلطخوا بشيء من بوائقها صلى الله عليهم أجمعين وأحسن مثواهم)) (١).

وعن الضحاك بن زاحم قال ذكر علي عليه السلام عند ابن عباس بعد وفاته عليه السلام فقال ((وا أسفاه على أبي الحسن مضى والله ما غير ولا بدل ولا قصر ولا جمع ولا منع ولا آثر إلا الله، والله لقد كانت الدنيا أهون عليه من شسع نعله، ليث في الوغى بحر في المجالس حكيم في الحكماء هيهات قد مضى إلى الدرجات العلى)) (٢).

وعن الأصبغ بن نباتة ((كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب إذا أتي بالمال أدخله بيت مال المسلمين ثم جمع المستحقين ثم ضرب يده في المال فنثره يمنة ويسرة وهو يقول، يا صفراء يا بيضاء لا تغريني غري غيري هذا جنائي وخياره فيه إذ كل جان يده إلى فيه، ثم لا يخرج حتى يفرق ما في بيت مال المسلمين ويؤتي كل ذي حق حقه ثم يأمر أن يكنس ويرش ثم يصلي فيه ركعتين ثم يطلق الدنيا ثلاثا يقول بعد التسليم لا تتعرضين

(١) كشف الريبة ص ٩١
(٢) أمالي الصدوق ٤٠٨

لي ولا تشوقيني ولا تغريني قد طلقتك ثلاثا لا رجعة لي عليك)) (١).

وروي ((أن أبا بكر مات وعليه لبيت مال المسلمين نيف وأربعون ألف درهم، وعمر مات وعليه نيف وثمانون ألف درهم، وعثمان مات وعليه ما لا يحصى كثرة، وعلي عليه السلام قبض وما ترك إلا سبع مائة درهم فضلا عن عطائه أعدها لخادم)) (٢).

وفي نهج البلاغة قال عليه السلام لأخيه عقيل (والله لئن أبيت على حسك السعدان مسهدا أو أجر في الأغلال مصفدا، أحب إلي من أن ألقى الله ورسوله يوم القيامة ظالما لبعض العباد وغاصبا لشيء من الحطام وكيف أظلم أحدا لنفس يسرع إلى البلى قفولها ويطول في الثرى حلولها والله لقد رأيت عقيلا وقد أملق حتى استماحني من بركم صاعا ورأيت صبيانه شعث الشعور غبر الألوان من فقرهم كأنما سودت وجوههم بالعظلم وعاودني مؤكدا وكرر علي مرددا فأصغيت إليه سمعي فظن أني أبيعه ديني وأتبع قياده مفارقا طريقتي فأحميت له حديدة ثم أدنيتها من جسمه ليعتبر بها فضج ضجيج ذي دنف من ألمها وكاد أن يحترق من ميسمها فقلت له ثكلتك الثواكل ياعقيل أتئن من حديدة أحماها انسانها للعبه وتجرني إلى نار سجرها جبارها لغضبه أتئن من الأذى ولا أئن من لظى، وأعجب من ذلك طارق طرقنا بملفوفة في وعائها ومعجونة شنئتها كأنها عجنت بريق حية أو قيئها، فقلت أصلة أم زكاة أم صدقة فذلك محرم علينا أهل البيت فقال لاذا ولاذاك ولكن هدية، فقلت هبلتك الهبول أعن دين الله أتيتني لتخدعني أمتخبط أم ذو جنة أم تهجر فوالله لو أعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصي الله

---

(١) أمالي الصدوق ٢٨٣ (٢) المناقب ص ٩٣

تعالى في نملة أسلبها جلب شعيرة ما فعلته وإن دنياكم عندي لأهون من ورقة في فم جرادة تقضمها ، ما لعلي ونعيم يفنى ولذة لا تبقى نعوذ بالله من سبات العقل وقبح الزلل وبه نستعين)) (١).

ومثله بزيادات ما رواه المفضل بن عمر عن الصادق عليه السلام عن أبيه عن جده عن آبائه عليهم السلام قال ، قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام (والله ما دنياكم عندي إلا كسفر على منهل حلو إذ صاح بهم سائقهم فارتحلوا ، ولا في عينى لذاذتها إلا كحميم أشربه غساقا وعلقم أتجرعه زعاقا وسم أفعى أسقاه دهاقا وقلادة من نار أوهقها حناقا ولقد رقعت مدرعتى هذه حتى استحييت من راقعها وقال لي : اقذف بها قذف الأتن لا يرتضيها ليرقعها ، فقلت له : أعزب فعند الصباح يحمد القوم السرى وتنجلي عنهم علالات (غلالات) الكرى ولو شئت لتسربلت بالعبقري المنقوش من ديباجكم ولاكلت لباب هذا البر بصدور دجاجكم ولشربت الماء الزلال برقيق زجاجكم ولكنى أصدق الله جلت عظمته حيث يقول ﴿ من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم لا يبخسون أولئك الذين ليس هم في الآخرة إلا النار ﴾ فكيف أستطيع الصبر على نار لو قذفت بشررة إلى الأرض لأحرقت نبتها ولو اعتصمت نفس بقلة لأنضجها وهج النار في قلتها وأيما إنما خير لعلي أن يكون عند ذي العرش مقربا أو يكون في لظى خسيئا مبعدا مسخوطا عليه بجرمه مكذبا والله لئن أبيت على حسك السعدان مرقدا وتحتى أطمار على سفاها ممددا أو أجر في أغلالي مصفدا أحب إلي من أن ألقى في القيامة محمدا خائنا في ذي يتمة أظلمه بفلسة تعمدا ولم أظلم اليتيم وغير اليتيم لنفس تسرع إلى البلاء قفولها ويمتد في أطباق

---

(١) شرح النهج ج ١١ ص٢٤٥ - ٢٤٦

الثرى حلوها وإن عاشت رويدا فبذي العرش نزوها لله معاشر شيعتى لله احذروا فقد عضتكم الدنيا بأنيابها تخطف منكم نفسا بعد نفس كذا بها وهذه مطايا الرحيل قد أنيخت لركابها ألا إن الحديث ذو شجون فلا يقولن قائلكم إن كلام علي متناقض لأن الكلام عارض ولقد بلغنى أن رجلا من قطان المدائن تبع بعد الحنيفية علوجه ولبس من باله دهقانة منسوجة و تضمخ بمسك هذه النوافج صباحه وتبخر بعود الهندي رواحة وحوله ريحان حديقة يشم نفاحه وقد مد له مفروشات الروم على سرره تعسا له بعد ما ناهز السبعين من عمره وحوله شيخ يدب على أرضه من هرمه وذو يتمة تضور من ضره ومن قرمه فما واساهم بفاضلات من علقمه لئن أمكننى الله منه لأخضمنه خضم البر ولأقيمن عليه حد المرتد ولأضربنه الثمانين بعد حد ولأسدن من جهله كل مسد تعسا له أفلا شعر أفلا صوف أفلا وبر أفلا رغيف قفار الليل إفطار مقدم أفلا رغيف لليل إفطار معدم أفلا عبرة على خد في ظلمة ليال تنحدر ولو كان مؤمنا لاتسقت له الحجة إذ ضيع ما لا يملك والله لقد رأيت عقيلا أخي وقد أملق حتى استماحنى من بركم صاعا وعاودني في عشر وسق من شعيركم يطعمه جياعه وكاد يلوي ثالث أيامه خامصا ما استطاعه ورأيت أطفاله شعث الألوان من ضرهم كأنما اشمأزت وجوههم من فقرهم فلما عاودني في قوله وكرره أصغيت إليه سمعي فغره فظننى أوتغ إليه دينى فأتبع ما سره أحميت له حديدة لينزجر إذ لا يستطيع منها دنوا ولا يصبر ثم أدنيتها من جسمه فضج من ألمه ضجيج ذي دنف يئن من سقمه فكان يسبنى سفها من كظمه ولحرقة في لظى له من عدمه فقلت له ثكلتك الثواكل يا عقيل أتئن من حديدة أحماها إنسانها للعبه وتجرني إلى نار سجرها جبارها من غضبه أتئن من الأذى ولا أئن من لظى والله لو سقطت المكافآت عن الأمم وتركت في مضاجعها

باليات في الرمم لاستحيت من مقت رقيب يكشف فاضحات الأستار من الأوزار)) (١) وتمامه يقرب من الحديث السابق بزيادات قليلة .

وعن عمار بن ياسر قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام ((يا علي إن الله قد زينك بزينة لم تزين العباد بزينة أحب إلى الله منها ، زينك بالزهد في الدنيا وجعلك لا ترزأ منها شيئا ولا تزرأ منك شيئا ، ووهب لك حب المساكين فجعلك ترضى بهم أتباعا ويرضون بك إماما فطوبى لمن أحبك وصدق فيك ، فأولئك جيرانك في دارك وشركاؤك في جنتك ، وأما من أبغضك وكذب عليك فحق على الله أن يوقفه موقف الكذابين)) (٢) .

وقال علي عليه السلام ((لقد تزوجت فاطمة عليها السلام ومالي ولها فراش غير جلد كبش كنا ننام عليه بالليل ، ونعلق عليه الناضح بالنهار ومالي خادم غيرها)) ، وعن الصادق عليه السلام ((كان فراش علي وفاطمة عليهما السلام حين دخلت عليه أهاب كبش إذا أرادا أن يناما عليه قلباه ، قال : وناما على صوفة وكان وسادتها أدما حشوها ليف وكان صداقها درعا من حديد)) (٣) .

وفي كتاب الخصائص ذكر ((أن ضرار بن ضميرة الضبابي ، دخل على معاوية بن أبي سفيان لعنه الله ، وهو بالموسم ، فقال له : صف لي عليا ، قال أو تعفيني ، قال لا بد أن تصفه لي ، قال كان والله أمير المؤمنين عليه السلام طويل المدى شديد القوى كثير الفكرة غزير العبرة يقول فصلا ويحكم عدلا يتفجر العلم من جوانبه وتنطق الحكمة من نواحيه يستوحش من الدنيا وزهرتها ويأنس بالليل ووحشته وكان فينا كأحدنا يجيبنا إذا دعوناه ويعطينا إذا سألناه ونحن والله مع قربه لا نكلمه لهيبته ولا ندنو منه

---

(١) امالي الصدوق ص ٦٢٠ (٢) بشارة المصطفى ص ٩٨ (٣) قرب الاسناد ص ٥٣

تعظيما له فإن تبسم غير أشر ولا اختيال وإن نطق فعن حكمة يعظم أهل الدين ويحب المساكين لا يطمع الغنى في باطله ولا يوئس الضعيف من عدله فأشهد لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله وهو قائم في محرابه في محرابه قابض على لحيته يتململ السليم ويبكي بكاء الحزين وكأني أسمعه وهو يقو يا دنيا يا دنيا إليك عنى أبي تعرضت أم لي تشوقت لا حان حينك هيهات غري غيري لا حاجة لي فيك فعمرك قصير وخطرك يسير وأملك حقير آه من قلة الزاد وطول المجاز وبعد السفر ووحشة الطريق وعظم المورد لله ، قال فوكفت دموع معاوية ما يملكها وهو يقول هكذا كان علي عليه السلام فكيف حزنك عليه يا ضرار ، قال حزني عليه والله حزن من ذبح واحدها في حجرها فلا ترقى دمعتها ولا تسكن حرارتها)) (١) .

وقال الأخنف بن قيس دخلت على معاوية فقدم إلي من الحلوى والحامض ما كثر تعجبى منه ، ثم قدم ألوانا ما أدري ما هي ، فقلت ما هذا ، قال مصار بن البط محشو بالمخ قد قلي بدهن الفستق وذر عليه الطبرزد ، فبكيت ، فقال ما يبكيك ، فقلت ذكرت عليا عليه السلام بينا أنا عنده فحضر وقت إفطاره ، فسألنى المقام إذ دعا بجراب مختوم ، فقلت ما هذا الجراب ، قال سويق الشعير، فقلت خفت عليه أن يؤخذ أو بخلت به ، قال لا ولا أحدهما لكنى خفت أن يلينه الحسن بالقسم ، والحسين بسمن أو زيت ، قلت : محرم هو؟ قال : لا ولكن يجب على أئمة الحق أن يقتدوا بالقوم من ضعفة الناس كيلا يطغى الفقير فقره ، فقال معاوية ذكرت من لا ينكر فضله)) .

ففي معاوية وعلي (ع) نزلت هاتان الآيتان ، ففي معاوية نزلت ﴿ أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا ﴾ (٢) ، وفي علي

---

(١) خصائص الأئمة ص ٧١

(٢) الأحقاف ٢٠

عليه السلام ﴿ كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية ﴾ (١)، وقال عليه السلام ((إن الله جعلني إماما لخلقه ففرض علي التقدير في نفسي ومطعمي ومشربي وملبسي كضعفاء الناس كي يقتدي الفقير ولا يطغي الغنى غناه)) .

وفي احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام على عاصم بن زياد حين لبس العباء وترك الملاء وشكاه أخوه الربيع بن زياد إلى أمير المؤمنين عليه السلام أنه قد غم أهله وأحزن ولده بذلك فقال أمير المؤمنين عليه السلام ((علي بعاصم بن زياد فجيء به فلما رآه عبس في وجهه ، فقال له ما استحييت من أهلك أما رحمت ولدك أترى أن الله أحل الطيبات وهو يكره أخذك منها ، أنت أهون على الله من ذلك أوليس الله يقول ﴿ والأرض وضعها للأنام فيها فاكهة والنخل ذات الأكمام ﴾ (٢) أوليس يقول ﴿ مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان ﴾ (٣) إلى قوله ﴿ يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان ﴾ (٤) فبالله لابتذال نعم الله بالفعال أحب إليه من ابتذالها بالمقال وقد قال عز وجل ﴿ وأما بنعمة ربك فحدث ﴾ (٥) ، فقال عاصم يا أمير المؤمنين فعلى ما اقتصرت في مطعمك على الجشوبة وفي ملبسك على الخشونة ، فقال ويحك إن الله عز وجل فرض على أئمة العدل أن يقدروا أنفسهم بضعفة الناس كي لا يتبيغ (أي يتهيج به) بالفقير فقره ، فألقى عاصم بن زياد العباء ولبس الملاء)) .

وعن حماد بن عثمان قال حضرت أبا عبدالله عليه السلام وقال له رجل أصلحك الله ذكرت أن علي بن أبي طالب عليه السلام كان يلبس الخشن يلبس القميص بأربعة دراهم وما أشبه ذلك ونرى عليك اللباس الجديد فقال له ((إن علي بن

---

(١) الحاقة ٢٤ (٢) الرحمن ١٠ – ١١ (٣) الرحمن ١٩ – ٢٠
(٤) الرحمن ٢٢ (٥) الضحى ١١

أبي طالب عليه السلام كان يلبس ذلك في زمان له ينكر ولو لبس مثل ذلك اليوم شهر به فخير لباس كل زمان لباس أهله غير أن قائمنا أهل البيت عليه السلام إذا ظهر لبس ثياب علي عليه السلام وسار بسيرة علي عليه السلام)) .

وعن سعيد بن كلثوم قال كنت عند جعفر بن بن محمد الصادق عليه السلام فذكر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فاطراه ومدحه بما هو أهله ثم قال ((والله ما أكل علي بن أبي طالب عليه السلام في الدنيا حراما قط حتى مضى لسبيله وما عرض له أمران قط هما لله رضا إلا أخذ بأشدهما عليه في دينه وما نزلت برسول الله صلى الله عليه وآله نازلة إلا دعاه ثقة به وما أطاق عمل رسول الله صلى الله عليه وآله من هذه الأمة غيره وإن كان ليعمل عمل رجل كان وجهه بين الجنة والنار يرجو ثواب هذه ويخاف عقاب هذه ولقد أعتق من ماله ألف مملوك في طلب وجه الله والنجاة من النار مما كد بيده ورشح منه جبينه وإن كان ليقوت أهله بالزيت والخل والعجوة وما كان لباسه إلا الكرابيس ، إذا فضل شيء عن يده من كمه دعا بالجلم فقصه وما أشبهه من ولده ولا أهل بيته أحد أقرب شبها به في لباسه وفقهه من علي بن الحسين عليه السلام ولقد دخل أبو جعفر ابنه عليه السلام عليه فإذا هو قد بلغ من العبادة ما لم يبلغه أحد ، فرآه قد اصفر لونه من السهر ورمصت عيناه من البكاء ودبرت جبهته انخرم أنفه من السجود وورمت ساقاه وقدماه من القيام في الصلاة فقال أبو جعفر عليه السلام فلم أملك حين رأيته بتلك الحال البكاء فبكيت رحمة له وإذا هو يفكر فالتفت إلي بعد هنيهة من دخولي فقال : يابني أعطني بعض تلك الصحف التى فيها عبادة علي بن أبي طالب عليه السلام فأعطيته فقرأ فيها شيئا يسيرا ثم تركها من يده تضجرا وقال من يقوى على عبادة علي عليه السلام)) (١) .

وعن الباقر عليه السلام ((أنه (يعني عليا عليه السلام) أتى البزازين ، فقال لرجل بعني ثوبين ، فقال الرجل يا أمير المؤمنين عندي حاجتك ، فلما عرفه مضى عنه فوقف على غلام فأخذ ثوبين أحدهما بثلاثة دراهم والآخر بدرهمين ، فقال يا قنبر خذ الذي بثلاثة ، فقال : أنت أولى به تصعد المنبر وتخطب الناس ، قال : أنت شاب فلك شره الشباب وأنا أستحي من ربي أن أتفضل عليك ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لله ألبسوهم مما تلبسون وأطعموهم مما تأكلون فلما لبس القميص مد كم القميص فأمر بقطعة واتخاذه قلانس للفقراء لله ، فقال الغلام هلم أكفه ، قال دعه كما هو فإن الأمر أسرع من ذلك ، فجاء أبو الغلام فقال ابني لم يعرف وهذان الدرهمان ربحهما ، فقال ما كنت لأفعل ما كست وما كسني واتفقنا على رضا)) (٢) .

وقال عليه السلام ((دخلت بلادكم بأشمالي ورحلي وراحلتي هاهي فإن أنا خرجت من بلادكم بغير ما دخلت فإنني من الخائنين ، وفي رواية يا أهل البصرة)(٣) .

ورآه سويد بن غفلة وهو يأكل رغيفا يكسره بركبته ويلقيه في لبن حاذر يجد ريحه من حموضته فقلت ، ويحك يا فضة أما تتقون الله تعالى في هذا الشيخ فتنخلون له طعام لما أرى فيه من النخال ، فقال أمير المؤمنين عليه السلام : بأبي وأمي من لم ينخل له طعام ولم يشبع من خبز الشعير حتى قبضه الله تعالى ، وقال لعقبة بن علقمة يا أبا الجنوب أدركت رسول الله صلى الله عليه وآله يأكل أيبس من هذا ويلبس أخشن من هذا فإن أنا لم آخذ به خفت أن لا ألحق به .

وترصد غداه عمرو بن حريث فأتت فضة بجراب مختوم

---

(١) الارشاد ج ٢ ص ١٤١ (٢) المناقب ج ٢ ص ٩٧ (٣) المناقب ج ٢ ص ٩٨

فأخرج منه خبزا متغيرا ، فقال عمرو : يا فضة لو نخلت هذا الدقيق طيبته ، قالت : كنت أفعل فنهاني وكنت أضع في جرابه طعاما طيبا فختم جرابه ثم أن أمير المؤمنين عليه السلام فته في قصعة وصب عليه الماء ثم ذر عليه الملح وحسر عن ذراعه ، فلما فرغ قال ((يا عمر لقد حانت هذه ومد يده إلى محاسنه وخسرت هذه إن أدخلتها النار من أجل الطعام وهذا يجزيني)) (١) .

وعن هارون بن عنترة عن أبيه قال دخلت على علي بن أبي طالب عليه السلام بالخورنق وهو يرعد تحت سمل قطيفة فقلت يا أمير المؤمنين إن الله قد جعل لك ولأهل بيتك في هذا المال ما يعم وأنت تصنع بنفسك ما تصنع ، فقال : والله ما أرزأكم من أموالكم شيئا وإنها لقطيفتي التي خرجت من المدينة ما عندي غيرها (٢) .

وعن عمرو بن قيس أن عليا عليه السلام رأى عليه إزار مرقوع فعوتب في لبسه فقال ((يخشع القلب بلبسه ويقتدي به المؤمن إذا رآه علي)) (٣) .

وعن علي بن الأقمر عن أبيه قال رأيت عليا عليه السلام وهو يبيع سيفا له في السوق ويقول ((من يشتري ، من يشتري ، مني هذا السيف فوالذي فلق الحبة لطال ما كشفت به الكرب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وآله ولو كان عندي ثمن إزار ما بعته)) (٤) .

وعن إسماعيل عن أيوب عن مجاهد قال ، قال علي عليه السلام (جعت مرة بالمدينة جوعا شديدا فخرجت أطلب العمل في عوالي المدينة فإذا أنا بامرأة قد جمعت مدرا فظننتها تريد بله فأتيتها فقاطعتها عليه كل ذنوب على تمرة فمددت ستة عشر ذنوبا حتى

---

(١) المناقب ج ٢ ص ٩٨
(٢) كشف الغمة ج ١ ص ١٧٣
(٣) كشف اليقين ص ٨٨
(٤) كشف الغمة ج ١ ص ١٧٥

مجلت يداي الماء فاصبت منه ثم أتيتها فقلت بكفي هكذا بين يديها وبسط إسماعيل كفيه وجمعها فعدت له ستة عشر تمرة فأتيت النبي صلى الله عليه وآله فأخبرته فأكل معي منها)) (١) .

وعن الصادق عليه السلام قال ((كان أمير المؤمنين عليه السلام يحتطب ويستقي ويكنس ، وكانت فاطمة صلوات الله عليها تطحن وتعجن وتخبز)) (٢) .

ونقل أن أمير المؤمنين عليه السلام كان يأكل الكراث بالملح الجريش (٣) .

وعن حنان قال كنت مع أبي عبدالله عليه السلام على المائدة ((فمال إلى البقل وامتنعت أنا منه لعلة كانت بي ، فالتفت إلي فقال : يا حنان ، أما علمت أن أمير المؤمنين عليه السلام لم يؤت بطبق ولا فطور إلا وعليه بقل ، قلت : ولم ذالك جعلت فداك ، قال لأن قلوب المؤمنين خضر وهي تحن إلى أشكالها)) (٤) .

وعن قبيصة بن جابر قال ((ما رأيت في لدنيا أزهد من علي بن أبي طالب عليه السلام)) (٥) .

وعن أبي هريرة قال ((أن رجلا جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله فشكا إليه الجوع فبعث رسول صلى الله عليه وآله إلى بيوت أزواجه فقلن ما عندنا شيء إلا الماء ، فقال عليه السلام من لهذا الرجل الليلة ، فقال علي بن أبي طالب عليه السلام أنا يا رسول الله ، فأتى فاطمة عليها السلام فأعلمها فقالت ، ما عندنا إلا قوت الصبية ولكنا نؤثر به ضيفنا ، فقال علي عليه السلام ، نومي الصبية وأطفئي السراج ، فلما أصبح غدا على رسول الله صلى الله عليه وآله فنزلت هذه الآية ﴿ ويؤثرن على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فؤلئك هم المفلحون ﴾)) (٦) .

---

(١) كشف الغمة ج١ ص١٧٦ (٢) مجموعة ورام ج٢ ص٧٩ (٣) المحاسن ص ٥١١
(٤) المحاسن ص ٥٠٧ (٥) نهج الحق ص ٢٤٥ (٦) تاويل الآيات ص٦٥٤

واعلم أن أمير المؤمنين عليه السلام كان يباشر العمل بنفسه ترفعا عن الأكل من بيت مال المسلمين كما كان داود عليه السلام آخر أيامه مع أن أمير المؤمنين عليه السلام غير محتاج إلى العمل وكانت صدقاته مبالغ كثيرة كلها كانت من عمل يده فأوقفها ، والأخبار كثيرة صريحة في ذلك .

وعن الأسود وعلقمة قالا ((دخلنا على أمير المؤمنين عليه السلام وبين يديه طبق من خوص عليه قرص أو قرصان من شعير وإن أسطار النخالة لتبين في الخبز وهو يكسر على ركبتيه ويأكل بملح جريش ، فقلنا لجارية له سوداء إسمها فضة ألا نخلت هذا الدقيق لأمير المؤمنين عليه السلام فقالت أيأكل هو المهنا ويكون الوزر في عنقي ؟ فتبسم صلى الله عليه وآله وقال أنا أمرتها أن لا تنخله ، قلنا ولم يا أمير المؤمنين ؟ قال ذلك لأجدر وأن تذل النفس ويقتدي بي المؤمن وألحق بأصحابي)) (١) .

وأما فاطمة عليها السلام فكانت أصبر خلق الله وأزهدهم في الدنيا ، كانت تعالج من أمر بيتها والغزل والعجن والطحن مع أنها لو شاءت لشاء الله ما شاءت وأعطاها مرادها وهذا هو نهاية الزهد بأن يترك الإنسان ما يقدر على تحصيله مما فيه لذته وراحته بلا ضرر عليه في الآجل والعاجل وإنما تركه تنزها وتكرما ورضا الله ، فنقل أن رسول الله صلى الله عليه وآله دخل على فاطمة عليها السلام وهي تبكي وتطحن بالرحى وعليها كساء من أجلة الإبل فلما رآها تبكي قال ((يا فاطمة تجرعي مرارة الدنيا اليوم لنعيم الآخرة غدا فأنزل ، ﴿ ولسوف يعطيك ربك فترضى ﴾ (٢))) (٣) .

وقيل بينا رسول الله صلى الله عليه وآله في المسجد ينتظر بلالا أن يأتي فيؤذن إذ أتى بعد لأي فقال له النبي صلى

---

(١) مجموعة ورام ج ١ ص ٤٨ (٢) الضحى ٥ (٣) مجموعة ورام ج ٢ ص ٢٣٠

الله عليه وآله ((ما حبسك يا بلال فقال إني اجتزت بفاطمة عليها السلام وهي تطحن واضعة ابنها الحسن عليه السلام عندها وهو يبكي فقلت لها أيما أحب إليك إن شئت كفيتك ابنك وإن شئت كفيتك الرحا ، فقالت : أنا أرفق بابني فطحنت فذلك الذي حبسني ، فقال النبي صلى الله عليه وآله : رحمتها رحمك الله)) (١) .

وأما باقي أئمة الهدى عليهم السلام فحالهم حال رسول الله صلى الله عليه وآله وحال أمير المؤمنين عليه السلام بلا خلاف عند الفرقة المحقة ونص كلامهم عليهم السلام ، نعم يختلفون في مظاهرهم لاختلاف الأوقات وأهل الزمان ، فيأتي كل إمام منهم بأفضل صفة أهل زمانه حتى يقر له كل أهل ذلك الزمان بالفضل فكان رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين خرجا في زمان تتفاخر أهله بالفصاحة والشجاعة والايثار ، فأتيا بما قهرا به كافة أهل زمانهما فلذا كانت آية رسول الله صلى الله عليه وآله القرآن الذي أعجز البلغاء والفصحاء وشجاعة أمير المؤمنين عليه السلام إذ يقول ((ألست آية نبوة محمد صلى الله عليه وآله)) (٢) ، يبذل في اليوم عشرة آلاف ومائة ألف ، وكذا أمير المؤمنين عليه السلام بما لا تفعله الملوك الذين يطلبون الدنيا ويحبون جمعها ، فروي عن الصادق عليه السلام ((إن الخاتم الذي تصدق به أمير المؤمنين عليه السلام ، وزن حلقته أربعة مثاقيل فضة ووزن فصه خمس مثاقيل وهي ياقوتة حمراء تسوى قيمة خراج الشام وخراج الشام ست مائة حمل من فضة وأربعة أحمال من الذهب وهو لطوق بن حران قتله أمير المؤمنين عليه السلام وأخذ الخاتم من إصبعه وأتى به إلى النبي صلى الله عليه وآله من جملة الغنائم فأعطاه إياه النبي صلى الله عليه وآله وجعله في إصبعه)) .

---

(١) مجموعة ورام ج ٢ ص ٢٣٠ (٢) المناقب ج ٢ ص ٢٠١

ولا شك أن هذا لا يفعله من له نظر الدنيا فضلا عن رغبة منها إذا كان غنيا غير محتاج فكيف إذا لم يكن عنده عشاء ليلة لأطفاله وهذا بحمد الله واضح البيان .

وكان الناس في زمن الحسن عليه السلام يتفاخرون بالكرم فظهر الحسن عليه السلام بما أقر له كافة أهل زمانه ، ولما تظاهر البغي من بنى أمية تمنت الأخيار الشهادة وإقامة الحق فظهر الحسين عليه السلام برتبة من الشهادة تصاغرت عندها جميع الشهداء مما سبق ولحق ، وقد أخبر أمير المؤمنين عليه السلام عن وصفه وأصحابه في هذا المقام بقوله ((شهداء لا يسبقهم من كان قبلهم ولا يلحقهم من بعدهم)) (١) ، فلما ذلت المسلمون بعد قتله وتعاظم الظلم والجور رجعت الناس إلى العبادة ، وكان علي بن الحسين عليهما السلام أعبد أهل زمانه ، فلذا لقب بزين العابدين ، مع أن عبادة علي عليه السلام أكثر من عبادته ، ورسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين أكرم منه ، ولما كانت آخر دولة بنى أمية وأول دولة بنى العباسيين حصلت فترة فكثرت العلماء ، فأظهر الباقر والصادق عليهما السلام مذهب الحق وكثرت الأحاديث عنهما ، فلقب محمد بن علي بالباقر وجعفر بن محمد بالصادق إشعارا بأن أهل زمانهما لم يقروا علما ولم يعرفوا حقيقة وأن أكثرهم كاذبون مفترون ومحرفون لدين الله فلذا اشتهر مذهب الامامية بالجعفري لظهوره واشتهاره في أيام الصادق على يديه ، ولذا كان بعض العامة يطعن على مذهب الامامية ويقول بأنه محدث في أيام جعفر نظرا إلى التسمية ، وهكذا حكم كل إمام في الصفة التى اشتهر بها للعلة التى ذكرتها .

إذا فهمت هذا فاعلم أن آل محمد صلى الله عليهم أزهد الخلق ولكن لما كانوا معلمين للخلق وقادة لهم كانوا يعملون على

---

(١) الخرائج ص ١٨٣

حسب مصالح العباد واقتضاء الزمان كما نقل عن الصادق عليه السلام في اختلاف حالتيه ، فمرة يلبس الثوب الخلق ومرة الثياب الفاخرة ، وأخبر بأنه لو فعل دائما كما يفعله أمير المؤمنين عليه السلام لاتهموه .

فعن أحمد بن أبي عبدالله عن محمد بن علي رفعة قال مر سفيان الثوري في المسجد الحرام فرأى أبا عبدالله عليه السلام وعليه ثياب كثيرة القيمة حسان فقال والله لآتينه ولأوبخنه ، فدنا منه فقال يا بن رسول الله ، والله ما لبس رسول الله صلى الله عليه وآله مثل هذا اللباس ولا علي أحد من آبائك فقال له أبو عبدالله ((كان رسول الله صلى الله عليه وآله في زمان قتر مقتر وكان يأخذ لقتره وإقتاره وإن الدنيا بعد ذلك أرخت عزاليها فأحق أهلها بها أبرارها ثم تلا ﴿ قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق ﴾ (١) فنحن أحق من أخذ منها ما أعطاها الله غير أني يا ثوري ما ترى علي من ثوب إنما لبسته للناس ، ثم اجتذب بيد سفيان فجرها إليه ثم رفع الثوب الأعلى وأخرج ثوبا تحت ذلك على جلده غليظا فقال : هذا لبسته لنفسي وما رأيته للناس ثم ، ثم جذب ثوبا على سفيان أعلاه غليظ خشن وداخل ذلك الثوب لين ، فقال لبست هذا الأعلى للناس ولبست هذا لنفسك تسرها)) (٢) .

وعن صفوان الجمال ((قال : حملت أبا عبدالله عليه السلام الحملة الثانية إلى الكوفة وأبو جعفر المنصور بها فلما أشرف على الهاشمية مدينة أبي جعفر أخرج رجله من غرز الرحل ثم نزل ودعا ببغلة شهباء ولبس ثيابا بيض وتكة بيضاء فلما دخل عليه قال له أبو جعفر : لقد تشبهت بالأنبياء فقال أبو عبدالله عليه السلام وأنى تبعدوني عن أبناء الأنبياء ؟ قال : لقد هممت أن أبعث إلى

---

(١) الأعراف ١٣٢ (٢) البحار ج ٤٧ ص ٣٦٠

المدينة من يعقر نخلها ويسبي ذريتها ، فقال : ولم ذلك يا أمير المؤمنين ؟ فقال : رفع إلي أن مولاك المعلى بن خنيس يدعو إليك ويجمع لك الأموال ، فقال : والله ما كان ، فقال : لست أرضى منك إلا بالطلاق والعتاق والهدي والمشي ، فقال : أبالأنداد من دون الله تأمرني أن أحلف ؟ إنه من لم يرض بالله فليس من الله في شيء ، فقال : أتتفقه علي ؟ فقال : وأنى تبعدني من التفقه وأنا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله ، قال : فإني أجمع بينك وبين من سعى بك ، قال : فافعل ، قال : فجاء الرجل الذي سعى به ، فقال له أبو عبدالله عليه السلام : يا هذا ، فقال نعم والله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم لقد فعلت ، فقال له أبو عبدالله عليه السلام : يا ويلك تجلل الله فيستحيي من تعذيبك ولكن قل برئت من حول الله وقوته وألجأت إلى حولي وقوتي ، فحلف بها الرجل فلم يستتمها حتى وقع ميتا ، فقال له أبو جعفر : لا أصدق بعدها عليك أبدا وأحسن جائزته ورده)) (١) .

وفي بعض الأخبار عنه عليه السلام ((لو لبست كلباس علي عليه السلام ، لقيل مختال أو مجنون)) ، وعن عبدالله عليه السلام يقول ((بينا أنا في الطواف إذا برجل يجذب ثوبي وإذا عباد بن كثير البصري ، فقال يا جعفر بن محمد تلبس مثل هذه الثياب وأنت في مثل هذا الموضع من المكان الذي أنت فيه من علي عليه السلام ، فقلت ثوب قرقبي اشتريته بدينار وكان علي عليه السلام في زمان يستقم له ما ليس فيه ولو لبست مثل هذا اللباس في زماننا لقال الناس هذا مرائي مثل عباد)) ، فأبان عليه السلام ما كتمه عباد وكذا ما كتمه سفيان من الخدع والحيلة في طلب الدنيا والشراس الباطن بترك الدنيا في الظاهر وهذا يجري لمن يظهر الصلاح والتزهد في كثير من أحوالهم .

---

(١) البحار ج ٤٧ ص ٢٠٣

ومن أحوال الصادق عليه السلام ما رواه الفضل بن كثير المدائني عمن ذكره عن أبي عبدالله عليه السلام قال دخل رجل عليه من بعض أصحابه فرأى عليه قميصا فيه قب قد رقعه ، فجعل ينظر إليه فقال أبو عبدالله عليه السلام ((ما لك تنظر ، فقال قب يلقى في قميصك ، قال فقال لي اضرب يدك إلى هذا الكتاب فاقرأ ما فيه وكان بين يديه كتاب أو قريب منه فنظر الرجل فيه فإذا فيه لا إيمان لمن لا حياء له ولا مال لمن لا تقدير له ولا جديد لمن خلق له)) .

وأما جمع الكاظم عليه السلام بعض الدراهم كما هو معلوم وعدم صرفها فللخوف على نفسه عليه السلام وعلى شيعته من العباسيين كما دلت عليه الأخبار فلا ينافي الزهد في الدنيا كما كان لابراهيم عليه السلام حيث جمع أموالا لما لم يكن في زمانه من يستحق لعدم إيمان من في زمانه حال جمعه ذلك ، وكذلك الكاظم عليه السلام فإنه وإن وجد المستحق إلا أن المانع من إعطائه موجود ولا ريب أن إبراهيم عليه السلام أزهد الأنبياء بعد محمد وآله صلى الله عليه وعليهم ولما وجد من يستحق بذل جميع ما يملك في الله فورد في بعض النقول أن الملائكة قال بعضهم لبعض اتخذ ربنا من نطفة آدم خليلا وقد أعطاه ملكا جزيلا فأوحى الله إلى الملائكة أن اختاروا أزهدكم ورئيسكم فوقع الاتفاق على جبرائيل وميكائيل فنزلا إلى إبراهيم عليه السلام في يوم جمع غنمه وكان لابراهيم عليه السلام أربعة آلف راع وأربعة آلاف كلب في عنق كل كلب طوق وزن من ذهب أحمر وأربعون ألف غنمة حلابة وما شاء الله من الخيل والجمال فوقف الملكان في طرف الجمع فقال أحدهما بلذاذة صوت سبوح قدوس فجاوبه الثاني رب الملائكة ، فقال أعيداها ولكما نصف ما لي ، ثم قال أعيداها ولكما نصف مالي وولدي وجسدي فنادت ملائكة السماوات هذا هو

الكريم هذا هو الكريم فسمعوا مناديا من العرش يقول الخليل موافق لخليله ، أراد الملائكة أن خليل الله لا تكون له عين ناظرة إلى الدنيا وشهواتها وجمع حطامها فاظهرت التعجب من اجتماع الخلة لله ومحبته وجمع الدنيا ومحبتها فنبههم الله بإرسال أزهدهم وأعظمهم أنه عليه السلام ، أزهد من الملائكة مع ما فيه من تركيب الطبائع المختلفة المقتضية لحب اللذات وعدمها فيهم وأنه لا رغبة له في الدنيا بحال ، كما كان في قصة أمير المؤمنين عليه السلام حين بات على الفراش يفدي رسول الله صلى الله عليه وآله ، حيث باهل الله به الملائكة فأوحى الله عز وجل إلى جبرائيل وميكائيل عليهما السلام ((إني قد آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من الآخر فأيكما يؤثر صاحبه بالحياة فاختار كلا منهما الحياة فأوحى الله عز وجل إليهما ألا كنتما مثل علي بن أبي طالب عليه السلام ، آخيت بينه وبين محمد فنام على فراشه يفديه بنفسه ويؤثره بالحياة اهبطا إلى الأرض فاحفظاه من عدوه فنزلا فكان جبرائيل عليه السلام عند رأسه وميكائيل عند رجليه فقال جبرائيل بخ بخ من مثلك يابن أبي طالب يباهي الله بك ملائكته فأنزل الله تعالى على رسوله وهو متوجه إلى المدينة في شأن علي بن أبي طالب عليه السلام ﴿ ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله ﴾ (١))) (٢) .

ومن أزهد الأنبياء عليهم السلام عيسى ويحيى عليهما السلام ، فأما عيسى فكان يقول ((الشمس في الشتاء جلبابي ونور القمر سراجي وبقل البرية فاكهتي وشعر الغنم لباسي أبيت حيث يدركني الليل ليس لي ولد يموت ولا بيت يخرب أنا الذي كببت الدنيا لوجهها)) ، وقام المسيح عليه السلام خطيبا في بنى اسرائيل فقال ((أصبحت فيكم وأدامي الجوع وطعامي ما تنبت

---

(١) البقرة ٢٠٧ (٢) تأويل الآيات ص ٩٥

الأرض للوحوش والأنعام وسراجي القمر وفراشي التراب ووسادتي الحجر ليس لي بيت يخرب ولا مال يتلف ولا ولد يموت ولا امرأة تحزن أصبحت وليس لي شيء وأمسيت وليس لي شيء وأنا أغنى ولد آدم)) (١) ، يريد عليه السلام أنه أغنى ولد آدم في وقته .

وأما يحيى عليه السلام فنقل أنه كان لباسه الليف وأكله ورق الشجر ، فأقول طوبى لهم وحسن مآب تنعموا في الدنيا بتركها فكانت لذتهم الكبرى منها تجنبها و التجافي عنها وكل عاقل إذا نظر ببصر بصيرته وغفل عن جهله وشهوته ونفسه علم أن اللذة المتيقن زوالها حسرة على صاحبها ولو عرف رجاسة الدنيا وما فيها لما ألفها فإن من كرمت عليه نفسه ونزهها بأدنى نزاهة لو خير بين خبز الشعير ليس معه أدام ولا ملح معه وبين طعام نفيس اتخذ من الدود التى في العذرة أو من بعض اللحوم المستخبثة فقلي بدهن خنزير وصنع عليه الأبازيز لاختار خبز الشعير ولما قدمت نفسه على أكل ذلك وأن تلفت من الجوع فيرى أن خبز الشعير لا يكون شيء أحسن منه إذا قاسه إلى قذر ذلك الطعام المطيب ظاهره .

واعلم أن من أفضل زهاد هذه الأمة سلمان الفارسي رحمه الله ، فمن زهده في الدنيا ما نقل أن سلمان لما مرض مرضه الذي مات ، عاده سعد بن أبي وقاص ، فقال كيف تجدك يا أبا عبد الله ، فبكى ، فقال ما يبكيك قال ((والله ما أبكي على الدنيا ولا حبا لها ولكن رسو ل الله صلى الله عليه وآله وسلم عهد إلينا عهدا فقال ليكن بلاغ أحدكم كزاد الراكب فأخشى أن يكون قد جاوزنا أمره وهذه الأساود حولي وليس حوله إلا مطهرة فيها ماء وأجانة وجفنة)) (٢) .

---

(١) البحار ج ١٤ ص ٣٢١ (٢) مجموعة ورام ج ٢ ص ٢١٥

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله ((ما فوق الازار وخف الحر وظل الحائط وجره الماء فضل يحاسب عليها يوم القيامة)) (١).

وعن أبي عبدالله عليه السلام قال ((تزوج سلمان امرأة من كندة فدخل عليها فإذا لها خادمة وعلى بابها عباءة فقال سلمان إن في بيتكم هذا لمريضا أو قد تحولت الكعبة فيه، فقيل: إن المرأة أرادت أن تستر على نفسها فيه، قال فما هذه الجارية، قالوا كان لها شيء فأرادت أن تخدم، قال إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول أيما رجل كانت عنده جارية فلم يأتها ولم يزوجها من يأتيها ثم فجرت كان عليه وزر مثلها ومن أقرض قرضا فكأنما تصدق بشطره فإذا أقرضه الثانية كان برأس المال وأداء الحق إلى صاحبه أن يأتيه في بيته أو في رحله فيقول ها خذه)) (٢).

وعن أبي وائل قال ذهبت أنا وصاحب لي إلى سلمان الفارسي فجلسنا عنده فقال ((لولا أن رسول الله صلى الله عليه وآله نهى عن التكلف لتكلفت لكم ثم جاء بخبز وملح ساذج لا إبزاز عليه، فقال صاحبي لو كان في ملحنا هذا سعتر، فبعث سلمان بمطهرته فرهنها على سعتر فلما أكلنا قال صاحبي: الحمد لله الذي قنعنا بما رزقنا، فقال سلمان لو قنعت بما رزقك لم تكن مطهرتي مرهونة)) (٣).

وعن أبي جعفر الثاني عن آبائه عليهم السلام قال ((دعا سلمان أبا ذر رحمة الله عليهما إلى منزله فقدم إليه رغيفين، فأخذ أبو ذر الرغيفين يقلبهما، فقال له سلمان يا أبا ذر لأي شيء تقلب هذين الرغيفين، قال خفت أن لا يكونا نضيجين، فغضب سلمان من ذلك غضبا شديدا ثم قال ما أجرأك حيث تقلب

---

(١) مجموعة ورام ج ٢ ص ٢١٦ (٢) البحار ج ٢٢ ص ٣٨٣ (٣) شرح النهج ج ٣ ص ١٥٥

هذين الرغيفين ، فوالله لقد عمل في هذا الخبز الماء الذي تحت العرش وعملت فيه الملائكة حتى ألقوه إلى الريح وعملت فيه الريح حتى ألقته إلى السحاب وعمل فيه السحاب حتى أمطره إلى الأرض وعمل فيه الرعد والملائكة حتى وضعوه مواضعه وعملت فيه الأرض والخشب والحديد والبهائم والنار والحطب والملح ومالا أحصيه أكثر فكيف لك أن تقوم بهذا الشكر ، فقال أبو ذر إلى الله أتوب وأستغفر الله مما أحدثت وإليك أعتذر مما كرهت ، قال : ودعا سلمان أبا ذر رحمة الله عليهما ذات يوم إلى ضيافة قدم إليه من جرا به كسرة يابسة وبلها من ركوته ، فقال أبو ذر ما أطيب هذا الخبز لو كان معه ملح فقام سلمان وخرج ورهن ركوته بملح وحمله إليه فجعل أبو ذر يأكل ذلك الخبز ويذر عليه ذلك الملح ويقول الحمد الله الذي رزقنا هذه القناعة ، فقال سلمان لو كانت قناعة لم تكن ركوتي مرهونة)) (١) ، فسلمان أزهد هذه الأمة بعد الأئمة عليهم السلام وله مناقب يعجز عن عدها الإحصاء وسأذكر بعضها تيمنا وتبركا فمن ذلك ما روى عن أبي عبد الله عليه السلام قال ((مرض رجل من أصحاب سلمان رحمه الله فافتقده ، فقال أين صاحبكم ، قالوا مريض ، قال امشوا بنا نعوده فقاموا معه فلما دخلوا على الرجل إذا هو يجود بنفسه ، فقال سلمان يا ملك الموت ارفق بولي الله فقال ملك الموت بكلام يسمعه من حضر يا أبا عبدالله إني أرفق بالمؤمنين ولو ظهرت لأحد لظهرت لك)) (٢) ، فكلام الملائكة له وكلامه إياهم ومخاطبته لهم دليل علو مقامه لا كما يعرفه عامة الناس من حاله .

وعن أبي عبد الله عليه السلام ((أدرك سلمان العلم الأول والعلم الآخر وهو بحر لا ينزح وهو منا أهل البيت عليهم السلام)) .

بلغ من علم أنه مر برجل في رهط فقال له: يا عبد الله تب إلى

---

(١) عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ٥٣ (٢) البحار ج ٦ ص ١٦٧

الله عز وجل من الذي عملت به في بطن بيتك البارحة واتق الله ، فقال الرجل : أستغفر الله وأتوب إليه ، قال : ثم مضى ، وقال له القوم : لقد رمالك بأمر وما دفعته عن نفسك ، قال : إنه أخبرني بأمر ما اطلع عليه إلا الله وأنا)) (١) ، وفي خبر آخر أنه أبو بكر ابن أبي قحافة .

وعن أبي جعفر عليه السلام قال ((:كان علي محدثا وكان سلمان محدثا)) (٢) ، وعنه عليه السلام يقول ((كان سلمان من المتوسمين)) (٣) ، وعن أبي عبد الله عليه السلام قال ((سلمان علم الاسم الأعظم)) (٤) ، وذكر سلمان الفارسي عند أبي جعفر عليه السلام فقال أبو جعفر عليه السلام: ((لا تقولوا سلمان الفارسي ولكن قولوا سلمان المحمدي ذالك رجل منا أهل البيت)) (٥) .

وعن أبي جعفر عليه السلام قال ((دخل أبو ذر على سلمان وهو يطبخ قدرا له فبينا هما يتحدثان إذ انكب القدر على وجهه على الأرض فلم يسقط من مرقها ولا من ودكها شئ فعجب من ذلك أبو ذر عجبا شديدا وأخذ سلمان القدر فوضعها على حالها الأول على النار ثانية وأقبلا يتحدثان فبينا هما يتحدثان إذ انكب القدر على وجهها فلم يسقط منها شئ من مرقها قال فخرج أبو ذر وهو مذعور من عند سلمان فبينما هو متفكر إذ لقي أمير المؤمنين عليه السلام على الباب فلما أن بصر به أمير المؤمنين عليه السلام قال له : يا أبا ذر ما الذي أخرجك ؟ وما الذي ذعرك ؟ ، فقال أبو ذر : يا أمير المؤمنين رأيت سلمان صنع كذا وكذا فعجبت من ذلك فقال أمير المؤمنين عليه السلام : يا

---

(١) الاختصاص ص ١١ (٢) بصائر الدرجات ص ٣٢٢ (٣) البحار ج ٢٢ ص ٣٤٩
(٤) الاختصاص ص ١١ (٥) روضة الواعظين ص ٢٨٣

أبا ذر إن سلمان لو حدثك بما يعلم لقلت رحم الله قاتل سلمان يا أبا ذر إن سلمان باب الله في الأرض من عرفه كان مؤمنا ومن أنكره كان كافرا وإن سلمان منا أهل البيت)) (١) .

وعن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال ((كان والله علي عليه السلام محدثا و كان سلمان محدثا قلت اشرح لي قال يبعث الله إليه ملكا ينقر في أذنيه يقول كيت وكيت)) (٢).

واعلم أن ذلك الملك لا يأتيه إلا بواسطة الامام كما أن الملك الذي يأتي الامام بوساطة الرسول وأما الملك الذي يأتي الرسول فليس بواسطة أحد من البشر فكانت ملائكة التدبير والتكوين تأتي إلى الرسول الله صلى الله عليه وآله في كل ليلة قدر وفي كل ليلة جمعة بكل ما يحدث في العالم إلى مثلها فتأتي في ليالي القدر بمجملات الحوادث النوعية وفي ليالي الجمع بالحوادث الجزئية ، وفي ليالي القدر زيادة على ذلك يأتيه بالمحتوم في تلك السنة فإذا نزلت عليه صلى الله عليه وآله وسلم أتت إلى الأئمة بعد بواسطته بكل ما أتته به ففي أيام حياته تأتي إلى أمير المؤمنين عليه السلام وإلى الحسن والحسين عليهما السلام وأما في هذا الزمان فتنزل عليه ثم إلى علي ثم الحسن وثم الحسين ثم القائم ثم زين العابدين ثم الباقر وهكذا الى العسكري عليهم السلام على ترتيب الفضل بينهم من بعدهم تتنزل ببعض الأحكام الشرعية بواسطة الامام عليه السلام وإلى الامام بواسطة الرسول فتأتي الملائكة إليهم ولا يرونهم وكذلك الجان يأتونهم بالرسالة وليس ذلك وحي عن الله وهذا الذي ذكرته موجود في الأخبار متفرقا والدليل على أن سلمان كان محدثا وأنه عن الامام لا عن الله ما روى عن الصادق عليه السلام أنه قال

---

(١) البحار ج ٢٢ ص ٣٣٧ (٢) بصائر الدرجات ص ٣٢٣

((في الخبر الذي روي في أن سلمان كان محدثا قال : إنه كان محدثا عن إمامه لا عن ربه لأنه لا يحدث عن الله عز وجل إلا الحجة)) (١) .

وعن الفضيل بن يسار عن أبي جعفر عليه السلام قال ، قال لي ((تروي ما يروي الناس أن عليا عليه السلام قال في سلمان أدرك علم الأول وعلم الآخر ، قلت ، نعم ، قال : فهل تدري ما عنى ؟ قلت : يعنى علم بنى إسرائيل وعلم النبى صلى الله عليه وآله ، قال : ليس هكذا ولكن علم النبى صلى الله عليه وآله وعلم علي وأمر النبى صلى الله عليه وآله وأمر علي صلوات الله عليهما)) (٢) .

وعن الحسن بن منصور قال ((قلت للصادق عليه السلام أكان سلمان محدثا ؟ قال : نعم ، قلت : من يحدثه ؟ قال : ملك كريم ، قلت : فإذا كان سلمان كذا فصاحبه أي شئ ؟ قال : أقبل على شأنك)) (٣) .

وعن أبي جعفر عن أبيه عليهما السلام قال ((ذكرت التقية يوما عند علي بن الحسين عليهما السلام فقال والله لو علم أبو ذر ما في قلب سلمان لقتله ولقد آخا رسول الله صلى الله عليه وآله بينهما فما ظنك بسائر الخلق)) (٤) .

وحكى الفضل بن شاذان أنه قال (ما نشأ في الاسلام من كافة الناس كان أفقه من سلمان الفارسي) ، والظاهر أن الفضل نقله عن معصوم والمراد بالفقه ما هو أعم من الفقه الاصطلاحي أي العلم بالأحكام الشرعية الفرعية عن أدلتها التفصيلية فيشمل المعرفة كما دلت عليه الأخبار ، وعن الحسن بن حماد ((قال بلغ من علم سلمان أنه إذا رأى الجمل الذي

---

(١) البحار ج ٢٢ ص ٣٤٩
(٢) البحار ج ٢٢ ص ٣٥٠
(٣) المصدر السابق
(٤) بصائر الدرجات ص ٢٥

يقال له عسكر يضربه فيقال : يا أبا عبد الله ما تريد من هذه البهيمة فيقول ما هذا بهيمة ولكن هذا عسكر بن كنعان الجنى يا أعرابي لا ينفق جملك هاهنا ولكن إذهب به إلى الحوأب فإنك تعطى به ما تريد)) ، وعن أبي جعفر عليه السلام قال ((اشتروا عسكرا بسبعمائة درهم وكان شيطانا)) (١) .

ومن زهده عليه السلام لما ورد المدائن قعد تحت ظلال الحائط بالمسجد ولم يقبل الدخول في بيت الإمارة فقالوا له نبنى لك دارا فلم يقبل فقال رجل من الدهاقين أنا أبنى لك بيتا يصلح لك فقال وما الذي يصلح لي قال أبنى لك بيتا إن قمت ضرب سقفه رأسك وأن اضطجعت ضرب جداره رأسك ورجليك فقال نعم .

ومن زهاد هذه الأمة أبو ذر رحمة الله ففي الاستيعاب روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال ((أبو ذر في أمتى شبيه عيسى بن مريم في زهده)) وبعضهم يرويه ((من يسره أن ينظر الى تواضع عيسى ابن مريم فلينظر إلى أبي ذر)) ، في روضة الواعظين قال رسول الله صلى عليه وآله وسلم ((من أراد أن ينظر إلى زهد عيسى بن مريم فلينظر إلى زهد أبي ذر)) (٢) .

عن أبي ذر قال ((كان قوتي على على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صاعا من تمر فلست بزائد عليه حتى ألقى الله)) (٣) .

وعن أبي جعفر عليه السلام قال ((أتى أبا ذر رجل فبشره بغنم له قد فقال : أبشرك يا أبا ذر فقد ولدت غنمك وكثرت فقال : ما يسرني كثرتها وما أحب ذلك فما قل وكفى أحب إلى مما كثر وألهى إني سمعت رسول الله صلى عليه وآله وسلم يقول على حافتي الصراط يوم القيامة الرحم والأمانة فإذا مر عليه الموصل

---

(١) البحار ج٢٢ ص٣٨٢ (٢) روضة الواعظين ص٢٨٥ (٣) البحار ج٢٢ ص٤٢٠

للرحم المؤدي للأمانة لم يتكفأ به في النار))(١).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال ((أرسل عثمان إلى أبي ذر موليين له ومعهما مائتي دينار، فقال لهما انطلقا إلى أبي ذر فقولا له إن عثمان يقرؤك السلام ويقول لك هذه مائتي دينار فاستعن بها على ما نابك، فقال أبو ذر: فهل أعطى أحدا من المسلمين مثل ما أعطاني، فقالا: لا، قال: إنما أنا رجل من المسلمين يسعني ما يسع المسلمين، فقالا له: إنه يقول هذا من صلب مالي، وبالله الذي لا إله إلا هو ما خالطها حرام ولا بعثت بها إليك إلا من حلال، فقال لا حاجة لي فيها وقد أصبحت يومي هذا وأنا من أغنى الناس، فقالا له: عافاك الله وأصلحك ما نرى في بيتك قليلا ولا كثيرا مما تستمتع به، فقال: بلى تحت هذا الأكاف الذي ترون رغيفا شعيرا قد أتى عليهما أيام، فما أصنع بهذه الدنانير؟ لا والله حتى يعلم الله إني لا أقدر على قليل ولا كثير، وقد أصبحت غنيا بولاية علي بن أبي طالب وعترته الهادين المهديين الراضين المرضيين الذين يهدون بالحق وبه يعدلون وكذلك سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول إنه لقبيح بالشيخ أن يكون كذابا، فردهما عليه وأعلماه أنه لا حاجة لي فيها ولا فيما عنده حتى ألقى الله ربي فيكون هو الحاكم فيما بيني وبينه))(٢).

قيل عند الموت يا أبا ذر ما مالك؟ ((قال: عملي، قالوا: إنما نسألك عن الذهب والفضة، قال: ما أصبح فلا أمسى وما أمسى فلا أصبح لنا كندوج فيه حر متاعنا، سمعت خليلي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول كندوج المرء قبره لله))(٣)، قوله ما أصبح فلا أمسى ... الخ، يريد ما جمعت في الصباح شيئا ولا أمسى عندي شيء وما جمعت في المساء شيئا ولا ادخرت شيئا

---

(١) الزهد ص ٤١ (٢) روضة الواعظين ص ٢٨٥ (٣) المصدر السابق

فاصبح .

وعن أبي إبراهيم عليه السلام قال ((قال أبو ذر رحمه الله ، من جزى الله عنه الدنيا خيرا فجزاها عني مذمة بعد رغيفي شعير أتغدى بأحدهما وأتعشى بالآخر وبعد شملتي الصوف أتزر بأحدهما وأرتدي بالأخرى)) (١) .

ومن فضله وما ورد في الاستيعاب أنه سئل علي عليه السلام عن أبي ذر فقال ((ذلك رجل وعى علما عجز عنه الناس ثم أوكى عليه ولم يخرج شيئا منه)) ، وعن أبي عبدالله عن أبيه عليهما السلام قال ((كان أكثر عبادة أبي ذر رحمه الله خصلتين التفكر والاعتبار)) (٢) .

وعن أبي عبدالله عن أبيه عليهما السلام قال ((بكى أبو ذر رحمة الله عليه من خشية الله عز وجل حيت اشتكى بصره ، فقيل له يا أبا ذر لو دعوت الله أن يشفي بصرك ، فقال إني عنه لمشغول ، وما هو من أكبر همي ، قالوا وما يشغلك عنه قال العظيمتان الجنة والنار)) (٣) .

وعن عباد بن صهيب قال قلت للصادق جعفر بن محمد عليهما السلام أخبرني عن أبي ذر هو أفضل أم أنتم أهل البيت ؟ فقال ((يا بن صهيب ، كم شهور السنة ، فقلت إثني عشر شهرا ، فقال وكم الحرم منها ، قلت : أربعة أشهر ، قال : فشهر رمضان منها ، قلت : لا ، قال : فشهر رمضان أفضل أم الأشهر الحرم ؟ فقلت : بل شهر رمضان ، قال : فكذلك نحن أهل البيت لا يقاس بنا أحد ، وإن أبا ذر كان في قوم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله فتذاكروا فضائل هذه الأمة ، فقال أبو ذر : أفضل هذه الأمة علي بن أبي طالب وهو قسيم الجنة والنار وهو صديق هذه الأمة وفاروقها وحجة الله عليها فما بقي من القوم أحد إلا أعرض عنه

(١) مجموعة ورام ج ٢ ص ١٩ (٢) الخصال ص ٤٢ (٣) الخصال ص ٤٠

بوجهه وأنكر عليه قوله وكذبه فذهب أبو أمامة الباهلي من بينهم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبره بقول أبي ذر وإعراضهم عنه وتكذيبهم له ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء ، يعني منكم يا أمامة ، من ذي لهجة أصدق من أبي ذر)) (١) وفيه إشارة إلى إخراج من هو أكمل من أبي ذر إيمانا كسلمان وإخراج الأئمة عليهم السلام .

ونقلوا أنه مر أبو ذر على النبي صلى الله عليه وآله وجبرائيل معه في صورة دحية الكلبي فلم يسلم ، فقال جبرائيل هذا أبو ذر لو سلم لرددنا عليه ، فقال تعرفه يا جبرائيل ، فقال والذي بعثك بالحق هو في ملكوت السبع السموات أشهر منه في الأرض ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله ، بم نال هذه المنزلة ، قال بزهده في هذا الحطام الفاني ، ومثله في الكافي بتغيير وزيادات وفيه ذكر الكلمات التي يقولها إذا أصبح فسأله رسول الله صلى الله عليه وآله عنها بإشارة جبرائيل ، فقال أقول يا رسول الله اللهم إني أسألك الأمن والايمان بك والتصديق بنبيك والعافية من جميع البلاء والشكر على العافية والغنى عن شرار الناس ، ولا ريب أن أعماله تصعد بها الملائكة فتخرق السبع السماوات حتى تنتهي بها إلى مقامه من سدرة المنتهى ، وأما عدم سلامه على رسول الله صلى الله عليه وآله في تلك الحال ، فهي تأدب منه لئلا يشغله لأنه صلى الله عليه وآله تقدم إلى أصحابه إنهم إذا رأوا معه دحية الكلبي لا يدخل عليه أحد ولا يشغله جبرائيل يأيته في صورته ، كما رواه حذيفة بن اليمان ، وكان جبرائيل لا يظهر إلا للخواص كسلمان وأبي ذر ومقداد وعمار وحذيفة فإذا رأوه لم يشغلوا رسول الله صلى الله عليه وآله بسيء لاشتغاله بالوحي فيكره

---

(١) علل الشرايع ص ٤٤

التسليم عليه كما يكره السلام على المصلي لأنه يشغله عن الإقبال على شأنه بالرد لوجوبه فلذا ورد النهي عن السلام على المصلي ، نهي كراهة للعلة المذكورة .

ومن زهاد هذه الأمة أويس القرني ، بل ورد أنه خير التابعين ، ونقل عنه أنه قال : ما تركت لنا حقوق الله من بيضاء ولا صفراء ، فبذل جميع ما ملك وبقي بلا قوت وكان يأتي المزبلة إذا جاع فأتاها يوما ، فإذا كلب ينبح عليه فقال : يا كلب لا تؤذي من لا يؤذيك كل مما يليك وآكل مما يليني فإن دخلت الجنة فأنا خير منك وإن دخلت النار فأنت خير مني ، وكان الصبيان يرمونه بالحجارة ، وعقلاء عند أنفسهم يقولون إنه مجنون ، وشوقه إلى الله ومحبته له تمنعه أن يفسر لهم ما استعجم من أمره ، وإنما كان يفعل ذلك لأن الدنيا قذرة ، وكلما ازدادت كثرة ازداد قذرها ، فأقل قذرها أهونها حالا ، فيأتي فيأكل من المزابل ما يجده مطروحا لا نفع فيه ولا ضرر منه ، ككسر الخبز والعلف ، ومعلوم أن المطاعم كلما طابت وغلظت كانت فضلاتها أكثر رجاسة وأشد نتنا ، فلذا نجد فضلات الحيوانات التى غذاؤها العلف لا نتن فيها بخلاف الحيوانات التى غذائها اللحم كالسباع والكلاب ، فإن فضلاتها منتنة كفضلات الإنسان ، خصوصا المترفين الذين يأكلون المطاعم الغليظة ، فإنها أشد نتنا وأخبث ريحا ، فهذه غاية الدنيا لمن نظر إليها بعين مبصرة فلما نظر إلى الدنيا ببصر بصيرته وعرف أنها إن تمكنت منه سقته سما زعاقا وعلقما مريرا أعرض عنها وتركها لأهلها يتجرعون كؤسها وهم غافلون فأصلح قلبه وعمر بنيانه بخراب جسده وهد أركان بدنه حتى أنه عرى مرة فجلس في قوصرة وكان يلتقط النوى فيبيعه لإفطاره ويجمع الخرق البالية من المزابل فيغسلها ويرقعها ليستر عورته فكان همه إصلاح دينه لا إصلاح بدنه وكان يفر من الناس ولا يخالطهم ولا يجالسهم حتى قالوا أنه مجنون .

واعلم أن الزهاد المشهورين عند الناس ثمانية فيهم الزاهد وفيهم المتزهد المتصنع الخبيث ، فروى الكشي عن علي بن محمد بن قتيبة قال ، سئل أبو محمد الفضل بن شاذان عن الزهاد الثمانية ، فقال : الربيع بن خيثم وهرم بن حيان وأويس القرني وعامر بن قيس وعامر بن عبد قيس وكانوا مع علي عليه السلام ، وكانوا زهادا أتقياء ، وأما أبو مسلم فإنه كان فاجرا مرائيا وكا نصاحب معاوية وهو الذي كان يحث الناس على قتال علي عليه السلام ، فقال لعلي عليه السلام ادفع إلينا المهاجرين والأنصار حتى نقتلهم بعثمان ، فأبى علي عليه السلام ذلك ، فقال أبو مسلم الآن طاب الضراب ، وإنما كان وضع فخا ومصيدة وأما مسروق فإنه كان عشارا لمعاوية ومات في عمله ذلك بموضع أسفل من واسط على دجلة يقال له الرصافة وقبره هنالك ، وأما الحسن فكان يلقى أهل كل فرقة بما يهوون ويتصنع للرئاسة وكان رئيس القدرية ، وأويس القرني مفضل عليهم كلهم ، قال أبو محمد ثم عرف الناس بعد أويس القرني رحمه الله . ومن مآثره عن أصبغ بن نباتة قال ((كنا مع علي عليه السلام بصفين فبايعه تسعة وتسعون رجلا ثم قال أين تمام المائة فقد عهد إلي رسول الله صلى الله عليه وآله أن يبايعني في هذا اليوم مائة رجل ، فقال فجاء إليه رجل عليه قباء صوف متقلدا سيفين ، قال هلم يدلك أبايعك ، قال علي عليه السلام على ما تبايعني قال على بذل مهجة نفسي دونك ، قال : و من أنت ؟ قال : أويس القرني ، فبايعه فلم يزل يقاتل بين يديه حتى قتل فوجد في الرجالة) (١) ، وفي رواية أخرى قال أمير المؤمنين عليه السلام (كن أويسا ، قال أنا أويس ، قال كن قرنيا قال أنا أويس القرني) .

وكان أويس من خيار التابعين ولم ير النبي صلى الله

---

(١) خصائص الأئمة ص ٥٣

عليه وآله ولم يصحبه ، فقال النبي صلى الله عليه وآله ذات يوم لأصحابه ((ابشروا برجل من أمتي يقال له أويس القرني فإنه يشفع بمثل ربيعة ومضر)) (١) .

ومن طرف العامة ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال ((لما كان يوم صفين خرج رجل من أهل الشام على دابته ، فقال أفيكم أويس القرني ؟ ، قلنا نعم فما تريد منه ؟ ، قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله لله يقول أويس القرني خير التابعين بإحسان) فعطف فدخل مع علي عليه السلام .

ونقل أن أمير المؤمنين عليه السلام لما سار من الكوفة لحرب معاوية ووصل ديراني موسى ، بات به حتى أصبح ثم صلى بالناس صلاة الصبح ، فلما فرغ منها قال ((سبحان الله ذي الطول و النعم سبحان الله ذي الجود و الكرم سبحان الله ذي القدرة و الأفضال سبحان الله ذي العظمة و الجلال سبحان الله الكبير المتعال أسأل الله الرضا بقضائه و العمل بطاعته و الإنابة لأمره إنه سميع الدعاء . قال ثم تلزم أمير المؤمنين عليه السلام عن المسير قدر نصف نهار، فقيل يا أمير المؤمنين لم لا ترحل وما انتظارك ونحن على جهاز فلم لا نرحل فقال عليه السلام لا نرحل من ههنا حتى يتلاحق بنا الناس ، فقيل له يا أمير المؤمنين لم يتخلف عنك من أراد يصحبك قال نعم ولكن لا نرحل من ههنا حتى تجيء الناس ، قال فمكث القوم ينتظرون من يجيء من جهة الكوفة ، قال فبينما هم كذلك إذ أقبل نحوهم فارس يركض من جهة الكوفة عليه جبة من الصوف قال فتأملوه الناس ليعرفوه فلما دنا منهم وقرب لم يعرفه منهم أحد فضرب وجه جواده ثم سار حتى أتى إلى علي عليه السلام ، فلما رآه عليه السلام قال صدق و الله حبيبي محمد صلى الله عليه وآله ، فقيل له يا أمير المؤمنين وما

---

(١) روضة الواعظين ص ٢٨٩

الذي قال لك حبيبك محمد صلى الله عليه وآله قال ، قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله يا علي إذا خرجت من الكوفة سائرا إلى حرب القاسطين فتأن في سيرك فإنه سيلحق بك رجل يشفع في مثل ربيعه ومضر وهو أويس القرني ، قال وكان أويس راكبا حصانا بغير سرج ولا لجام متقلدا بسيفين حمائلهما من ليف وبيده رمح من جريد النخل فيه سنان يلمع كالثعبان فعند ذلك ، قيل لعلي عليه السلام لما قدم أويس القرني ألا تأذن لنا بالمسير يا أمير المؤمنين ، قال بلى سيروا على بركات الله تعالى ، فقيل له يا أمير المؤمنين جاء الناس ، قال نعم جاء الناس فسيروا ولا يتخلف منكم أحد عن المسير) .

واعلم أن أمير المؤمنين عليه السلام أراد بقوله (يجيء الناس) الذي اتصف بالإنسانية المعنوية الحقيقية لا الإنسانية الصورية المجازية ، وأشار إلى أن أكثر من كان معه لم يتصفوا بالإنسانية المعنوية الحقيقية ولذا قال الناس ولم يقل إنسان إيذانا بأن أويسا القرني أمة واحدة في رتبة من الايمان لا يشاركه فيها أكثر من كان معه فجعله قائما مقام الأمة في هذه الرتبة كما قال تعالى ﴿ إن إبراهيم كان أمة قانتا ﴾ (١). وقال صلى الله عليه وآله (يحشر قس بن ساعده يوم القيامة أمة واحدة) وفي آخر (يحشر عبد المطلب أمة واحدة) ، وقد ورد في ذم أهل العراق عن الصادق عليه السلام أنهم كانوا يقاتلون مع علي عليه السلام وما فيهم خمسون يعرفون حقه وحقه إمامته ، يريد عليه السلام أنهم تابعون للرئاسة الظاهرة لا لتصديق وإقرار ناشئين عن معرفة وثبات وقد ورد عنهم عليهم السلام ((نحن الناس وشيعتنا أشباه الناس وسائر الخلق نسناس)) ، وإنما قال في أويس الناس ولم يقل شبه الناس فاثبت له الانسانية لقربه من الناس الحقيقيين عليهم السلام وإن كان قربا إضافيا فتجوز

---

(١) النحل ١٢٠

في إطلاق هذا الاسم عليه إظهارا لشأنه وتنويها به وتعريضا لمن لم يبلغ رتبته بأنه ليس من الناس المرادين ولذا لما ق ال له عليه السلام بعض من لا يثبت ذلك عنده كالمستخبر المنكر (جاء الناس) . قال عليه السلام مقررا لما أراده فيه وأثبته له ونفاه عن غيره (نعم جاء الناس وسيروا ولا يتخلف منكم أحد عن المسير) .

ومن المتزهدين المتصنعين المشتهرين بالعلم والتعفف عند العامة الحسن البصري وكان منافقا مرائيا ، وقال عيسى بن موسى أنه قيل لعبد الكريم بن أبي العوجاء بعد أن انحرف عن التوحيد (وتركت مذهب صاحبك ودخلت فيما لا أصل له ولا حقيقة ، قال إن صاحبي كان مخلطا يقول طورا بالقدر وطورا بالجبر فما اعلمه اعتقد مذهبا دام عليه) وأما العامة وعامة الخاصة فلهم في الحسن البصري اعتقاد عجيب حتى أن أكثرهم يزعم أنه ليس كلام أحد في الاسلام يشبه كلام علي عليه السلام إلا كلام الحسن البصري ، وغلطوا لأنه خبيث دساس يسرق الحكم فيغير بعض الكلمات التي تصدر عن أهل بيت الوحي أدنى تغيير وينسبها الى نفسه كالسامري ، كما روي عن يحيى الواسطي قال لما افتتح أمير المؤمنين عليه السلام البصرة اجتمع الناس عليه وفيهم الحسن البصري ومعه الألواح فكان كلما لفظ أمير المؤمنين عليه السلام بكلمة كتبها فقال له أمير المؤمنين عليه السلام بأعلى أصواته ((ما تصنع ؟ قال : نكتب آثاركم لنحدث بها بعدكم ، فقال أمير المؤمنين : أما إن لكل قوم سامري وهذا سامري هذه الأمة أما أنه لا يقول مساس ولكن يقول لا قتال)) (١) ، يعنى عليه السلام بقوله لكنه يقول لا قتال أنه ينهى الناس ويثبطهم عن نصرة أمير المؤمنين عليه السلام والقتال معه ، فعن ابن عباس قال لما فرغ أمير المؤمنين عليه السلام من قتال أهل البصرة وضع قتبا على قتب ثم صعد عليه فخطب فحمد الله

---

(١) الاحتجاج ص ١٧٢

وأثنى عليه فقال ((يا أهل البصرة يا أهل المؤتكفة يا أهل الداء العضال يا أتباع البهيمة يا جند المرأة رغا فأجبتم وعقر فهربتم ماؤكم زعاق و دينكم نفاق وأخلاقكم دقاق ثم نزل يمشي بعد فراغه من خطبته فمشينا معه فمر بالحسن البصري وهو يتوضأ فقال : يا حسن أسبغ الوضوء ، فقال له : يا أمير المؤمنين ، لقد قتلت بالأمس أناسا يشهدون ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله ، ويصلون الخمس ، ويسبغون الوضوء ، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام ، فقد كان ما رأيت فما منعك أن تعين علينا عدونا ؟ ، فقال والله لأصدقنك يا أمير المؤمنين لقد خرجت في أول يوم فاغتسلت وتحنطت وصببت علي سلاحي وأنا لا أشك في أن التخلف عن أم المؤمنين عائشة هو الكفر ، فلما انتيهت إلى موضع من الحريبة نادى مناد : يا حسن إلى أين ارجع فإن القاتل والمقتول في النار فرجعت ذعرا وجلست في بيتى ، فلما كان اليوم الثاني لم أشك أن التخلف عن أم المؤمنين عائشة هو الكفر ، فتحنطت وصببت علي سلاحي وخرجت أريد القتال حتى انتهيت إلى موضع من الحريبة فناداني مناد من خلفي : يا حسن إلى أين فإن القاتل والمقتول في النار فرجعت ذعرا وجلست في بيتى ، فلما كان في اليوم الثاني لم أشك أن التخلف عن أم المؤمنين عائشة هو الكفر ، فتحنطت وصببت علي سلاحي وخرجت أريد القتال حتى انتهيت إلى موضع من الحريبة فناداني مناد من خلفي : يا حسن إلى أين ارجع مرة بعد أخرى فإن القاتل والمقتول في النار ، قال علي عليه السلام : صدقت ، أتدري من ذلك المنادي ، قال : لا ، قال عليه السلام : ذاك أخوك إبليس ، وصدقك أن القاتل والمقتول منهم في النار ، فقال الحسن البصري الآن عرفت يا أمير المؤمنين أن القوم هلكى)) (١) .

---

(١) الاحتجاج ص ١٧١

واعلم أن أمير المؤمنين عليه السلام إنما سماه سامري هذه الأمة لأنه قبض قبضة من كلام أمير المؤمنين عليه السلام وهو أثر الرسول ، فالقاها في عجل جسده فخارت بها نفسه وإن كان لا يعرف منه شيئا فهو يتكلم بما لا يعلم كالعجل فكان حكمه حكم موسى بن ظهر الكرماني ، قبض من تراب حافر الرمكة فرس جبرائيل حين رآه يتحرك كلما وضعت حافرها فالقاه في العجل فخار ولو أن السامري صنع صورة فرس لصهل أو صورة كلب لنبح أو صورة إنسان لتكلم والعلة فيه تلك الحياة التى هي من أثر الرمكة حيوانية فلكية نوعية بتشخص الصور النوعية إذ الصور النوعية تنوع المادة الجنسية والصورة الشخصية تميز تلك الصور النوعية فكان الحسن البصري في إلقائه الحكم والمواعظ التى اشتهرت عنه كالذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء ولكنه لما اشتهر عند الجهال بالعلم لم يسع العلماء إنكار ذلك لأن إنكاره يكون سببا للتعصب في إثباته ولهذه العلة جاء عن أئمة الهدى عليهم السلام (لا تحدث بما تسارع العقول إلى إنكاره فإنك إن تسمع إنكاره لا يسعك اعتذاره ، وقوله كفتى فهو بالنبطية فهو شيطان وكانت أمه سمته بذلك ودعته به في صغره فلم يعرف ذلك أحد حتى دعاه به أمير المؤمنين عليه السلام وإنما خبر الحسن أمير المؤمنين عليه السلام بقول المنادي لأنه ظن أن ذلك داعيا من الله فأراد إظهار شأنه وإبانة معذرته في ترك القتال فأخبره عليه السلام بأن المنادي إبليس لعنه الله وإنما نهاه إبليس عن القتال محبة لبقائه لأن الشيطان فيرح بموت العالم العامل الذي يهدي إلى الحق ويحزن لموت العالم العامل الفاسق المضل للعباد لأنه عونه فخشي أن يقتل فينسد باب من أبواب الضلالة فشبه عليه بقوله القاتل والمقتول بالنار من الفريقين وهو في الواقع إنما أراد أن القاتل والمقتول في أصحاب عائشة كما أخبر به أمير المؤمنين عليه السلام عنه بقوله عليه السلام وصدقك . وقول الحسن

البصري الآن عرفت أن القوم هلكى تقية منه ومداراة لعلي عليه السلام .

ومن المتزهدين المرائين عمرو بن عبيد وأما إبراهيم بن أدهم وسفيان الثوري وأبو يزيد البسطامي وغيرهم من على صفتهم وليس أولئك ممن عنى الله (وما أولئك بالمؤمنين) لأنهم لم يقصدوا بزهدهم وجه الله والدار الآخرة وإنما أرادوا التصنع ومن جهل ولم يقصد التصنع واكتساب الجاه والدنيا بتركها لم ينفعه زهده شيئا بغير ولاية أمير المؤمنين علي وأهل بيته عليهم السلام بل ولا يحصل له الخلوص فهو أبدا متزلزل غير ثابت على جهة التقرب إلى الله و التجافي عن دار الغرور ولكنه غلبته العادة على أمر لا يكاد يفارقه كإبراهيم بن أدهم.

وممن زهد في الدنيا لله لا لغرض آخر بعد الملك علي بن عيسى الأربلي صاحب كشف الغمة نقل في كشكول البهائي أنه كان مارا في خيله ورجله وأصحابه يطردون الناس بين يديه فسألت امرأة امرأة أخرى من هذا ؟ قالت هذا رجل طرده الله عن خدمته وشغله بخدمة أبعد خلقه عنه فلما سمع الوزير كلامها تزهد وترك الوزارة .

ومما يلحق بهذا الباب من حكم ومواعظ والحث على الطاعات وتجنب المعاصي وملحقات متفرقة فعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال ((أصعب الأمور أربعة العفو عند الغضب والجود من اليسر والعفة في الخلوة وقول الحق عند من تخافه وترجوه)) وهذه الأربعة مترتبة في الضعف والقوة فأصعبها الرابع ثم الثالث ثم الثاني ثم الأول)) .

وعن الصادق عليه السلام ((أربع من كنوز الجنة كتمان الفاقة وكتمان الصدقة وكتمان المصيبة وكتمان الوجع)) (١) .

وعنه عليه السلام ((إن لأهل الجنة أربع علامات وجه منبسط ولسان لطيف وقلب رحيم ويد معطية)) (٢) .

وقال الباقر علية السلام ((إذا أردت أن تعلم أن فيك خيرا فانظر إلى قلبك فإن كان يحب أهل طاعة الله عز وجل ويبغض أهل معصيته ففيك خير والله يحبك وأن كان يبغض أهل طاعة الله ويحب أهل معصيته فليس في قلبك خير والله تعالى يبغضك والمرء مع من أحب)) (٣) .

ومن الموعظة إن اغتممت على ما نقص من مالك فابك على ما ينقص من عمرك و نقل أن أمير المؤمنين عليه السلام لما احتضر جمع بنية حسنا و حسينا ومحمد بن الحنفية و الأصاغر من ولده ووصاهم فكان في آخر وصيته ((يا بني عاشروا الناس عشرة إن غبتم حنوا إليكم وإن فقدتم بكوا عليكم يا بني القلوب جنود مجندة تتلاحظ بالمودة وتتناجى بها وكذلك هي في البغض فإذا أحببتم الرجل من غير خير سبق منه إليكم فارجوه وإذا أبغضتم الرجل من غير سوء سبق منه إليكم فاحذروه)) (٤) .

ومر الحسن بن علي عليهما السلام بشاب يضحك فقال ((يا هذا هل مررت بالصراط ؟ قال : لا ، قال : هل تدري إلى الجنة تصير أم إلى النار ؟ قال : لا ، قال : فما هذا الضحك ؟ قال الراوي فما رأى ذلك الفتى بعدها ضاحكا)) .

وعلم أن الدواء وقع على الداء وأصابت الموعظة موضعا فارغا فتمكنت و محلا قابلا فاستقرت وإلا فكم من موعظة صدرت

---

(١) دعوات الراوندي ص ١٦٤
(٢) مجموعة ورام ج ٢ ص ٩١
(٣) علل الشرايع ص ١١٧
(٤) مجموعة ورام ج ٢ ص٧٥

من أهلها فأصابت غير محلها فلم ينتفع بها ، هذه مواعظ الله تترى ونحن عنها غافلون ولها تاركون .

وقال الإمام عليه السلام ((يوم العدل على الظالم أشد من يوم الجور على المظلوم)) (١) .

وقال عليه السلام ((من أراد البقاء فليعد للمصائب قلبا صبورا)) (٢) .

وقال عليه السلام ((من تتبع عورات المؤمنين تتبع الله عوراته ، ومن تتبع الله عوراته فضحه في جوف بيته)) (٣) .

واعلم أن ذكر معايب الناس من خبث السريرة ورداءة الطبيعة وأما ذكر معايب المؤمنين فمنشأه خبث الطينة وعدم صحة النسب فعن الصادق عليه السلام في ذكر الخصال التى لا توجد في المؤمن قال عليه السلام ((من لم يبال ما قال و ما قيل فيه فهو شرك شيطان ومن لم يبال أن يراه الناس مسيئا فهو شرك شيطان ومن اغتاب أخاه من غير ترة بينهما فهو شرك شيطان ومن شغف بمحبة الحرام و الزنا فهو شرك شيطان ، ثم قال عليه السلام : إن لولد الزنا علامات أحدها بغضنا أهل البيت وثانيها أنه يحن إلى الحرام الذي خلق منه و ثالثها الاستخفاف بالدين و رابعها سوء المحضر للناس و لا يسئ محضر إخوانه إلا من ولد على غير فراش أبيه أو من حملت به أمه في حيضها)) (٤) .

وقال عليه السلام ((علامات ولد الزنا ثلاث سوء المحضر والحنين إلى الزنا وبغضنا أهل البيت)) (٥) .

وعنه عليه السلام قال ((أربع خصال لا تكون في مؤمن لا يكون مجنونا ولا يسأل أبواب الناس ولا يولد من الزنا و لا ينكح في

---

(١) شرح النهج ج١٩ ص٢٥٦ (٢) كشف الغمة ج٢ ص٢٤٨ (٣) أمالي المفيد ص١٤١
(٤) الخصال ٢١٦-٢١٧ (٥) أمالي الصدوق ٣٣٨

دبره)) (١) .

وعن جابر بن عبد الله الأنصاري قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي بن أبي طالب عليه السلام ((ألا أبشرك ألا أمنحك ، قال : بلى يا رسول الله ، قال : فإنني خلقت أنا وأنت من طينة واحدة ففضلت منها فضلة فخلق منها شيعتنا فإذا كان يوم القيامة دعي الناس بأمهاتهم إلا شيعتك فإنهم يدعون بأسماء آبائهم لطيب مولدهم)) (٢) .

واعلم أن المراد بالشيعة الشيعة الخلص وهم المعنيون لا المحبون فان المحبين إذا لم يكونوا من الخواص تكون فيهم أحد هذه الخصال ولو بقي على إطلاقه لافتضح الأكثرون ودل العقل والنقل على ما قلته من التخصيص بالخواص ، كما قال عليه السلام ((ما ابتلى الله به شيعتنا فلن يبتليهم بأربع بأن يكونوا لغير رشده أو أن يسألوا بأكفهم أو أن يؤتوا في أدبارهم أو أن يكونوا أخضر أزرق)) (٣) ، فقوله عليه السلام (لغير رشده) يعني غير طاهر المولد ظاهرا لأن ولد الزنا قسمان ولد زنا باطنا وهو من يكون من نطفة الشيطان بمشاركته لأبيه إن كان نكاح أبيه صحيحا فتولد من ذلك النكاح وهذا قد تكون فيه تؤودة وحسن خلق ولا يجترئ على قتل النبي والإمام كفرعون فإنه كان لرشده لم يولد من الزنا الظاهر وكذلك الأعرابي الأول فإنه لم يكن ولد زنا لأنه جد الصادق عليه السلام فيكون نسبه صحيحا وإن كان كافرا و طينته خبيثة من سجين وكذلك حكم كل من ينتمي إليه إمام أو نبي من قبل الأمهات كيزدجرد فإنه وإن كان مجوسيا و المجوسي تنكح المحارم إلا أنه محفوظ النسب من بينهم لا تلحقه وصمة لطهارة الحجة وعلو شأنه فلا يكون حامله مما يلحقه وصمة في نسبه أو ما ينفر الطباع منه وهذا دل عليه صحيح العقل وصريح النقل

الخصال ص ٢٩٩ (٢) أمالي المفيد ص ٣١١ (٣) الخصال ص ٢٢٤

وأما الكفر فلا يلزم منه وصمة في النسب ولا يلزم من الكفر فساد النسب ولذا قال صلى الله عليه وآله وسلم ((يا علي لا يبغضك إلا منافق أو لغير رشده أو مطعون في أجانه)) وفي غيره ((لا يبغضك إلا ابن زنا أو ابن حيضة أو من يؤتى في دبر)) ، ولم يحصر بغض علي في ابن زنا كما يظنه الجاهلون بل ورد أن من كان مولده طاهرا في الظاهر لا يقتل النبي أو الإمام ولذا ورد في تفسير قوله تعالى ﴿ ذروني أقتل موسى وليدع ربه ﴾ (١) فإنه يتهدد ولا يفعل بخلاف هامان فإنه يحث فرعون على قتل موسى وكذلك فرعون هذه الأمة وهامانها حذوا النعل بالنعل ، وقد سأل رجل الصادق عليه السلام في قول الله حكاية عن فرعون ﴿ ذروني أقتل موسى ﴾ من كان يمنعه؟ قال (منعته رشدته ولا يقتل الأنبياء ولا أولاد الأنبياء إلا أولاد الزنا)) (٢) .

وعن يونس بن ضبيان قال (قال إن موسى وهارون حين دخلا على فرعون لم يكن في جلسائه يومئذ ولد سفاح كانوا ولد نكاح كلهم ولو كان فيهم ولد سفاح لأمر بقتلهما ، فقالوا أرجه وأخاه وأمروه بالتأني والنظر ثم وضع يده على صدره فقال وكذلك نحن لا ينزع إلينا إلا كل خبيث الولادة)) (٣) ، ولتعلم أن هامان ما كان حاضرا في ذلك المجلس وهذا الذي عناه بقوله (لم يكن في جلسائه يومئذ ولد سفاح) ، وقوله عليه السلام (لا يقتل الأنبياء ولا أولاد الزنا) عام يخصص بالمعصومين منهم وقد ورد مثل هذا العموم في موارد كثيرة ويراد به الخلص ، والدليل على ما ذكرته ما روى عن الصادق عليه السلام في قوله (﴿ ذروني أقتل موسى ﴾ فقيل له من كان يمنعه : قال : كان لرشده لأن

---

(١) غافر ٢٦ (٢) قصص الأنبياء ص ٢٤٠

(٣) تفسير العياشي ج ٢ ص ٢٤

الأنبياء والحجج لا يقتلهم إلا أولاد البغايا)) (١) فعطفه الحجج على الأنبياء يحمل على أولادهم المعصومين لأن غير الأوصياء منهم ليسوا بحجج ولا يمكن حمل الحجج هنا على غير الأوصياء المعصومين وإلا لدخل العلماء وكل من أقام حجة حق على خصم مبطل وذلك باطل بإجماع المسلمين و أما ولد زنا الظاهر فهو من تكون من نطفة سفاحا فإن النفخة الشيطانية فيه أقوى فلذا يكون حديدا خبيث المحضر متهتكا بأفعال السوء غير مبال بما يصدر منه وقد ذكرت ذلك في آخر نهج المحجة ، وأما من يؤتى في دبره فإن كان ذلك منه لشهوة فإنه لا يدخل الجنة و ليس من الشيعة ومن كان يفعله بغير شهوة فهو من الناقصين المبعدين ، وكذا من يسأل بالكف والأخضر الأزرق فليسوا بكامل الايمان ولا يكونون من خواص الشيعة لأن خواص الشيعة لا يبتلون بما يكون نقصا يؤدي الى نفرة النفوس فروي أن المؤمن إذا بلغ الأربعين عوفي من الأمراض الثلاثة الجنون و الجذام و البرص فمن أبتلى بعد الأربعين بشيء من هذه فليس بكامل الايمان والمراد بشرك الشيطان من تكون نطفته مختلطة من نطفة أبيه وإبليس بمعنى أن نطفة إبليس تسري في غيب النطفة التى تكون جسمه منها كما أخبر به تعالى ﴿ وشاركهم في الأموال والأولاد ﴾ (٢) ، ففي الخصال عن الصادق عليه السلام أنه قال ((الآباء ثلاثة ، آدم ولد مؤمنا ، والجان ولد مؤمنا وكافرا ، و إبليس ولد كافرا وليس فيهم نتاج وإنما يبيض ويفرخ و ولده ذكور ليس فيهم إناث)) (٣) ، ونقل ((إن إبليس لعنه أسمه قبل إن يطرد عزازيل وأنثاه إسمها طرطبة وأنها باضت ثلاثين بيضة عشر وضعتها في المشرق وعشر في المغرب وعشر في وسط الدنيا فكان من كل بيضة صنف من الشياطين

---

(١) مستطرفات السرائر ص٦٤٤ (٢) الاسراء ٦٤ (٣) الخصال ١٥٢

وكانت صلماء لا أذن لها فلذا باضت ولم تلد)) ، وفي الأخبار إن لابليس بنتا أسمها دفليس وأخرى أم الصبيان وأخرى لا يحضرني الآن أسمها .

وعن علي عليه السلام إنه قال لكميل بن زياد النخعي ((يا كميل مر أهلك أن يروحوا في كسب المكارم ويدلجوا في حاجة من هو نائم فو الذي وسع سمعه الأصوات ما من أحد أودع قلبا سرورا إلا خلق الله من ذلك السرور لطفا فإذا نزلت به نائبة جرى إليها كالماء في إنحداره حتى يطردها عنه كما تطرد غريبة الابل)) (١) .

وقال عليه السلام لجابر بن عبد الله الأنصاري ((يا جابر من كثرت نعم الله عليه كثرت حوائج الناس إليه فإن فعل ما يجب الله فيها عرضها للدوام والبقاء وإن قصر فيما يجب لله عليه عرضه للزوال والفناء)) (٢) .

وقال أمير المؤمنين عليه السلام ((ما يتعايش به الناس وبه يتعاشرون ملء مكيال ثلثاه استحسان وثلثه تغافل)) (٣) فاستحسن منهم ما لا يضر تحسينه بدينك وتغافل عن الذي تطلع عليه منهم كأنك ما رأيته وهذا من أفضل مكارم الأخلاق ، قال علي عليه لسلام ((التغافل من السؤدد)) (٤) .

وقال عليه السلام ((مسكين ابن آدم له بطن يقول املئني وإلا فضحتك فإذا ملاه يقول فرغني وإلا فضحتك فهو أبدا بين فضيحتين)) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((مصائب الدنيا خمسة موت الحبيب وذهاب المال وشماتة الأعداء وترك التعلم و امرأة السوء ، ومصائب الآخرة خمسة فوت الصلاة وعق الوالدين ورد السائل ومخالفة الوالدين ومنع الزكاة))

---

(١) شرح النهج ج ١٩ ص ٩٩
(٢) تفسير الامام ص ٣٠٤
(٣) الوسائل ج ١٢ ص ٢٠٢
(٤) شرح النهج ج ١٩ ص ٤٤

وأتى رجل أبا عبد الله عليه السلام فقال له يا بن رسول الله أوصني ، فقال عليه السلام ((لا يفقدك الله حيث أمرك ولا يراك حيث نهاك ، فقال له زدني فقال عليه السلام لا أجد مزيدا)) (١) .

وقال أمير المؤمنين عليه السلام ((قليل مدوم عليه خير من كثير مملول منه)) (٢) .

وقال عليه السلام ((أفضل الأعمال ما أكرهت نفسك عليه)) (٣) .

وفي الحديث النبوي ((أفضل أعمال أمتى انتظار الفرج)) (٤) .

وقال الصادق عليه السلام ((أفضل الأعمال الصلاة لوقتها وبر الوالدين والجهاد في سبيل الله)) (٥) .

وروي (أن موسى عليه السلام لما ناجى ربه رأى رجلا تحت ساق العرش قائما يصلي فغبطه بمكانه وقال : يا رب بما بلغت عبدك هذا ما أرى ؟ فقال : يا موسى إنه كان بارا بوالديه ولم يمش بالنميمة)) (٦) .

وجاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال : يا رسول الله لم أترك شيئا من القبيح إلا وقد فعلته فهل لي من توبة ؟ فقال له صلى الله عليه وآله ((هل بقي من والديك أحد ؟ فقال : نعم أبي ، فقال صلى الله عليه وآله : اذهب وابرره ، فلما ولى قال النبي صلى الله عليه وآله لو كانت أمه)) (٧) .

وقال عليه السلام ((من سره أن يمد له في عمره ويبسط له في

---

(١) الحكايات ص ٩٥ (٢) تفسير الامام ص ٣٠٤ (٣) شرح النهج ج١٩ ص٨٣
(٤) كمال الدين ص٦١٤ (٥) (٦) (٧) عدة الداعي ص٨٥

رزقه فليصل أبويه فإن صلتهما من طاعة الله)) (١) .

وقال الصادق عليه السلام ((لا يمنع الرجل منكم أن يبر والديه حيين وميتين يصلي عنهما و يتصدق عنهما ويحج عنهما ويصوم عنهما فيكون الذي صنع لهما وله مثل ذلك فيزيده الله ببره وصلته خيرا كثيرا)) (٢) .

ومن حق الوالد على ولده أن لا يسميه باسمه ولا يمشي بين يديه ولا يجلس قبله ، وقال رجل يا رسول الله ما حق ابني هذا قال ((تحسن اسمه وأدبه وتضعه موضعا حسنا)) ، قال رسول الله صلى الله عله وآله ((من سعادة الرجل الولد الصالح)) . وقال عليه السلام ((الولد للوالد ريحانه من الله يشمها قسمها بين عباده وإن ريحانتاي الحسن والحسين عليهما السلام سميتهما باسم سبطي بني إسرائيل شبرا و شبيرا)) (٣) .

عن الفضل ابن أبي قرة عن أبي عبد الله عليه السلام قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله ((مر عيسى بن مريم عليه السلام بقبر يعذب صاحبه ثم مر به من قابل فإذا هو لا يعذب ، فقال يا رب مررت بهذا القبر عام أول وكان يعذب ومررت به العام فإذا هو ليس يعذب فأوحى الله عز وجل إليه عليه السلام أنه أدرك له ولد صالح فأصلح طريقا وآوى يتيما فلهذا غفرت له بما عمل ابنه ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ميراث الله عز وجل من عبده المؤمن ولد يعبده المؤمن ولد يعبده من بعده ثم تلا أبو عبد الله عليه السلام آية زكريا ﴿ فهب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من آل يعقوب وأجعله رب رضيا ﴾ (٤))) (٥) .

---

(١) عدة الداعي ص ٨٦ (٢) مشكاة الأنوار ص ١٥٩ (٣) عدة الداعي ص ٨٦
(٤) مريم ٥ـ٦ (٥) عدة الداعي ص ٨٧

وعن النبي صلى الله عليه وآله ((ليس من أخلاق المؤمن الملق والحسد إلا في طلب العلم)) (١).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام ((كل سؤال ذل ومنقصة إلا ما كان من سؤال الرجل لإمامه أو عالمه أو والده فإنه لا ذل عليه في ذلك ولا منقصة)) (٢)، وقال حكيم (من لم يحتمل ذل التعلم ساعة بقي في ذل الجهل أبدا) (٣).

وقال صلى الله عليه وآله ((اختبروا الناس بأخدانهم فإنما يخادن الرجل من يعجبه)) (٤) فالعاقل لا يصحب الجاهل لبعد المناسبة بينهما وإياك وصديق السوء فإنه يزري بصاحبه ويعرف به .

توق صديقا مثل ما وأحذر الذي
يكون كعمر بين عرب وأعجم
فإن صديق السوء يزري وشاهدي
كما أشرقت صدر القناة من الدم

وقال عيسى عليه السلام ((يا معاشر الحواريين تحببوا إلى الله ببغض أهل المعاصي وتقربوا إلى الله بالتباعد عنهم والتمسوا رضاه بسخطهم)) (٥)، وفي الدعاء ((اللهم لا تجعل لفاسق ولا فاجر عندي بر ولا نعمة فإني وجدت فيما أوحيته ﴿لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله﴾ (٦))) (٧)، يريد عليه السلام أنه من كانت له عليه يد ونعمة لا بد أن يحبه بالطبع ويميل إليه وينبغي له شكره على فعله

---

(١) دعائم الاسلام ج١ ص٨٣ (٢) مجموعة ورام ج٢ ص٢٤٨ (٣) غوالي اللآلي ج١ ص٢٨٥
(٤) مجموعة ورام ج١ ص ٢٤٩ (٥) مجموعة ورام ج٢ ص٢٣٥ (٦) المجادلة ٢٢
(٧) مجموعة ورام ج١ ص ٢٤٩

وهو مناف لإرادة الله من عدم الموادة لمن حاد الله ورسوله فلذا قال (اللهم لا تجعل لفاسق أو فاجر ... إلى آخره) يعني مما يؤدي المودة له فإن النفوس جبلت على حب من أحسن إليها وعلى بغض من أساء إليها فلأجل هذه العلة قال صلى الله عليه وآله ((تهادوا تحابوا فإن الهدية تذهب بالضغائن)) (١) .

وقال ((من سألكم بالله فاعطوه ومن استعاذكم فاعيذوه ومن أهدى إليكم كراعا فاقبلوه)) ، وقال الفضل بن سهل ذو الرئاستين (ما استرضى الغضبان ولا أستعطف السلطان ولا سلت السخائم ولا رفعت المغارم ولا استميل المحذور ولا سلبت التيجان ولا توقي المحذور بمثل الهدية)) .

ومن الموعظة ما قيل الويل لمن أفسد أخرته بصلاح دنياه ففارق ما عمر غير راجع إليه وقدم على ما خرب غير منتقل عنه ، وأعظم المصيبة إن كان عالما وأقبحها حالة إن كان شيخا ساقط الرجل في القبر وأشدها إن كان مريضا فإن شيبك نذير ناصح فأطعه ومرضك واعظ صادق فلا تكذبه فإن الشيخ أسير الله في أرضه فإذا عمل بخلاف مراده فقد عصاه تعالى في سجنه وذلك أعظم ذنبا من غير الأسير لعظم جرأته وعدم مبالاته بسيده القادر عليه والله لا يحب تعذيب الشيخ فإن عصاه استحق أشد عذابه قال صلى الله عليه وآله ((يقول الله الشيب نوري فلا يجمل بي أن أحرق نوري بناري)) (٢) ، قوله صلى الله عليه وآله ((من شاب شيبة في الإسلام كانت له نورا يوم القيامة)) (٣) ، وكان عيسى عليه السلام إذا مر على الشباب قال لهم ((كم من زرع لم يدرك الحصاد ، وإذا مر على الشيوخ قال ما ينتظر بالزرع إذا أدرك إلا أن يحصد)) (٤) ، يريد عليه السلام بقوله كم

---

(١) الخصال ص ٢٧

(٢) مجموعة ورام ج ١ ص ٣٧

(٣) شرح النهج ج ١٨ ص ١٢٤

(٤) مجموعة ورام ج ١ ص ٣٧

من زرع لم يدرك الحصاد أنه تصيبه الآفات قبل نضجه فيفسده كناية عن الموت قبل بلوغ المشيب .

وعن أمير المؤمنين عليه السلام ((بقية عمر المرء لا ثمن لها يدرك بها ما فات ويحيي بها ما أمات)) (١) ، وقال سبحانه ﴿ أو لم نعمر كم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير ﴾ (٢) قيل أنه خطاب لأبناء الثمانية عشر فإن حد البلوغ خمسة عشر ففي الثلاث الباقية يتذكر التائب إلى الله الراجع إلى طاعته ولا عذر له و جاءكم النذير الشيب ، فالشيب نذير الموت ورسوله إلى ابن آدم وكل شعرة منه سهم من سهامه ينفذها في ابن آدم فإذا تكاثرت عليه المصائب قتلته .

قال يحيى بن خالد البرمكي :

الليل شيب والنهار كلاهما رأسي بكثرة ما تدور رحاهما
يتناهبان لحومنا ودمائنا و جسومنا عمدا ونحن نراهما
والشيب إحدى الميتمين تقدمت أولهما وتأخرت أخرهما

وقد قلت حين ضرب الشيب علي خباه وألبسني جلبابه وقوض الشباب عني بخيامه وسلبني أثوابه

ولقد كنت في ربع الشبيبة نازلا
وقد آن عن ربع المشيب رحيل

وقيل أن أياس بن قتادة من حكماء العرب رأى شيبة في لحيته فقال ، أرى الموت يطلبني وأراني لا أفوته يا رب أعوذ بك من فجاة الموت يا بني سعد قد وهبت لكم شبابي فهبوا إلى شيبتي ولزم داره ، فقال أهله تموت هزلا ، فقال لئن أموت مؤمنا مهزولا أحب إلي من أن أموت منافقا سمينا .

---

(١) مجموعة ورام ج١ ص ٣٦ (٢) فاطر ٣٧

وقلت أنا في قصيدة لي في التجافي عن دار الغرور و الانتذار بنذير الشيب والاتباع لداعي العقل .

مالي وللدنيا تريني منظرا ... حسنا وتقتلني بغير جراح
ويلاه ضاع العمر في هم وفي ... حزن على الدنيا بغير نجاح
فإلام أركن للغرور وقد بدا ... داعي النذارة بالسنا الوضاح
فالشيب عمم لمتي وعوارضي ... والفود مشتعل بغير قداح
وبأي عذر أعتذر مما جنت ... فيه يداي بغدوة ورواح
أقول أني جاهل أو لم أكن ... أدري بما يأتي على صباحي
أم غافل أم كنت مختبطا ألم ... يأتي النذير لكل عقل صاحي
أو ما عسى وبأي عذر أعتذر ... والأمر أبلج بين الايضاح

فما عذر من خرب آخرته واشتغل بعمارة دنياه حالة انهدام بدنه وداعي الموعظة يهتف به بلسان الانقطاع تجهز للمسير فقد آن الرحيل وهو يسبح في غمرة غفلته

يا عامر الدنيا على شيبة ... فيك أعاجيب لمن يعجب
ما عذر من يعمر بنيانه ... وعمره مستهدم يخرب

أما تنظر إلى الماضين كيف سارت بهم مطايا المنايا وإلى الباقين كيف أحاطت بهم جيوش البلايا تستحثهم للرحيل وتدعوهم إلى شر مقيل

إن الذين بنوا فطال بناؤهم ... واستمتعوا بالأهل والأولاد
جرت الرياح إلى محل ديارهم ... فكأنهم كانوا على ميعاد

فتخفف للرحلة قبل النقلة . ففي الخبر إذا بلغ الرجل أربعين سنة ولم يتب مسح إبليس على وجهه وقال بأبي وجها لا يفلح

قال البختري :

وإذا تكامل للفتى من عمره — خمسون وهو إلى التقى لا يجنح
عكفت عليه المخزيات فما له — متأخر عنها ولا متزحزح
فإذا رأى الشيطان غرة وجهه — حيا وقال فديت من لا يفلح

وقال ابن عباس ((من بلغ الأربعين ولم يغلب خيره شره فليتجهز إلى النار)) (١) .

وقال الباقر عليه السلام ((إذا بلغ الرجل أربعين سنة نادى مناد من السماء دنا الرحيل فأعد زادا)) (٢) ، وفي قوله تعالى ﴿حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال ربي أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه ﴾ (٣) .

عن عبادة بن الصامت قال جبرائيل لرسول الله صلى الله عليه وآله ((يؤمر الحافظان أن أرفقا بعبدي في حداثة سنه فإذا بلغ الأربعين احفظا وحققاه)) (٤) ، وعن حذيفة ((قالوا : يا رسول الله ما أعمار أمتك ؟ قال : مصارعهم من الخمسين إلى الستين ، قالوا : يا رسول الله فأبناء السبعين ، قال : أقل من يبلغها من أمتي فرحم الله أبناء الثمانين)) (٥) .

وعنه عليه السلام ((خلق ابن آدم وإلى جنبه تسع وتسعون منية إن أخطأته وقع في الهرم)) (٦) ، يريد عليه السلام أن عمر المرء إلى تسع وتسعين قبل الهرم والهرم هو الذي لا يعيش الإنسان إليه غالبا في زمانه لأن أسماء الإنسان بحسب إطلاقها عليه مختلفة بحسب الأزمان ففي بطن أمه جنين وبعد تولده صبي رضيع فإذا

---

(١) (٢) (٤) (٥) (٦) مجموعة ورام ج ١ ص ٣٥ — (٣) الأحقاف ١٥

فطم فغلام إلى سبع سنين ويافع إلى عشر سنين ثم خرور إلى خمسة عشر سنه وبعدها إلى خمسة وعشرين قمد وبعدها إلى الثلاثين عنطنط وبعدها إلى الأربعين صمل وبعدها إلى الخمسين كهل وبعدها إلى الثمانين شيخ وبعدها إلى وقت الممات هرم ، وقوله عليه السلام (وبلغ السبعين وقع الهرم) ربما أنه أراد أول مقدماته أو أنه خاص بهذه الأوقات لضعف بنيتهم المنبعث عن اختلاف الطبائع الغير المعتدلة التركيب لسرعة دوران الأفلاك ولأجل ذلك قصرت أعمار الناس بل والحيوانات وضعفت النباتات ، وقال صاحب القاموس الكهل (من وخطه الشيب أورث له بجاله أو من تجاوز الثلاثين أو أربعا وثلاثين أو إحدى وخمسين) ، وقال في باب شاخ والشيخ (من استبانت فيه السن أو من خمسين أو واحد وخمسين إلى آخر عمره ، وفي نقل قال علي عليه السلام في قوله تعالى ﴿ أرذل العمر ﴾ (١) أخس وأحقر فالشباب نهار مظلم يدعو إلى الغواية والشيب ليل مسفر يدني إلى الهداية فمن لم ينتفع بعد ضلالة الشباب بهداية المشيب لم تنفعه موعظة الواعظين فإن سفاه الشيخ لا حلم بعده وأن الفتى بعد السفاهة يحلم .

لعمرك ما خضبت مشيب رأسي   رجاء أن يدوم لي الشباب
ولكني خشيت يراد مني   عقول ذوي المشيب فلا يصاب

وقال ابن الرومي :

كفى بسراج الشيب في الرأس هاديا
إلى من أضلته الغواني لياليا

---

(١) النحل ٧٠

أمن بعد إبداء المشيب مقاتلي
لرامي المنايا تحسبيني ناجيا

غدا الدهر يرميني فتدنو سهامه
لشخصي أحلو أن يصيبن فؤاديا
وكان كرامي الليل يرمي ولا ير
ى فلما أضاء الشيب رأسي رمانيا

وبما ورد في ذم كثرة الكلام وترجيح السكوت على كثرة الكلام ما نقل أن أمير المؤمنين عليه السلام رأى رجلا يتكلم بما لا يعنيه فقال ((يا هذا إنما تملي على كاتبيك كتابا إلى ربك)) (١).

وعن الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال، قال رسول الله عليه صلى الله عليه وآله وسلم ((من عرف الله منع فاه من الكلام وبطنه عن الطعام وعنى نفسه بالصيام والقيام)) (٢) يريد عليه السلام عن فضول الكلام. ومما نسب إلى أمير المؤمنين عليه السلام

إن القليل من الكلام بأهله حسن وإن كثيره ممقوت
ما زل ذو صمت وما من مكثر إلا يزل ولا يعاب صموت
إن كان ينطق ناطق من فضة فالصمت در زانه الياقوت

وقال عليه السلام ((من عذب لسانه كثر إخوانه)) (٣)، وقال عليه السلام ((إن العبد الصامت عن اللغو والباطل تكتب له الجنة))، وقال عليه السلام ((أقل ثواب الصامت النجاة من الدنيا والآخرة))، وقال عليه السلام ((إن الله تعالى وجب محبتي لمن

(١) مجموعة ورام ج٢ ص٢١٢ (٢) التحصين ص ٢٦ (٣) الغرر والدرر ص٤٣٦

كثر صمته ولا يتكلم إلا فيما يعنيه من حمدي وثنائي أو من معروف أو عن منكر أو كلمة تهدي إلى الرشاد)) ، وقال صلى الله عله وآله ((من كان كلامه سكوت وسكوته تفكرا وتفكره اعتبارا فهو من أحباء الله وله أعلى منازل الأبرار)) ، وقال عليه السلام ((لا يزال العبد الوؤمن يكتب محسنا ما دام ساكتا فإذا تكلم كتب محسنا أو مسيئا)) (١) .

وقال يحيى بن خالد البرمكي (ما قعد أحد إلي إلا هبته فإذا تكلم فأما أن يزداد هيبة أو سقوطا) ، سمع سقراط رجلا يكثر الكلام ويقل السكوت فقال (يا هذا إن الله خلق لك أذنين ولسانا واحدا ليكون ما تسمعه ضعف ما تتكلم به) .

وعن النبي صلى الله عليه وآله ((من صمت نجا)) (٢) وقد قيل جماع الاسلام السكوت ورأس الأيمان السكوت وتاج المؤمن السكوت والنجاة من النار السكوت والعافية عشرة أجزاء تسعة في السكوت والعبادة عشرة أجزاء تسعة منها في السكوت .

واعلم أن الكلام إذا كان فيما يعنى فهو خير من السكوت وإنما يذم من الكلام كثرته والغالب أن كثير الكلام قل أن يخلو من هذر وكذب ، وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام ((لا خير في الصمت عن الحكم كما أن لا خير في القول بالجهل)) (٣) .

وقال عليه الصلاة والسلام ((لو سكت الجاهل ما اختلف الناس)) (٤) .

وعن الصادق عليه السلام أنه سئل عن الكلام والسكوت أيهما أفضل ، فقال عليه السلام ((لكل واحد منهما آفات فإذا سلما من الآفات فالكلام أفضل ، قيل : وكيف ذلك يا ابن رسول الله ،

---

(١) مشكاة الأنوار ص ١٧٣
(٢) شرح النهج ج ١٠ ص ١٣٦
(٣) شرح النهج ج ١٩ ص ٩
(٤) كشف الغمة ج ٢ ص ٣٤٩

قال : لأن الله عز وجل ما بعث الأنبياء والأوصياء بالسكوت إنما يبعثهم بالكلام ، ولا استحقت الجنة بالسكوت ، ولا استوجبت ولاية الله بالسكوت ولا توقيت النار بالسكوت ولا تجنب سخط الله بالسكوت إنما ذلك كله بالكلام وما كنت لأعدل القمر بالشمس إنك إنما تصف فضل السكوت بالكلام ولست تصف فضل الكلام بالسكوت)) (١) ، يريد عليه السلام أن نور حكمة السكوت مستمد من نور حكمة الكلام كاستمداد نور القمر من نور الشمس حيث نبه عليه بقوله (أنك إنما تصف فضل السكوت بالكلام) فالصمت نوم العقل والنطق يقظته ، وقوله (وبطنه عن الطعام) يريد عن فضول الطعام ، قال حكيم (إنما آكل لأعيش لا أعيش لآكل) يعني يأكل ما يقيم صلبه ليتمكن من القيام بما أمر به مما يوصله إلى الحياة السرمدية لا أنه يعيش ويطلب البقاء في الدنيا ليأكل ويملأ جوفه من فضلات الطعام المبعدة عن خدمة الله والمقربة من الموت الحقيقي وإياك وفضول الكلام فإنها تظهر من عيوبك ما بطن وتحرك من عدوك ما سكن ومن أفرط في كلامه زل ومن استخف بالرجال ذل ففضول الكلام مجلبة للهلاك وفضول الطعام مجلبة للسقام ، قال عليه السلام ((الكلام في وثاقك ما لم تتكلم به فإذا تكلمت به صرت في وثاقه فاخزن لسانك كما تخزن ذهبك وورقك فرب كلمة سلبت نعمة)) (٢) ، ونقل في بعض الآثار ((إن لسان ابن آدم يشرف كل يوم على جوارحه فيقول كيف أصبحتم فيقولون بخير إن تركتنا ويقولون الله الله فينا ويناشدونه ويقولون إنما نثاب ونعاقب بك)) (٣) .

وإياك وفضول الطعام فتلجمك بلجام الطغيان وتلبسك لباس شهوة الحيوان بعد أن كنت إنسانا بل أتعب نفسك بالصيام لتكسر شهواتها وتضعفها عن طلب الملاذ البدنية وبالقيام لتحملها

---

(١) الاحتجاج ص ٣١٥ (٢) شرح النهج ج١٩ ص ٣٢٢ (٣) الخصال ص ٦

على المعارف الالهية وتنكبها الجهالات النفسانية والرذائل الخلقية وتجنبها مخالطة الطعام من الأنام ومجالسة البطالين فتأنس بخطاب رب الأرباب وتتعشق القيام والخدمة لذلك الباب ، وقال بعض العلماء ((المؤمن يتزود والكافر يتمتع)) (١) ، وقال ((يا بن آدم عف عن محارم الله تكن عابدا وارض بما قسم الله لك تكن غنيا وأحسن جوار من جاورك تكن مسلما وصاحب الناس بما تحب أن يصاحبوك تكن منصفا إنه كان بين أيديكم أقوام يجمعون كثيرا ويبنون مشيدا ويأملون بعيدا أصبح جمعهم بورا ومساكنهم قبورا)) (٢) .

وعن الباقر عليه السلام قال ((أفضل العبادة عفة بطن وفرج)) (٣) ، وعن أبي عبدالله عليه السلام قال ((كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول ، أفضل العبادة العفاف)) ، وعن أبي عبدالله عليه السلام قال ((فيما ناجى الله تبارك تعالى به موسى عليه السلام يا موسى ما تقرب إلي المتقربون بمثل الورع عن محارمي فإني أمنحهم جنات عدني لا أشرك معهم أحدا)) (٤) .

وعنه عليه السلام قال ((من أشد ما فرض الله على خلقه ذكر الله كثيرا ، ثم قال : أما إني لا أعنى سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ، وإن كان منه ولكن ذكر الله عندما أحل وحرم فإن كان طاعة عمل بها وإن كان معصية تركها)) (٥) .

وسئل أبو عبدالله عليه السلام عن قول الله عز وجل ﴿ وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا ﴾ (٦) قال ((والله إن كانت أعمالهم أشد بياضا من القباطي ولكن كانوا

---

(١) إرشاد القلوب ص ١٨ (٢) مجموعة ورام ج ٢ ص٢١٦ (٣) المحاسن ص ٢٩٢
(٤) مشكاة الأنوار ص ٤٥ (٥) مشكاة الأنوار ص ٥٤ (٦) الفرقان ٢٣

إذا عرض لهم حرام لم يدعوه)) (١) ، يريد عليه السلام أن أعمالهم كانت حسنة الظاهر كالقبور المجصصة ظاهرها مليح وباطنها قبيح ، لهم في الظاهر ورع وجد واجتهاد وباطنهم خبيث شملهم الحرص والطمع فغاثوا في محارم الله واتخذوا العبادة وحسن الظاهر حبالة للدنيا فكشف الله عن سرائرهم وفضحهم برد أعمالهم ، كما أخبر عن المنافقين بقوله ﴿ وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراؤن الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا ﴾ مع أنهم كانوا كثيرا ما يصلون ويلازمون المساجد ويطيلون التهجد ولكن لا يقبل الله منهم عملا مع عدم خلوص النية وإصرارهم على المعاصي ، قال الصادق عليه السلام ((لا والله لا يقبل الله شيئا من طاعته على الإصرار على شيء من معاصيه)) (٢) .

وعن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عز وجل ﴿ ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون ﴾ (٣) ، قال ((الإصرار أن يذنب الذنب فلا يستغفر الله ولا يحدث نفسه بالتوبة فذلك الإصرار)) (٤) .

وعن الصادق عليه السلام قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله ((من ترك معصية لله مخافة الله أرضاه الله عز وجل يوم القيامة)) (٥) .

وأما من أكثر الذكر بجوارحه غير عاقد عليه قلبه فليس بشيء ولا يترتب عليه ثواب ، فعن الصادق عليه السلام قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله ((من قال سبحان الله غرس الله بها شجرة في الجنة ، ومن قال الحمد لله غرس الله له بها شجرة في الجنة ، ومن قال لا إله إلا الله غرس الله له بها شجرة في الجنة ، ومن قال الله أكبر لله غرس الله له بها شجرة في الجنة ،

---

(١) الكافي ج ٢ ص ٨١ (٢) الكافي ج ٢ ص ٢٨٨ (٣) آل عمران ١٣٥

(تفسير العياشي ج١ ص١٩٨ (٥) مجموعة ورام ج٢ ص١٨٧

فقال رجل من قريش (وهو أبو بكر)، يا رسول الله إن شجرنا في الجنة لكثير قال نعم ولكن إياكم أن ترسلوا عليها نيرانا فتحرقوها، وذلك أن الله عز وجل يقول ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم ﴾(١)))(٢)، فبين صلى الله عليه وآله أن كل عمل لا يكون موافقا لما أمر الله به وجهه الكريم فهو هباء وليس له حقيقة وأشار بأن مخالفة الله ورسوله مبطلة للأعمال إذ روح العمل ولاية الله وولاية رسوله وأهل بيته ومحبتهم وما ليس كذلك فهو جسد ميت لا روح فيه، قال سبحانه ﴿والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ﴾(٣)، وقال سبحانه وتعالى ﴿ وضرب الله مثلا كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار ﴾(٤)، وأما أعمال الجوارح إذا كانت مطابقة لأمر الله مقترنة بولاية من والى الله ورسوله وآل رسوله فهي ثابتة كما قال سبحانه وتعالى ﴿ وضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ﴾(٥)، وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال ((خرج سليمان بن داود عليهما السلام من بيت المقدس ومعه ثلاثمائة ألف كرسي عن يمينه عليها الإنس وثلاثمائة ألف كرسي عن يساره وعليها الجن وأمر الطير فاظلتهم وأمر الريح فحملتهم حتى ورد إيوان كسرى في المدائن ثم رجع فبات واضطجع ثم عاد فانتهى إلى مدينة تركاوان (بركاوان) ثم أمر الريح فحملتهم حتى كادت أقدامهم يصيبها الماء وسليمان عليه السلام على عمود منها، فقال بعضهم لبعض هل رأيتم ملكا أعظم من هذا وسمعتم به، فقالوا ما رأينا ولا سمعنا بمثله فنادى ملك من السماء ثواب تسبيحة واحدة في الله أعظم مما رأيتم))(٦)

---

(١) محمد ٣٣ (٢) أمالي الصدوق ص ٦٠٧ (٣) النور ٣٩
(٤) إبراهيم ٢٦ (٥) إبراهيم ٢٤ (٦) تفسير القمي ج٢ ص٢٣٨

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال أمير المؤمنين عليه السلام ((التسبيح يملأ نصف الميزان ، والحمد يملأ الميزان ، والله اكبر يملأ ما بين السماوات والأرض)) (١) ، فكانت الجوارح مكلفة مثابة معاقبة كالنفس وإن كان ثواب النفس وعقابها أشد وأبقى فإذا عملت الجوارح وطابقتهما النفس بالمعرفة والاعتقاد ثبت العمل واستحقت الجزاء الدائم إما ثوابا وإما عقابا فبالجملة عمل النفس هو الذي عليه مدار البقاء ففي تكليف الجوارح ما ورد عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث قال ((لأن الله تبارك وتعالى فرض الايمان على جوارح ابن آدم و قسمه عليها وفرقه فيها فليس من جوارحه جارحة إلا وقد وكلت من الايمان بغير ما وكلت به أختها)) إلى أن قال ((فأما ما فرض على القلب من الأيمان فالإقرار و المعرفة و العقد والرضا والتسليم بأن الله تبارك وتعالى هو الواحد لا إله إلا هو فأقر به وحده لا شريك له)) ، إلى أن قال ((وفرض الله على اللسان العقل والتعبير عن القلب ما عقد عليه وأقربه قال تبارك وتعالى ﴿ وقولوا للناس حسنا ﴾ (٢) وقال ﴿ قولوا آمنا بالله ﴾ (٣) إلى أن قال ((وفرض على السمع الإصغاء إلى ما أمر الله به وأن يتنزه عن الاستماع إلى ما حرم الله وما لا يحل مما نهى الله عنه والإصغاء إلى ما أسخط الله)) إلى أن قال ((وفرض على البصر أن لا ينظر إلى ما حرم الله عليه وأن يغض عما نهى الله عنه مما لا يحل له وهو عمله)) ، إلى أن قال ((وفرض على اليدين أن لا يبطش بهما إلى ما حرم الله عز وجل وأن يبطش بهما إلى ما أمر الله وفرض عليهما من الصدقة وصلة الرحم والجهاد في سبيل الله والطهر للصلوات)) ، إلى أن قال ((وفرض على الرجلين المشي إلى طاعة الله ولا يمشي إلى شيء من معاصي الله)) ، إلى أن قال ((وفرض على الوجه السجود

---

(١) عدة الداعي ص ٢٦٢ (٢) البقرة ٨٣ (٣) البقرة ١٣٦

بالليل والنهار في مواقيت الصلاة)) (١) .

وقال عليه السلام ((من بكى من خشية الله عز وجل يعطي بكل قطرة تنزل من عينه ألف حسنة ومحا عنه ألف سيئة)) .

وقال عليه السلام ((إن تفكر ساعة والبكاء فيها من خشية الله تعالى تعادل عبادة سنة)) .

وقال عليه السلام ((كل عين باكية يوم القيامة ثلاث أعين ، عين بكت من خشية الله ، وعين غضت عن محارم الله ، وعين باتت ساهرة في سبيل الله عز وجل)) (٢) .

وقال الله تبارك وتعالى ﴿ إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم ﴾ (٣) ، فأبان سبحانه أن الصغائر قد تكفر إذا لم يصر العبد عليها ، وورد إن الصغائر تكفرها الصلاة على النبي وآله صلى الله عليه وآله ، وأما الكبائر فلا تكفرها إلا التوبة والندم وأداء الحقوق ، والكبائر مختلفة وأجمع ما ذكر في الأخبار مع الاختصار ، قول سيد الوصيين عليه السلام ((ذنوب الكبائر ثمانية عشر ، أربعة بالقلب الشرك بالله والإصرار على المعصية والأمن من مكر الله والقنوط من رحمة الله ، وأربعة باللسان الغيبة والسحر وقذف المحصن وشهادة الزور ، وثلاثة بالبطن شرب الخمر وأكل مال اليتيم وأكل مال الربا ، واثنان بالعين النظر للمرأة الأجنبية بالشهوة ونظر الحقارة بالرجل ، وواحدة بجميع البدن عقوق الوالدين ، وواحدة بالرجل الفرار من الزحف ، واثنتان باليد القتل والسرقة ، وواحدة بالفرج)) .

واعلم أن شروط التوبة ما ذكرها عليه السلام ، قال ((اعلم أن التوبة ستة شرائط ، الأول الندامة على الذنوب الماضية ، الثاني قضاء الفرائض ، الثالث رد المظالم إلى صاحبها ، الرابع إذابة النفس في الطاعة كما رباها في المعصية ، الخامس إذاقة النفس مرارة

---

(١) دعائم الإسلام ج١ ص٨٦ (٢) الخصال ٩٨ (٣) النساء ٣١

الطاعة كما أذاقها حلاوة المعصية ، والسادس التبكية خوفا من الله بدل ما ضحك)) ، فنسبه المرارة إلى الطاعة ، والحلاوة إلى المعصية إنما هو للنفس الأمارة بالملاءمة وعدمها إذ كل ما يلائم شيئا ففيه كمال لذته وحلاوته وما ينافره ففيه كمال الألم والمرارة فكما أن للنفس حلاوة بملاءمة المعصية لها مرارة بمنافرة الطاعة بخلاف العقل فإن لذته الطاعة وحيث كانت النفس ناقصة ومنها يكون مبدأ الترقي للكمالات لنقصها كانت مناط التكليف بالطاعة في هذه النشأة ، وأما العقل فهو ذو الكمال في رتبته فلا يشوبه نقص فيها وإليه مرجع كل ناقص دونه فيحكم به على غيره ولا يحكم بغيره عليه فلا تقع منه المعصية ، فافهم .

والاستغفار يكون توبة إن اقترن بالندم وإلا فالمستغفر الغير النادم مستهزئ بالله كما دلت عليه الأخبار وصحيح الاعتبار ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله ((ما من عبد أذنب ذنبا فقام فتوضأ وصلى واستغفر الله من ذنبه إلا كان حقيقا على الله أن يغفر له لأنه يقول ﴿ ومن يعمل سوء أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما ﴾ (١))) (٢) ، وقال صلى الله عليه وآله ((أول ثلاثة يدخلون الجنة ، الشهيد ، وعبد مملوك لم يشغله رق الدنيا عن طاعة ربه ، وفقير مستعفف ، وأول ثلاثة يدخلون النار ، أمير متسلط ، وذو ثروة من مال لا يؤدي حق الله ، وفقير فخور)) (٣) .

وقال صلى الله عليه وآله ((إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم)) (٤) .

وعن أبي جعفر عليه السلام قال ((والله لا ينجو من

---

(١) النساء ١١٠
(٢) مجموعة ورام ج ٢ ص ٢٢٣
(٣) مجموعة ورام ج ٢ ص ٢٢٧
(٤) شرح النهج ج ٢ ص ١٨١

الذنب إلا من قر به)) (١) ، ومراده عليه السلام بالإقرار الاعتراف به والتوبة منه بحيث لا يصر عليه لا المراد بالإقرار به ذكره وإظهاره للناس وعدم المبالاة به فإن هذا هو الاستخفاف الموجب لعدم التوبة ، وهذا حقيقة المبارزة لله بالمعاصي وذلك أول درجة القنوط من رحمة الله ، وعنه عليه السلام ((كفى بالندم توبة)) (٢) .

وعنه عليه السلام ((لا والله ما أراد الله من الناس إلا خصلتين أن يقروا له بالنعم فيزيدهم ، وبالذنوب فيغفرها لهم)) (٣) .

وعن الرضا عليه السلام قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله ((المستتر بالحسنة تعدل سبعين حسنة والمذيع بالسيئة مخذول والمستتر بها مغفور)) (٤) ، يريد المتهتك المتبذخ بالمعصية بحيث يراها فخرا له أو لا يبالي بها ، وقد ورد أن العبد إذا بلغ إلى هذه الرتبة أخذ في بغض أهل البيت .

وفي الخصال خصلة من الذنوب لا تغفر ، عن أبي جعفر عليه السلام قال ((من الذنوب التى لا تغفر قول الرجل يا ليتني لا أؤاخذ إلا بهذا)) (٥) ، يريد عليه السلام أن الاستخفاف بالمعصية وإن صغرت ، استخفاف بالله عز وجل ، قال عليه السلام ((لا تستصغروا شيئا من طاعة الله فربما يكون فيه رضاه والجنة ، ولا تستصغروا شيئا من معصية الله فربما يكون فيه سخطه والنار)) ، فالاستخفاف من أعظم الكبائر .

وعن زيد الشحام قال الصادق عليه السلام ((اتقوا المحقرات من الذنوب التى لا تغفر ، قال : قلت وما المحقرات من الذنوب ؟ ، قال : الرجل يذنب فيقول طوبى لي لو لم يكن غير ذلك)) (٦) ، وفي حديث عن أبي جعفر عليه السلام في معنى المحقرات قال ((يقول أحدكم أذنب واستغفر يعني يستصغره ويقول

---

(١) مجموعة ورام ج ١ ص ١٨ (٢) الخصال ص ١٦ (٣) مشكاة الأنوار ص ١١٠
(٤) ثواب الأعمال ص ١٧٩ (٥) الخصال ص ٢٤ (٦) مشكاة الأنوار ص ١٥٥

الاستغفار يكفره)) .

وأما الذنوب الموبقات ، فروي عن زين العابدين عليه السلام ((الذنوب التي تغير النعم البغي على الناس والزوال عن العادة في الخير ، واصطناع المعروف ، وكفران النعم ، وترك الشكر قال الله عز وجل ﴿ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ (١) ، والذنوب التي تورث الندم ، قتل النفس التي حرم الله ، قال الله تعالى ﴿ ولا تقتلوا النفس التي حرم الله ﴾ (٢) ، وقال عز وجل في قصة قابيل حين قتل أخاه هابيل فعجز عن دفنه ﴿ فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين ﴾ (٣) ، وترك صلة القرابة حتى يستغنوا ، وترك الصلاة حتى يخرج وقتها ، وترك الوصية ورد المظالم ، ومنع الزكاة حتى يحضر الموت وينغلق اللسان ، والذنوب التي تنزل النقم عصيان العارف بالبغي ، والتطاول على الناس والاستهزاء بهم والسخرية منهم ، والذنوب التي تدفع القسم إظهار الافتقار ، والنوم عن العتمة وعن صلاة الغداة ، واستحقار النعم ، وشكوى المعبود عز وجل ، والذنوب التي تهتك العصم شرب الخمر ، واللعب بالقمار ، وتعاطي ما يضحك الناس من اللغو والمزاح ، وذكر عيوب الناس ، ومجالسة أهل الريب ، والذنوب التي تنزل البلاء ترك إغاثة الملهوف ، وترك معاونة المظلوم ، وتضييع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والذنوب التي تديل الأعداء المجاهرة بالظلم ، وإعلان الفجور ، وإباحة المحظور ، وعصيان الأخيار ، والانطباع للأشرار ، والذنوب التي تعجل الفناء قطيعة الرحم ، واليمين الفاجرة ، والأقوال الكاذبة ، والزنا ، وسد طرق المسلمين ، وادعاء الإمامة بغير حق ، والذنوب التي تقطع الرجاء اليأس من روح الله ، والقنوط من رحمة الله ، والثقة بغير الله ، والتكذيب بوعد الله عز وجل ، والذنوب التي تظلم الهواء السحر ، والكهانة والايمان بالنجوم ، والتكذيب بالقدر

---

(١) الرعد ١١ (٢) الأنعام ١٥١ (٣) المائدة ٣٠

وعقوق الوالدين ، والذنوب التي تكشف الغطاء الاستدانة بغير نية الأداء ، والإسراف في النفقة على الباطل ، والبخل على الأهل والولد وذوي الأرحام ، وسوء الخلق ، وقلة الصبر ، واستعمال الضجر والكسل ، والاستهانة بأهل الدين ، والذنوب التي ترد الدعاء سوء النية ، وخبث السريرة ، والنفاق مع الإخوان ، وترك التصديق بالإجابة ، وتأخير الصلوات المفروضات حتى تذهب أوقاتها ، وترك التقرب إلى الله عز وجل بالبر والصدقة ، واستعمال البذاء والفحش في القول ، والذنوب التي تحبس قطر السماء جور الحكام بالقضاء ، وشهادة الزور ، وكتمان الشهادة ، ومنع الزكاة والقرض والماعون ، وقساوة القلوب على أهل الفقر والفاقة ، وظلم اليتيم والأرملة ، وانتهار السائل ورده بالليل)) (١) .

وعن الباقر عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله ((من صام شعبان كان له طهرا من كل زلة ووصمة وبادرة ، قال أبو حمزة : فقلت لأبي جعفر : وما الوصمة ؟ ، قال اليمين في المعصية والنذر في المعصية ، قلت : فما البادرة ؟، قال اليمين عند الغضب والتوبة منها الندم عليها)) (٢) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله ((إن الله ليبتلي العبد وهو يحبه ليستمع تضرعه)) (٣) ، وقال ((ما كان ليفتح باب البتة ويغلق باب المغفرة لأنه تعالى يقول ﴿ وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ﴾ (٤))) (٥) .

وقال عليه السلام ((أربع من كن فيه أمن يوم الفزع الأكبر إذا أعطي شيئا قال الحمد لله رب العالمين ، وإذا أذنب ذنبا

---

(١) معاني الأخبار ص ٢٧٠ – ٢٧١
(٢) معاني الأخبار ص ٢٦٩
(٣) (٥) مجموعة ورام ج ٢ ص ٢٣٧
(٤) الشورى ٢٥

قال أستغفر الله ، وإذا أصابته مصيبة قال إنا لله و إنا إليه راجعون ، وإذا كانت له حاجة سأل ربه ، وإذا خاف شيئا لجأ إلى ربه)) (١) .

وقال صلى الله عليه وآله ((ألا أدلكم على أكسل الناس وأسرق الناس وأبخل الناس وأجفى الناس وأعجز الناس ، قالوا بلى يا رسول الله ، قال أما أبخل الناس فرجل يمر بمسلم فلا يسلم عليه ، وأما أكسل الناس فعبد صحيح فارغ لا يذكر الله بشفة ولا بلسان ، وأما أسرق الناس فالذي يسرق من صلاته تلف كما يلف الثوب الخلق فيضرب بها وجهه ، وأما أجفى الناس فرجل ذكرت بين يديه فلم يصل علي ، وأما أعجز الناس من عجز عن الدعاء)) (٢) .

وقال صلى الله عليه وآله ((أفضل العبادة الدعاء فإذا أذن الله للعبد في الدعاء فتح له باب الرحمة إنه لن يهلك مع الدعاء أحد ، قال الله تعالى ﴿ قل ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم ﴾ (٣))) (٤) ، يريد أن الدعاء يستلزم العبودية والانقياد إلى الله ولو في حال خاص كما يكون من المشركين في حال الشدائد ، قال سبحانه ﴿ فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين ، فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون ﴾ (٥) ، فالتذلل والانقياد موجبان للنجاة حالتهما ، كما قال سبحانه ﴿ وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان معذبهم وهم يستغفرون ﴾ (٦) ، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله ((ألا أدلكم على سلاح ينجيكم من أعدائكم ويدر أرزاقكم ، قالوا بلى ، قال تدعون ربكم بالليل والنهار فإن سلاح المؤمن الدعاء)) (٧) .

وقال أمير المؤمنين عليه السلام ((الدعاء ترس المؤمن ومتى تكثر قرع الباب يفتح لك)) (٨) ، وقال الصادق عليه السلام

---

(١) (٢) (٤) مجموعة ورام ج ٢ ص ٢٣٧ (٣) الفرقان ٧٧ (٥) العنكبوت ٦٥

(٦) الأنفال ٣٣ (٧) المصباح ص ٧٦٩ (٨) عدة الداعي ص١٦

((الدعاء أنفذ من السلاح الحديد)) (١) ، وقال الكاظم عليه السلام ((عليكم بالدعاء فإن الدعاء والطلب إلى الله تعالى يرد البلاء وقد قدر وقضى فلم يبق إلا إمضاؤه فإنه إذا دعا الله وسأله صرف البلاء صرفه)) (٢) ، وعن زرارة عن الباقر عليه السلام قال ((ألا أدلكم على شيء لم يستثن فيه النبي صلى الله عليه وآله ، قلت : بلى ، قال الدعاء يرد القضاء وقد أبرم إبراما وضم أصابعه)) (٣) ، وعن سيد العابدين عليه السلام ((إن الدعاء والبلاء ليتوافقان إلى يوم القيامة ، وإن الدعاء ليرد البلاء وقد أبرم إبراما)) (٤) ويعني بالتوافق التعارض فلا يزالان متوافقين أبدا كلما عمل الإنسان معصية كانت موجبة لنزول البلاء فإذا نزل أو قارب النزول عارضه الدعاء فرده فيكون الدعاء مانعا للنزول لأنه أقوى من السبب المقتضي للنزول فالبلاء واقف متردد بين الورود والصدور المقتضي يورده دائما والمانع يصدره أبدا دائما ، فالبلاء حيران دائما بين الذنب والدعاء ، وقال عليه السلام ((الدعاء يدفع البلاء النازل)) (٥) .

وروي أن أحدهم قال للصادق عليه السلام ((آيتين في كتاب الله أطلبهما ولا أجدهما ، قال ما هما ، قلت قول الله ﴿ ادعوني أستجب لكم ﴾ (٦) فندعوه فلا نرى إجابة ، قال أفترى الله أخلف وعده ؟ قلت : لا ، قال : فمم ذلك ؟ قلت : لا أدري ، فقال : ولكني أخبرك ، من أطاع الله فيما أمره ثم دعاه من جهة الدعاء أجابه ، قلت : وما جهة الدعاء ؟ قال : تبدأ فتحمد الله وتذكر نعمه عندك ثم تشكره ثم تصلي على النبي صلى الله عليه وآله ثم تذكر ذنوبك فتقر بها ثم تستغفر الله منها فهذا جهة الدعاء ، قال : وما الآية الأخرى ؟ قلت : قول الله عز وجل ﴿ وما أنفقتم من

---

(١) عدة الداعي ص ١٧ (٢) مكارم الأخلاق ص ٢٧٠ (٣) (٤) (٥) عدة الداعي ص ١٧
(٦) غافر ٦٠

شيء فهو يخلفه ﴾ (١) وإني أنفق ولا أرى خلفا ، قال : أفترى الله أخلف وعده ؟ قلت : لا ، قال فمم ذلك ؟ قلت : لا أدري ، قال : لو أحدكم اكتسب المال من حله وانفقه في حقه لم ينفق رجل درهما إلا أخلف الله عليه)) (٢) .

وجاء رجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال ((إني دعوت الله فلم أر الاجابة ، فقال لقد وصفت الله بغير صفاته إن للدعاء أربع خصال ، إخلاص السريرة وإحضار النية ومعرفة الوسيلة والانصاف في المسألة ، فهل دعوت وأنت عارف بهذه الأربعة ؟ ، قال : لا ، قال : فاعرفهن)) (٣) .

وفيما وعظ الله به عيسى عليه السلام ((يا عيسى أذل لي قلبك وأكثر ذكري في الخلوات)) (٤) .

وروي أن دعاء المؤمن يضاف إلى عمله ويثاب عليه في الآخرة كما يثاب على عمله يريد أنه إذا فاتته الاجابة في الدنيا ادخرت له في الآخرة فلا يذهب دعاء المؤمن هباء كما لا يذهب عمله وهذا في الحقيقة إجابة مؤجلة لما هو أنفع ، وقال صلى الله عليه وآله ((ترك الدعاء معصية)) (٥) وقال عليه السلام ((من لم يدع الله يغضب عليه)) وقال عليه السلام ((الدعاء سلاح المؤمن)) (٦) .

وقال عليه السلام ((خير الذكر الخفي)) يريد الذكر الذي يجهر به كالمتضجر المعاتب لمولاه ، والدعاء يحتاج إلى الاقبال على المدعو والعزيمة في المقصد والتوجه كما في دعاء المغيث ((وإنك لا تحتجب عن عبادك إلا تحجبهم الآمال دونك وقد علمت أن أفضل زاد الراحل إليك عزم إرادة يختارك بها وقد ناجاك بعزم الارادة قلبي)) ، وهذه هي العلة في كون الدعاء أفضل من الصلاة وقراءة القرآن ، وذلك أن الداعي السائل لربه يقبل

---

(١) سبأ ٣٩ (٢) إرشاد القلوب ص ١٥٢ (٣) مجموعة ورام ج ١ ص ٣٠٢
(٤) عدة الداعي ص ٣٠ (٥) مجموعة ورام ج ٢ ص ١١٩ (٦) عيون الأخبار ج ١ ص ٣٧

عليه لحاجته إليه فلا تكون له جهة أخرى ولا مطمح نظر إلى غير جهة حاجته من مدعوه بخلاف قارئ القرآن والمصلي ، والصلاة أفضل من قراءة القرآن لاشتمالها على الدعاء ، وسئل الصادق عليه السلام ((رجلان افتتحا الصلاة في ساعة واحدة فتلا هذا من القرآن فكانت تلاوته أكثر من دعائه ، ودعا هذا فكان دعاءه أكثر من تلاوته ثم انصرفا في ساعة واحدة ، أيهما أفضل ؟ قال : كل فيه فضل كل حسن ، قلت : قد علمت أن كلا حسن وأن كلا فيه فضل ، فقال : الدعاء أفضل أما سمعت قول الله عز وجل ﴿ وقال ربكم ادعوني استجب لكم ، إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين ﴾ (١) ، هي والله العبادة هي والله أفضل هي والله أفضل ، أليست هي العبادة ؟ هي والله العبادة هي والله العبادة ، أليست هي أشدهن ؟ هي والله أشدهن هي والله أشدهن)) (٢) ، وسأله عليه السلام زرارة عن رجلين قام أحدهما يصلي حتى أصبح والآخر جالس يدعو ، أيهما أفضل ؟ قال ((الدعاء أفضل)) والسر فيه ما ذكره عليه السلام لأن الدعاء يكون حالة الإقبال ولا كذلك الصلاة والقراءة فالإلحاح في الدعاء هي علامة الاحتياج إليه وعدم الاستناد إلى غيره وذلك أفضل العبادة ، ولذلك ورد النهي عن سؤال الخلق لأنه انقطاع عن الخالق واعتماد على المخلوقين ، قال عليه السلام ((إن الله يبغض السائل اللحوح)) يعني على الخلق فإن من اعتمد عليهم نسي الله ولم يعبده حق عبادته إذ حق العبادة الاحتياج إلى الله والسؤال منه ، وقال صلى الله عليه وآله ((من رضي من الله بالقليل من الرزق رضي الله منه بالقليل من العمل)) (٣) . .

---

(١) غافر ٦٠ (٢) عدة الداعي ٤١ – ٤٢ (٣) مجموعة ورام ج ١ ص ٢٣٠

وعن السكوني عن أبي عبدالله عليه السلام قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله ((إن الرجل الأعجمي من أمتي ليقرأ القرآن بعجميته فترفعه الملائكة على عربيته)) (١) .

وعن جنان بن سدير قال ، قلت لأبي جعفر عليه السلام أي العبادة أفضل فقال (ما من شيء أحب إلى الله عز وجل من أن يسأل ويطلب مما عنده)) (٢) .

وقال أمير المؤمنين عليه السلام ((أحب الأعمال إلى الله عز وجل في الأرض الدعاء وأفضل العبادة العفاف)) (٣) .

وعن أبي عبدالله عليه السلام قال ((الدعاء كهف الإجابة كما أن السحاب كهف المطر)) (٤) .

وعن الصادق عليه السلام يقول ((سيد الأعمال ثلاثة إنصاف الناس من نفسك حتى لا ترضى بشيء إلا رضيت لهم مثله ، ومواساتك الأخ في المال ، وذكر الله على كل حال ليس سبحان والحمد لله ولا إله إلا الله فقط ، ولكن إذا ورد عليك شيء أمر الله عز وجل به أخذت به وإذا ورد عليك شيء نهى الله عز وجل عنه تركته)) (٥) .

وقال الأعرابي لأمير المؤمنين عليه السلام أوصني ، فقال ((توق ما تعيب)) .

وعن النبي صلى الله عليه وآله ((يا عباد الله أنتم كالمرضى ورب العالمين كالطبيب ، فصلاح المرضى فيما يعلمه الطبيب وتدبيره به لا فيما يشتهيه المريض ويقترحه ألا فسلموا الله أمره تكونوا من الفائزين)) (٦) .

---

(١) عدة الداعي ص ٢٦ (٢) مكارم الأخلاق ص ٢٦٨ (٣) مكارم الأخلاق ص ٢٦٩ (٤) عدة الداعي ص ٤٠ (٥) البحار ج ٧٥ ص ٣١ (٦) مجموعة ورام ج٢ ص١١٧

وعن أبي بصير قال ((سألت أبا عبدالله عليه السلام عن حد العبادة التي من فعلها فاعلها كان عابدا ، فقال : حسن النية بالطاعة)) (١) .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله ((ما أقبح الفقر بعد الغنى وأقبح الخطيئة بعد المسكنة ، وأقبح من ذلك العابد لله ثم يدع عبادته)) (٢) .

وعن أبي جعفر عليه السلام أنه كان يقول ((نية المؤمن أفضل من عمله وذلك لأنه ينوي من الخير ما لا يدركه ونية الكافر شر من عمله وذلك لأن الكافر ينوي من الشر ويأمل من الشر ما لا يدركه)) (٣) ، فأبان عليه السلام أن النية إنما كانت أفضل من عمل المؤمن وشرا من عمل الكافر ، لأن عمل المؤمن البدني ، وعمل الكافر البدني منقطع ، والثواب الدائم والعقاب الدائم مترتبان على النية لأنها روح العمل فيكون العمل البدني كالجسم للروح والصورة للمادة واللفظ للمعنى ولا ريب أن الجسم الحقيقي الأصلي خلق من فاضل روحه فهو تنزل الروح وظاهرها فالروح أصله وخلاصته فتكون النية خيرا منه إن كان حسنا وشرا منه إن كان قبيحا لأنها كالثمرة من الشجرة وكالروح للجسم في النسبة بينهما ، قال الصادق عليه السلام ((إنما خلد أهل النار في النار لأن نياتهم كانت في الدنيا لو خلدوا فيها أن يعصوا الله أبدا ، وإنما خلد أهل الجنة في الجنة لأن نياتهم كانت في الدنيا لو بقوا فيها أن يطيعوا الله أبدا فالنيات تخلد هؤلاء وهؤلاء ثم تلا قوله تعالى ﴿ قل كل يعمل على شاكلته ﴾ (٤) قال على نيته)) (٥) ، وفي العلل والمحاسن كما في الكافي يريد بشاكلته ما يشاكله لأن الظاهر عنوان الباطن وصورته ، والصورة تشاكل مادتها وإلا لما

---

(١) مشكاة الأنوار ص ١١١ (٢) مجموعة ورام ج٢ ص١٨٧ (٣) علل الشرايع ص٥٢٤
(٣) الإسراء ٨٤ (٥) علل الشرايع ص ٥٢٣

اختصت بها دون غيرها فكل شيء ظاهره طبق باطنه فيستدل على الغائب بالحاضر ، قال الرضا عليه السلام ((قد علم أولوا الألباب أن ما هنالك لا يعرف إلا بما هاهنا)) فظهر من هذا أن المتناهي زمان العمل لا ثوابه وعقابه المناطان به من حيث العزم على البقاء عليه ، ولأجل ذلك ورد أن المريض يكتب له مرضه ما كان يعمله في صحته من خير وشر فافهم .

وقال صلى الله عليه وآله لكعب بن عجزة ((لا يدخل الجنة من نبت لحمه من السحت ، النار أولى به)) (١) ، وقال عليه السلام ((إن الله حرم الجنة أن يدخلها جسد غذي بحرام)) (٢) .

ومن الملحقات ما قيل ((فوت الوقت أشد وأصعب من فوت الروح لأن فوت الروح انقطاع عن الخلق وفوت الوقت انقطاع عن الحق)) .

وعن الصادق عليه السلام قال ((أخذ الله ميثاق المؤمن على أن لا يقبل قوله ولا يصدق حديثه ولا ينتصف من عدوه ولا يشفى غيظه إلا بفضيحة نفسه لأن كل مؤمن ملجم)) (٣) .

وفي الخبر أن العبد إذا فعل الخير في جوف بيته أرسل الله ملكا إلى الأرض بصورة رجل يخبر الناس عن حاله ويقول إن فلانا يعمل كذا وكذا من الخير ، وإذا عمل ذنبا في جوف بيته ستره الله ثلاثا فإذا عاد إلى الفعل أرسل الله ملكا إلى الأرض بصورة رجل فيخبر الناس بما يصنع ذلك الرجل في جوف بيته .

وعن الصادق عليه السلام ((مودة يوم صلة ومودة شهر قرابة ومودة سنة رحم ماسه)) ، وقيل : القرابة تحتاج إلى المودة والمودة لا تحتاج إلى القرابة ، وقيل لحكيم ، أيهما أحب إليك أخوك أم صديقك ؟ فقال إنما أحب أخي إذا كان صديقي .

وقال عليه السلام ((الصديق نسيب الروح والأخ نسيب

---

(١) (٢) مجموعة ورام ج ١ ص ٦١ (٢) علل الشرايع ص ٦٠٥

الجسم)) (١) .

وقال عليه السلام ((لا يكون الصديق صديقا حتى يحفظ أخاه في ثلاث في نكبته وغيبته ووفاته)) (٢) .

وقال عليه السلام ((أعم الأشياء نفعا موت الأشرار)) (٣) .

وقال أمير المؤمنين عليه السلام ((ينبئ عن كل أمر دخيلته كل مودة عقدها الطمع حلها اليأس)) (٤) .

وقال صلى الله عليه وآله ((ملعون ملعون من ضيع من يعول)) .

وقال أمير المؤمنين عليه السلام ((اتجروا بارك الله لكم فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول إن الرزق عشرة أجزاء تسعة في التجارة وواحدة في غيرها)) (٥) .

وعنهم عليهم السلام ((من لم يعط قاعدا حرم قائما)) (٦) ، يريد أن الذي لا يرزقه الله تعالى حال إجماله في الطلب لا يرزقه حال كده وكدحه وهو كناية عن عدم جواز طلب الرزق من غير حله والسعي له فوق الطاقة .

وقال الصادق عليه السلام ((استنزلوا الرزق بالصدقة)) (٧) .

وقال عليه السلام ((الصدقة تقضي الدين وتخلف بالبركة)) (٨) .

وقال عليه السلام ((إذا أملقتم فتاجروا الله بالصدقة)) (٩) .

وقال الباقر عليه السلام ((إن الصدقة لتدفع سبعين بلية من البلايا بلايا الدنيا مع ميتة السوء إن صاحبها لا يموت ميتة السوء أبدا)) (١٠) .

---

(١) شرح النهج ج٢٠ ص٣٠٠ (٢) شرح النهج ج١٨ ص ٣٣٠ (٣) شرح النهج ج١٨ ص٣٣١
(٤) مجموعة ورام ج١ ص٧٢ (٥) عدة الداعي ص٨٢ (٦) شرح النهج ج١٧ ص١١٨
(٧) الخصال ص ٦٢١ (٨) (١٠) عدة الداعي ص ٦٩ (٩) شرح النهج ج١٩ ص١٠١

وفي خبر عن أبي عبد الله عليه السلام ((إن لكل شيء مفتاحا ومفتاح الرزق الصدقة)) (١).

وعنه عليه السلام ((من تصدق بصدقة ثم ردت عليه فليعدها ولا يأكلها لأنه لا شريك في شيء مما جعل له إنما هي بمنزلة العتاقة لا يصلح له ردها بعدما تعتق)) (٢)، يريد عليه السلام بقوله لا شريك له فيما جعل له أنه لا شريك لله فيما أريد به وجهه.

وعنه عليه السلام في الرجل يخرج بالصدقة يريد أن يعطيها السائل فيجده قد ذهب قال فليعطها غيره و لا يردها في ماله)) (٣) هذا في صدقه المال.

وأما صدقة الجاه فمنه ما روى عن النبى صلى الله عليه وآله قال ((أفضل الصدقة صدقة اللسان، قيل: يا رسول الله وما صدقة اللسان؟ قال: الشفاعة تفك بها الأسير وتحقن بها الدم وتجر بها المعروف إلى أخيك وتدفع بها الكريهة)) (٤)، وقد قال الله تعالى ﴿لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس لله﴾ (٥).

وأما صدقة العقل والرأي فقال صلى الله عليه وآله ((تصدقوا على أخيكم بعلم يرشده ورأي يسدده)) (٦).

وأما صدقة العلم فهي بذله لأهله ونشره، فعن النبى صلى الله عليه وآله ((من الصدقة أن يتعلم الرجل العلم علويمه الناس)) (٧)، وقال ((زكاة العلم تعليمه من لا يعلمه)) (٨)، وقال الصادق عليه السلام ((لكل شيء زكاة وزكاة العلم أن تعلمه أهله)) (٩).

في مفاتيح العرفان عن أئمة الهدى عليهم السلام ((لولا

---

(١) عدة الداعي ص ٦٩ (٢) المحاسن ٢٥٢ (٣) عدة الداعي ص ٧١
(٤) غوالي اللآلي ج٢ ص٣٧٦ (٥) النساء ١١٤ (٦) (٧) (٨) (٩) عدة الداعي ص ٧٢

أنكم تذنبون فتستغفرون لخلق الله خلقا حتى يذنبوا ويستغفروا الله فيغفر لهم)) (١) .

وقال الصادق عليه السلام (ما من عبد أحبنا وزاد في حبنا وأخلص في معرفتنا وسأل مسألة إلا نفثنا في روعه جوابا لتلك المسألة)) .

وفي التقية قال الصادق عليه السلام ((ليس احتمال أمرنا بالتصديق به والقبول له فقط إن احتمال أمرنا ستره وصيانته عن غير أهله فاقرأهم السلام ، وقل لهم يقول رحم الله عبدا اجتر مودة الناس إلينا وإلى نفسه فحدثهم ما يعرفون وستر عنهم ما ينكرون ، ثم قال : والله ما الناصب لنا حربا أشد مؤونة علينا من الناطق علينا بما نكرهه ، ثم قال أيضا : من أذاع علينا حديثنا هو بمنزلة من جحدنا حقنا)) (٢) ، وعنه عليه السلام ((إني لأحدث الرجل الحديث فينطلق فيحدث به عنى كما سمعه فاستحل بذلك لعنه والبراءة منه)) (٣) ، وعنه عليه السلام ((قوم يزعمون أني إمامهم ، والله ما أنا لهم بإمام ، لعنهم الله كلما سترت سترا هتكوه أقول كذا وكذا فيقولون إنما عنى كذا وكذا ، إنما أنا إمام من أطاعني)) (٤) .

وروى المفضل عن الصادق عليه السلام أنه قال ((إن أمرنا صعب مستصعب لا يحتمله إلا صدور مشرقة وقلوب منيرة وأفئدة سليمة وأخلاق حسنة لأن الله قد أخذ على شيعتنا الميثاق فمن وفى لنا وفى الله له بالجنة ، ومن أبغضنا ولم يؤد إلينا حقنا فهو في النار وإن عندنا سرا من الله ما كلف الله به أحدا ثم أمرنا بتبليغه فبلغناه فلم نجد له أهلا ولا موضعا ولا حملة يحملونه حتى خلق لذلك قوما خلقوا من طينة محمد وذريته صلى الله عليه وعليهم ومن نورهم صنعهم الله بفضل صنع رحمته فبلغناهم عن الله ما أمرنا فقبلوه واحتملوا ذلك ولم تضطرب قلوبهم ومالت

(١) الكافي ج ٢ ص ٤٢٣ (٢) (٣) (٤) الغيبة ص ٣٥ ـ ٣٦

أرواحهم إلى معرفتنا وسرنا والبحث عن أمرنا وإن الله خلق أقواما للنار وأمرنا أن نبلغهم ذلك فبلغناه فاشمأزت قلوبهم ونفروا عنه وردوه علينا ولم يحتملوه وكذبوا به وطبع الله على قلوبهم ثم أطلق ألسنتهم ببعض الحق فهم ينطقون به لفظا وقلوبهم منكرة له ، ثم بكى عليه السلام ورفع يديه وقال : اللهم إن هذه الشرذمة المطيعين لأمرك قليلون اللهم فاجعل محياهم محيانا ومماتهم مماتنا ولا تسلط عليهم عدوا فإنك إن سلطت عليهم عدوا لن تعبد)) (١) .

وعن ابن مسكان عن أبي عبدالله عليه السلام قال ((نحن أصل كل خير ومن فروعنا كل برّ ومن البر التوحيد والصلاة والصيام وكظم الغيظ والعفو عن المسيء ورحمة الفقير وتعاهد الجار والإقرار بالفضل لأهله ، وعدونا أصل كل شر ومن فروعهم كل قبيح وفاحشة فمنهم الكذب والنميمة والبخل والقطيعة وأكل مال اليتيم بغير حقه وتعدي الحدود التى أمر الله عز وجل وركوب الفواحش ما ظهر منها وما بطن من الزنا والسرقة وكل ما وافق ذلك من القبيح وكذب من قال أنه معنا وهو متعلق بفروع غيرنا)) (٢) ، يريد عليه السلام إن من زنا أو شرب الخمر أو لاط فليس هو من شيعتهم بل من شيعة عدوهم لأن معنى الشيعة إما أن يكون مأخوذا من المشايعة والمتابعة في الأقوال والأفعال أو من الشعاع وكلاهما لا ينطبقان على من خالفهم في الأقوال أو في الأفعال أو في الأحوال ولهذه العلة ورد ((لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن)) (٣) .

واعلم أنه لم يستكمل جميع الخيرات ومكارم الأخلاق والقيام بجميع الواجبات وفعل المندوبات إلا محمد وآله خاصة وهم الذين عناهم سبحانه بقوله ﴿ والملائكة يدخلون عليهم من كل باب ﴾ (٤)

---

(١) البحار ج ٢ ص ٢٠٩
(٢) تأويل الآيات ص ٢٢
(٣) الخصال ص ٦٠٨
(٤) الرعد ٢٣

ومن سواهم لا يدخل من جميع أبواب الجنة بل من بعضها فبعض يدخل من باب واحد وبعض من بابين وبعض من ثلاثة وفي الخبر أن للجنة بابا يقال له الريان لا يدخله إلا الصائمون .

وبالجملة إن جميع مراتب الكمال وأفعال الخير جمعها لمحمد وآله صلى الله عليه وعليهم وأما آثارها ففرقها الله سبحانه في عباده فجعل الصفات في الأنبياء والأولياء أي تلك الآثار التى اتصفت بها الأنبياء وأعطى كل واحد منهم بقدر استعداده على حسب قابليته وجعل في الحيوانات آثار صفات الآثار وفي النباتات صفات ما في الحيوانات وفي المعدن اثر ما في النبات وفي الجماد أثر ما في المعدن وجمع سبحانه مراتب النقص وأفعال الشر لأعداء آل محمد فليس أحد يجمع جميع الشرور ومساوئ الأخلاق وترك الواجبات وفعل المحرمات سواهم وجعل آثارها لخواص أتباعهم و صفات الآثار لسائر أتباعهم وأشياعهم كل على حسب قابليته وقدر استعداده إلى مرتبة الجماد فما طاب واستعذب فقد قبل ولاية علي وأهل بيته وما خبث واستمر فقد قبل ولاية أعدائهم فكان من أعداء آل محمد ، قال الصادق عليه السلام ((إن لنا من كل شيء عدوا حتى من الطيور الفاختة ومن الأجام القصب ومن الأراضي السبخة)) فلم يجمعه جميع الكمالات إلا محمد وآله ولم يجمع جميع النقائص إلا أعداؤهم الحقيقيون .

وما كان في أولياء آل محمد عليهم الصلاة والسلام نقص ، ومن صدر منه شر فهو عرض أصابه من الخلط من أعداء آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم وما كان في أولياء أعداء آل محمد من ظاهر خير وحسن خلق فهو عرض أصابهم من الخلط من شيعة آل محمد وسيرجع كل إلى أصله فإذا كان يوم القيامة رجع جميع ما في أولياء آل محمد من الشر ونقائص الأخلاق إلى شيعة أعداء آل محمد ورجع جميع ما في شيعة أعداء آل محمد من الخيرات

ومحاسن الأخلاق إلى شيعة آل محمد فيعذب الشيعة على المعاصي التى فعلوها عذابا منقطعا مدة التحمل لها ويثاب أولياء أعداء آل محمد على الطاعات التى فعلوها ثوابا منقطعا بقدر مدة التحمل لها ، وأما أعداء آل محمد فلا تصدر عنهم كل طاعة كما لا تصدر عن محمد وآله معصية قط .

وقد أشار الرضا عليه السلام في عيون الأخبار ومثال انقطاع ثواب الكافر وعقاب المؤمن ما لو أخذت سكرا وصبرا وحككت أحدهما بالأخر فإنك إذا ذقت السكر وجدته مرا فتذمه بالعرض لما يلحقه فإذا فنيت الأجزاء التى لحقته بالمماسة والمجاورة مدحته بالذات لحقيقة ما هو أهله وهكذا حكم الصبر في مدحك له بالعرض لما لحقه وذمك له بالذات لما هو أهله ، وقوله عليه السلام (فمن البر التوحيد) بعد قوله (من فروعنا كل بر) يريد به معرفة التوحيد والإقرار به وتلك لا تكون إلا بواسطة تعريفهم وتعليمهم عليهم السلام فمن عرفهم عرف الله ومن لم يعرفهم لم يعرف الله ولم يقر له بالوحدانية ولم يعبد حق عبادته ، وعن أبي الحجاج قال ، قال لي أبو جعفر عليه السلام ((يا أبا الحجاج إن الله خلق محمدا وآل محمد من طينة عليين وخلق قلوبهم من طينة فوق ذلك وخلق شيعتنا من طينه دون عليين وخلق قلوبهم من طين عليين فقلوب شيعتنا من أبدان آل محمد ، وإن الله خلق عدو آل محمد من طين سجين وخلق قلوبهم من طين أخبث من ذلك وخلق شيعتهم من طين دون طين سجين وخلق قلوبهم من طين سبحين فقلوبهم من أبدان أولئك وكل قد تحن إلى بدنه)) (١) .

وفي المناقب يرفعه إلى أنس قال رسول الله صلى الله عليه وآله في قوله تعالى ﴿ فلا اقتحم العقبة ﴾ (٢) ((إن فوق الصراط عقبة كؤودا طولها ثلاثة آلف عام ، ألف عام هبوط وألف عام

---

(١) بصائر الدرجات ص ١٤ (٢) البلد ١١

شوك وحسك وعقارب وحيات وألف عام صعود ، أنا أول من يقطع تلك العقبة وثاني من سيقطع تلك العقبة علي بن أبي طالب ، ولا يقطعها بدون مشقة إلا محمد وآهل بيته)) (١) .

ومن الحكم والموعظة ما قال علي عليه السلام قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((غريبتان كلمة حكم من سفيه فاقبلوها وكلمة سفه من حكيم فاغفروها فإنه لا حكيم إلا ذو عثرة ولا سفيه إلا ذو تجربة)) (٢) .

وقال علي عليه السلام ((المروءة التامة مباينة العامة)) (٣) .

و قال صلى الله عليه وآله وسلم ((أفضل العمل أدومه وإن قل)) (٤) .

وفي المبادرة إلى الخير وعدم الكسل عنه ، فعن أبي جعفر عليه السلام ((إن الخير ثقل على أهل الدنيا على قدر ثقله في موازينهم يوم القيامة ، وإن الشر خف على أهل الدنيا على قدر خفته في موازينهم يوم القيامة)) (٥) .

وعن الصادق عليه السلام قال ((من هم بخير فليعجله ولا يؤخره فإن العبد ربما عمل العمل فيقول الله تبارك وتعالى قد غفرت لك ولا أكتب عليك شيئا أبدا ومن هم بسيئة فلا يعملها فإنه ربما عمل العبد السيئة فيراه الرب سبحانه فيقول لا وعزتي وجلالي لا أغفر لك بعدها أبدا)) (٦) .

وعنه عليه السلام قال ((إذا همّ أحدكم بخير أو صلة فإن عن يمينه وشماله شيطانين فليبادر لا يكفانه عن ذلك)) (٧) .

وعن الباقر عليه السلام ((من هم بشيء من الخير فليعجله فإن كل شيء فيه تأخير فإن للشيطان فيه نظرة)) (٨) .

---

(١) المناقب ج ٢ ص ١٥٥ — (٢) مجموعة ورام ج ٢ ص ٥٧ — (٣) شرح النهج ج ٢٠ ص ٢٩٠

(٤) مجموعة ورام ج ١ ص ٦٣ — (٥) الخصال ص ١٧ — (٦) البحار ج ٧١ ص ٢٢٣

(٧) مجموعة ورام ج ٢ ص ١٩٦ — (٨) البحار ج ٧١ ص ٢٢٥

وعن الحسن بن علي ، عن أبيه عليهما السلام في حديث قال ((إذا عرض عليك شيء من أمر الآخرة فابدأ به ، وإذا عرض لك شيء من أمر الدنيا فتأنه حتى تصيب رشدك)) (١)

وقال النبي صلى الله عليه وآله ((قال الله تعالى شتمني ابن آدم وما كان ينبغي له أن يشتمني وكذبني وما كان ينبغي له أن يكذبني أما شتمه إياي فيقول إن لي ولدا وأما تكذيبه فيقول لن يعيدني كما بدأني)) (٢) ولذلك قال تعالى ﴿ ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله ﴾ (٣)، وقال تعالى ﴿ لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء ﴾ (٤) وقال تعالى ﴿ أو لم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين ﴾ (٥) ، وقال ﴿ أيحسب الإنسان أن يترك سدى ﴾ (٦) ، وقال تعالى ﴿ كما بدأكم تعودون ﴾ (٧) .

وعن الباقر عليه السلام قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله ((أربعة لا تدخل واحدة منهن بيتا إلا خرب ولم يعمر البركة ، الخيانة والسرقة وشرب الخمر والزنا)) (٨) .

وقال أمير المؤمنين عليه السلام ((حسبك من العلم أن تخشى الله عز وجل وحسبك من الجهل أن تعجب بعقلك)) (٩) .

وقال عليه السلام ((السكر أربع سكرات سكر الشراب وسكر المال وسكر النوم وسكر الملك)) (١٠) .

وفي نقل ((اكفوا إخوانكم مؤنة الطلب فإن الرجل إذا طلب الحاجة ارتعدت فرائصه مخافة أن يرد عنها)) (١١) .

---

(١) أمالي المفيد ص٢٢٢ (٢) مجموعة ورام ج ١ ص١٢٩ (٣) المؤمنون ٩١
(٤) الزمر ٤ (٥) يس ٧٧ (٦) القيامة ٣٦
(٧) الأعراف ٢٩ (٨) الخصال ص ٢٣١ (٩) مجموعة ورام ج٢ ص٧٨
(١٠) الخصال ص ٦٣٦ (١١) مجموعة ورام ج٢ ص٢٤٨

وقال الصادق عليه السلام ((جزى الله المعروف إذا لم يكن يبدأ عن مسألة ، فإما إذا أتاك أخوك في حاجة كاد يرى دمه في وجهه مخاطرا لا يدري أتعطيه أم تمنعه فوالله ثم والله لو خرجت له من جميع ما تملكه ما كافيته)) (١) .

ونقلوا أن عليا عليه السلام قال ((من كساء الحياء ثوبه خفي على الناس عيبه)) (٢) .

((ومن عاب عيب ومن شتم أجيب)) (٣) .

قال علي بن عثمان الأربلي .

كف عن الناس إذا شئت أن   تسلم من قول جهول سفيه
من قذف الناس بما فيهم   يقذفه الناس بما ليس فيه

وقال الآخر :

إذا شئت أن تحي سعيدا من الأ   ذى وذنبك مغفور وعرضك صين
لسانك لا تذكر به عورة امرئ   فعندلك عورات وللناس ألسن
وعينك أن أهدت إليك معائبا   فعظها وقل يا عين للناس أعين
وعاشر بمعروف وكن متوددا   ولا تلق إلا بالتى هي أحسن

---

(١) الاختصاص ص١١٢   (٢) روضة الواعظين ص٤٦٠   (٣) أعلام الدين ص١٨٧

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((المؤمن لا ينجو من عذاب الله حتى يترك أربعة البخل و الكذب وسوء الظن بالله و الكبر)) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم ((أربعة جواهر تزيلها أربعة أما الجواهر فالعقل والدين والحيا والعمل الصالح ، أما الغضب فيزيل العقل وأما الحسد فيزيل الدين وأما الطمع فيزيل الحياء وأما الغيبة فتزيل العمل الصالح)) .

وقيل يا رسول الله أخبرنا بالخصال التى نعرف بها المنافقين ، قال صلى الله عليه وآله ((من حلف ففجر ومن عاهد فغدر وحدث فكذب ووعد فأخلف)) .

وقيل ليعقوب عليه السلام إن بمصر رجلا يطعم المساكين ويملا حجر اليتيم فقال ينبغي أن يكون منا أهل البيت فنظروا فإذا هو يوسف عليه السلام .

قال أمير المؤمنين عليه السلام ((من ظن بك خيرا فصدق ظنه)) (١) .

وقال عليه السلام ((ما أحسن حسن الظن إلا أن فيه العجز وما أقبح سوء الظن إلا أن فيه الحزم)) (٢) .

قال الشاعر ولن أخطأ الصواب .

ولا يكن ظنك إلا سيئا إن سوء الظن من حسن الفطن

وقال عليه السلام ((من تردد في الريب وطأته سنابك الشياطين)) (٣) ، يريد عليه السلام أن الريب أول الكفر .

قال الصادق عليه السلام ((لا ترتابوا فتشكوا ولا تشكوا

---

(١) تحف العقول ص ٨٢ (٢) شرح النهج ج ٢٠ ص ٢٩٤ (٣) شرح النهج ج ١٨ ص ١٤٢

فتكفروا)) (١)، فصاحب الريب يكون موطنا للشيطان ومركضة لخيله، إذا الريب وأدى الجهل ومربع الطغيان.

وقال الحسن عليه السلام ((أوصيكم بتقوى الله وإدامة الفكر فإن التفكر أب كل خير وأمه))، يريد أن كل خير فهو نتيجة الفكر ويتولد منه وقد ورد ((فكر ساعة خير من عبادة سنة)) (٢).

وقال علي عليه السلام ((الراحة مع اليأس)) وقال ((الحرمان مع الحرص)) (٣)، وقال أرسطاطاليس (قلة الديانة وقلة الأدب وقلة الندامة عند الخطأ وقلة قبول العتاب أمراض لا دواء لها).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله ((يأتي على الناس زمان يخلق القرآن في بطون الرجال كما يخلق الثياب على الأبدان)) (٤)، وهذا كناية عن عدم التفكر في معانية وعدم الإقبال على العمل بما فيه لا يقرأه القارئ إلا هذّا (بالتشديد).

وقال صلى الله عليه وآله ((أفضل أعمال أمتي قراءة القرآن نظرا أي اعتبارا))، وقال زين العابدين عليه السلام ((آيات القرآن خزائن العلم، فكلما فتحت خزانة فينبغي لك أن تنظر ما فيها)) (٥)، وقال سبحانه وتعالى ﴿ أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ﴾ (٦)، والتدبر في القرآن سبب للمعرفة المؤدية إلى العمل الموصل إلى رضا الله سبحانه فمن ترك التدبر في القرآن كان كالبهيمة، لا يسمع إلا دعاء ونداء.

وعن الرضا عليه السلام، قيل له ما بال القرآن لا يزداد على النشر والدرس إلا غضاضة؟ قال لأن الله عز وجل لم يجعله لزمان دون زمان ولا لناس دون ناس فهو في كل زمان جديد وعند كل قوم غض إلى يوم القيامة)) (٧).

---

(١) أمالي المفيد ص٢٠٦ (٢) غوالي اللآلي ج٢ ص٥٧ (٣) شرح النهج ج٢٠ ص٣٢٧
(٤) مجموعة ورام ج١ ص٢١٧ (٥) عدة الداعي ص ٢٨٥ (٦) محمد ٢٤
(٧) مجموعة ورام ج٢ ص٧٢

وعن النبي صلى الله عليه وآله ((يأتي على الناس زمان بطونهم آلهتهم ونساؤهم قبلتهم ودنانيرهم دينهم وشرفهم متاعهم لا يبقى من الايمان إلا اسمه ومن الاسلام إلا رسمه ولا من القرآن إلا درسه مساجدهم معمورة وقلوبهم خراب عن الهدى علماؤهم أشر خلق الله على وجه الأرض حينئذ ابتلاهم الله بأربع خصال جور من السلطان وقحط من الزمان وظلم من الولاة والحكام ، فتعجب الصحابة فقالوا يا رسول الله أيعبدون الأصنام ، قال نعم كل درهم عندهم صنم)) (١) .

وعن الصادق عليه السلام ((الظالم يحوم حول نفسه والمقتصد يحوم حول قلبه والسابق يحوم حول ربه)) (٢) .

وعن الصادق عليه السلام ((النوم راحة للجسد والنطق راحة للروح والسكوت راحة للعقل)) (٣) .

وقيل لرسول الله صلى الله عليه وآله ، بم يعرف المؤمن ؟ فقال ((بوقاره ولينه وصدق حديثه)) (٤) .

وروي أن الله أوحى إلى يعقوب أتدري لم فرقت بينك وبين يوسف كذا وكذا سنة ؟ لأنك اشتريت جارية لها ولد ففرقت بينهما بالبيع فما لم يصل ولدها إليها لم أوصل إليك يوسف .

وعن أبي عبدالله عليه السلام (إن الله أوحى إلى آدم عليه السلام إني سأجمع لك الكلام في أربع كلمات ، قال يا رب وما هن ، قال واحدة لي وواحدة لك وواحدة فيما بيني وبينك وواحدة بينك وبين الناس ، فقال آدم بينهن حتى أعلمهن ، فقال الله أما التي لي فتعبدني لا تشرك بي شيئا وأما التي لك فأجزيك بعملك أحوج ما تكون إليه وأما التي بيني وبينك فعليك الدعاء وعليّ الاجابة وأما التي بينك وبين الناس فترضى للناس ما ترضاه لنفسك)) (٥) .

---

(١) جامع الأخبار ص١٢٩ (٢) معاني الأخبار ص ١٠٤ (٣) أمالي الصدوق ص ٤٤١
(٤) مجموعة ورام ج٢ ص٢٥٢ (٥) الخصال ص ٢٤٤

وقال عليه السلام ((نجد الرجل لا يخطئ بلام ولا واو خطيبا مصقعا ولقلبه أشد ظلمة من الليل المظلم ونجد الرجل لا يستطيع يعبر عما في قلبه بلسانه وقلبه يزهر كما يزهر المصباح)) (١) .

وقال أمير المؤمنين عليه السلام ((لقد سبق إلى جنات عدن أقوام ما كانوا أكثر الناس صوما ولا صلاة ولا حجا ولا اعتمارا ولكنهم عقلوا عن الله مواعظه)) (٢) .

وقال النوفلي بسنده أن النبي صلى الله عليه وآله مر على قوم وقد نصبوا دجاجة وهم يرمونها فقال ((من هؤلاء لعنهم الله)) (٣) .

وقال عليه السلام ((ليس كل من قال بولايتنا مؤمنا ولكن جعلوا أنسا للمؤمنين)) (٤) .

وقال أبو جعفر عليه السلام ((الناس كلهم بهائم (قالها ثلاثا) إلا القليل من المؤمنين والمؤمن غريب (قالها ثلاثا))) .

وفي أصل زيد الزراد عن الصادق عليه السلام قال ، قال أبو جعفر عليه السلام ((يا بني اعرف منازل الشيعة على قدر روايتهم ومعرفتهم فإن المعرفة هي الدراية للرواية وبالدرايات للروايات يعلو المؤمن إلى أقصى درجات الايمان إني نظرت في كتاب لعلي عليه السلام فوجدت في الكتاب أن قيمة كل امرئ وقدره معرفته أن الله عز وجل يحاسب العباد على قدر ما آتاهم من العقول في الدنيا) ، وقال رجل للصادق عليه السلام (إنا نتبرأ من قوم لا يقولون ما نقول ، فقال يتولون ويقولون ما تقولون ، قال نعم وهو ذا عندنا ما ليس عندكم فينبغي لنا أن نتبرأ منكم ، قال وهو ذا عند الله ما ليس عندنا أفتراه طرحنا ، ثم قال تولوهم ولا تبرؤا منهم إن المسلمين من له سهم ومنهم من له سهمين ومنهم من له

---

(١) مجموعة ورام ج ٢ ص ١٦١

(٢) مجموعة ورام ج ٢ ص ١١٣

(٣) مجموعة ورام ج ١ ص ١٨

(٤) مسائل علي بن جعفر ص ٣٢٩

ثلاثة أسهم) ، فقوله (لا يقولون ما نقول) ، يريد ما يعرفون ما نعرفه من مقام آل محمد صلى الله عليه وآله لأن القول يطلق على المعرفة والاعتقاد بدليل قوله عليه السلام (يتولون ويقولون ما تقولون) يعني أنهم يحبون عليا ويقولون بفضله وولايته ، وفي الخصال عن أبي عبدالله عليه السلام قال (المؤمنون على سبع درجات صاحب درجة منهم في مزيد الله عز وجل لا يخرجه ذلك المزيد من درجته إلى درجة غيره ومنهم من أشهده الله على خلقه ومنهم النجباء ومنهم الممتحنة ومنهم النجداء ومنهم أهل الصبر ومنهم أهل التقوى ومنهم أهل المغفرة) ، وورد (أن الايمان على عشرة درجات ، مقداد في الثامنة وأبو ذر في التاسعة وسلمان في العاشرة) .

واعلم أن هذه درجات إيمان الشيعة فلذا كان سلمان في العاشرة قد استكمل كل الايمان ، والايمان يراد به المعرفة التى تناط بالاقرار بالله عز وجل ورسله وكتبه وحججه ، فيكون آل محمد في هذه المرتبة من المؤمن بهم لا من المؤمنين وفي مقامهم يكونون مؤمنين بالله ورسوله صلى الله عليه وآله تابعين له ، وعن الرضا عليه السلام قال ((رفع القلم عن شيعتنا ، قال : يا سيدي كيف ذلك ؟ ، قال لأنهم أخذ عليهم العهد بالتقية في دولة الباطل يأمن الناس ويخوفون ويكفرون فينا ولا نكفر فيهم ويقتلون بنا ولا نقتل بهم ما من أحد من شيعتنا ارتكب ذنبا أو خطأ إلا ناله في ذلك غم يمحص عنه ذنوبه ولو أنه أتى بذنوب بعدد القطر والمطر وبعدد الحصى والرمل وبعدد الشوك والشجر فإن لم ينله في نفسه ففي أهله وماله فإن لم ينله في أمر دنياه وما يغتم به تخايل له في منامه ما يغتم به فيكون ذلك تمحيصا لذنوبه)) (١) ، فقوله عليه السلام (ارتكب ذنبا أو خطأ) يريد أن الذنب نجاسة فلا بد لها من تطهير

---

(١) عيون أخبار الرضا ج ١ ص ٢٣٦

وتطهير كل بحسبه فمن الذنوب ذنب تطهره الرؤيا المزعجة ومنها ما يطهره الغم والهم ومنها ما لا يطهره إلا ذهاب المال ومنها لا يطهره إلا البلاء في النفس ويختلف ذلك بحسب الذنب فمنها ما يكفره المرض ومنها ما لا يكفره ويطهره إلا القتل، وقوله عليه السلام (أو خطأ) يريد به صدور الذنب من فاعله يلزمه نقص فيمن صدر منه إذ الكامل لا نقص فيه ولا يصدر منه ما يوجب النقص فإن كان تعمدا كان ذلك قصورا وتقصيرا فيستحق بسببه نكالا ظاهرا لمخافته أمر سيده بعد البيان وقد وظف الشارع عليه السلام لكل ذنب صدر بتقصير حدا معلوما حتى الخدش فمنها ما يكون مشخصا كالحدود الاصطلاحية عند المتشرعة ومنها ما يكون غير مشخص إلا عند الإمام عليه السلام كالتعزيزات فلما خفي أمرها لعدم إمكان انضباطها عند الرعية وكلها عليه السلام إلى نظر القائم بها .

وأما الإمام عليه السلام فاعتقادنا أنه يعرف لكل شيء حدا مخصوصا مميزا وهذا كله مناط الأحكام الشرعية وعليه مبنى كلام علماء الشريعة وإن كان صدور الذنب لا عن تقصير كالخطأ والغفلة ففي ظاهر الشرع لا يلام عليه لعدم مخافته لأمر سيده وفي باطن الشرع لا بد له من تطهير وكفارة كما نص عليه النقل دل و عليه العقل لأنه نجاسة فلا بد من تطهيرها وذلك لأن من تصدر منه الهفوات لا يكون مبدؤها إلا عن نقص وهو في الحقيقة موجب للبعد فإذا ابتلي بالمحن والبلايا أفادته إنابة وخشوعا وهو موجب للقرب من الله تعالى وهذا حقيقة التطهير الذي قلته وهذه الحالة تجري لأكثر المؤمنين و بعض الأنبياء، والفرق بينهما أن ما يجري على الأنبياء ترك الأولى فهو قصور بالنسبة إلى مقامهم وإن كان كاملا بالنسبة إلى من دونهم، وأما ما يجري على المؤمنين فهو نقص في كل مقام لعدم العصمة فيهم وقد ورد أن المؤمن إذا غفل عن ذكر الله أرسل الله عليه العطاس ليذكر الله ويحمده فيثاب

، عليه وهذا وإن كان أهل الظاهر لا يرونه موجبا للعقاب لما عرفت أن حصرهم العقاب في مخالفة أمر السيد إلا أن الحكيم ناط به عقابا من باب الحكم الوضعي ، وأضرب لك مثلا ، وهو أنه لو كان لك ولد وأصابت رجله نجاسة وهو غير مكلف وأراد الجلوس على فراش لك طاهر منعته حتى تطهره وإن أصر أو بكى منعته أشد المنع مع علمك أنه غير مقصر بل غير مكلف إلا أن الطاهر الزكي لا يصلح له إلا الطاهر ، وما ورد في الأطفال بأن ما يصيبهم من الأمراض فهو كفارة لذنوب آبائهم وأمهاتهم فهو أحد الأسباب لأنهم في عالم الذر حين كلفوا وهم عقلاء قبلوا ما يصيبهم من المرض والمحن في الأبدان لنجاة آبائهم ، ومن الأسباب ما ذكرته هنا قبل وهو مترتب في الحقيقة على كونهم مكلفين في هذه النشأة أيضا إلا أنه تكليف وراء تكليفنا كما أن الحيوانات مكلفة بل والنباتات والمعادن والجمادات وأن لكل شيء شعورا وإدراكا هو مناط تكليفه فلذا اختلف التكليف باختلاف إدراك المكلف وشعوره أما في الظاهر فهو من باب التسبيب كما قدمت القول فيه وأما في الحقيقة فكل أصيب بذنبه ﴿ ولا يظلم ربك أحدا ﴾ (١) ﴿ وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾ (٢) ، ولا ينافي أيضا ما ذكر في الأخبار من كونهم تحملوا عن آبائهم وأمهاتهم ما ذكرته لأن من تحمل عن غيره يكون ضامنا فهو غارم فيصيبه ما أصابه بالعرض فذنبه عرضي فيكون غير دائم فخذها بيضاء صافية وكن من الشاكرين .

ومما ورد في الصدقة ما روي عن أبي ذر رحمه الله قال ، قلت لرسول الله صلى الله عليه وآله أي الصدقة أفضل ، قال ((جهد من مثقل إلى فقير فمن سر)) ، وقال زين العابدين عليه السلام ((صدقة الليل تطفي غضب الرب)) (٣) يريد أن صدقة الليل أخفى فلا يدخل صاحبها رياء ، وفي آخر ((صدقة

---

(١) الكهف ٤٩ (٢) النحل ١١٨ (٣) ثواب الأعمال ص ١٤٣

السر)) وهما بمعنى واحد ، وقال لأبي حمزة ((إذا أردت أن يطيب الله منيتك ويغفر لك ذنبك يوم تلقاه فعليك بالبر وصدقة السر وصلة الرحم فإنهن يزدن في العمر وينفين الفقر ويدفعن عن صاحبهن سبعين ميتة سوء)) (١) ، وسئل النبي صلى الله عليه وآله ، أي الصدقة أفضل ؟ فقال ((على ذي الرحم الكاشح)) (٢) ، يريد عليه السلام (بالرحم الكاشح) العدو الذي يضمر لك العداوة ، وقال الصادق عليه السلام ((أفضل الصدقة إبراد الكبد الحرى ، ومن سقى كبد أحد من بهيمة أو غيرها أظله الله يوم لا ظل إلا ظله)) ، و قال علي عليه السلام ((من سقى ماء ظمآنا سقاه الله من الرحيق المختوم)) ، وقال أمير المؤمنين عليه السلام ((أنا ضامن الجنة لرجل خرج بصدقة فمات فله الجنة ، ورجل خرج إلى الجهاد فمات فله الجنة ، ورجل خرج من بيته قاصدا إلى زيارة النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام فمات فله الجنة)) ، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : ((من زار قبر أمير المؤمنين أو أحد من ذريته عليهم السلام تناثرت ذنوبه كما يتناثر أوراق الشجر من أغصانه)) ، وقال عليه السلام : ((من زار قبر نبي من الأنبياء كتب الله له بكل قدم يمشي بها عشر حسنات ومحا عنه عشر سيئات ولا ينصرف إلا وقد غفر له ذنوبه الكبائر والصغائر)) .

ومن الأشياء المورثة للهم ما رواه جابر بن عبد الله الأنصاري ، قال أمير المؤمنين عليه السلام مهموما وذلك قبل مقتله بثلاثة أيام فقال ((يا جابر ما أعرف لما أنا فيه من الهم سببا والذي فلق الحبة وبرء النسمة إني لأظنه لسبب وعدت به وما هو إلا هو ، فقلت : وما هو يا أمير المؤمنين ؟ قال : أشقاها يخضب هذه من هذا ، وأومأ بيده إلى رأسه ولحيته ، ثم قال : والذي فلق الحبة وبرء النسمة ما قطعت غنما ، ولا لبست سراويلي قائما ، ولا قعدت على عتبة ،

---

(١) عدة الداعي ص ١٠١ (٢) ثواب الأعمال ص ١٤٢

ولا بلت على حافة نهر ولا بين بابين ولا قائما ، ولا قلمت أظافري بفمي ، ولا نثرت في يوم الأربعاء (النثر التدهين) ، ولا أكلت قنبرا ولا سمكا زماريا ، ولا قطعت رحما ، ولا رددت سائلا ، ولا قلت كذبا ، ولا شهدت زورا ، ولا نمت على وجهي ولا على يدي اليسرى ، ولا تختمت بخاتمين ، ولا جلست على زبالة ولا بيتها في منزلي ، ولا رأيت برا مطروحا فتجاوزته ، ولا لبست نعل يساري قبل يميني ، ولا نمت في خراب ، ولا أطلعت في فرج ، ولا مسحت وجهي بذيلي ، ولا شيء من هذه يفعله أحدهم إلا أورثه غما لا أصل له فتجنبوه ، فقال جابر فلما كان اليوم الثالث ضربه ابن ملجم لعنه الله)) ، فقوله عليه السلام (إني لأظنه لسبب) أراد أعلمه فعبر عن العلم بالظن ، كما قال تعالى ﴿ الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم ﴾ (١) أي يعلمون ولذا قال عليه السلام وما هو إلا هو .

ومن الحكم والمواعظ قول علي عليه السلام لما بعثني النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى اليمن فقال لي وهو يوصيني ((يا علي عليك بالدلجة فإن الأرض تطوي بالليل مالا تطوي بالنهار يا علي أغد باسم الله فإن الله بارك لأمتي في بكورها)) (٢) .

وقال عليه السلام لقيس بن سعد وقد قدم من مصر ((يا قيس إن للمحن غايات لا بد أن ينتهي إليها فيجب على العاقل أن ينام في أدبارها فإن كايدتها بالحيلة عند إقبالها زيادة فيها)) (٣) .

وعنه عليه السلام ((من وثق بالله أراه السرور ومن توكل على الله كفاه الأمور والثقة بالله حصن لا يتحصن فيه إلا مؤمن أمين والتوكل على الله نجاة من كل سوء وحرز من كل عدو والدين عز والعلم كنز والصمت نور وغاية الزهد الورع ولا هدم للدين مثل البدع ولا أفسد للرجال من الطمع وبالراعي تصلح

---

(١) البقرة ٤٦ (٢) كشف الغمة ج٢ ص ٣٤٥ (٣) كشف الغمة ج٢ ص ٣٤٦

الرعية وبالدعاء تصرف البلية ومن ركب مركب الصبر اهتدى إلى مضمار النصر ومن عاب عيب ومن شتم أجيب ومن غرس أشجار التقى اجتنى ثمار المنى)) (١) .

وقال عليه السلام ((أربع خصال تعين المرء على العمل الصحة والغنى والعلم والتوفيق)) (٢) .

وقال عليه السلام ((أهل المعروف إلى اصطناعه أحوج من أهل الحاجة إليه لأن لهم أجره وفخره وذكره فمهما اصطنع الرجل من معروف فإنما يبدأ فيه بنفسه)) (٣) .

وقال عليه السلام ((من أمل أنسانا فقد هابه ومن جهل شيئا عابه والفرصة خلسة ومن كثر همه سقم جسده و المؤمن لا يشتفي غيظه وعنوان صحيفة المؤمن حسن خلقه)) (٤) وفي آخر ((عنوان صحيفة السعيد حسن الثناء عليه)) (٥) .

وقال عليه السلام ((من استغنى بالله افتقر الناس إليه ومن اتقى الله أحبه الناس وإن كرهوا)) (٦) .

وقال عليه السلام ((الجمال في اللسان والكمال في العقل)) (٧) .

وقال عليه السلام ((حسب المرء من كمال المروءة أن لا يلقى أحدا بما يكره ومن حسن خلق الرجل كفه أذاه ومن سخائه بره بمن يجب حقه عليه ومن بره إيثاره على نفسه ومن صبره قلة شكواه ومن عقله إنصافه من نفسه ومن إنصافه قبول الحق إن أبان له ومن نصحه نهيه عما لا يرضاه لنفسه ومن حفظه جوارك تركه توبيخك عند إساءتك مع علمه بعيوبك ومن رفقه تركه عذله بحضرة من تكره)) (٨) .

---

(١) (٢) كشف الغمة ج٢ ص ٣٤٦ — (٣) (٤) (٥) كشف الغمة ج٢ ص ٣٤٧
(٦) البحار ج ٧٨ ص ٧٩ — (٧) كنز الفوائد ج ١ ص ٢٠٠
(٨) البحار ج ٧٨ ص ٨٠

وفي الخصال عن أبي بصير قال سمعت أبا عبد الله يقول ((ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة و لا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم الناتف شيبه والناكح نفسه و المنكوح في دبره)) (١) .

وعن أبي مالك الجهني قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام ((يقول ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم من ادعى إماما ليست إمامته من الله ومن جحد إماما إمامته من عند الله عز وجل ومن زعم أن لهما في الإسلام نصيبا)) (٢) .

وقال أمير المؤمنين عليه السلام ((من كرم المرء خمس خصال ملكه لسانه وإقباله على شأنه وبكاؤه على ما مضى من زمانه وحفظه لقديم إخوانه)) .

ونقل أن المسيح عليه السلام كان يقول للحواريين (إذا كان يوم صوم أحدكم فليدهن رأسه ولحيته وليمسح شفتيه بالزيت لئلا يرى الناس إنه صائم وإذا أعطى بيمينه فليخف عن شماله وإذا صلى فليرخ عليه ستر فإن الله يقسم الثناء كما يقسم الرزق)) (٣) ، يريد عليه السلام أن من كتم عمله عن الناس لئلا يداخله العجب فإنه إذا كتمه كان أبعد عن الرياء ولأجل هذه العلة أستحب صلاة النافلة في البيت والفريضة في المسجد لأن الفريضة لما كانت واجبة وكانت مشتركة العمل بين كل الناس بعد الرياء عن فاعلها بخلاف النافلة وكذا ورد في الصدقة المستحبة والواجبة فإنه يستحب إظهار الواجبة ليكون حثا وداعيا إلى فعلها ، وأما المستحبة فيستحب إخفاؤها ، قال سبحانه ﴿ إن تبدوا الصدقات فنعما هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ﴾ (٤) .

و نقل من بعض الكتب المعتمدة أن مما يورث النسيان مخالطة النساء وغسل الرأس بالطين وطول المكث في الخلاء والكلام في

---

(١) (٢) الخصال ص ١٠٦ (٣) مجموعة ورام ج ١ ص ١٧٨ (٤) البقرة ٢٧١

موضع الحدث وكثرة الطيب وشرب الماء في الليل والنوم على الوجه وشرب الماء من قيام ومسح الوجه بالكمين ، وفي نقل بالذيل وكثرة الباه والحجامة في النقرة والنظر إلى الفرج وأكل سؤر الفارة وأكل التفاح الحامض وإلقاء القمل حيا والبول في الماء الراكد وأكل الكزبرة والأكل حال الجنابة واللعب بالذكر و قراءة ألواح القبور والمشي بين امرأتين والنظر إلى المصلوب وأكل ما لم يذكر اسم الله عليه ، ومما يزيد في الحفظ أكل الحلو وأكل العدس وأكل الخبز البارد وأكل اللحم مما يلي العنق وقراءة آيه الكرسي ، وفي بعض الأخبار قراءة القرآن والسواك ومضغ اللبان ، ومما يزيد في الذهن والذكاء تلاوة القرآن والسواك قبل الفجر وتدهين الرأس ومداومة صلاة الجماعة والصلاة وأكل الأرز والعسل والصلاة بين المغرب والعشاء وأكل التمر والزبيب ، ومما يزيد في العمر الصدقة والدعاء وطاعة الوالدين وصلاة الليل والاستغفار قبل الفجر ومما يورث الفقر الزنا والكنس بالمنديل والأكل على ظهر المنخل ومسح الوجه بالسروال وغسل اليد بالنحالة والبصاق على الخلاء والبول قائما والتخلل بتبن الحائط وأكل الربا والبول في موضع القذر وفي الثقب والبول والغائط على قارعة الطريق وتقليم الأظفار بالأسنان ، وفي بعض النقول التمشط بالمشط المكسور و الشرب في الإناء المكسور ، وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((من طول شاربه عوقب بأربعة مواطن الأول لا يجد شعتفاي والثاني لا يشرب من حوضي والثالث يعذب في قبره والرابع يبعث إليه منكر و نكير بالغضب)) ، وقال صلى الله عليه وآله وسلم ((أربع تزيد في العمر التزويج بالأبكار و الاغتسال بالماء الحار والنوم على اليسار وأكل التفاح بالأسحار)) .

ومن حكم أمير المؤمنين عليه السلام ((خذ من الدين ما صفا ومن العيش ما كفى ومن الإخوان ما وفى ودع الظلم والجبر فإن العمر قصير والناقد بصير)) .

وقال عليه السلام ((الطامع في وثاق الذل)) (١) .

((اليأس حر والرجاء عبد)) ، ((الذل مع الطمع))

((لا حياة لحريص)) (٢) .

((من لانت أسافله صلبت أعاليه)).

((أفقر الفقر الحمق)) (٣) .

((أوحش الوحشة العجب)) (٤) .

((أغنى الغنى العقل)) (٥) .

((احذروا نفار النعم فما كل شارد بمردود)) (٦) .

وقال عليه السلام ((المرء مخبوء تحت لسانه)) (٧) .

وقال عليه السلام (ثمرة الأدب حسن الخلق)) (٨) .

((نعم النسب حسن الأدب)) (٩) .

وقال عليه السلام ((الجزع عند البلاء تمام المحنة)) (١٠) .

((لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا)) (١١) .

((الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا)) (١٢) ، يريد عليه السلام أن الناس في غفلة عما يراد بهم لاشتغالهم بإصلاح دنياهم فإذا ماتوا انتبهوا من نومة الغفلة وأدركوا ما أريد منهم وأسفوا على ما فرّطوا في هذه الدار بعد كشف الغطاء ، قال سبحانه ﴿ فكشفنا عنك غطائك فبصرك اليوم حديد ﴾ (١٣) ، وقد قال بعضهم بعد قوله عليه السلام

---

(١) شرح النهج ج١٩ ص٥٠ (٢) شرح النهج ج١ ص ٣١٨ (٣) الغرر والدرر ص ٧٦
(٤) شرح النهج ج١٨ ص١٥٧ (٥) الغرر والدرر ص ٥١ (٦) شرح النهج ج١٩ ص ٨٠
(٧) شرح النهج ج١٨ ص٣٥٣ (٨) الغرر والدرر ص ٢٤٧ (٩) الغرر والدرر ص ٢٤٨
(١٠) الغرر والدرر ص ٢٦٢ (١١) عين العبرة ص ٢٦٢ (١٢) مجموعة ورام ج١ص١٥٠
(١٣) ق ٢٢

((الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا)) ، وأهل البرزخ نيام فإذا بعثوا انتبهوا ، وأهل الموقف نيام فإذا دخلوا الجنة انتبهوا ، وأهل الجنة نيام فإذا انتهوا إلى الرفوف انتبهوا ، وأهل الرفوف نيام فإذا وصلوا إلى مقام الرضوان انتبهوا ، وليس بعد الرضوان انتباه لأنه لا نوم فيه ولا غفلة ، قال سبحانه ﴿ ورضوان من الله أكبر ﴾ (١) ، والمراد أن كل مقام أعلى يكون صاحبه أشد انتباها من المقام الذي دونه لتجرده وضعف العلاقة في الأعلى بالنسبة إلى الأدنى .

وقال عليه السلام ((لا ظفر مع البغي)) (٢) .

((لا ثناء مع كبر)) (٣)

((لا خير مع الشح)) ، ((لا حجة مع الهم)) .

((لا شرف مع سوء الأدب)) (٤) .

((لا اجتناب محرم مع الحرص)) .

((لا راحة مع الحسد)) (٥) .

((لا محبة مع كثرة المراء)) (٦) .

((لا سؤدد مع انتقام)) ، ((لا زيادة مع الزعارة)) ، ((لا صواب مع ترك المشورة)) ، ((لا مروة مع الكذب)) ، ((لا وفاء للمملوك)) .

((لا كرم أعز من التقوى)) (٧) .

((لا شرف أعلى من الإسلام)) (٨) .

((لا معقل أحسن من الورع)) (٩) .

((لا شفيع أنجح من التوبة)) (١٠) .

((لا لباس أجمل من العافية)) (١١) .

((لا داء أعيى من الجهل)) .

((لا مرض أضنى من قلة العقل)) (١٢) .

---

(١) التوبة ٢١
(٢) الغرر والدرر ص ٣٤٦
(٣) شرح النهج ج١٥ ص١٠٦
(٤) الغرر والدرر ص ٢٤٨
(٥) كشف الريبة ص ٥٥
(٦) الغرر والدرر ص ٣١١
(٧) مجموعة ورام ج٢ ص٣٩
(٨) التوحيد ص ٧٢
(٩) شرح النهج ج١٩ ص٣٠١
(١٠) التوحيد ص ٧٢
(١١) المصدر السابق
(١٢) الغرر والدرر ص ٥٥

وقال عليه السلام ((الصبر على المصيبة مصيبة للشامت بها)) (١) .

ومن الحكمة (الأدب مال واستعماله كمال) ، شعر :

لا تأس إذا كنت ذا أدب   على خمولك أن ترقى إلى فلك
فبينما الذهب إلا برين مختلط   بالترب إذا صار كليلا على الملك

يستدل على عقل الرجل بقوله وعلى أصله بفعله .

((من قوم لسانه زان عقله)) (٢) .

((من سدد كلامه بان فضله ومن منّ بمعروف سقط شكره ، ورب كلمة خربت قصورا وعمرت قبورا ، والاستمتاع أسلم من القول ، ومن قال ما لا يحبه الناس سمع منهم ما يكرهه ، وعي تسلم به خير من نطق تندم عليه) .

وقال لقمان لابنه ((يا بني إن القلوب مزارع فازرع الطيب فإن لم ينبت كله نبت بعضه)) .

وقيل إذا اصطنعت المعروف فاستره وإذا اصطنع عندك فانشره ، وصحبة الأشرار تورث سوء الظن بالأخيار ، قصص الأولين مواعظ الآخرين ، وتجمل الرجل لسان نعمة الله عليه ، خير المعروف ما لم يتقدمه مطل ولم يتعقبه منّ ، رسول المرء ترجمان عقله ، الفكر مرآة صافية ، الأناة محمودة إلا عند إمكان الفرصة ، السلاح ثم الكفاح ، الجهل موت الأحياء ، الشر يأتي من لا يأتيه ، شر العمى عمى القلب .

وقال عليه السلام ((خمس من خمسة محال الحزم من الفاسق محال والكبر من الفقير محال والنصيحة من العدو محال ، والمحبة من الحسود محال ، والوفاء من النساء محال)) (٣) .

---

(١) إرشاد القلوب ص ٧٤ (٢) الغرر والدرر ص ٢١٠ (٣) معدن الجوهر ص ٤٩

وقال عليه السلام ((ستة لا تفارقهم الكآبة ، الحقود والحسود ، وحديث عهد بغنى ، وغنى يخشى من الفقر وطالب زينة يقصر عنها قدرة ، وجليس لأهل الأدب وليس منهم)) (١) .

وقال عليه السلام ((لا راحة لحسود ولا مودة لملول)) (٢) .

وقال أمير المؤمنين عليه السلام ((الأدب حلي في الغنى كنز عند الحاجة عون على المروة صاحب في المجلس مؤنس في الوحدة تعمر به القلوب الواهية وتحيى به الألباب الميتة وتنفذ به الأبصار الكليلة ويدرك به الطالبون ما حاولوا)) .

وقال أمير المؤمنين عليه السلام ((إذا هبت أمرا فقع فيه فإن شدة توقيه أعظم من الوقوع فيه)) (٣) .

وقال عليه السلام ((قرنت الهيبة بالغيبة والحياء بالحرمان)) (٤) .

قال علي عليه السلام ((علامة الايمان أن تؤثر الصدق حيث يضرك على الكذب حيث ينفعك)) (٥) .

وقال عليه السلام ((إذا أقبلت الدنيا على رجل أعارته محاسن غيره وإذا أدبرت عنه سلبته محاسن نفسه)) (٦) .

وقال جعفر الصادق عليه السلام ((من لم يستحي من العيب و يرعوي عند الشيب ويخشى الله بظهر الغيب فلا خير فيه)) (٧) .

ونقل عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال ((أقيلوا ذوي المروات عثراتهم فما يعثر منهم عاثر إلا ويده بيد الله يرفعه)) (٨) ، وقيل ((من كثرت أياديه قلت أعاديه)) .

وقال عليه السلام ((بالاحسان يستعبد الانسان ، وبالبر يستعبد الحر)) (٩) .

---

(١) معدن الجوهر ص ٥٣ (٢) كنز الفوائد ج١ ص١٣٧ (٣) الغرر والدرر ص ٢٦٣
(٤) شرح النهج ج١٨ ص١٣١ (٥) شرح النهج ج٢٠ ص١٧٥ (٦) جامع الأخبار ص١٨٠
(٧) كشف الغمة ج٢ ص٢٠٥ (٨) شرح النهج ج١٨ ص١٢٨ (٩) الغرر والدرر ص ٢٨٥

وقال الشاعر :

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم فربما استعبد الانسان إحسان
وإن أساء مسيء فليكن لك في عراض زلته صفح وغفران
وكن على الدهر معوانا لذي أمل يرجوك فيه فإن الحر معوان

قال ((الأخلاء نفس واحدة في أبدان متباعدة)) .
((رب أخ لك لم تلده أمك)) (١) .
((من قنع برزقه استغنى ومن صبر أدرك ما يتمنى)) .
((الأماني تعمى أعين البصائر)) (٢) .
((أولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة)) (٣) .
((الدال على الخير كفاعله)) (٤) .
((القلم أحد اللسانين)) (٥) .
((من قل صدقه قل صديقه)) .
((إذا لم تستحي فاصنع ما شئت)) (٦) .
((من حمل ما لا يطيق عجز)) (٧) .
((من أحب نكد الأعداء فليزدد شرفا ومجدا)) .
((أطول الناس ندامة في الدنيا صانع المعروف إلى من لا يشكره وفي الآخرة عالم مفرط)) .

ونقل أن أمير المؤمنين عليه السلام قال ((لا خير في صحبة من اجتمع فيه ست خصال ، إن حدثك كذب وإن حدثته كذبك وإن ائتمنته خانك وإن ائتمنك اتهمك وإن أنعمت عليه كفرك وإن أنعم عليك منّ عليك)) (٨) .

---

(١) الغرر والدرر ص ٤٢٤ (٢) شرح النهج ج١٨ ص١٥١ (٣) أمالي الصدوق ص ٢٠
(٤) الخصال ص ١٣٤ (٥) شرح النهج ج٩ ص٦٨ (٦) أمالي الصدوق ص٥١٠
(٧) مجموعة ورام ج٢ ص٣٩ (٨) معدن الجوهر ص ٥٤

وأوصى ابنه أبا محمد الحسن عليهما السلام، فكان من وصيته له ((يا بنى أوصيك بتقوى الله عز وجل في الغيب والشهادة وكلمة الحق في الرضا والغضب والقصد في الفقر والغنى والعدل على الصديق والعدو والعمل في النشاط والكسل والرضا عن الله عز وجل في الشدة والرخاء، واعلم يا بنى أن من الصبر عيب نفسه شغل عن عيب غيره، ومن رضى بقسم الله يحزن على ما فاته، ومن سل سيف البغي قتل به، ومن حفر لأخيه بئرا وقع فيها، ومن نسي خطيئته استعظم خطيئة غيره، ومن سلك مسالك السوء اتهم، ومن اتهم الأنذال حقر، ومن جالس العلماء وقر، ومن مزح استخف به، ومن أكثر من شيء عرف به، ومن كثر كلامه كثر خطؤه ومن كثر خطؤه قل حائه ومن قل حياؤه قل روعه ومن قل روعه مات لبه ومن مات قلبه دخل النار، يا بنى من أكثر ذكر الموت رضى من الدنيا باليسير، يا بنى العافية عشرة أجزاء تسعة منها في الصمت الا بذكر الله وواحدة في ترك مجالسة السفهاء، ومن تزين بمعاصي الله في المجالس أورثه الله ذلا، يا بنى من كنوز الله الصبر على المصائب وإياك مصادقة الأحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرك وإياك ومصادقة الكذاب فإنه يقرب إليك البعيد ويبعد عنك القريب، يا بنى كم نظرة جلبت حسرة وكم كلمة سلبت نعمة، لا شرف أعلى من الإسلام ولا لباس أجمل من العافية التدبير قبل العمل يؤمنك الندم ولا تؤيس مذنبا على ذنبه فكم عاكف على ذنب ختم له بالخير وكم مقبل على عمله أفسده في آخر عمره فصار إلى النار)).

وقيل الوحدة خير من جليس السوء، ومن وعظك فقد أيقظك ومن بصّرك فقد نصرك فخرك بفضلك خير منه بأصلك، الإحسان يقطع اللسان، من اصطنع المعروف إلى غير أهله فقد أضاعه ومن لم يصطنع المعروف عند أهله أضاع نفسه

متى تضع الكرامة في لئيم فإنك قد أسأت إلى الكرامة
وقد ذهب الصنيع بها ضياعا وكان جزاؤها طول الندامة

وعن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال ((لا تبد الشماتة لأخيك فيرحمه الله ويصيرها بك)) (١) .

وقال ((من شمت بمصيبة نزلت بأخيه لم يخرج من الدنيا حتى يفتتن به)) (٢) .

وعن الصادق عليه السلام يقول ((إن اللعنة إذا خرجت من في صاحبها ترددت فإن وجدت مساغا وإلا رجعت على صاحبها)) (٣) .

عن ابن عباس قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله ((ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام ولاية الله وحبه عبادة الله واتباعه فريضة الله وأولياؤه أولياء الله وأعداؤه أعداء الله وحربه حرب الله وسلمه سلم الله عز وجل)) (٤) .

وعن يونس بن ظبيان عن أبي عبدالله عليه السلام في حديث قال ((إن الله يدفع بمن يصلي من شيعتنا عمن لا يصلي من شيعتنا ولو أجمعوا على ترك الصلاة هلكوا ، وإن الله يدفع بمن يزكي من شيعتنا عمن لا يزكي ولو أجمعوا على ترك الزكاة هلكوا ، وإن الله يدفع بمن يحج من شيعتنا عمن لا يحج ولو أجمعوا على ترك الحج هلكوا وهو قول الله عز وجل } ولو دفع الناس بعضها ببعض لفسدت الأرض والله ذو فضل على العالمين { فوالله ما نزلت إلا فيكم ولا عنى بها غيركم)) (٥) .

وفي المشورة روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال

---

(١) (٢) البحار ج٧٥ ص٢١٦ (٣) مجموعة ورام ج٢ ص٢٠٩ (٤) أمالي الصدوق ص ٣٢
(٥) الكافي ج ٢ ص ٤٥١

((المشورة حصن من الندامة وأمان من الملامة)) ، وقال علي عليه السلام ((نعم المؤازرة المشاورة وبئس الاستعداد الاستبداد)) ، وقيل (المشاور في رأيه ناظر من ورائه وما حار من استخار ولا ندم من استشار) .

قال الشاعر :

قارن برأيك رأي غيرك واستشر فالحق لا يخفى على اثنين
فالمرء بالمرآة يبصر وجهه ويرى قفاه بوضع مرآتين

وينبغي أن يكون المستشار فيه خمس خصال ، الأولى عقل كامل مع تجربة سالفة وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال ((استرشدوا العاقل ترشدوا ولا تعصوه فتندموا)) (١) ، الثانية أن يكون ذا دين وتقى مأمون السريرة ، الثالثة أن يكون ودودا ناصحا فالود والنصح يصدقان الفكر يمحصان الرأي ، وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام ((انصح لكل مستشير ولا تستشر إلا الناصح اللبيب)) (٢) ، الرابعة أن يكون سليم الفكر من هم قاطع وغم شاغل ، الخامسة أن لا يكون له في الأمر المستشار فيه غرض يتبعه ولا هوى يجلبه .

وسأختم هذا الباب بذكر الكبائر من الذنوب وحقيقة التوبة والاستغفار ، ففي ثواب الأعمال عن أحمد بن عمر الحلبي ، قال سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عز وجل ﴿ إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم ﴾ (٣) قال ((من اجتنب ما أوعد الله عليه النار إذا كان مؤمنا كفر الله عنه سيئاته ويدخله

(١) مجموعة ورام ج٢ ص٣٢ (٢) شرح النهج ج٢٠ ص٣١٥ (٣) النساء ٣١

مدخلا كريما)) (١) ، والكبائر السبع الموجبات ، قتل النفس الحرام وعقوق الوالدين وأكل الربا والتعرب بعد الهجرة وقذف المحصنة وأكل مال اليتيم والفرار من الزحف .

واعلم أن النفس الحرام المراد بها ما هو أعم من النبي والامام والمؤمن ، فقاتل النبي والوصي كافر لا يقبل منه توبة ، وأما المؤمن فإن كان قاتله قتله لأجل إيمانه فهو كافر لا يقبل منه توبة بمعنى أنه لا يوفق للتوبة وإن أظهر الندم لأن من يجرى ذلك منه لا يكون إلا خبيث الطينة وإن أظهر الاسلام كوحشي وأمثاله وقد ورد أنه لا يقبل توبة قاتل النبي والامام ولا المبتدع ، لقول رسول الله صلى الله عليه وآله ((أبى الله لصاحب البدعة بالتوبة ، قيل يا رسول الله وكيف ذالك ؟ قال إنه قد أشرب قلبه حبها)) (٢) ، فأبان صلى الله عليه وآله أنها لا تصدر إلا عن من لا خير فيه ، ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها ، و نصوا عليهم السلام أن المراد به من قتله لأجل إيمانه ومن قتل مؤمنا متعمدا لترة غير الايمان فإنه تقبل توبته ويوفق للتوبة بفضل الله ومنه فيكون عذابه منقطعا .

وأما عقوق الوالدين فالمراد به معصيتهما ، ففي الظاهر أن من عق والديه عذبه الله ولا يوجب كفرا ولا خلودا ، هذا إن أريد بالوالدين أبوا الجسم وقد عظم الله شأنهما ونهى عن معصيتهما إلا إذا أرادا من الولد معصية الله فلا طاعة لهما عليه ، قال عليه السلام ((لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق)) (٣) ، فعن أبي عبدالله عليه السلام قال ((أدنى العقوق أف ولو علم الله عز وجل شيئا أهون منه لنهى عنه)) (٤) ، وعنه عليه السلام قال ((من نظر إلى أبويه نظر ماقت وهما ظالمان له لم يقبل الله له صلاة)) (٥) ، يريد عليه السلام

---

(١) ثواب الأعمال ص ١٣٠ (٢) علل الشرايع ص ٤٩٢ (٣) أمالي الصدوق ص ٣٦٨

(٤) عيون الأخبار ج٢ ص ٤٤ (٥) مجموعة ورام ج٢ ص٢٠٨

أنه لا يجوز بغضهما وإن ظلماه فإنه يجب مصاحبتهما بمعروف وإن كانوا كافرين لقوله ﴿ وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا واتبع سبيل من أناب إلي ﴾ (١)، وإن أريد بهما أبوا العقل فعاقهما كافر مخلد في النار، فعن أبي الحسن عليه السلام قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله ((كن بارا واقتصر على الجنة فإن كنت عاقا فاقتصر على النار))، وعن أبي عبدالله عليه السلام قال (إذا كان يوم القيامة كشف غطاء من أغطية الجنة فوجد ريحها من كانت له روح من مسيرة خمسمائة عام إلا صنف واحدا، قلت من هم؟ قال العاق لوالديه)) (٢) لأن الوالدين يراد بهما أبوا العقل وهما محمد وعلي عليهما السلام لقوله صلى الله عليه وآله ((يا علي أنا وأنت أبوا هذه الأمة)) (٣)، وكلاهما ذكران لأنهما نور واحد من حقيقة واحدة، وهذا هو المشار إليه بقوله صلى الله عليه وآله ((إن الله تبارك وتعالى قبض قبضة من طين فخلطها بيمينه وكلتا يديه يمين فخلق منهما آدم، وفضل فضلة من الطين فخلق منها حوّا)) (٤)، فأراد باليمين الجهة العليا وهي الجهة الفاعلية، إذا اليمين القوة والقدرة والعقول برزت عنهما بالانفصال الأثري كشعاع الشمس من الشمس وليس فيهما طبيعة انفعالية بل حقيقتهما جهة الله العليا فاعلية نورانية فهما مبدأ ظهور الأشياء لا بالاقتطاع ولا بالتوليد لأنهما أمر الله.

وقد يراد بالأبوين أبوا النفس الأمارة وهما الأعرابيان وكلاهما أنثيان لقوله تعالى ﴿ إن يدعون من دونه إلا إناثا وإن يدعون إلا شيطانا مريدا لعنه الله ﴾ (٥)، وورد أنه ما سمي أمير المؤمنين فيرضى بذلك غير علي بن أبي طالب إلا من

---

(١) لقمان ١٥ (٢) إرشاد القلوب ص ١٧٩ (٣) البحار ج٢٣ ص١٢٨
(٤) تفسير العياشي ج١ ص ٢١٦ (٥) النساء ١١٧

يؤتى في دبره ، هذا في الظاهر ، وأما في الباطن فالمراد به أنهما مبدأ انفعال النفس الأمارة ، وكل الخبائث بالتوليد المعنوي المشار إليه بالانفعال ، قال عليه السلام ((خلقت الذكورة مناة للفعل وخلقت الأنوثة مناة للانفعال)) ومعنى مناة مقدرة فحقيقة قبول الانفعال هو التوليد المعنوي الذي أردته .

وقد يراد بالأبوين أبوا الجسم ، وهما ذكر وأنثى لأن الأجسام محل اجتماع ظاهر المقامين ، فكان في الذكر ثلثان من مظهر العقل وثلث من مظهر النفس وفي الأنثى بالعكس ، هذا مجمل الأمر وقد أشار سبحانه وتعالى إلى هذا التقسيم بتأويل قوله تعالى ﴿ أن اشكر لي ولوالديك إليّ المصير ﴾ (١) ، يريد محمدا وعليا عليهما السلام ، فقرنهما به في وجوب شكرهما على نعمة الايمان والهداية كوجوب شكره على نعمة الايجاد والبداية ثم أنه سبحانه أخبر عن أبوي النفس بقوله ﴿ وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس به علم فلا تطعهما ﴾ (يعنى بهما الأعرابيين ، وبعد ذلك أخبر عن أبوي الجسد) بقوله ﴿ وصاحبهما في الدنيا معروفا واتبع سبيل من أناب إليّ ﴾ (٢) ، يعنى أبوا العقل محمد وعلي الذين قرنها معه في وجوب الشكر ، وأما في الظاهر فظاهر بأن عود الضمائر إلى معود واحد ، وفي الخصال بدل عقوق الوالدين والتعرب الشرك بالله والسحر .

وفي خبر من الخصال عن الصادق عليه السلام في حديث شرائع الدين قال ((والكبائر محرمة وهي الشرك بالله عز وجل ، وقتل النفس التى حرم الله وعقوق الوالدين ، والفرار من الزحف ، وأكل مال اليتيم ظلما ، وأكل الربا بعد البينة وقذف المحصنات ، وبعد ذلك الزنا ، واللواط ، والسرقة ، وأكل الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به من غير ضرورة ، وأكل السحت

---

(١) لقمان ١٤ (٢) لقمان ١٥

والبخس في المكيال والميزان ، والميسر ، وشهادة الزور ، واليأس من روح الله ، والأمن من مكر الله ، والقنوط من رحمة الله وترك معاونة المظلومين ، والركون إلى الظالمين واليمين الغموس ، وحبس الحقوق من غير عسر واستعمال الكبر والتجبر ، والكذب والإسراف ، والتبذير ، والخيانة والاستخفاف بالحج ، والمحاربة لأولياء الله عز وجل ، والملاهي التي تصد عن ذكر الله تبارك وتعالى مكروهة كالغناء وضرب الأوتار والإصرار على صغائر الذنوب)) (١) ، ومثله خبر عيون أخبار الرضا ، بتغيير يسير وزاد فيه شرب الخمر ولم يذكر التجبر لاستعمالها فيه في كثير من المواضع وحيث كانت أخف مما سواها مما تقدم ذكره عبر عنها بالكراهة لتعظيم الكبائر السابقة ذكرها ، يعني أن هذه وإن كانت كبائر كما دلت عليه الأخبار فنسبتها إلى ما تقدم من الكبائر كنسبة المكروه إلى الحرام وهذا نهاية التعظيم والتشديد في إنكار تلك الكبائر السابقة .

ومن الكبائر السحق فسأل رجل أبا عبدالله وأبا إبراهيم عليهما السلام عن المرأة تساحق المرأة وكان متكئا فجلس ، وقال ((ملعونة ، ملعونة الراكبة والمركوبة ، وملعونة حتى تخرج من أثوابها الراكبة والمركوبة ، فإن الله تبارك وتعالى وملائكته وأولياءه يلعنونهما وأنا ومن بقي في أصلاب الرجال وأرحام النساء فهو والله الزنا الأكبر ولا والله ما لهن توبة ، قاتل الله لاقيس بنت إبليس ماذا جاءت به ؟ فقال الرجل هذا ما جاء به أهل العراق ، فقال والله لقد كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله قبل أن يكون العراق، وفيهن قال رسول الله ، لعن الله المتشبهات بالرجال من النساء ولعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء)) (٢) .

وعن الصادق عليه السلام قال ((لعن رسول الله صلى

---

(١) الخصال ص ٦١٠ (٢) الكافي ج ٥ ص ٥٥٢

الله عليه وآله المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال ، قال : وهم المخنثون واللاتي ينكح بعضهن بعضا)) (١) .

وعنه عليه السلام أنه دخل عليه نسوة فسألته امرأة منهن عن السحق ، فقال ((حدها حد الزاني ، فقالت المرأة ما ذكر الله عز وجل ذلك في القرآن ، فقال : بلى قالت : أين هو ، قال : هن أصحاب الرس)) (٢) ، واعلم أن إرادة الباطن لنفي حكم الظاهر ، إن كان حجة فالظاهر أولى بالحجية وإنما أبان عليه السلام وجها من وجوه التشبه حيث كان أفضحها وأعظمها عند الله إثما فافهم .

وعن محمد بن مسلم عن أبي عبدالله عليه السلام قال ((قلت له : جعلت فداك مالنا نشهد على من خالفنا بالكفر وبالنار ولا نشهد لأنفسنا ولأصحابنا أنهم في الجنة ؟ قال : من ضعفكم إن لم يكن فيكم شيء من الكبائر فاشهدوا أنكم في الجنة ، قلت فأي شيء الكبائر جعلت فداك ؟ قال : أكبر الكبائر الشرك وعقوق الوالدين ، والتعرب بعد الهجرة ، وقذف المحصنة والفرار من الزحف ، وأكل مال اليتيم ظلما ، والربا بعد البينة ، وقتل المؤمن ، فقلت له : الزنا والسرقة ، فقال : ليسا من ذالك) (٣) ، يريد عليه السلام أنهما ليسا من هذه التى هي أكبر الكبائر وإن كانتا من الكبائر فهما أخف من هذه المذكورة ، وفي بعض الأخبار بدل السبع تسع (وعد استحلال البيت الحرام والسحر) كما في كنز الفوائد للكراجكي (٤) ، وفي بعضها ((لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الإصرار)) كما في التوحيد (٥) عن النبى صلى الله عليه وآله .

وقوله عليه السلام (من ضعفكم) يريد من ضعف يقينكم ويمكن أن يريد من ضعف إيمانكم العملي ولذا قال عليه

---

(١) المحاسن ص١٣ (٢) غوالي اللآلي ج٣ ص٥٥٩ (٣) الخصال ص ٤١١
(٤) كنز الفوائد ج ٢ ص ١١ (٥) التوحيد ص ٤٠٧

السلام (إن لم يكن فيكم شيء من الكبائر فاشهدوا أنكم في الجنة)، يعنى أن مرتكب الكبائر والمداومة عليها قد يخرج المؤمن من إيمانه نعوذ بوجه الله الكريم وذلك إذا أصر على الكبائر حتى يتبذخ بها ويراها فخرا ولا يستتر بها فعند ذلك فعند ذلك يأخذ في بعض أهل البيت عليهم السلام، ومن لم يخرج عن إيمانه ومات وهو مصرّ على ارتكاب الكبائر إذا كان من الشيعة فقد روي أنه لا يدخل جنة المؤمنين من ولد آدم بل يحشر مع مؤمنى الجن فيدخل في جنة المؤمنين من الجن وكذا حكم أولاد الزنا من المؤمنين كما دلت عليه بواطن بعض الأخبار وإن كان أكثرها دالا على عدم نجاة أولاد الزنا وأنهم كفار ولا يقبلون الطهارة وإن أظهر الإسلام كما يختاره ابن إدريس. فروى الصدوق بإسناده عن الصادق عليه السلام قال ((يقول ولد الزنا يا رب ما ذنبى؟ فما كان لي من أمري صنع فيناديه مناد فيقول: أنت شر الثلاثة أذنب والدالك فتبت عليهما وأنت رجس ولن يدخل الجنة إلا طاهر)) (١)، يريد عليه السلام أن ولد الزنا هو حقيقة تلك النطفة النجسة الرجسة الخبيثة التى أصلها من سجين فهي لا تقبل التطهير بخلاف أبويه فإنهما كانا طاهرين وتنجسا بحمل تلك النطفة الخبيثة وسريانها فيهما فكانت هي الحاملة لهما والداعية لهما على ارتكاب الزنا حين بخرت فيهما لأنها وركب الشيطان ومبدأ الخبائث فالنجس لا يقبل التطهير و المتنجس يقبل التطهير لأن النجاسة عارضة له بخلاف النجس الذاتي ولذا قال أنت شر الثلاثة يعنى أنه شر من أبويه .

وفي المحاسن بسنده عن أبي عبدالله عليه السلام قال ((إن كان أحد من أولاد الزنا نجا لنجا سائح بنى إسرائيل، قيل: وما كان سائح بنى إسرائيل، قال: كان عابدا فقيل له إن ولد الزنا لا يطيب أبدا ولا يقبل الله منه عملا، قال: فخرج يسيح بين الجبال ويقول

---

(١) علل الشرايع ص ٥٦٤

ما ذنبي)) (١) ، وهذا جهل منه لزعمه أن التقصير كان من أبويه كما يظنه كثير ممن يدعي العلم وهو غلط ناش عن جهل كما سبق بيانه .

ومنها ما ورد إن لولد الزنا علامات أحدها بغضنا أهل البيت كما سبق وما دل على إسلامه وإيمانه من الأخبار فمحمول على طهارة ظاهره كالمنافقين .

وفي الكافي عن عبيد بن زرارة قال : سألت أبا عبدالله عليه السلام عن الكبائر فقال ((هن في كتاب علي عليه السلام سبع الكفر بالله ، وقتل النفس وعقوق الوالدين ، وأكل الربا بعد البينة وأكل مال اليتيم ظلما ، والفرار من الزحف والتعرب بعد الهجرة ، قال فقلت : فهذا أكبر المعاصي ، قال : نعم ، قلت : فأكل درهم من مال اليتيم ظلما أكبر أم ترك الصلاة ؟ قال : ترك الصلاة ، قلت : فما عددت ترك الصلاة في الكبائر فقال : أي شئ أول ما قلت لك ؟ قال : قلت الكفر ، قال : فإن تارك الصلاة كافر يعنى من غير علة)) (٢) .

واعلم أن تارك الصلاة إن كان مستحلا فهو كافر وإن لم يكن مستحلا بل متهاونا فليس بكافر وما دل من الأخبار صريحا وضمنا على كفر تارك الصلاة يحمل على المستحل أو يحمل الكفر على معناه الأعم ويراد به هنا كفر طاعة لا كفر جحود لمن لم يستحل تركها كما قال سبحانه ﴿ ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين ﴾ (٣) ، هذا إن أريد بالصلاة ظاهرها وإن أريد بها باطنها أعنى ولاية أمير المؤمنين عليه السلام فالمراد بالكفر كفر الجحود وعليه تنطبق الأخبار ، ففي المكارم عن النبي صلى الله عليه وآله قال ((من أكل مع من لا يصلي فكأنما قتل سبعين نبيا أو زنا بسبعين محصنة في بيت الله

---

(١) المحاسن ص ١٠٨   (٢) الكافي ج ٢ ص ٢٧٨   (٣) آل عمران ٩٧

الحرام)) ، وقال صلى الله عليه وآله ((من أحرق سبعين مصحفا أو قتل سبعين نبيا أو زنا في أمه سبعين مرة فهو أقرب إلى رحمة الله ممن يترك الصلاة)) ، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم ((العهد الذي بيننا وبين المؤمنين الصلاة ومن تركها كان كافرا)) ، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم ((من ترك الصلاة من أمتي ماله حرام وطعامه حرام وشرابه حرام ولباسه حرام ومجالسته حرام فإذا مرض فلا تعودوه وإذا مات فلا تمشوا مع جنازته ولا تقربوا إلى قبره ، تارك الصلاة ملعون في التوراة والإنجيل والزبور والفرقان)) .

واعلم أن الذنوب منها مالا يكفره شئ وقد تقدم أنها قتل النبي والإمام و المؤمن لأجل إيمانه والابتداع في الدين ومنها ما لا يكفره إلا الإقلاع عنها وله شروط تقدم ذكرها إذ التوبة مركبة إما من شيئين كما في حقوق الله وهما الندم على ما مضى من فعله والعزم على عدم العود فيه ، وإما من ثلاثة كما في حقوق الآدميين فإنها مركبة من الندم على ما مضى والعزم على عدم العود فيه ومن أداء الحقوق فما كان لله فإنه قد يعفوا وأما ما كان لغيره فلا يعفو عنه لأنه إذا كان العفو عن الظالم فضلا كان إضاعة حق المظلوم مع القدرة على إعطائه حقه جورا فلذا ورد أن الله حكم وإنه لا يتجاوزه ظلم ظالم وعلى الصراط عقبة اسمها المرصاد حتم الله ألا يتجاوزها أحد بمظلمة أحد . قال سبحانه ﴿ إن ربك لبالمرصاد ﴾ (١) فمن جاز تلك العقبة نجا ، وقد تقدم أن الندم توبة ، ومنها ما يكفره الاستغفار بشرط ألا يقيم ويصر على الذنب فإن استغفار المصر استهزاء بالله ، فعن أبي جعفر عليهما السلام يقول ((التائب من الذنب كمن لا ذنب له والمقيم على الذنب وهو يستغفر كالمستهزئ)) (٢) .

---

(١) الفجر ١٤ (٢) إرشاد القلوب ص ١٨٠

وعن أبي عبد الله عليه السلام ((إن الله يحب العبد المفتن التواب ومن لا يكون ذلك منه كان أفضل)) (١)

واعلم أن استغفار النبي وأهل بيته عليهم السلام لا يكون لأجل صدور الذنب و إنما ذلك لوجهين أحدهما للتعليم لأنهم عليهم السلام أدلاء على الله بأفعالهم وأقوالهم وأحوالهم وقد ورد أن خطاب الله للنبي في مقام التأنيب مثل ﴿ لئن أشركت ليحبطن عملك ﴾ (٢) وأمثال ذلك مثل ﴿ واستغفر لذنبك ﴾ (٣) أن ذلك كله من باب إياك أعني واسمعي يا جاره أي الخطاب للراعي والمقصود منه الرعية وقوله ﴿ ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ﴾ (٤) من هذا الباب ويحتمل أنه من باب مجاراة الخصوم لأن قريشا لما قالوا أن محمدا أذنب ذنبا لا يغفر له سفه أحلامنا وسب آلهتنا ، أنزل الله وذلك مجاراة للخصوم في دعواهم وتهكما بهم ويجوز أن يكون المراد به غفران الذنوب التي تحملها عن العصاة من أمته الموالين لأهل بيته لأنهم عليهم السلام تحملوا ذنوب شيعتهم فكانوا غارمين ما ضمنوا فغفر الله لهم ما ضمنوه ، والمراد بذنوب الشيعة ما لم يقصدوا به مخالفة الله ولم يصروا على الذنوب تهاونا بها لا مطلقا ، والثاني أن يكون معنى الاستغفار حقيقة هو الإنابة إلى الله والرجوع لا لاقتراف ذنب فلذا كان يقول أتوب إلى الله كما أجاب به الصادق عليه السلام زيدا الشحام في الخبر الآتي حين قال الشحام كان يقول أستغفر الله وأتوب إليه ، قال عليه السلام له ((لا يريد أن معنى أستغفر أطلب غفران ذنبي أي ستره وتغطيته ولكن كان يقول أتوب إلى الله يعني أنيب وأرجع))

ورواية زيد الشحام عن أبي عبدالله عليه السلام قال ((كان رسول الله صلى الله عليه وآله ، يتوب إلى الله عز وجل في كل يوم سبعين مرة ، قلت أكان يقول استغفر الله وأتوب إليه ،

---

(١) البحار ج ٦ ص ٤٠ (٢) الزمر ٦٥ (٣) محمد ١٩ (٤) الفتح ٢

قال لا ولكن يقول أتوب إلى الله ، قلت إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يتوب ولا يعود ونحن نتوب ونعود ، فقال الله المستعان)) (١) ، فقوله عليه السلام (الله المستعان) يريد به في الظاهر أن الله المستعان على أن يوفقنا لما وفقه له من عدم العود إلى ذنب وفي الحقيقة مراده إن الله المستعان على تأيدكم ومعرفتكم بمقامه وما خصه وأهل بيته به إذ لو عرفتهم ذلك ما اعتقدتم صدور الذنب منه ، والدليل على أنه ما كان استغفار عن ذنب ما رواه ابن بكير قال سألت أبا عبدالله عليه السلام في قول الله عز وجل ﴿ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ﴾ (٢) فقال ((هو ويعفو عن كثير ، قال قلت ليس هذا أردت أرأيت ما أصاب عليا عليه السلام وأشباهه من أهل بيته من ذلك ، فقال إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يتوب إلى الله في كل يوم سبعين مرة من غير ذنب)) (٣) .

وعن ابن رياب قال سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عز وجل ﴿ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ﴾ أرأيت ما أصاب عليا وأهل بيته من بعده ، هو بما كسبت أيديهم وهم أهل بيت طهارة معصومون ؟ فقال ((إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يتوب إلى الله ويستغفره في كل يوم وليلة مائة مرة من غير ذنب إن الله يخص أولياءه بالمصائب ليأجرهم عليها من غير ذنب)) (٤) .

وعن علي بن إبراهيم رفعه ، قال لما حمل علي بن الحسين عليهما السلام إلى يزيد بن معاوية لعنهما الله فأوقف بين يديه ، قال يزيد لعنه الله ﴿ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ﴾ قال علي بن الحسين عليهما السلام ((ليست هذه الآية فينا ،

---

(١) الكافي ج ٢ ص ٤٣٨
(٢) الشورى ٣٠
(٣) الكافي ج ٢ ص ٤٤٩
(٤) الكافي ج ٢ ص ٤٥٠

إن فينا قول الله عز وجل ﴿ ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير ﴾ (١))) (٢)، يعني أن الله كتب عليهم البلاء في اللوح المحفوظ ومحن الدنيا رفعا لمقامهم بما يصيبهم في هذه النشأة من المصائب فكان حتما لا يتبدل ولا يتغير هذا في ظاهر الأمر كما دلت عليه أخبارهم وفي نفس الأمر الواقع هم طلبوه ورضوا به دفعا لما يصيب أولياءهم من النكال في الآخرة، فيلحق محمدا وآله بسبب المحن التى أصابتهم في الدنيا لتكفير ذنوب شيعتهم شرف عرضي وعلو رتبة عرضي لا ذاتي فإن الرئيس إذا كانت أتباعه مكرمين أتقياء حصلت له زيادة عزة وشرف عرضي فافهم .

ومن الذنوب ما يكفرها الصلاة على محمد وآله وهي اللمم من الذنوب التى تقع بعد المدد المتطاولة لا عن قصد خاص بها والتى تلم بالإنسان مما لا يكاد ينفك عنها كالنظرة الحاصلة من العادة والكلمة التى تخرج بالعادات من المزح ومثله، فعن أبي عبد الله عليه السلام ((ما من مؤمن إلا وله ذنب يهجره زمانا ثم يلم به وذلك قول الله عز وجل ﴿ ألا اللمم ﴾ (٣).

وسألته عن قول الله عز وجل ﴿ الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم ﴾، قال ((الفواحش الزنا والسرقة واللمم الرجل يلم بالذنب فيستغفر الله منه)) (٤).

وعنه عليه السلام قال (ما من ذنب إلا وقد طبع عليه عبد مؤمن يهجره زمان ثم يلم به وهو قول الله عز وجل ﴿ الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم ﴾، اللمم العبد الذي يلم الذنب بعد الذنب ليس من سليقته أي من طبيعته)) (٥)، فقوله عليه السلام (ليس من طبعه وطينته) بل من الخلط الذي لحقه

---

(١) الحديد ٢٢ (٢) الكافي ج ٢ ص ٤٥٠
(٣) النجم ٣٢ (٤) (٥) الكافي ج ٢ ص ٤٤٢

من الأعداء إما في مزج مواد الأغذية وإما من الخالطة الظاهرة ، ولذا قال سبحانه وتعالى ﴿ وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فاعرض عنهم ﴾ (١) وقال تعالى ﴿ إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره ﴾ (٢) وينهى عن مخالطة الأراذل فإن العبد إذا صلى على محمد وآله كفرت عنه وإن كان غافلا عن الاقلاع عنها أما إذا قصد فعلها متذكرا لها فلا بد من الاستغفار عنها هذا إن لم يكن في هذه الحالة مصرا فلو كان مصرا عليها حال قصدها وتذكره لها كانت كبيرة ففي العيون قال الرضا عليه السلام ((من لم يقدر على ما يكفر به ذنوبه فليكثر من الصلاة على محمد وآله فإنها تهدم الذنوب هدما)) (٣) ، وقال عليه السلام ((الصلاة على محمد وآل محمد تعدل عند الله تعالى التسبيح والتهليل والتكبير)) (٤) ، والمراد به أن من وفق لذكر محمد وأهل بيته وكثرة الصلاة عليهم وكان لسانه لهجا بذكرهم لا يعدم التوبة والرجوع والإنابة إلى الله تعالى لطهارته وطيب طينته فإذا عمل السيئات لغلبة شهواته لما أصابه من الخلط تذكر فأبصر ونظر فاعتبر ، قال الله تبارك تعالى ﴿ إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون ﴾ (٥) ، فإذا صلى على محمد وآله وإن كان غافلا عن ذنبه الذي اقترفه طهرت نفسه وزكى عمله فلزمه الاقلاع من باب الحكم الوضعي ، ولذا قال عليه السلام (فليكثر من الصلاة على محمد وآله) ، وهذا أحد أسباب وجوب الصلاة عليه عند ذكره وإن كان سببا خفيا ، وأما السبب الجلي فإكرامه والتنويه به والرغبة إلى الله والدعاء لمحمد وآله لأن معنى اللهم صلى على محمد وآل محمد ، واللهم صل محمدا بأهل بيته ولا تفرق بينهم ولذا وجب اتصالهم به عند ذكره في الصلاة عليه

---

(١) الأنعام ٦٨ — (٢) النساء ١٤٠

(٣) (٤) عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ٢٩٤ — (٥) الأعراف ٢٠١

فمن الأخبار الدالة على وجوب الصلاة عليه واقتران أهل بيته به ما نقل بالأسانيد المتكثرة عنه صلى الله عليه وآله قال ((من ذكرت عنده فلم يصل عليّ فدخل النار فأبعده الله عز وجل من رحمته)) (١).

وفي الصحيح عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام في باب الأذان قال ((لا يجزيك من الأذان إلا ما أسمعت نفسك أو فهمته وافصح بالألف والهاء وصل على النبي صلى الله عليه وآله كلما ذكرته أو ذكره ذاكر عندك في أذان وغيره وكلما اشتد صوتك من غير أن تجهد نفسك كان من يسمع أكثر وكان أجرك في ذلك أعظم)) (٢).

وروي أنه صلى الله عليه وآله يسأل عن قول الله تعالى ﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ﴾ (٣) فقال صلى الله عليه وآله ((هذا من العلم المكنون ولولا أنكم سألتموني ما أخبرتكم عنه إن الله وكل بي ملكين فلا أذكر عند مسلم فيصلي عليّ إلا قال له الملكان غفر الله لك وقال الله و ملائكته آمين ، ولا أذكر عند مسلم فلا يصلي عليّ إلا قال له الملكان لا غفر الله لك وقال الله وملائكته آمين)) (٤).

وفي خبر ((لا تدعوني كقدح الراكب فإن الراكب يملأ قدحه فيشربه إذا شاء ، اجعلوني في أول الدعاء وفي آخره وفي وسطه)) (٥) ، يريد عليه السلام أنكم لا تتركوني وتجعلوني آخر من يعتنى به فإذا ذكرت عندكم لم تعتنوا بذكري والصلاة عليّ كما يفعله المسافر بالقدح وذلك أن العرب من عادتهم أن المسافر

---

(١) أمالي الصدوق ص ٥٨٥ (٢) الفقيه ج ١ ص ٢٨٤ (٣) الأحزاب ٥٦
(٤) غوالي اللآلي ج٢ ص٣٨ (٥) الكافي ج٢ ص٤٩٢

أول ما يضع رحله على دابته وجميع متاعه ويترك قدح الماء الذي يشرب فيه أخيرا فإذا جمع جميع متاعه ورحله على دابته وأراد الركوب أخذ القدح فعلقه خلفه والعلة في ذلك أن المسافر منهم لخوف العطش والاحتياج إلى الماء حال ركوبه يترك القدح بارزا بحيث لو احتاج له تناوله بسهوله فشبه صلى الله عليه وآله من لم يصل عليه عند ذكره بمن يترك القدح أخيرا حتى يجمع ما يحتاج إليه على راحلته فكان التشبيه من حيث عدم المبادرة إلى أخذه وجعله مع أثاثه و متاعه لا من حيث إبقائه أخيرا لأجل الحاجة إليه فافهم .

واعلم أن الصلاة عليه دون ضم آله معه لا تقبل ولا ترفع لأنها صلاة بترا مقطوعة كما يفعله المخالفون فتجب الصلاة على أهل بيته عند وجوب الصلاة عليه فروي بأسانيد معتبرة عنه صلى الله عليه وآله قال ((لا تصلوا علي الصلاة البتراء ، فقالوا يا رسول الله وما الصلاة البتراء ، قال أن تقولوا اللهم صل على محمد بل قولوا اللهم صل على محمد وآل محمد)) .

وسمع الصادق عليه السلام رجلا يقول اللهم صل على محمد ، فقال له الصادق عليه السلام ((لا تبترها ولا تظلمنا حقنا قل اللهم صل على محمد وأهل بيته)) (١) .

وفي الأخبار الصحيحة قال (من صلى علي ولم يصل على آلي لم يجد ريح الجنة وإن ريحها لتوجد من مسيرة خمسمائة عام)) (٢) .

وقال صلى الله عليه وآله ((إذا صلى علي ولم يتبع بالصلاة على أهل بيتي كان بينها وبين السماء سبعون حجابا يقول الله جل جلاله لا لبيك ولا سعديك يا ملائكتي لا تصعدوا دعاءه إلا أن يلحق بنبيه عترته فلا زال محجوبا حتى يلحق بي أهل بيتي)) (٣) .

---

(١) عدة الداعي ص١٦٢ (٢) أمالي الصدوق ص ٢٠٠ (٣) أمالي الصدوق ص٥٨٠

روي أبو بصير عن الصادق عليه السلام أنه قال ((إذا ذكر النبي فأكثر الصلاة عليه فإنه من صلى على النبي صلى الله عليه وآله صلاة واحدة صلى الله عليه في ألف حفيف من الملائكة ولم يبق شيء مما خلقه إلا صلى على ذلك العبد صلاة الله عليه وصلاة ملائكته فمن لا يرغب في هذا فهو جاهل مغرور وقد برء الله منه وملائكته و رسوله)) .

وفي الأمالي في المجلس الستين بسند معتبر عن أمير المؤمنين عليه السلام قال ((قال رسول الله صلى الله عليه وآله من قال صلى الله على محمد وآله قال الله جل جلاله صلى الله عليك ، فليكثر من ذلك ومن قال صلى الله على محمد ولم يصل على آله لم يجد ريح الجنة وريحها يوجد من مسير خمسمائة عام)) (١)

وروي عن معاوية بن عمار قال ذكرت عند أبي عبد الله الصادق عليه السلام بعض أخبار الأنبياء فصليت عليه فقال ((إذا ذكر أحد من الأنبياء فابدأ بالصلاة على محمد ثم عليه صلى الله على محمد وآله وعلى جميع الأنبياء)) (٢) .

و ينبغي ألا تكتب الصلاة بلفظ الرمز كما هو المتعارف في هذه الأعصار قال الشهيد الثاني أول من كتب (صلعم) قطعت يده وأقل ما في الإخلال بالصلاة عليه تفويت الثواب العظيم فقد روي أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال ((من صلى عليّ في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له ما دام اسمي في ذلك الكتاب)) (٣) .

وأكمل الصلاة صوزة ما روي عن الصادق عليه السلام قال ((تقولون صلوات الله وصلوات ملائكته وأنبيائه ورسله وجميع خلقه على محمد وآل محمد والسلام عليه وعليهم ورحمة الله وبركاته ، قال أبو حمزة فقلت فما ثواب من صلى على النبي وآله بهذه

---

(١) أمالي الصدوق ص ٣٩٧ (٢) أمالي الصدوق ص ٣٨٠ (٣) منية المريد ص ٣٤٧

الصلاة قال الخروج من الذنوب والله كهيئته يوم ولدته أمه)) (١) .

واعلم أن العود إلى الذنب لا ينافي التوبة إذا لم يقصد حين التوبة العود في الذنب وإنما أراد من التوبة الندم مع عزمه على عدم العود إليه فإذا عرضت له الخطيئة بعد ذلك فهي ذنب جديد وإن شابه الذنب أو ماثله ، فعن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال ((يا محمد بن مسلم ذنوب المسلم إذا تاب منها مغفورة له فليعمل المؤمن لما يستأنف بعد التوبة والمغفرة أما والله أنها ليست إلا لأهل الايمان ، قلت فإن عاد بعد التوبة و الاستغفار للذنوب وعاد في التوبة ، فقال يا محمد بن مسلم أترى العبد المؤمن يندم على ذنبه ويستغفر الله عز وجل منه ويتوب ثم لا يقبل الله توبته قلت فإنه فعل ذلك مرارا يذنب ثم يتوب ويستغفر ، فقال كلما عاد المؤمن بالاستغفار والتوبة عاد الله عليه بالمغفرة وإن الله غفور رحيم يقبل التوبة ويعفو عن السيئات فإياك أن تقنط المؤمنين من رحمة الله تعالى)) (٢) .

---

(١) معاني الأخبار ص ٣٦٨

(٢) إرشاد القلوب ص ١٨٠

الخاتمة

في ذكر مكارم الأخلاق وحقيقة الاتصاف بها

وتجنب مساوئ الأخلاق وما ورد فيها

الخاتمة

في ذكر مكارم الأخلاق وحقيقة الاتصاف بها وتجنب مساوئ الأخلاق وما ورد فيها .

اعلم أن مكارم الأخلاق لا يتصف بها إلا ذوو النفوس الأبية المرتفعة عن الأخلاق الدنيئة ولم يجمعها كلها إلا سيد البشر وأهل بيته الغرر والأنبياء والأولياء من بعدهم كل بحسب مقامه على قدر طاقته لقبول الفيض من المبدأ الفياض وأما سائر الخلق فمن اتصف بشيء منها فإنما يتصف بصفة من صفات تلك الحقائق التي جمعها صاحب الطريقة وأهل بيته عليهم السلام فلا يكون خلقا كريما ولا وصفا حسنا ذاتيا إلا لهم لأنها صفاتهم وآثار أنفسهم وصفات تلك الصفات والآثار تفرقت في سائر الخلق على حسب استعداداتهم لأن وجود الخلق أثر وجودهم عليهم السلام فكانت صفات الخلق الجميلة أثر صفاتهم قال سبحانه في وصف نبيه صلى الله عليه وآله ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾ (١) وقال جل شأنه ﴿ وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا ﴾ (٢) يعنى نورا لا ظلمة فيه وكمالا لا نقص يعتريه ، وقال عز وجل له ولأهل بيته ﴿ فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ﴾ (٣) وما أحسن ما قال حسان في هذا المقام في مدح النبى عليه وآله أفضل السلام :

---

(١) القلم ٤ (٢) الأحزاب ٤٦ (٣) هود ١١٢

خلقت مبرأ من كل عيب	كأنك قد خلقت كما تشاء

وقال سبحانه في وصف نبيه بالرحمة ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم ﴾ (١)، فحقيقة مكارم الأخلاق وروحها الاتصاف بالعلم والعمل بمقتضاه وصورتها وجسدها حسن الخلق وباقيها مشاعرها وحدودها وقد تقدم في الباب الأول ذكر العقل وصفاته وحقيقة الاتصاف به وسأذكر ما ورد في حسن الخلق الجامع لصورة مكارم الأخلاق فمما ورد على لسان صاحب الشريعة في عدة أخبار مشتركة من الخاصة والعامة قال صلى الله عليه وآله ((أحبكم إلى الله أحسنكم أخلاقا الموطئون أكنافا الذين يألفون ويؤلفون)) (٢)، وقال صلى الله عليه وآله ((إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم ببسط الوجوه وحسن الخلق)) (٣)، وقال صلى الله عليه وآله ((خياركم أحسنكم أخلاقا)) (٤)، وقال صلى الله عليه وآله ((خير ما أعطي العبد حسن الخلق في حسن الصورة))، وقال الباقر عليه السلام ((أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم أخلاقا)) (٥)، وعنه صلى الله عليه وآله ((إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم)) (٦)، وقال صلى الله عليه وآله ((أول ما يوضع في الميزان الخلق الحسن)) (٧)، و ((أكثر ما يدخل الناس الجنة تقوى الله وحسن الخلق)) (٨) يعني أن من اجتمعت فيه هاتان الخصلتان جمع مكارم الأخلاق لأن التقوى عمل العقل وهو روح مكارم الأخلاق وحسن الخلق جسدها .

---

(١) التوبة ١٢٨	(٢) كشف الريبة ص ٤١	(٣) مجموعة ورام ج ١ ص ٩٠
(٤) مشكاة الأنوار ص ١٨٠	(٥) مجموعة ورام ج ١ ص ٩٨	(٦) مجموعة ورام ج ٢ ص٢٢٨
(٧) شرح النهج ج٦ ص٣٣٩	(٨) إرشاد القلوب ١٩٤

وقال صلى الله عليه وآله ((بعثت بمكارم الأخلاق)) (١) ، ((ما من شيء في الميزان أثقل من حسن الخلق)) (٢) ، وقال صلى الله عليه وآله ((عليكم بحسن الخلق)) (٣) ، وقد قيل أن حسن الخلق وحسن الجوار يعمران الديار ويزيدان في الأعمار ، وعن الصادق عليه السلام ((البر وحسن الخلق يعمران الديار ويزيدان في الأعمار)) (٤) ، وقيل : إن حسن الخلق طلاقة الوجه وكف الأذى وبذل الندى .

وقال صلى الله عليه وآله ((ثلاثة من مكارم الأخلاق إعطاء من حرمك ، وصلة من قطعك ، والعفو عمن ظلمك)) (٥) .

وقال صلى الله عليه وآله ((ما اصطحب قوم في وجه لله فيه رضا إلا كان أعظمهم أجرا أحسنهم خلقا وإن كان فيهم من هو أشد اجتهادا منه)) (٦) .

وقال عليه السلام ((من سعادة المرء حسن الخلق ومن شقاوته سوء الخلق)) (٧) .

وعن الصادق عليه السلام ((اخدم أخاك المؤمن فإن استخدمك هو فلا)) (٨) لأنك حين خدمته كانت خدمتك لأجل الله فحين طلب منك هو ذلك تكون خدمتك له وربما يؤدي إلى إذلالك ولا يبعد أن يدخله عجب وتكبر فلا يتصف حينئذ بصفة المؤمنين فلا يستحق الخدمة لعدم الخلة بينهما في تلك الحال ما دام متلبسا بتلك الحالة الرديئة .

وقال صلى الله عليه وآله لحذيفة ((ما اصطحب اثنان إلا كان أعظمهما أجرا و أحبهما إلى الله أرفقهما بصاحبه)) (٩) .

وقال أمير المؤمنين عليه السلام : قال رسول الله صلى الله

---

(١) فقه الرضا ٣٥٣ (٢) جامع الأخبار ص ١٠٧ (٣) روضة الواعظين ص٣٧٨
(٤) أعلام الدين ص ١٢٠ (٥) الحكايات ص ٩٧ (٦) مجموعة ورام ج٢ ص٢٥٠
(٧) المصدر السابق (٨) مجموعة ورام ج٢ ص٢٤٩ (٩) مجموعة ورام ج٢ ص٢٥٠

عليه وآله ((أيما مسلم خدم قوما من المسلمين إلا أعطاه الله مثل عددهم خداما في الجنة)) (١).

وقال الصادق عليه السلام ((أوحى الله تبارك وتعالى إلى بعض أنبيائه الخلق الحسن يميث الخطيئة كما تميث الشمس الجليد)) (٢) يعني به الماء الجامد من البرد.

وقال عيسى عليه السلام للحواريين ((لي إليكم حاجة اقضوها لي، قالوا : قضيت حاجتك يا روح الله، فقام فغسل أقدامهم، فقالوا : كنا نحن أحق بهذا يا روح الله، فقال : إن أحق الناس بالخدمة العالم إنما تواضعت هكذا لكيما تواضعوا بعدي في الناس كتواضعي لكم، ثم قال عيسى عليه السلام : بالتواضع تعمر الحكمة لا بالتكبر وكذلك في السهل ينبت الزرع لا بالجبل)) (٣).

وعن الصادق عليه السلام قال ((الخلق منيحة يمنحها الله عز وجل خلقه فمنه سجية ومنه نية، فقلت : فأيهما أفضل؟ فقال : صاحب السجية هو مجبول لا يستطيع غيره، وصاحب النية يصير على الطاعة تصبرا فهو أفضلها)) (٤) يريد عليه السلام أن المجبول ليس له داعيا إلى ترك ما جبل عليه فيفعل ما يفعله بدون مشقة وكلفة وأما صاحب النية إذا كانت لله فإن عمله فيه مشقة عظيمة لتنازع الدواعي عليه وتخالفهما بالنسبة إليه فإذا خالف مقتضى شهوته ودواعي نفسه في ترك الطاعة فعملها كان أفضل، قال عليه السلام ((أفضل الأعمال أحمزها)) (٥) وهذه الحالة هي أشق الحالات العملية على الانسان إذ عمل البدن وإن شق فهو أسهل من مخالفة النفس وهواها.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام ((المؤمن ألف مألوف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف)) (٦).

---

(١) الكافي ج ٢ ص ٢٠٧ (٢) الكافي ج ٢ ص ١٠٠ (٣) قصص الأنبياء ص ٤١٣
(٤) البحار ج ٧١ ص ٣٧٧ (٥) مفتاح الفلاح ص ٤٥ (٦) شرح النهج ج ١٠ ص ١٣٩

ومن حسن خلق رسول الله صلى الله عليه وآله ما رواه بحر السقا قال : قال لي أبو عبدالله عليه السلام ((يا بحر حسن الخلق يسر ، ثم قال : ألا أخبرك بحديث ما هو في يدي أحد من أهل المدينة ، قلت : بلى ، قال : بينا رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم جالس في المسجد إذ جاءت جارية لبعض الأنصار وهو قائم فاخذت بطرف ثوبه فقام لها النبي صلى الله عليه وآله فلم تقل شيئا ولم يقل لها النبي صلى الله عليه وآله شيئا حتى فعلت ذلك ثلاث مرات فقام النبي صلى الله عليه وآله في الرابعة وهي خلفه فاخذت هدبة من ثوبه ثم رجعت فقال لها الناس : فعل الله بك وفعل حبست رسول الله صلى الله عليه وآله ثلاث مرات لا تقولين له شيئا وهو لا يقول لك شيئا ما كانت حاجتك إليه ، قالت : إن لنا مريضا فأرسلني أهلي لآخذ هدبة من ثوبه يشتفي بها فلما أردت أخذها رآني فقام فاستحييت أن آخذها وهو يراني وأكره أن أستامره في أخذها حتى أخذتها)) (١) ، وإنما كان يقوم إذا أخذت ثوبه لظنه أنها أتته تدعوه لأمر هذا في الظاهر وأما في حقيقة الحال فإنه إنما يفعل ذلك لعلمه بإرادتها فيقوم لتتمكن من أخذ ما تريده فإذا استحت وتركت كان لكريم أخلاقه لا يقول لها خذي حذرا من أن يزداد خجلها .

ونقل أنه صلى الله عليه وآله كان يمشي ومعه أنس بن مالك فأدركه أعرابي فجذبه جذبا شديدا وكان عليه برد بحراني غليظ الحاشية قال أنس : حتى نظرت إلى عنق رسول الله صلى الله عليه وآله أثرت فيه حاشية البرد من شدة جذبه ثم قال : يا محمد هب لي من مال الله الذي عندك ، فالتفت إليه رسول الله صلى الله عليه وآله فضحك ثم أمر له بعطاء ، ولما أكثرت قريش إيذاءه وشجوا رأسه في وقعة أحد قال ((اللهم اهد قومي فإنهم لا

---

(١) مشكاة الأنوار ص ٢٢٢

يعلمون)) (١) فنزل قوله تعالى ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾ (٢) .
ونقل في كرم أخلاقه وحبه لمكارم الأخلاق لأنه المؤسس لها والداعي إليها حتى قال ((بعثت بمكارم الأخلاق)) أنه أرسل عليا عليه السلام مع جند من المسلمين فأغاروا على قبيلة طي وذلك بعد موت حاتم بن عبدالله الطائي فهرب ابنه عدي وأهله إلى الشام فأسر أمير المؤمنين عليه السلام سفانة بنت حاتم وأهاليهم وذراريهم فلما دخلوا المدينة وحضرت سفانة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله قالت : يا محمد هلك الوالد وغاب الواحد (تعني أخاها عديا) فإن رأيت أن تخل عني وتمن علي ولا تشمت بي أحياء العرب فإن أبي كان يفك العاني ويحفظ الجار ويحمي الذمار ويفرج عن المكروب ويطعم الطعام ويفشي السلام ويحمل الكل ويعين على نوائب الدهر ، فقال : يا جارية هذه صفة المؤمنين حقا لو كان أبوك مسلما لترحمنا عليه ، خلوا عنها فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق)) ، وقال صلى الله عليه وآله فيها : ((ارحموا عزيزا ذل وغنيا افتقر وعالما ضاع في زمان جهال)) (٣) ، فأطلقها ومن معها فاستأذنته في الدعاء له ، فقال : اسمعوا وعوا ،فأذن لها فدعت له وقالت : أصاب الله ببرك مواقعه ولا جعل لك إلى لئيم حاجة ولا سلب نعمة عن كريم قوم إلا جعلك سببا لردها عليه ، فرجعت وأرسلت إلى أخيها عدي ، وقيل أتت أخاها عديا وهو بدومة الجندل وقالت : آت هذا الرجل قبل أن تعلقك حبائله فإني رأيت هديا ورأيا سيغلب أهل الغلبة ، رأيت فيه خصالا تعجبني رأيته يحب الفقير ويفك الأسير ويرحم الصغير ويعرف قدر الكبير وما رأيت أجود ولا أكرم منه وإني أرى أن تلحق به فإن يكن نبيا فللسابق فضله وإن يكن ملكا فلن تذل في عز اليمن ، فقدم عدي على النبي صلى الله عليه وآله فألقى له وسادة محشوة ليفا وجلس

---

(١) الخرائج ص ١٦٤ (٢) القلم ٤ (٣) قرب الاسناد ص ٣٢

رسول الله صلى الله عليه وآله على الأرض فأسلم عدي وأسلمت أخته وكان عدي من كرماء العرب وأخته سفانة أكرم منه وذلك مصداق الحديث ((أولى الناس بالكرم من عرقت فيه الكرام)) (١) فشرف الآباء يورث في الأبناء شرفا وكان حاتم كرمه طبيعة لا تطبعا قال ابن أوس في مدح حاتم الطائي :

فإن تنكحي مارية الخير حاتما فما مثله فينا ولا في الأعاجم
فتى لا يزال الدهر أعظم همه فما مثله فينا ولا في الأعاجم

وقد نقل خبر عن أمير المؤمنين عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال ((سألت الملك الموكل باللوح عن حال حاتم فإنه مات على الشرك ، قال : وجدت في اللوح أنه إذا كان يوم القيامة أمر الله تعالى أن يبنى لحاتم بيت في جهنم من المدر ويأمر نار جهنم ألا تأكل البيت فيدخل فيه حاتم فيكون له وقاية من شدة وهج النار)) .

وفي حسن البشر واللقاء بوجه منبسط ما روي عن الصادق عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله ((يا بني عبد المطلب إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فالقوهم بطلاقة الوجه وحسن البشر)) (٢) .

وعنه عليه السلام قال ((ثلاث من أتى الله بواحدة منهن أوجب الله له الجنة ، الإنفاق من إقتار ، والبشر لجميع العالم ، والإنصاف من نفسه)) (٣) .

وعن أبي جعفر عليه السلام قال ((أتى رسول الله صلى الله عليه وآله رجل فقال : يا رسول الله أوصني ، فكان فيما

---

(١) شرح النهج ج ٢٠ ص ٨٣ (٢) مشكاة الأنوار ص ٢٢٢
(٣) مجموعة ورام ج ٢ ص ١٨٨

أوصاه أن قال : و الق أخاك بوجه منبسط)) (١) .

وعن أبي عبدالله عليه السلام ((من صحب أخاه المؤمن في طريق فتقدمه فيه بقدر ما يغيب عن بصر فقد أشاط دمه و أعان عليه)) (٢) يعنى أنه عرضه للمكاره حيث لا يمكنه معاونته والدفاع فينبغي للصاحب أن لا يفارق صاحبه في المخاوف ففي المثل : صاحبك من يده بيدك ومن بعدت عنه فقد فقدك .

وعن الكاظم عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله ((حسن البشر يذهب السخيمة)) (٣) يريد أن حسن البشر يذهب الحقد من النفس .

وعن الفضيل قال ((صنايع المعروف وحسن البشر يكسبان المحبة ويدخلان الجنة ، والبخل وعبوس الوجه يبعدان من الله ويدخلان النار)) (٤) ، فإذا لقيت عدولك بوجه طلق أزلت الشحناء من صدره و أزلت البغضاء من قلبه ، قال سبحانه ﴿ ادفع بالتى هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها (يعنى تلك المدافعة الجميلة) إلا الذين صبروا (على غيظ أنفسهم وكسروا سورة الغضب عنهم) وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم ﴾ (٥) قد كساه الله ملابس الأخلاق الكريمة .

إني لألقى المرء أعلم أنه   عدو وفي أحشائه الضغن كامن
فأمنحه بشري فيه يرجع قلبه   سليما وقد ماتت إليه الضغائن

---

(١) مشكاة الأنوار ص٧٠
(٢) مجموعة ورام ج ٢ ص ٢١
(٣) مشكاة الأنوار ص ٧٠
(٤) أعلام الدين ص ١٢٠
(٥) فصلت ٣٤ - ٣٥

وقال الآخر :

أصادق نفس المرء من قبل جسمه وأعرفها في وجهه والتكلم
وأحلم عن خلي وأعلم أنني متى أجزه حلما عن الجهل يندم
وإن بذل الانسان لي وجه عابس جزيت بجود الباذل المتبسم

وعن جابر عن النبي صلى الله عليه وآله ((من أخلاق النبيين والصديقين البشاشة إذا تراءوا والمصافحة إذا تلاقوا)) (١) .

وقالوا إذا أردت حسن المعاشرة فالق عدوك وصديقك بوجه الرضا والبشاشة ولا تنظر في عطفيك ولا تكثر الالتفات ودع التثاب والتمطي في وجوه الناس ولا تتكبر على أحد وإن قل ماله وضعف حاله تدم لك المودة في الحياة وتذكر بها بعد الممات .

وفي مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام ((حسن المعاشرة مع خلق الله عز وجل في غير معصيته من مزيد فضل الله تعالى عند عبده ، ومن كان مخلصا خاضعا لله في السر كان حسن المعاشرة في العلانية فعاشر الخلق لله تعالى ولا تعاشرهم لنصيبك لأمر الدنيا ولطلب الجاه والرياء والسمعة ، ولا تسقطن لسببها عن حدود الشريعة من باب المماثلة والشريرة فإنهم لا يغنون عنك شيئا وتفوتك الآخرة بلا فائدة فاجعل من هو الأكبر منك بمنزلة الأب والأصغر بمنزلة الولد والمثل بمنزلة الأخ ولا تدع ما تعلمه يقينا من نفسك بما تشك فيه من غيرك ، وكن رفيقا في أمرك بالمعروف وشفيقا في نهيك عن المنكر ، ولا تدع النصيحة في كل حال قال الله تعالى ﴿ و قولوا للناس حسنا ﴾ (٢) ، واقطع عما ينسيك وصله ذكر الله وتشغلك عن طاعة الله ألفته فإن ذلك من أولياء الشيطان وأعوانه ولا يحملنك رؤيتهم إلى المداهنة عند الحق فإن في ذلك خسرانا عظيما نعوذ بالله تعالى)) (٣) .

---

(١) مجموعة ورام ج١ ص٢٩ (٢) البقرة ٨٣ (٣) مصباح الشريعة ٤٣

وقال الصادق عليه السلام ((الخلق الحسن جمال في الدنيا نزهة في الآخرة وبه كمال الدين والقربة إلى الله عز وجل ، ولا يكون حسن الخلق إلا في كل ولي و صفي لأن الله تعالى أبى أن يترك ألطافه بحسن الخلق إلا في مطايا نوره الأعلى وجماله الأزكى لأنها خصلة يخص بها الأعرفين به ولا يعلم ما في حقيقة حسن الخلق إلا الله عز وجل)) (١) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله ((خاتم زماننا إلى حسن الخلق ، والخلق الحسن ألطف شيء في الدين وأثقل شيء في الميزان ، وسوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل وإن ارتقى في الدرجات فمصيره إلى الهوان)) (٢) .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله ((حسن الخلق شجرة في الجنة ، وصاحبه متعلق بغصنه يجذبه إليها)) (٣) .

واعلم أن فروع حسن الخلق حسن الظن وأصله من حسن إيمان المرء وسلامة صدره وعلامته أن يرى كل ما نظر إليه بعين الطهارة والفضل من حيث ما ركب وقذف من الحياء والأمانة والصيانة والصدق .

قال النبي صلى الله عليه وآله ((أحسنوا ظنونكم بإخوانكم تغتنموا بها صفاء القلب ونقاء الطبع ، وقال أبي بن كعب إذا رأيتم أحد إخوانكم في خصلة تستنكرونها منه فتأولوها بسبعين تأويلا فإن اطمأنت قلوبكم على أحدها وإلا فلوموا أنفسكم حيث لم تعذروه و أن تقدروا في خصلة يسرها عليه سبعين تأويلا فأنتم أولى بالإنكار على أنفسكم منه ، أوحى الله تبارك وتعالى إلى داود عليه السلام ذكر عبادي من آلائي و نعمائي فإنهم لم يروا منى إلا الحسن الجميل لئلا يظنوا في الباقي إلا مثل الذي سلف منى إليهم ، وحسن الظن يدعو إلى حسن العبادة والمغرور يتمادى

---

(١) (٢) (٣) البحار ج ٧١ ص ٣٩٣

في المعصية ويتمنى المغفرة ولا يكون أحسن الظن في خلق الله إلا المطيع له يرجو ثوابه ويخاف عقابه ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله يحكي عن ربه أنا عند ظن عبدي بي يا محمد فمن زاغ عن وفاء حقيقة موهبات ظنه بربه فقد أعظم الحجة على نفسه وكان من المخدوعين في أسر هواه)) (١) .

واعلم أن حسن الظن حسن إلا أن عاقبته الكسل قال علي عليه السلام ((ما أحسن حسن الظن إلا أن فيه العجز)) (١) .

وعن الرضا عليه السلام قال ((أحسن بالله الظن فإن الله عز وجل يقول أنا عند ظن عبدي المؤمن بي إن خيرا فخير وإن شرا فشر)) (٢) ﴿ الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء ﴾ (٣) .

وعن الصادق عليه السلام يقول ((حسن الظن بالله ألا ترجو إلا الله ولا تخاف إلا ذنبك)) (٤) .

وعن أبي جعفر عليه السلام قال ((وجدنا في كتاب علي عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال وهو على منبره : والذي لا إله إلا هو ما أعطي مؤمن خير الدنيا والآخرة إلا بحسن الظن بالله ورجائه له وحسن خلقه والكف عن اغتياب المؤمنين ، و الله الذي لا إله إلا هو لا يعذب الله مؤمنا بعد التوبة والاستغفار إلا بسوء ظنه بالله وتقصيره من رجائه وسوء خلقه واغتيابه المؤمنين ، والذي لا إله إلا هو لا يحسن ظن عبد مؤمن بالله إلا كان الله عند ظن عبده المؤمن لأن الله كريم بيده الخيرات يستحيي أن يكون عبده المؤمن قد أحسن به الظن ثم يخلف ظنه ورجاءه فأحسنوا بالله الظن وارغبوا إليه)) (٥) .

---

(١) مصباح الشريعة ص ١٧٣ (٢) البحار ج ٧٠ ص ٣٨٥ (٣) الفتح ٦
(٤) مجموعة ورام ج ٢ ص ٢٨٥ (٥) مشكاة الأنوار ٣٦

وعن أبي جعفر عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله ((قال الله تبارك وتعالى لا يتكل العاملون لي على أعمالهم التي يعملونها لثوابي فإنهم لو اجتهدوا وأتعبوا أنفسهم أعمارهم في عبادتي كانوا مقصرين غير بالغين في عبادتهم كنه عبادتي فيما يطلبون عندي من كرامتي والنعيم في جناتي ورفيع الدرجات العلى في جواري ولكن برحمتي فليثقوا وفضلي فليرجوا وإلى حسن الظن بي فليطمئنوا فإن رحمتي عند ذلك تدركهم ويميني أبلغهم رضواني ومغفرتي ألبستهم عفوي وبعفوي أدخلهم جنتي فإني أنا الله الرحمن الرحيم وبذلك تسميت)) (١) .

من مكارم الأخلاق بل روحها التقوى والورع ، فعن عمرو بن سعيد بن هلال الثقفي عن أبي عبدالله عليه السلام قال ((قلت له لك إني لا ألقاك إلا في السنين فأخبرني بشيء آخذ به ، فقال : أوصيك بتقوى الله والورع والاجتهاد)) (٢) .

واعلم أنه لا ينفع اجتهاد لا ورع فيه وكان أمير المؤمنين عليه السلام يقول ((لا يقل عمل بالتقوى وكيف يقل ما يتقبل)) (٣)

وعن مفضل ابن عمر قال كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فذكرنا الأعمال فقلت أنا ما أضعف عملي فقال ((مه استغفر الله ، ثم قال : إن قليل العمل مع التقوى خير من كثير بلا تقوى ، قلت : كيف يكون كثير بلا تقوى ، قال : نعم الرجل يطعم طعامه ويرفق جيرانه ويوطئ رحله فإذا ارتفع له الباب من الحرام دخل فيه)) (٤) ولذلك أمروا عليهم السلام بترك الحرام وتجنبه والتنزه عن الشبهات خوفا من الوقوع فيه ألا ترى أن آدم عليه السلام حين

---

(١) أعلام الدين ص ٤٢ – ٤٣ (٢) (٤) مجموعة ورام ج ٢ ص ١٨٦
(٣) مجموعة ورام ج ٢ ص ٦٢

أكل من الشجرة لم يكن أكله حراما لأنه نهي عنها نهي إعافة إرشادا له ومع ذلك ما أكل من الشجرة التى نهي عنها وإنما أكل من مثلها من نوعها لأنه لما أشار جبرئيل وقال له عن الله ﴿ لا تقربا هذه الشجرة ﴾ (١) أشار إلى شجرة شخصية وأراد نوعها لأنها مبدأ الكثافة كما ذكرته سابقا مفصلا فأخفى الله تعالى عنه هذه اللطيفة ليجري حكمه عليه لمصالح اقتضتها الحكمة الالهية فخفي على آدم مراد الله فكان وقوع الأكل منه ناشئا عن قصور لا عن تقصير فأصابته الخطيئة من باب الحكم الوضعي فكانت تلك الثمرة التى أكلها سببا لما صار إليه أهل الشقاء الذين عصوا الله حيث كانت طينتهم سارية في صافيها وما فضل منها سرى في النباتات والمعادن فكانت سما والأطعمة الخبيثة المرة ففي بعض النقول أن آدم عليه السلام تقيأ ما أكل من شجرة الحنطة على الأرض بعدما بقي في بطنه ثلاثين يوما فنبت منه السموم النباتية والمعدنية وما بقي من قوته في صلب آدم تولد منه قابيل جسد الكفر ومبدأ صورته الظاهر، وأما روح الكفر ومبدأ مادته فهو التيمي .

وعن حفص بن غياث قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الورع من الناس فقال ((الذي يتورع عن محارم الله عز وجل)) (٢) .

وقال أبو الصباح الكناني لأبي عبدالله عليه السلام: ما نلقى من الناس فيك، فقال أبو عبدالله عليه السلام ((وما الذي تلقى من الناس فيّ ؟، فقال: لا يزال يكون بيننا وبين الرجل كلام فيقول جعفري خبيث، فقال: يعيركم الناس بي ، فقال له أبو الصباح : نعم، قال: فما أقل و الله من يتبع جعفرا منكم، إنما أصحابي من اشتد ورعه وعمل لخالقه ورجا ثوابه هؤلاء أصحابي)) (٣) .

ففي الخبر طعن على أبي الصباح لا ينبغي بيانه وإن

(١) البقرة ٣٥ (٢) مشكاة الأنوار ص ٤٥ (٣) مجموعة ورام ج٢ ص ١٨٦

كان من أجلاء الأصحاب عند أصحابنا إلا أنه من الناقصين .

وعن عبد الله بن علي عن أبي الحسن الأول عليه السلام قال ((كثيرا ما كنت أسمع أبي يقول ليس من شيعتنا من لا تتحدث المخدرات بورعه في خدورهن ، وليس من أوليائنا من هو في قرية فيها عشرة آلاف رجل فيهم خلق لله أورع منه)) (١)

وعن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل ﴿ ولمن خاف مقام ربه جنتان ﴾ (٢) قال ((من علم أن الله عز وجل يراه ويسمع ما يقوله ويفعله من خير أو شر فيحجزه عن ذلك القبيح من الأعمال ، فذلك الذي خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى)) (٣) .

وقال الصادق عليه السلام ((اغلق أبواب جوارحك عما يقع ضرره إلى قلبك ويذهب بوجاهتك عند الله تعالى ويعقب الحسرة والندامة يوم القيامة والحياء عما اجترحت من السيئات ، والمتورع يحتاج إلى ثلاث أصول الصفح عن عثرات الخلق أجمع ، وترك خطيئته فيهم ، واستواء المدح والذم ، وأصل الورع دوام المحاسبة وصدق المقاولة وصفاء المعاملة والخروج من كل شبهة ورفض كل عيبة وريبة ومفارقة جميع ما لا يعنيه وترك فتح أبواب لا يدري كيف يغلقها ولا يجالس من يشكل عليه الواضح ولا يصاحب مستخفا بالدين ولا يعارض من العلم ما لا يحتمل قلبه ولا يتفهم من قائله ويقطع عمن يقطعه عن الله عز و جل تعالى شأنه)) (٤) .

ومن مكارم الأخلاق العدل والإحسان ، فالعدل ميزان الحق بين الخلق إذ لولا العدل لفسد النظام لأن العدل هو الاستقامة وهو ضد الجور الذي هو الميل والحيف ، ولما كان العدل لا يتم به قيام النفوس كلها بمعنى أن بعضها لا يثبت إلا بالإحسان ولو أخذت

---

(١) مجموعة ورام ج ٢ ص ١٨٧

(٢) الرحمن ٤٦

(٣) مشكاة الأنوار ص ١٥٤

(٤) مصباح الشريعة ص ٤١ – ٤٢

بالعدل لخرجت من حدود الطاعة والاستقامة التي تراد منها وكان الإحسان أفضل منه عقبه الله به فقال سبحانه ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون ﴾ (١) والمراد بالعدل إقامة الحدود والإنصاف والإحسان الفضل وإيتاء ذي القربى الفضل الخاص وفي التأويل العدل أمير المؤمنين عليه السلام والإحسان الحسن وإيتاء ذي القربى الحسين عليه السلام والفحشاء التيمي والمنكر العدوي والبغي الأموي ، قال الصدوق : إن الله أمرنا بالعدل وعاملنا بما فوقه وهو التفضل فيكون على قوله تعالى ﴿ إن الله يأمر بالعدل ﴾ المأمورون به الرعية ، والمأمور بالإحسان الرعاة وأتباعهم الأقوياء في طاعة الله إذا العدل المراد به الإنصاف ولو أريد به القصد والاستقامة في جميع الأمور أختص بأئمة الحق وخواص أتباعهم المشايعين هم في أفعالهم وأقوالهم وأحوالهم ومن أفراد هذا قول الحق في الرضا والغضب عند من تخافه وترجوه ، ففي الخبر ((وأما المنجيات فالعدل في الرضا والغضب)) (٢) ، فبالعدل قام نظام الدين واستقامت به البلاد وصلح به أمر العباد ، لولا العدل لفسد النظام لأن النفوس جبلت على الأنفة والارتفاع وشيمتها الظلم والجور ما لم يقهرها قاهر من خوف الله أو خوف من هو أقوى منها عندها فحينئذ تذل وتنقاد طائعة أو كارهة .

الظلم من شيم النفوس وإن تجد ذا عفة فلعلة لا يظلم

ومن كلام كسرى (لا ملك إلا بالجند ، ولا جند إلا بالمال ، ولا مال إلا من البلاد ، ولا بلاد إلا بالرعية ، ولا رعية إلا بالعدل) ، وكان يقال عدل السلطان أنفع من خصب الزمان ، وسأل الاسكندر

---

(١) النحل ٩٠

حكماء أهل بابل أيما أبلغ عندكم الشجاعة أو العدل ؟ فقالوا : إذا استعملنا العدل استغنينا عن الشجاعة .

وعن علي بن الحسين عليه السلام ((كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا خطب قال في آخر خطبته طوبى لمن طاب خلقه وطهرت سجيته وصلحت سريرته وحسنت علانيته وأنفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من كلامه وأنصف الناس من نفسه)) (١) .

وقال الصادق عليه السلام ((من يضمن لي أربعة ضمنت له بأربعة أبيات في الجنة أنفق ولا تخف فقرا ، وافش السلام في العالم ، واترك المراء وإن كنت محقا ، وأنصف الناس من نفسك)) (٢) .

وعن أبي جعفر عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام في كلام له ((إنه من ينصف الناس من نفسه لم يزده الله إلا عزا)) (٣) .

وعن أبي عبد الله عليه السلام ((ثلاثة هم أقرب الخلق إلى الله عز وجل يوم القيامة حتى يفرغ من الحساب ، رجل لم تدعه قدرته في حال غضبه إلى أن يحيف على من تحت يديه ، ورجل مشى بين اثنين فلم يمل مع أحدهما على الآخر بشعيرة ، ورجل قال الحق فيما له وعليه)) (٤) .

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال في حديث ((ألا أخبرك بأشد ما فرض الله على خلقه ، فذكر ثلاثة أشياء أولها إنصاف الناس من نفسك)) (٥) .

وعنه عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله ((سيد الأعمال ثلاثة إنصاف الناس من نفسك ومواساة الأخ في الله وذكر الله على كل حال)) (٦) .

---

(١) الاختصاص ص ٢٢٨ (٢) معدن الجوهر ص ٤٣ (٣) البحار ج ٧٨ ص ٣٣
(٤) مشكاة الأنوار ص ٣٠٨ (٥) أمالي المفيد ص ٨٨ (٦) مجموعة ورام ص ٧١

وعن أبي البلاد رفعه قال ((جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وآله وهو يريد بعض غزواته وأخذ بغرز راحلته فقال : يا رسول الله علمني عملا أدخل به الجنة ، فقال : ما أحببت أن يأتيه الناس إليك فأته إليهم وما كرهت أن يأتيه الناس إليك فلا تأته إليهم خل سبيل الراحلة)) (١) ، (الغرز : ركاب الرجل من جلد فإذا كان من خشب فركاب) .

وقال أبو عبدالله عليه السلام ((العدل أحلى من الماء يصيبه الظمآن ، ما أوسع العدل إن عدل فيه وإن قل)) (٢) .

وعن أبي عبدالله عليه السلام قال ((من أنصف الناس من نفسه رضي به حكما لغيره)) (٣) .

وعن أبي عبدالله عليه السلام قال ((اتقوا الله واعدلوا فإنكم تعيبون على قوم لا يعدلون)) (٤) .

وعنه عليه السلام قال ((العدل أحلى من الشهد وألين من الزبد وأطيب ريحا من المسك)) (٥) .

وعن أبي جعفر عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله ((ثلاث خصال من كن فيه أو واحدة منهن كان في ظل عرش الله عز وجل يوم القيامة يوم لا ظل إلا ظله ، رجل أعطى الناس من نفسه ما هو سائلهم لها ، ورجل لم يقدم رجلا ولم يؤخر أخرى حتى يعلم أن ذلك لله فيه رضا ، ورجل لم يعب أخاه المسلم بعيب حتى ينفي ذلك العيب من نفسه فإنه لا ينفي منها عيبا إلا بدا عيب ، وكفى بالمرء شغلا بنفسه عن الناس)) (٦) ، يريد عليه السلام أن الانسان محل العيوب فلا ينفك عن عيب إلا وجد عيبا أظهره الله له ليشتغل به عن عيوب غيره فيؤدب نفسه ولا يذكر عيب غيره .

---

(١) البحار ج ٧٥ ص ٣٦ (٢) الاختصاص ص ٢٦١ (٣) الخصال ص ٨
(٤) البحار ج ٧٥ ص ٣٨ (٥) البحار ج ٧٥ ص ٣٩ (٦) الخصال ص ٨٠ ـ ٨١

وقد قال أبو عبدالله عليه السلام ((من روى على مؤمن رواية يريد بها شينه وهدم مروته ليسقطه من أعين الناس أخرجه الله من ولايته إلى ولاية الشيطان فلا يقبله الشيطان)) (١) .

وعن أبي عبدالله عليه السلام ((ما شهد رجل على رجل بكفر قط إلا باء أحدهما ، إن كان شهد على كافر صدق ، وإن كان مؤمنا رجع الكفر عليه ، وإياكم والطعن على المؤمنين)) (٢) .

وعن النبي صلى الله عليه وآله ((من نظر إلى مؤمن نظرة ليخيفه بها أخافه الله يوم لا ظل إلا ظله)) (٣) .

وعن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله ((من واسى الفقير من ماله وأنصف الناس من نفسه فذلك المؤمن حقا)) (٤) .

وقال الصادق عليه السلام ((ما تدارا اثنان في أمر قط فأعطى أحدهما النصف على صاحبه فلم يقبل منه إلا أديل منه)) (٥) يريد ما اختلف اثنان وتدافعا في الخصومة فأنصف أحدهما فلم يقبل الآخر إلا الجور والبغي أديل عليه فغلب .

وعن أبي جعفر عليه السلام قال ((إن لله جنة لا يدخلها إلا ثلاثة من حكم في نفسه بالحق)) (٦) .

وعن أبي عبدالله عليه السلام قال ((العدل أحلى من الماء يصيبه الظمآن ، ما أوسع العدل إذا عدل فيه وإن قل)) .

وفي المداراة قال سبحانه ﴿ ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ، فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله ﴾ (٧) وقال ﴿ ادفع بالتي هي أحسن

---

(١) مشكاة الأنوار ص ٨٤ (٢) ثواب الأعمال ص ٢٧١ (٣) مشكاة الأنوار ص ١٠٠

(٤) الخصال ص ٤٧ (٥) مجموعة ورام ج٢ ص١٩٦ (٦) الخصال ص ١٣١

(٧) آل عمران ١٥٩

السيئة ﴾ (١) ففي بعض الأخبار التي هي أحسن التقية والسيئة الإذاعة، وعن الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله ((ثلاث من لم يكن فيه لم يقم له عمل، ورع يحجزه عن معاصي الله، وخلق يداري به الناس وحلم يرد به جهل الجاهل)) (٢).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال ((جاء جبرائيل عليه السلام إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا محمد ربك يقرؤك السلام ويقول لك دار خلقي)) (٣).

وعن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله ((مداراة الناس نصف الايمان والرفق بهم نصف العيش، ثم قال أبو عبدالله عليه السلام: خالطوا الأبرار سرا وخالطوا الفجار جهرا ولا تميلوا عليهم فيظلموكم فإنه سيأتي عليكم زمان لا ينجو فيه من ذوي الدين إلا من ظنوا أنه أبله وصبر نفسه على أن يقال أنه أبله لا عقل له)) (٤) يريد أنه مداراة الناس والعمل بالتقية نصف الايمان وهو ظاهر الايمان ونصفه الآخر حسن الاعتقاد والثبات وهو باطن الايمان وروحه والرفق نصف العيش والنصف الآخر الاقتصاد في المعيشة.

وقال الصادق عليه السلام ((إن قوما من قريش قلت مداراتهم للناس فنفوا من قريش وأيم الله ما كان بأحسابهم بأس، وإن قوما من غيرهم حسنت مداراتهم فألحقوا بالبيت الرفيع، ثم قال: من كف يده عن الناس فإنما يكف عنهم يدا واحدة و يكفون عنه أيادي كثيرة)) (٥).

وعن أبي جعفر عليه السلام قال ((في التوراة مكتوب فيما ناجى الله عز وجل به موسى بن عمران عليه السلام اكتم

(١) المؤمنون ٩٦ — (٢) المحاسن ص ٦ — (٣) مشكاة الأنوار ص ١٧٧
(٤) البحار ج ٧٥ ص ٤٤٠ — (٥) الخصال ص ١٧

مكنون سري في سريرتك وأظهر في علانيتك المداراة عني لعدوي وعدوك من خلقي ولا تستب لي عندهم بإظهارك مكنون سري فتشرك عدوك وعدوي في سبي)) (١) وهذا أشار إليه سبحانه في كتابه بقوله ﴿ ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم ﴾ (٢) .

ويلحق بهذا ما ورد في وجوب التقية وأنها دين الله الذي تعبد به عباده المؤمنين في دولة الظالمين في هذه الأمة وفي الأمم الماضية ، وأن التقية هو السد الذي ضربه الله بين أوليائه وأعدائه حتى يخرج قائم الحق فيرفعه ويظهره على الأديان كلها ويدحض الباطل ويقيم الحق كما في الدعاء ((وأظهر به دينك وسنة نبيك حتى لا يستخفي بشيء من الحق مخافة أحد من الخلق)) (٣) ، ففي تفسير العياشي عن جابر عن أبي عبدالله عليه السلام قال ((﴿ اجعل بيننا وبينهم سدا فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا ﴾ (٤) إذا عمل بالتقية لم يقدروا في ذلك على حيلة وهو الحصن الحصين بينك وبين أعداء الله سد لا يستطيعون له نقبا ، قال : وسألته قوله ﴿ فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء ﴾ (٥) ، قال : رفع التقية عند الكشف فينتقم من أعداء الله)) (٦) .

وعن أبي جعفر عليه السلام ((التقية في كل شيء وكل شيء اضطر إليه ابن آدم فقد أحله الله له)) (٧) .

وعن زرارة قال : قلت له في مسح الخفين تقية ، فقال ((ثلاثة لا أتقي فيهن أحدا شرب المسكر ومسح الخفين ومتعة الحج ، قال زرارة : ولم يقل الواجب عليكم أن لا تتقوا فيهن أحدا)) (٨) .

وعن أبي جعفر عليه السلام قال ((التقية في كل ضرورة

---

(١) أمالي الصدوق ص ٢٥٤ (٢) الأنعام ١٠٨ (٣) الإقبال ص ٦٠
(٤) الكهف ٩٦-٩٧ (٥) الكهف ٩٨ (٦) تفسير العياشي ج٢ ص٣٥١
(٧) المحاسن ص ٢٥٩ (٨) الكافي ج ٣ ص ٣٢

وصاحبها أعلم بها حين تنزل به)) (١) .

وعن درست بن أبي منصور قال : كنت عند أبي الحسن موسى عليه السلام وعنده الكميت بن زيد فقال للكميت ((أنت الذي تقول فالآن صرت إلى أمية والأمور لها مصائر ، قال : قلت ذلك فوالله ما رجعت عن إيماني وإني لكم لموال ولعدوكم لقال ولكني قلته على التقية ، قال : أما لئن قلت ذلك ، إن التقية تجوز في شرب الخمر)) (٢) .

عن المعلى بن خنيس قال ((قال لي أبو عبدالله عليه السلام : يا معلى اكتم أمرنا ولا تذعه فإنه من كتم أمرنا ولا يذعه أعزه الله في الدنيا وجعله نورا بين عينيه يقوده إلى الجنة ، يا معلى من أذاع أمرنا و لم يكتمه أذله الله في الدنيا و الآخرة و نزع النور من بين عينيه في الآخرة و جعله ظلمة تقوده إلى النار ، يا معلى إن التقية ديني ودين آبائي ولا دين لمن لا تقية له ، يا معلى إن الله يحب أن يعبد في السر كما يحب أن يعبد في العلانية والمذيع لأمرنا كالجاحد له)) (٣) .

وفي خبر آخر عن أبي عبدالله عليه السلام قال ((إن أبي يقول أي شيء أقر للعين من التقية إن التقية جنة المؤمن)) (٤) .

وفي الكفاية لعلي بن محمد الخراز بسنده عن الرضا عليه السلام قال ((لا دين لمن لا ورع له ، ولا إيمان لمن لا تقية له ، وإن أكرمكم عند الله أعملكم بالتقية ، قيل : يا ابن رسول الله إلى متى ؟ ، قال : إلى قيام القائم عليه السلام ، فمن ترك التقية قبل خروج قائمنا فليس منا)) (٥) .

السرائر نقلا عن كتاب سرائر الرجال ومكاتباتهم مولانا علي

---

(١) مشكاة الأنوار ص ٤١ (٢) البحار ج ٤٧ ص ٣٢٣ (٣) مشكاة الأنوار ص ٤٠

(٤) جامع الأخبار ص ٩٦ (٥) كفاية الأثر ص ٢٧٤

بن محمد عليهما السلام من مسائل داود الصرمي قال ((قال يا داود لو قلت أن تارك التقية كتارك الصلاة لكنت صادقا)) (١) .

عن علي بن محمد عليهما السلام عن آبائه قال الصادق عليه السلام ((ليس منا من لم يلزم التقية ويصوننا عن سفلة الرعية)) (٢) وبالاسناد المتقدم قال : قال سيدنا الصادق عليه السلام ((عليكم بالتقية فإنه ليس منا من لم يجعلها شعاره ودثاره مع من يأمنه ليكون سجية مع من يحذره)) (٣) .

وعن أبي الحسن عليه السلام في قول الله ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ (٤) قال ((أشدكم تقية)) (٥) .

وعن سفيان بن سعيد قال سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول ((عليك بالتقية فإنها سنة إبراهيم الخليل عليه السلام ، إلى أن قال : وإن رسول الله صلى الله عليه وآله إذا أراد سفرا ورى بغيره ، وقال صلى الله عليه وآله ((أمرني ربي بمداراة الناس كما أمرني بأداء الفرائض ، ولقد أدبه الله عز وجل بالتقية فقال ﴿ ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها إلا الذين صبروا و ما يلقاها إلا ذو حظ عظيم ﴾ (٦) ، يا سفيان من استعمل التقية في دين الله فقد تسنم الذروة العليا من العز وإن عز المؤمن في حفظ لسانه ومن لم يملك لسانه ندم)) (٧) .

وعن أبي جعفر عليه السلام يقول ((لا خير فيمن لا تقية له ولقد قال يوسف ﴿ أيتها العير إنكم لسارقون ﴾ (٨) وما سرقوا)) (٩) ومثله أخبار .

---

(١) مستطرفات السرائر ص٥٨٣
(٢) الصراط المستقيم ج٣ ص٧١
(٣) البحار ج٧٥ ص ٣٩٥
(٤) الحجرات ١٣
(٥) المحاسن ص ٢٥٨
(٦) فصلت ٣٤-٣٥
(٧) معاني الأخبار ص ٣٨٦
(٨) يوسف ٧٠
(٩) علل الشرايع ص ٥١

وعن الصادق عليه السلام يقول ((المؤمن علوي ، إلى أن قال : والمؤمن مجاهد لأنه يجاهد أعداء الله تعالى في دولة الباطل بالتقية وفي دولة الحق بالسيف)) (١) فقوله المؤمن علوي يريد أن المؤمن ينتمي إلى علي عليه السلام في متابعته ومشايعته له ودينه عليه السلام التقية .

وفي الخصال عن أبي عبدالله عليه السلام قال ((إن أبي عليه السلام كان يقول : ما من شيء أقر لعين أبيك من التقية)) (٢) .

وعن أبي بصير قال : سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عز وجل ﴿ يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا ﴾ (٣) فقال ((اصبروا على المصائب ، وصابروهم على التقية ، ورابطوا على من تقتدون به ، واتقوا الله لعلكم تفلحون)) (٤) .

وقال هشام بن سالم : قال أبو عبدالله عليه السلام ((ما عبد الله بشيء أحب إليه من الخبء ، قلت : وما الخبء ؟ قال : التقية)) (٥) .

وعن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عز وجل ((﴿ أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ﴾ (٦) قال :بما صبروا على التقية ﴿ ويدرؤون بالحسنة السيئة ﴾ (٧) قال : الحسنة التقية والإذاعة الإجابة)) (٨) .

وفيه عنه عليه السلام قال لأبي عمرو الأعجمي ((يا أبا عمرو تسعة أعشار الدين في التقية ، ولا دين لمن لا تقية له)) .

---

(١) علل الشرايع ص ٤٦٧ (٢) المحاسن ص ٢٥٦ (٣) آل عمران ٢٠٠
(٤) معاني الأخبار ص ٣٦٩ (٥) معاني الأخبار ص ١٦٢ (٦) (٧) القصص ٥٤
(٨) المحاسن ٢٥٧

وفيه عن معمر بن خلاد قال : سألت أبا الحسن عليه السلام عن القيام للولاة فقال ((قال أبو جعفر عليه السلام التقية من ديني ودين آبائي ولا إيمان لمن لا تقية له)) (١) .

وفيه عن الصادق عليه السلام قال ((إن أبي عليه السلام كان يقول ما من شيء أقر لعين أبيك من التفية ، إن التقية جنة المؤمن)) (٢) .

وعن الصادق عليه السلام ((مثل مؤمن لا تقية له كمثل جسد لا رأس له)) (٣) .

وفيه عنه عليه السلام ((إن التقية ترس المؤمن ، ولا إيمان لمن لا تقية له)) (٤) .

وفيه عنه عليه السلام قال ((اتقوا الله على دينكم واحجبوا بالتقية فإنه لا إيمان لمن لا تقية له إنما أنتم في الناس كالنحل في الطير ولو أن الطير تعلم ما في جوف النحل ما بقي فيها شيء إلا أكلته ، ولو أن الناس علموا ما في أجوافكم أنكم تحبوننا أهل البيت لأكلوكم بألسنتهم ولنحلوكم في السر والعلانية ، رحم الله عبدا منكم كان على ولايتنا)) (٥) .

وفيه عنه عليه السلام قال ((سمعت أبي عليه السلام يقول : لا والله ما على الأرض شيء أحب إلي من التقية ، يا حبيب إنه من كانت له تقية رفعه الله ، يا حبيب من لم يكن له تقية وضعه الله ، يا حبيب إنما الناس هم في هدنة فلو قد كان ذلك كان هذا)) (٦) .

وفيه عن أبي عمرو الكناني عنه عليه السلام في حديث أنه قال ((يا أبا عمرو أبى الله إلا أن يعبد سرا أما و الله لئن فعلتم

(١) الخصال ص ٢٢ (٢) جامع الأخبار ص ٩٦ (٣) تفسير الامام ص ٣٢٠
(٤) قرب الإسناد ص ١٧ (٥) المحاسن ٢٥٧ (٦) المحاسن ٢٥٦

ذلك إنه خير لي و لكم ، و أبى الله عز وجل لنا ولكم في دينه إلا التقية)) (١) .

وفيه عنه عليه السلام ((كلما تقارب هذا الأمر كان أشد للتقية)) (٢) .

واعلم أن التقية تجوز في كل شيء لا يؤدي إلا القتل فإن التقية إنما شرعت لحقن الدماء فإذا وصلت إلى سفك فلا تقية لأن حقن دم القاتل إذا أمر بقتل المسلم ليس بأولى من حقن دم المقتول ، وإذا لزم من حقن الدم الكفر وجب بذل النفس للقتل ، يقول الله ﴿ والفتنة أشد من القتل ﴾ (٣) والفتنة هنا الكفر لأن قتل البدن وإضراره بآلام منقطعة بمفارقة النفس ، وأما الكفر فهو قتل الروح وإهلاكها الهلاك الأكبر الدائم لمفارقة الايمان المؤدي إلى غضب الله ، فمما روي من عدم جواز التقية في الدماء ما رواه في الكافي عن أبي جعفر عليه السلام قال ((إنما جعلت التقية ليحقن بها الدم ، فإذا بلغ الدم فليس تقية)) (٤) .

وفي المحاسن عن صفوان بن يحيى مثله .

وعن أبي حمزة الثمالي قال : قال أبو عبدالله عليه السلام ((لم تبق الأرض إلا وفيها منا عالم يعرف الحق من الباطل ، قال إنما جعلت التقية ليحقن بها الدم فإذا بلغت التقية الدم فلا تقية)) (٥) .

وأما جواز إظهار الكفر ما لم يؤد إلى الكفر أو إلى إفساد الدين وفتنة الجهال ما روي في تفسير العياشي عن أبي عبدالله عليه السلام أنه ذكر أصحاب الكهف فقال ((لو كلفكم قومكم ما كلفهم قومهم ، فقيل له ما كلفهم قومهم ؟ ، قال : كلفوهم الشرك بالله العظيم ، فأظهروا لهم الشرك وأسروا الايمان حتى جاءهم الفرج)) (٦) .

---

(١) الكافي ج ٢ ص ٢١٨ (٢) المحاسن ص ٢٥٩ (٣) البقرة ١٩١
(٤) الكافي ج ٢ ص ٢٢٠ (٥) التهذيب ج ٦ ص ١٧٢ (٦) تفسير العياشي ج ٢ ص ٣٢٣

وعن درست عن أبي عبدالله عليه السلام قال : ((ما بلغت تقية أحد ما بلغت تقية أصحاب الكهف ، إنهم كانوا يشدون الزنانير ويشهدون الأعياد ، فآتاهم الله أجرهم مرتين)) (١) .

وعن الكاهلي عن أبي عبدالله عليه السلام قال ((إن أصحاب الكهف أسروا الايمان وأظهروا الكفر وكانوا على إجهار الكفر أعظم أجرا منهم على الاسرار بالايمان)) (٢) .

وفيما لا تجوز التقية إذا أدت إلى الفساد في الدين وإن لزم منه القتل ما رواه في الكافي عن أبي عبدالله عليه السلام في حديث ((إن الايمان قد يتخذ على وجهين أما أحدهما :فهو الذي يظهر لك من صاحبك فإذا ظهر لك منه مثل الذي تقول به أنت حقت ولايته و أخوته إلا أن يجيء منه نقض للذي وصف من نفسه و أظهر لك فإن جاء منه ما تستدل به على نقض ما أظهر لك خرج عندك مما وصف لك وأظهر و كان لما أظهر لك ناقضا . إلا أن يدعي أنه إنما عمل ذلك تقية ، ومع ذلك ينظر فيه فإن كان ليس مما يمكن أن يكون التقية في مثله لم يقبل منه ذلك لأن التقية مواضع ، من أزالها عن مواضعها لم تستقم له ، و تفسير ما يتقي مثل أن يكون قوم سوء ظاهر حكمهم وفعلهم على غير حكم الحق وفعله فكل شيء يعمل المؤمن بينهم لمكان التقية لا يؤدي إلى الفساد في الدين فإنه جائز)) (٣) .

وأما جواز إظهار الكفر إذا لم يعتقده فجائز كما جرى لعمار بن ياسر فإن رسول الله صلى الله عليه وآله قال فيه لما قالت المسلمون عمار ارتد ((كلا إن عمارا ملئ إيمانا من قرنه إلى قدمه)) (٤) ولما قدم قال له ((قد أفلح الوجه يا عمار)) (٥) .

وفي الكافي روي عن مسعدة بن صدقة قال : قيل

---

(١) تفسير العياشي ج٢ ص ٣٢٣ (٢) المصدر السابق (٣) الكافي ج٢ ص١٦٨
(٤) البحار ج١٩ ص ٣٥ (٥) كمال الدين ص ٥٠

لأبي عبدالله عليه السلام ((إن الناس يروون أن عليا عليه السلام قال على منبر الكوفة : أيها الناس إنكم ستدعون إلى سبي فسبوني ، ثم تدعون إلى البراءة مني فلا تبرؤوا مني ، فقال : ما أكثر ما يكذب الناس على علي عليه السلام ، ثم قال : إنما قال : ستدعون إلى سبي فسبوني ثم تدعون إلى البراءة مني وإني لعلى دين محمد صلى الله عليه وآله ، ولم يقل : و لا تبرؤوا مني ، فقال له السائل : أرأيت إن اختار القتل على البراءة ، فقال : والله ما ذلك عليه وماله إلا ما مضى عليه عمار بن ياسر حيث أكرهه أهل مكة وقلبه مطمئن بالايمان فأنزل الله عز وجل فيه ﴿إلا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان﴾ (١) فقال له النبي صلى الله عليه وآله عندها ، يا عمار إن عادوا فعد فقد أنزل الله عز و جل عذرك وأمرك أن تعود إن عادوا)) (٢) .

وفي قرب الاسناد مثله .

وفي الكافي عن الصادق عليه السلام قال ((ما منع ميثم رحمه الله من التقية فوالله لقد علم أن هذه الآية نزلت في عمار وأصحابه ﴿ إلا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان ﴾)) (٣) .

وفيه عن عبدالله بن عطا قال : قلت لأبي جعفر عليه السلام رجلان من أهل الكوفة أخذا فقيل لهما ابرءا من أمير المؤمنين عليه السلام فبرء واحد منهما وأبى الآخر فخلي سبيل الذي برأ وقتل الآخر فقال ((أما الذي برئ فرجل فقيه في دينه وأما الذي لم يبرأ فرجل تعجل إلى الجنة)) (٤) .

وفي تفسير العياشي عن أبي عبدالله عليه السلام في حديث أنه قيل له مد الرقاب أحب إليك أم البراءة من علي عليه

---

(١) النحل ١٠٦

(٢) الكافي ج ٢ ص ٢١٩

(٣) الكافي ج ٢ ص ٢٢٠

(٤) الكافي ج ٢ ص ٢٢١

السلام ، فقال ((الرخصة أحب إلي أما سمعت قول الله عز وجل في عمار ﴿ إلا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان ﴾)) (١) .

وفي إرشاد المفيد قال استفاض عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال ((إنكم ستعرضون من بعدي على سبي فسبوني ، فإن عرض عليه البراءة منى فلا تتبرؤوا منى فإني على الاسلام فمن عرض فليمدد عنقه فإن تبرأ منى فلا دنيا له ولا آخرة)) (٢) .

وعن محمد بن ميمون عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده (عليهم السلام) قال : قال أمير المؤمنين (عليه السلام) ((ستدعون إلى سبي فسبوني و تدعون إلى البراءة منى فمدوا الرقاب فإني على الفطرة)) (٣) .

و في النهج قال (عليه السلام) ((أما أنه سيظهر عليكم بعدي رجل رحب البلعوم مندحق البطن يأكل ما يجد و يطلب ما لا يجد فاقتلوه و لن تقتلوه ألا إنه سيأمركم بسبي و البراءة منى فأما السب فسبوني فإنه لي زكاة و لكم نجاة و أما البراءة فلا تتبرءوا منى فإني ولدت على الفطرة و سبقت إلى الايمان و الهجرة)) (٤) .

و الجمع بين الأخبار الناصة على المنع من البراءة و الأخبار الناصة على الفعل هو أن الناس قسمان جاهل و عالم و العالم اثنان معروف مشهور بين العوام من الشيعة يقتدى به و بأفعاله ، و غير معروف و ليس بقدوة ، فالأولان لا يجوز لهما البراءة لأن الجاهل قد لا يعرف من البراءة إلا الميل الحقيقي فيقع في الكفر من حيث لا يشعر ، وأما العالم المشهور فيكون قدوة لغيره فربما يفتتن به الجاهلون بخلاف الغير المعروف عند العوام فإنه يمكنه التورية بأن يقول برئت من كذا أي أنشأت منه أو يقصد برئت منه أي عنه بمعنى أني برئت من أعدائه متجاوزا عنه حذف المعمول ، و

---

(١) تفسير العياشي ج ٢ ص ٢٧٢
(٢) الارشاد ج ١ ص ٣٢٢
(٣) البحار ج ٣٩ ص ٣١٥
(٤) شرح النهج ج ٤ ص ٥٤

بالجملة إن باب التورية واسع .

و روى العياشي الثقة محمد بن مسعود في تفسيره عن عبدالله بن عجلان عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال سألته فقلت له إن الضحاك ظهر بالكوفة و يوشك أن ندعى إلى البراءة من علي (عليه السلام) فكيف نصنع ؟ قال ((فابرأ منه)) قال قلت له أي شيء أحب إليك ؟ قال ((أن يمضون على ما مضى عليه عمار بن ياسر أخذ بمكة فقالوا ابرأ من رسول الله (صلى الله عليه و آله) فبرئ فانزل الله عذره ﴿ إلا من أكره و قلبه مطمئن بالايمان ﴾)) (١) .

وفي الاحتجاج عن أمير المؤمنين عليه السلام في احتجاجه على بعض الايمان ((و آمرك أن تستعمل التقية في دينك فإن الله يقول ﴿ لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين و من يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ﴾ (٢) و قد أذنت لكم في تفضيل أعدائنا إن ألجأك الخوف إليه و في إظهار البراءة إن حملك الوجل عليه و في ترك الصلوات المكنونات إن خشيت على حشاشك الآفات و العاهات فإن تفضيلك أعداءنا عند خوفك لا ينفعهم و لا يضرنا و إن إظهارك براءتك منا عند تقيتك لا يقدح فينا و لا ينقصنا و لإن تبرأت منا ساعة بلسانك و أنت موال لنا بجنانك لتبقي على نفسك روحها التى بها قوامها و مالها الذي به قيامها و جاهها الذي به تماسكها و تصون من عرف بذلك و عرفت به من أوليائنا و إخواننا من بعد ذلك لشهور و سنين إلى أن يفرج الله تلك الكربة و تزول به تلك الغمة فإن ذلك أفضل من أن تتعرض للهلاك و تنقطع به عن عمل الدين و صلاح إخوانك المؤمنين)) (٣) .

و من الكتمان ما رواه في تفسير ابن الفرات

---

(١) تفسير العياشي ج ٢ ص٢٧٣ (٢) آل عمران ٢٨ (٣) الاحتجاج ص ٢٣٩

عن قبيضة قال دخلت على الصادق عليه السلام و عنده جماعة فسلمت و جلست و قلت : يا ابن رسول الله أين كنتم قبل أن يخلق الله سماء مبنية و أرضا مدحية و طودا أو ظلمة و نورا قال ((يا قبيضة لم سألتنا عن هذا الحديث في مثل هذا الوقت أما علمت أن حبنا قد اكتتم و بغضنا قد فشا و أن لنا أعداء من الجن يخرجون حديثنا إلى أعدائنا من الانس وأن الحيطان لها آذان كآذان الناس)) (١) ، يريد عليه السلام أن بعض الجان ليس لهم شغل إلا الوقوف عند الحيطان و في الطرقات و في البيوت يلتقط الأخبار فيبلغها مثله من الانس ، قال سبحانه ﴿ وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم ﴾ (٢) و قال تعالى ﴿ شياطين الانس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا ﴾ (٣) فكنى عن الناقل من الجن للأخبار بالأذن كما يقال فلان أذن أي يسمع ما يقال و لذا قال ((وأن الحيطان لها آذان كآذان الناس)) تسمية الكل باسم الجزء ، يعنى أن بعضهم يكون نماما كما يكون بعض الناس و أضافها إلى الحيطان لما قلته .

ومن أفضل مكارم الأخلاق التواضع قال رسول الله صلى الله عليه وآله ((رأس التواضع أن يبدأ بالسلام من لقيه من المسلمين و أن ترد على من سلم عليك وأن يرضى بالدون من المجلس ، و لا تحب المدحة و التزكية)) (٤) .

ومن طرق العامة قال صلى الله عليه وآله ((كل ذي نعمة محسود إلا صاحب التواضع)) ، والتواضع من أخلاق الأنبياء والكبر من أخلاق الكفار الفراعنة .

وقال صلى الله عليه وآله ((إذا رأيتم المتواضعين من أمتى

---

(١) تفسير فرات ص ٥٥٢ — (٢) الأنعام ١٢١

(٣) الأنعام ١١٢ — (٤) مشكاة الأنوار ص ٢٠٠

فتواضعوا لهم وإذا رأيتم المتكبرين فتكبروا عليهم فإن ذلك لهم مذلة و صغار)) (١) .

وقال صلى الله عليه وآله ((تواضعوا مع المتواضعين فإن التواضع مع المتواضعين صدقة ، وتكبروا مع المتكبرين فإن التكبر مع المتكبرين عبادة)) .

وقال صلى الله عليه وآله ((إياكم والتواضع لغنى فما تضعضع أحد لغنى إلا ذهب نصيبه من الجنة)) (٢) يريد به من يتواضع لغنى لأجل غناه استلابا لشيء من ماله وطمعا فيه فإن من فعل ذلك فقد اعتمد على غير الله وكانت طلبته الدنيا سواء وجدها من عند مؤمن أو من عند كافر ، نعم لو أنه نظرا إلى أن الله سبحانه وضع نعمته عنده ورفعه لا لأجل طمع فيه ولا محبة له بل لوضع كل أحد في مقامه كان هذا عملا صالحا لله .

وقد مدح الله أهل التواضع وذم أهل التكبر وجعل عاقبة أهل التواضع دار نعيمه فقال تعالى ﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين ﴾ (٣) .

وعن أمير المؤمنين عليه السلام في تفسيرها قال ((إن الرجل ليعجبه أن يكون شراك نعله أجود من شراك نعل صاحبه فيدخل تحت هذه الآية)) (٤) ، يريد عليه السلام تحت عموم الذين يريدون علوا في الأرض وفسادا من باب مخالفة المفهوم فأقل العلو وإرادة الفساد الذي يكون مبدأ للحسد هذه الحالة .

وروى قيس بن حازم في تواضع النبي صلى الله عليه وآله أنه أتاه رجل فلما حضر أصابته دهشة فقال صلى الله عليه وآله ((هون عليك فإنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد)) ، وإنما قال

---

(١) مجموعة ورام ج ١ ص ٢٠١
(٢) جامع الأخبار ص ١٥٦
(٣) القصص ٨٣
(٤) شرح النهج ج ١ ص ٢٠٢

ذلك لحسم مادة التكبر وقطع ذريعة الإعجاب وكسر شره النفس وتذليل سطوة الاستعلاء .

وفي مفاتيح العرفان قيل لجعفر بن محمد عليهما السلام فيك كل فضيلة إلا أنك متكبر ، فقال ((لست بمتكبر ولكن كبرياء الله قامت مني مقام التكبر)) ، يريد عليه السلام أن من تواضع لله ألقى الله عليه من كبريائه وهيبته وجلاله ما يعظمه به في أعين العباد حتى أن من رآه خافه فكان حجة الله عليه السلام مع كمال تواضعه لا يراه أحد إلا هابه حتى يظن من يراه أنه متكبر ، وناهيك أن الأمويين والعباسيين مع تهجمهم على سفك دم حجج الله وإظهار التذلل من الحجج عليهم السلام أشد خوفا منهم من كل أحد وكان شدة الخوف الذي في صدورهم من الأئمة عليهم السلام هو داعيهم إلى التسرع والمبادرة إلى اغتيالهم وقتلهم عليهم السلام .

الخصال بسنده عن الثمالي عن علي بن الحسين عليهما السلام قال ((لا حسب لقرشي ولا لعربي إلا بتواضع ، ولا كرم إلا بتقوى ، ولا عمل إلا بنية ، ألا وإن أبغض الناس إلى الله عز وجل من يقتدي بسنة إمام ولا يقتدي بأعماله)) (١) فهذا أمر شامل لأكثر الشيعة بل قلّ من يوجد مشايعا لإمامه في أقواله وأفعاله .

ففي الاحتجاج عن العسكري عليه السلام في حديث ((أن الرضا عليه السلام جفا جماعة من الشيعة وحجبهم فقالوا : يا ابن رسول الله ما هذا الجفاء العظيم والاستخفاف بعد هذا الحجاب الصعب أي باقية تبقى منا بعد هذا ؟ ، فقال الرضا عليه السلام اقرؤوا ﴿ ما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير ﴾ (٢) والله ما اقتديت إلا بربي عز وجل وبرسوله وبأمير المؤمنين ومن بعده من آبائي الطاهرين سلام الله عليهم أجمعين عتوا عليكم فاقتديت بهم ، قالوا : لماذا يا ابن رسول الله ، قال : لدعواكم

---

(١) الخصال ص ١٨ (٢) الشورى ٣٠

أنكم شيعة أمير المؤمنين عليه السلام ، ويحكم إن شيعته الحسن و الحسين و سلمان و أبو ذر و المقداد و عمار و محمد بن أبي بكر الذين لم يخالفوا شيئا من أوامره وإنكم في أكثر أعمالكم مخالفون ، وتقصرون في كثير من الفرائض ، و تتهاونون بعظيم حقوق إخوانكم في الله ، وتتقون حيث لا تجب التقية ، وتتركون التقية حيث لا بد التقية)) (١) .

وعن جابر قال أبو جعفر عليه السلام ((أما شيعة علي الحلماء العلماء الذبل الشفاه تعرف الرهبانية على وجوههم)) (٢) .

وعن أبي جعفر عليه السلام قال ((صلى أمير المؤمنين عليه السلام بالناس الصبح بالعراق فلما انصرف وعظهم فبكى وأبكاهم من خوف الله ، ثم قال : أما والله لقد عهدت أقواما على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وإنهم ليصبحون و يمسون شعثا غبرا خمصا بين أعينهم كركب المعزى يبيتون لربهم سجدا وقياما يراوحون بين أقدامهم وجباههم يناجون ربهم ويسألونه فك رقابهم من النار والله لقد رأيتهم مع هذا وهم خائفون مشفقون)) (٣) .

وعن الصادق عليه السلام قال ((أرسل النجاشي ملك الحبشة إلى جعفر بن أبي طالب وأصحابه فدخلوا عليه وهو في بيت له جالس على التراب وعليه خلقان الثياب ، قال : فقال جعفر ابن أبي طالب عليه السلام : فأشفقنا منه حين رأيناه على تلك الحال فلما أن رأى ما بنا وتغير وجوهنا قال : الحمد لله الذي نصر محمدا صلى الله عليه و آله وأقر عيني به ألا أبشركم ؟ فقلت : بلى أيها الملك ، قال : إنه جاءني الساعة من نحو أرضكم عين من عيوني هناك فأخبرني أن الله قد نصر نبيه محمدا صلى الله عليه وآله وسلم وأهلك عدوه وأسر فلان وفلان وفلان و قتل فلان و فلان و فلان ، التقوا بواد يقال له بدر لكأني أنظر إليه

(١) الاحتجاج ٤٤١ (٢) مجموعة ورام ج٢ ص٢٠٢ مجموعة ورام ج٢ ص٢٠٣

حيث كنت أرعى لسيدي هنالك وهو رجل من بني ضمرة ، فقال له جعفر : أيها الملك الصالح فما لي أراك جالسا على التراب وعليك هذه الخلقان ، قال : يا جعفر إنّا نجد فيما أنزل الله على عيسى عليه السلام أن من حق الله على عباده أن يحدثوا له تواضعا عندما يحدث لهم من النعمة فلما أحدث الله لي نعمة بمحمد صلى الله عليه وآله أحدثت لله هذا التواضع قال : فلما بلغ النبي صلى الله عليه وآله ذلك قال لأصحابه : إن الصدقة تزيد صاحبها كثرة فتصدقوا يرحمكم الله وإن التواضع يزيد صاحبه رفعة فتواضعوا يرفعكم الله وإن العفو يزيد صاحبه عزا فاعفوا يعزكم الله)) (١) .

وعن أبي عبدالله عليه السلام يقول ((إن في السماء ملكين موكلين بالعباد فمن تواضع لله رفعاه ومن تكبر وضعاه)) (٢) .

وعن أبي عبدالله عليه السلام قال ((أوحى الله عز وجل إلى موسى عليه السلام أن يا موسى أتدري لما اصطفيتك بكلامي دون خلقي ، قال : يا رب ولم ذاك ، فأوحى الله تبارك وتعالى إليه أني قلبت عبادي ظهر البطن فلم أجد فيهم أحدا أذل لي نفسا منك ، يا موسى إنك إذا صليت وضعت خدك على التراب أو قال على الأرض)) (٣) .

وعن أبي عبدالله عليه السلام قال ((إن من التواضع أن يجلس الرجل دون شرفه)) (٤) يعني أنزل من المكان الذي يناسب له عند الناس .

وعن يونس بن يعقوب قال : نظر أبو عبدالله عليه السلام

---

(١) أمالي المفيد ص ٢٣٨ ـ ٢٣٩

(٢) مشكاة الأنوار ص ٢٢٧

(٣) مجموعة ورام ج٢ ص١٩١

(٤) البحار ج ٧٥ ص ١٣١

إلى رجل من أهل المدينة قد اشترى لعياله شيئا وهو يحمله فلما رآه الرجل استحيى منه فقال أبو عبدالله عليه السلام ((اشتريته لعيالك وحملته إليهم ، أما والله لولا أهل المدينة لأحببت أن أشتري لعيالي الشيء ثم أحمله إليهم)) (١) .

وعن أبي بصير قال دخلت على أبي الحسن موسى عليه السلام في السنة التى قبض فيها أبو عبدالله عليه السلام فقلت : جعلت فداك ما لك ذبحت كبشا ونحر فلانا بدنة ، فقال ((يا أبا محمد إن نوحا عليه السلام كان في السفينة وكان فيها ما شاء الله وكانت السفينة مأمورة فطافت بالبيت وهو طواف النساء وخلا سبيلها نوح عليه السلام فأوحى الله عز وجل إلى الجبال إني واضع سفينة نوح عبدي على جبل منكن فتطاولت وشمخت وتواضع الجودي وهو جبل عندكم فضربت السفينة بجؤجئها الجبل ، قال : فقال نوح عند ذلك (يا ماري اتقن) وهو بالسريانية رب أصلح ، قال : فظننت أن أبا الحسن عليه السلام عرض بنفسه)) (٢) فقوله عليه السلام فطافت بالبيت وهو طواف النساء يريد أن طوافها بالبيت هو تحليلها من جميع المكاره والمخاوف وليس بعد إلا النجاة كما أن الله جعل هذا الطواف في الحج نهاية العبادة فيه وليس بعده شيء يحرم على الناسك فكان الآتي به قد نجا مما يخافه من تقصير أو فساد في مناسكه فإذا فعله فقد تم حجه واستراحت نفسه مما يحذره وحل له كل شيء حرم عليه بعدما حرم في حجه واستقر في إحلاله .

واعلم أن المراد بالجبال جبال الأرض لا جبال مكة خاصة والجودي قيل أنه جبل بالجزيرة وفي أخبار أهل العصمة أنه بظهر النجف وعليه استقرت سفينة نوح وهي سفينة النجاة ، والجؤجؤ الصدر وقيل عظامه والجمع الجآجئ .

---

(١) البحار ج ٧٥ ص ١٣٢ (٢) البحار ج ١١ ص ٣٣٨

وعن الحسن بن الجهم عن أبي الحسن عليه السلام قال ((التواضع أن تعطي الناس ما تحب أن تعطاه)) (١) .

وفي حديث آخر قال : قلت ما حد التواضع الذي إذا فعله العبد كان متواضعا فقال ((التواضع درجات منها أن يعرف الإنسان قدر نفسه فينزلها منزلتها بقلب سليم لا يحب أن يأتي إلى أحد إلا مثل ما يؤتى إليه إن رأى سيئة درأها بالحسنة ، كاظم الغيظ عاف عن الناس والله يحب المحسنين)) (٢) .

وهذا مثل قول أمير المؤمنين عليه السلام ((ما ضاع امرؤ عرف قدره)) (٣) وفي خبر ((رحم الله امرئ عرف قدره ولم يتعد طوره)) (٤) .

وقال بعض الحكماء البخل والجهل مع التواضع خير من السخاء والعلم مع التكبر .

وقيل لحكيم هل تعرف نعمة لا يحسد عليها صاحبها وبلية لا يرحم صاحبها ، قال : نعم ، التواضع والكبر .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله ((طوبى لمن تواضع في غير منقصة)) (٥) يعنى بلا تذلل لأحد بل تواضعا لله .

وعن أبي عبدالله عليه السلام قال ((أفطر رسول الله صلى الله عليه وآله عشية خميس في مسجد قبا ، فقال : هل من شراب ، فأتاه أوس بن خولّي الأنصاري بعس مخلط بعسل فلما وضعه على فيه نحاه ثم قال : شرابان يكتفى بأحدهما من صاحبه لا أشربه ولا أحرّمه ولكن أتواضع لله فإن من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر خفضه الله ومن اقتصد في معيشته رزقه الله ومن بذر حرمه الله ومن أكثر ذكر الموت أحبه الله)) (٦)

وعن أمير المؤمنين عليه السلام ((ما أحسن تواضع الأغنياء

---

(١) (٢) الكافي ج٢ ص١٢٤ (٣) كنز الفوائد ج ٢ ص ١٨٢ (٤) شرح النهج ج١٦ ص١١٨
(٥) مجموعة ورام ج٢ ص٦٦ (٦) مجموعة ورام ج٢ ص١٩٠

للفقراء طلبا لما عند الله ، وأحسن من ذلك تيه الفقراء على الأغنياء اتكالا على الله سبحانه)) (١) وإنما قيد التيه بالثقة بالله ليخرج منه التكبر فإنه قد ورد أن الله يبغض التكبر ومن الفقير أبغض إذ العلة في تكبر الفقير هو خبث نفسه وجهلها بلا سبب داع له إلى ذلك بخلاف الغنى فإن السبب موجود وهو المال والثروة .

ونقل أن النبي صلى الله عليه وآله كان في نفر من أصحابه في بيته يأكلون فقام سائل على الباب وبه زمانة يتكره منها فأذن له فلما دخل أجلسه رسول الله صلى الله عليه وآله على فخذه ثم قال : أطعم ، وكان رجل من قريش اشمأز منه وتكرهه فما مات ذلك الرجل حتى كانت به زمانة مثلها)) (٢) .

وقال أبو أمامة خرج إلينا رسول الله صلى الله عليه وآله متوكيا على عصاه فقمنا إليه فقال ((لا تقوموا كما تقوم الأعاجم يعظم بعضهم بعضا)) (٣) .

واعلم أنه صلى الله عليه وآله إنما نهاهم عن القيام ليعلمهم أن القيام لا ينبغي فعله لمن لا يقصد به له وجه الله وحيث كان صلى الله عليه وآله صاحب الرئاسة كان أكثر الناس يفعله له تعظيما خوف سطوته ورجاء نعمته لا لأجل أنه أهل لذلك كما يفعلونه لحكام الجور والظلم أو للأغنياء استجلابا لما عندهم فنهاهم عن ذلك إشعارا بأنه صلى الله عليه وآله ممن لا يخاف جوره ولا يحيف ولا يظلم ولا يطمع أهل الملق في باطلهم وطمعهم بل ممن يؤمن سطوته وإذا وهب وهب لوجه الله الكريم ، وأيضا أنه إذا أدبهم بذلك بالنسبة إليه فبطريق أولى وأحق أن لا يعظم غيره من أهل التكبر والفجور وشاربي الخمور بدليل قوله ((كما يقوم الأعاجم يعظم بعضهم بعضا)) إما للرجاء أو للخوف من سطوته لأن النفوس جبلت على الخوف من الرؤساء لعدم أمنها من الظلم ، نعم يعظم الله وهو عليه السلام

---

(١) شرح النهج ج٢٠ ص٣٩ (٢) مجموعة ورام ج١ ص٢٠٠ (٣) مجموعة ورام ج١ ص٣١

يفعله لمصالح فما كان لمؤمن فظاهرة حكمته وما كان لمنافق فذلك استجلابا لايمانه و اتقاء لشره .

كما نقل أن عبدالله بن أبيّ المنافق استأذن على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال ((بئس أخو العشيرة ائذنوا له فأذنوا له فلما دخل أجلسه و بشر في وجهه ، فلما خرج قالت له عائشة : يا رسول الله قلت فيه ما قلت وفعلت له من البشر ما فعلت ، فقال لها : يا عويش إن شر الناس يوم القيامة من يكرم اتقاء شره)) (١) فأبان عليه السلام بأنه لا يخاف شره حتى يفعل معه كما تفعلّ الأعاجم ، نعم ورد الحث على تعظيم المؤمنين خصوصا ذرية الرسول صلى الله عليه وآله عليهم لما هم أهله وطلبا لمرضاة الله ففي الحديث ((من رأى أحدا من ذريتى فلم يعظمه ابتلاه الله بداء لا دواء له)) فعلامة ما يكون لله فعله هو أن يعظم المؤمن الفقير كما يعظم الغنى ومن لم يفعل فإن كان استخفافا بالمؤمنين فقد باء بسخط من الله وحكم السادات حكم المؤمنين بل ينبغي إكرامهم زيادة على من سواهم من المؤمنين لقرابتهم منه صلى الله عليه وآله فالمستخف بهم أعظم ذنبا عند الله ممن استخف بسائر المؤمنين من غيرهم وربما يصاب في الدنيا ببلاء في نفسه ، ويكون المراد بالذرية ما هو أعم من الذرية المعصومين عليهم السلام وإن حملت الذرية على المعصومين خاصة كما هو الظاهر من المفهوم الخطابي فالمستخف بهم كافر كفر الجاهلية الأولى ولا بد أن يبتلى في الدنيا ببلاء في نفسه ولو عند الموت .

واعلم أنه قد يترك تعظيم المؤمن لمصلحة بل ربما يكون راجحا إما للخوف عليه أو لرفع الشحناء واستجلابا لعدوه كما كان يفعله رسول الله صلى الله عليه وآله مع علي عليه السلام فإنه كان يعظم ظاهرا بعض أهل النفاق وكذلك كان يقوم إذا دخل بعض

---

(١) تفسير الامام ص ٣٥٤

المؤمنين ولا يفعل ذلك مع علي عليه السلام إذا حضر بعض المنافقين، ففي تفسير العسكري عليه السلام فيه قيام رسول الله صلى الله عليه وآله عند دخول بعض المؤمنين وأنه لا يقوم لعلي عليه السلام عند التقية إذا حضر من لا يرضى بذلك ويكون قيامه صلى الله عليه وآله سببا لصدور ضرر من ذلك الذي لم يرض بقيامه صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام.

ومن تواضع سلمان رحمه الله قيل له: لم لا تلبس ثوبا جيدا؟ فقال ((إنما أنا عبد فإذا أعتقت يوما لبست)) (١)، يريد أن العبيد لباسهم لباس الخدمة والذل فإذا تحرر كان لباسه لباس الأحرار وذلك إذا رفعت عنهم كلفة الخدمة وتفرغ للذة، فالدنيا دار الكلفة ومن فيها عبيد الخدمة، وأما الدار الآخرة فهي دار الراحة ومن فيها تحرروا للذة والنعمة بفضل الله ورحمته.

وقيل للقمان عليه السلام ((ألست عبد آل فلان، قال: بلى، قيل: فما بلغ بك ما نرى، قال: صدق الحديث وأداء الأمانة وترك ما لا يعنيني وغض بصري وكف لساني وعفة بطني فمن نقص عن هذا فهو دوني ومن زاد عليه فهو فوقي ومن عمله فهو مثلي)) (٢).

وقد أدب الله عباده بما أمر به نبيه بقوله ﴿ واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين ﴾ (٣) وقد قال ﴿ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين ﴾ (٤) ونقل أنه صلى الله عليه وآله قال ((أفضل العبادة التواضع)) وقيل (التواضع سلم الشرف).

وقال مجاهد (إن الله لما أغرق قوم نوح شمخت الجبال وتواضع الجودي فرفعه فوق الجبال بأن جعل قرار السفينة عليه،

---

(١) مجموعة ورام ج ١ ص ٢٠٨ (٢) مجموعة ورام ج ٢ ص ٢٣٠
(٣) الشعراء ٢١٥ (٤) القصص ٨٣

ونقل أن كنعان بن نوح لما رأى الماء ينبع من الأرض ويهطل من السماء خاف من الغرق فناداه نوح ﴿ يا بني اركب معنا فقال سآوي إلى جبل يعصمني من الماء ﴾ (١) فأوحى الله إلى ذلك الجبل ((أيعتصم دوني)) فتقطع ثلاث قطع ، قطعة كانت طور سيناء وقطعة ساخت في البحر وقطعة بقيت وهي النجف وعليها رست السفينة فهذا معنى تواضعه وانقياده لأمر الله وعدم قبوله ما نسبه إليه كنعان من التطاول والعلو فافهم .

ومن مكارم الأخلاق إدخال السرور على المؤمن ، فعن أبي جعفر عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله ((من سر مؤمنا فقد سرني ومن سرني فقد سر الله)) (٢) .

وعنه عليه السلام قال ((تبسم الرجل في وجه أخيه حسنة ، وصرف القذى عنه حسنة ، وما عبد الله بشيء أحب إليه من إدخال السرور على المؤمن)) (٣) .

وعنه عليه السلام يقول ((فيما ناجى الله عز وجل به عبده موسى بن عمران عليه السلام قال : إن لي عبادا أبيحهم جنتي وأحكمهم فيها ، قال : يا رب ومن هؤلاء الذين تبيحهم جنتك وتحكمهم فيها ، قال : من أدخل على مؤمن سرورا ثم قال : إن مؤمنا كان في مملكة جبار فكان موها فهرب منه إلى دار الشرك ونزل برجل من أهل الشرك فألطفه وأرفقه وأضافه فلما حضره الموت أوحى الله عز وجل إليه وعزتي وجلالي لو كان لك في جنتي مسكن لمشرك لأسكنتك فيها ولكنها محرمة على من مات مشركا ولكن يا نار هاربيه ولا تؤذيه ويؤتى برزقه طرفي النهار ، قلت : من الجنة ؟ قال : أو من حيث شاء الله عز و جل)) (٤) ، يريد عليه السلام أن الجنة كما أنها محرمة على الكفار فكذلك طعامها

---

(١) هود ٤٣
(٢) مصادقة الاخوان ص ٦٢
(٣) مصادقة الاخوان ص٥٢
(٤) المؤمن ص ٥٠

وشرابها كما حكى بقوله ﴿ قالوا أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله ، قالوا إن الله حرمها على الكافرين ﴾ (١) لا أن أهل الجنة بخلاء ولكن لا يمكن أن يكون طعام الجنة وشرابها سائغا لأهل النار لاختلاف طبائعهم باختلاف مقتضيات حقائقهم ، وقوله عليه السلام ((من حيث شاء الله)) يريد من غير الجنة وإنما هو من المواد الأرضية بعد التصفية لا من ثمار الجنة الفلكية .

وعن أبي عبدالله عليه السلام عن أبيه عن علي بن الحسين عليهم السلام قال : قال رسول الله صلى الله عله وآله ((إن أحب الأعمال إلى الله عز وجل إدخال السرور على المؤمنين)) (٢) .

وعن أبي عبدالله عليه السلام قال ((أوحى الله عز وجل إلى داود عليه السلام إن العبد من عبادي ليأتيني بالحسنة فأبيحه جنتي ، قال فقال داود : يا رب وما تلك الحسنة ؟ قال : يدخل على عبدي المؤمن سرورا ولو بتمرة ، قال داود : يا رب حق لمن عرفك أن لا يقطع رجاءه منك)) (٣) .

وعنه عليه السلام قال ((لا يرى أحدكم إذا أدخل على مؤمن سرورا أنه عليه أدخله فقط ، بلى والله علينا ، بلى والله على رسول الله صلى الله عليه وآله)) (٤) .

وعن أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام قال : سمعته يقول ((إن أحب الأعمال إلى الله عز وجل إدخال السرور على المؤمن ، شبعة مسلم أو قضاء دينه)) (٥) .

وعن سدير قال : قال أبو عبدالله عليه السلام في حديث طويل ((إذا بعث الله المؤمن من قبره خرج معه مثال يقدمه أمامه كلما رأى المؤمن هولا من أهوال يوم القيامة قال له المثال لا تفزع ولا تحزن وأبشر بالسرور والكرامة من الله عز وجل حتى يقف بين يدي الله عز وجل فيحاسبه حسابا يسيرا ويأمر به إلى الجنة

(١) الأعراف ٥٠ (٢) (٣) (٤) (٥) الكافي ج ٢ ص ١٨٩

والمثال أمامه فيقول له المؤمن رحمك الله نعم الخارج خرجت معي من قبري وما زلت تبشرني بالسرور والكرامة من الله حتى رأيت ذلك فيقول من أنت ؟ فيقول أنا السرور الذي كنت أدخلت على أخيك المؤمن في الدنيا خلقني الله عز وجل منه لأبشرك)) .

وعن المفضل بن عمر قال : قال لي أبو عبدالله عليه السلام ((يا مفضل اسمع ما أقول لك واعلم أنه الحق وافعله وأخبر به علية إخوانك ، قلت جعلت فداك وما علية إخواني ؟ قال : الراغبون في قضاء حوائج إخوانهم ، قال ثم قال : ومن قضى لأخيه المؤمن حاجة قضى الله عز وجل له يوم القيامة مائة ألف حاجة من ذلك أولها الجنة ومن ذلك أن يدخل قرابته ومعارفه وإخوانه الجنة بعد أن لا يكونوا نصابا)) (٢) ، وكان المفضل إذا سأل الحاجة أخا من إخوانه قال له أما تشتهي أن تكون من علية الاخوان .

وعن إسماعيل بن عمار الصيرفي قال : قال لأبي عبدالله عليه السلام ((جعلت فداك المؤمن رحمة على المؤمن ؟ قال : نعم : قلت : وكيف ذلك ؟ قال : أيما مؤمن أتى أخاه في حاجة فإنما ذلك رحمة من الله ساقها إليه وسببها له فإن قضى حاجته كان قد قبل الرحمة بقبولها وإن رده عن حاجته وهو يقدر على قضائها فإنما رد عن نفسه رحمة من الله عز وجل ساقها إليه وسببها له وذخر الله عز وجل تلك الرحمة إلى يوم القيامة حتى يكون المردود عن حاجته هو الحاكم فيها إن شاء صرفها إلى نفسه وإن شاء صرفها إلى غيره ، يا إسماعيل فإذا كان يوم القيامة وهو الحاكم في رحمة من الله قد شرعت له فإلى من ترى يصرفها ، قلت : لا أظن يصرفها عن نفسه ، قال : لا تظن ولكن استيقن فإنه

---

(١) الكافي ج ٢ ص ١٩٠ (٢) الكافي ج ٢ ص ١٩٢

لن يردها عن نفسه ، يا إسماعيل من أتاه أخوه في حاجة يقدر على قضائها فلم يقضها له سلط الله عليه شجاعا ينهش إبهامه في قبره إلى يوم القيامة مغفورا له أو معذبا)) (١) يريد عليه السلام لكن استيقن أن يوم القيامة يوم الفقر والفاقة وكل يقول اللهم نفسي ﴿يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه﴾ (٢) فلا أحد يصرف الرحمة عن نفسه إذا حصلت له فينبغي أن لا يرغب العاقل عن تلك الرحمة في حال تلك الشدة ، وقوله ((مغفورا له أو معذبا)) يريد أن هذا العذاب لا يدرؤه إيمان فلا بد منه سواء كان ممن يغفر له من المؤمنين أو لم يغفر له من أعداء الدين فإنه يعذب بذلك في البرزخ نعوذ بوجه الله الكريم ونسأله المعونة على طاعته وتجنب معاصيه .

وعن أبي جعفر عليه السلام قال ((من بخل بمعونة أخيه والقيام له في حاجته إلا ابتلي بالقيام بمعونة من يأثم عليه ولا يؤجر)) (٣) .

وعن محمد بن مروان عن أبي عبدالله عليه السلام قال ((إذا مشى الرجل في حاجة أخيه المؤمن يكتب له عشر حسنات وتمحى عنه عشر سيئات وترفع له عشر درجات ، قال : ولا أعلمه إلا قال وتعدل عشر رقاب وأفضل من اعتكاف شهر في المسجد الحرام)) (٤) .

وعن أبي الحسن عليه السلام قال ((إن لله عبادا في الأرض يسعون في حوائج الناس هم الآمنون يوم القيامة ، ومن أدخل على مؤمن سرورا فرح الله قلبه يوم القيامة)) (٥) .

وعن زيد الشحام قال سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول

---

(١) الكافي ج ٢ ص ١٩٣ (٢) عبس ٣٤ـ٣٦ (٣) الكافي ج ٢ ص ٣٦٥
(٤) الكافي ج ٢ ص ١٩٦ (٥) الكافي ج ٢ ص ١٩٧

((من أغاث أخاه المؤمن اللهفان اللهثان عند جهده فنفس كربته وأعانه على نجاح حاجته كتب الله عز وجل له بذلك ثنتين وسبعين رحمة يعجل له منها واحدة يصلح بها أمر معيشته ،و يدخر له إحدى و سبعين رحمة لأفزاع يوم القيامة وأهواله)) (١) .

وقال عليه السلام ((أيما مؤمن أوصل إلى أخيه المؤمن معروفا فقد أوصله إلى رسول الله صلى الله عليه وآله)) (٢) .

وقال عليه السلام ((رأيت المعروف كاسمه وليس شيء أفضل من المعروف إلا ثوابه وذلك يراد منه وليس كل من يحب أن يصنع المعروف إلى الناس يصنعه وليس كل من يرغب فيه يقدر عليه ولا كل من يقدر عليه يؤذن له فيه فإذا اجتمعت الرغبة والقدرة والإذن فهنالك تمت السعادة للطالب والمطلوب إليه)) (٣) ، يعنى تمت سعادة الطالب بنجاح حاجته و تمت سعادة المطلوب إليه بتوفيقه لفعله ونيله جزيل أجره وجميل ذكره)) ، وقال الشاعر :

فلم أر كالمعروف أما مذاقه　　فحلو وأما وجهه فجميل

وقال الآخر :

من يفعل الخير لم يعدم جوائزه　　لا يذهب العرف بين الله والناس

وقيل اطلبوا الخير من معادنه ، وقد قلت :

لا تطلب الخير إلا من معادنه من　　يجتنى الورد في السعدان والسلم

وقيل من يزرع يحصد وكل إناء يرشح بما فيه وما أحسن ما قال أبو ذهيل الجمحي :

---

(١) الكافي ج ٢ ص ١٩٩　(٢) الكافي ج ٤ ص ٢٧　(٣) الكافي ج ٤ ص ٢٦

يا ليت من يمنع المعروف يمنعه حتى يلاقي رجال غب ما صنعوا
وليت ذا الفحش لاقى فاحشا أبدا ووافق الحلم أهل الحلم فاتدعوا
وليت رزق أناس مثل نائلهم قوتا كقوت ووسعا كالذي وسعوا
وليت في الناس حظا في وجوههم تبين أخلاقهم فيها إذا اجتمعوا

ومن مكارم الأخلاق العفو وكظم الغيظ، فعن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله في خطبة ((ألا أخبركم بخير خلائق الدنيا والآخرة، العفو عمن ظلمك، وتصل من قطعك والاحسان إلى من أساء إليك وإعطاء من حرمك)) (١).

وقال الصادق عليه السلام ((ثلاث من مكارم الدنيا والآخرة تعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وتحلم إذا جهل عليك)) (٢).

وعن زين العابدين عليه السلام يقول ((إذا كان يوم القيامة جمع الله تبارك وتعالى الأولين والآخرين في صعيد واحد ثم ينادي مناد: أين أهل الفضل؟ قال: فيقوم عنق من الناس فتلقاهم الملائكة فيقولون وما كان فضلكم؟، فيقولون: كنا نصل من قطعنا ونعطي من حرمنا ونعفو عمن ظلمنا، قال: فيقال لهم صدقتم ادخلوا الجنة)) (٣).

وعن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله ((عليكم بالعفو فإن العفو لا يزيد العبد إلا عزا فتعافوا يعزكم الله)) (٤).

وعن أبي جعفر عليه السلام قال ((الندامة على العفو أفضل وأيسر من الندامة على العقوبة)) (٥).

وعن ابن فضال قال سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول ((ما التقت فئتان قط إلا نصر أعظمهما عفوا)) (٦).

---

(١) (٢) (٣) الكافي ج ٢ ص ١٠٧ (٤) (٥) (٦) الكافي ج ٢ ص ١٠٨

وعن أبي جعفر عليه السلام قال ((أن رسول الله صلى الله عليه وآله أتي باليهودية التى سمت الشاة للنبى صلى الله عليه و آله و سلم فقال لها : ما حملك على ما صنعت ، فقالت : قلت إن كان نبيا لم يضره وإن كان ملكا أرحت الناس منه ، قال : فعفا رسول الله صلى الله عليه وآله عنها)) (١) .

وعن أبي جعفر عليه السلام قال ((ثلاث لا يزيد الله بهن المرء المسلم إلا عزا الصفح عمن ظلمه وإعطاء من حرمه والصلة لمن قطعه)) (٢) .

واعلم أن العفو مكرمة لا تعدلها مكرمة ولكن العفو في غير موضعه لا يحسن لأنه إضاعة للحكمة بوضع الأشياء في غير مواضعها قال علي عليه السلام ((العفو عن المقر لا عن المصر)) .

وروي أن أبا غرة الشاعر أسر يوم بدر وجيء به إلى النبى صلى الله عليه وآله فقال ((يا رسول الله تصدق بي على عيالي واعف عنى عفا الله عنك ، فقال صلى الله عليه وآله : على أن لا تعين عليّ بيد ولا لسان)) فعاهد على ذلك ، فلما عاد قومه إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وآله عاد معهم وكان يحرض القوم على القتال فأسر وجيء به إلى النبى صلى الله عليه وآله فقال ((يا رسول الله تصدق بي على عيالي واعف عنى عفا الله عنك ، فقال صلى الله عليه وآله : العفو مكرمة لا تعدلها مكرمة ولكن لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين والله لا تجلس بمكة وتمسح لحيتك وتقول خدعت محمدا مرتين ، يا علي قم إليه فاضرب عنقه)) فقام وضرب عنقه وكانت قضية قتله في أحد .

وفي كظم الغيظ ما روي عن الصادق عليه السلام قال ((كان علي بن الحسين عليهما السلام يقول ما أحب أن لي بذل نفسي حمر النعم وما تجرعت جرعة أحب إليّ من جرعة غيظ لا

---

(١) (٢) الكافي ج ٢ ص ١٠٨

أكافئ بها صاحبها)) (١) .

وعن أبي عبدالله عليه السلام قال ((نعم الجرعة الغيظ لمن صبر عليها فإن عظيم الأجر لمن عظيم البلاء وما أحب الله قوما إلا ابتلاهم)) (٢) .

وعن أبي الحسن الأول عليه السلام قال ((اصبر على أعداء النعم فإنك لن تكافئ من عصى الله فيك بأفضل من أن تطيع الله فيه)) (٣) .

وقال أبو عبدالله عليه السلام ((ما من عبد كظم غيظا إلا زاده الله عز وجل عزا في الدنيا والآخرة ، وقد قال الله عز وجل ﴿والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين﴾ (٤) وأثابه الله مكان غيظه ذلك)) (٥) .

وعن أبي عبدالله عليه السلام ((من كظم غيظا ولو شاء أن يمضيه أمضاه أملأ الله قلبه يوم القيامة رضاه)) (٦) .

وعن أبي جعفر عليه السلام قال ((من كظم غيظا وهو يقدر على إمضائه حشا الله قلبه أمنا وإيمانا يوم القيامة)) (٧) .

وعن علي بن الحسين عليهما السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله ((من أحب السبيل إلى الله عز وجل جرعتان جرعة غيظ تردها بحلم وجرعة مصيبة تردها بصبر)) (٨) .

وعن أبي جعفر عليه السلام قال ((قال لي أبي : يا بني ما من شيء أقر لعين أبيك من جرعة غيظ عاقبتها صبر وما من شيء يسرني أن لي بذل نفسي حمر النعم)) (٩) .

وقال الصادق عليه السلام ((ما من جرعة يتجرعها العبد أحب إلى الله من جرعة غيظ يتجرعها عند ترددها في قلبه إما بصبر وإما بحلم)) (١٠) .

---

(١) (٢) (٣) الكافي ج ٢ ص ١٠٩ — (٤) آل عمران ١٣٤

(٥) (٦) (٧) (٨) (٩) الكافي ج٢ ص ١١٠ — (١٠) الكافي ج ٢ ص ١١١

ويلحق به الحياء، فعن أبي عبدالله عليه السلام قال ((الحياء من الايمان والايمان في الجنة)) (١).

وعنه عليه السلام ((الحياء والعفاف والعي أعنى عي اللسان لا عي القلب من الايمان)) (٢) والعي خلاف البيان مراده عليه السلام بعي اللسان عدم البذاء فإن كثيرا من الناس من يكون طلق اللسان في التى لا يحبها الله وقوله لا عي القلب يعنى أنه يعرف مصادر الأمور ومواردها غير غبي في نفسه أو غافل عما يراد منه أو جاهل بأحوال الخلق ولكنه يتغافل مع معرفته بالأشياء سؤددا منه وتكرما.

وعنه عليه السلام قال ((من رق وجهه رق علمه)) (٣) يعنى من كان وجهه رقيقا من الحياء كان علمه رقيقا لطيفا من حدة إدراكه.

وعن أحدهما عليهما السلام قال ((الحياء والايمان مقرونان في قرن فإذا ذهب أحدهما تبعه صاحبه)) (٤)، والمراد بالقرن بالتحريك الحبل يجمع به البعيران.

وقال الصادق عليه السلام ((لا إيمان لمن لا حياء له)) (٥).

وعنه عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله ((أربع من كن فيه وكان من قرنه إلى قدمه ذنوبا بدلها الله حسنات الصدق والحياء وحسن الخلق والشكر)) (٦).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله ((الحياء حياءان حياء عقل وحياء حمق فحياء العقل هو العلم وحياء الحمق هو الجهل)) (٧).

ومن مكارم الأخلاق الإصلاح بين الناس لأنه لا يكون إلا عن قلب سليم وطبع مستقيم، كما أن الإفساد والنميمة إنما يكونان من نفس أمارة بالسوء وطبيعة خبيثة جبلت على الشر،

---

(١) (٢) (٣) (٤) (٥) الكافي ج ٢ ص ١٠٦ (٦) الكافي ج ٢ ص ١٠٧
(٧) الكافي ج ٢ ص ١٠٦

فعن أبي عبدالله عليه السلام يقول ((صدقة يحبها الله إصلاح بين الناس إذا تفاسدوا وتقارب بينهم إذا تباعدوا)) (١).

وعن المفضل قال : قال أبو عبدالله عليه السلام ((إذا رأيت بين اثنين من شيعتنا منازعة فافتدها من مالي)) (٢).

وعن أبي حنيفة سائق الحاج قال مر بنا المفضل و أنا وختني نتشاجر في ميراث فوقف علينا ساعة ثم قال تعالوا إلى المنزل فأتيناه فأصلح بيننا بأربعمائة درهم و دفعها إلينا من عنده حتى استوثق كل واحد منا من صاحبه ثم قال ((أما إنها ليست من مالي ولكن أبا عبدالله عليه السلام أمرني إذا تنازع الرجلان من أصحابنا في شيء أن أصلح بينهما وأفتديهما من ماله فهذا من مال أبي عبدالله عليه السلام)) (٣).

وعن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عز وجل ﴿ ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس ﴾ (٤) قال ((إذا دعيت لصلح بين اثنين فلا تقل علي يمين ألا أفعل)) (٥).

وعنه عليه السلام قال ((المصلح ليس بكاذب)) (٦).

وعن معاوية بن وهب أو معاوية بن عمار عن أبي عبدالله عليه السلام قال ((أبلغ عني كذا وكذا في أشياء أمر بها ، قلت : فأبلغهم عنك وأقول عني ما قلت لي وغير الذي قلت ، قال : نعم إن المصلح ليس بكذاب)) (٧).

ومن أفضل مكارم الأخلاق الصدق والوفاء بالوعد ، اعلم أن الصدق منجاة من المهلكة وأمان من الخوف يرفع الله أناسا بالصدق ويزكي عملهم قال سبحانه ﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ليجزي الله الصادقين ﴾ (٨) الآية ، والصدق قولي وعملي

---

(١) (٢) الكافي ج٢ ص٢٠٩ (٣) التهذيب ج ٦ ص ٣١٢ (٤) البقرة ٢٢٤
(٥) (٦) البحار ج٧٦ ص٤٦ (٧) البحار ج ٧٦ ص ٤٨ (٨) الأحزاب ٢٣ ـ ٢٤

قال الصادق عليه السلام ((إن الله عز و جل لم يبعث نبيا إلا بصدق الحديث و أداء الأمانة إلى البر و الفاجر)) (١) .

وعنه عليه السلام قال ((لا تغزوا بصلاتهم وصيامهم فإن الرجل ربما لهج بالصلاة و الصيام حتى لو تركهما استوحش لذلك ولكن اختبروهم عند صدق الحديث و أداء الأمانة)) (٢) .

وعنه عليه السلام قال ((من صدق لسانه زكى عمله)) (٣) .

وعن عمروا بن أبي المقدام قال : قال لي أبو جعفر عليه السلام في أول دخلة دخلت عليه ((تعلموا الصدق قبل الحديث)) (٤) يريد عليه السلام وطنوا أنفسكم على الصدق فإن لكل شيء آفة وآفة الحديث الكذب .

وعن أبي بصير قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام أن عبدالله بن أبي يعفور يقرئك السلام فقال ((وعليك وعليه السلام ، إذا رأيت ابن أبي يعفور فاقرأه منى السلام وقل له إن جعفر بن محمد يقول لك : انظر ما بلغ به علي عليه السلام عند رسول الله صلى الله عليه وآله فالزمه فإنما بلغ ما بلغ بصدق الحديث وأداء الأمانة)) (٥) .

وعن الفضيل بن يسار قال : قال أبو عبدالله عليه السلام ((يا فضيل إن الصادق أول من يصدقه الله عز وجل يعلم أنه صادق ، وتصدقه نفسه تعلم أنه صادق)) (٦) .

وعنه عليه السلام قال ((إنما سمي إسماعيل صادق الوعد لأنه وعد رجلا في مكان فانتظره في ذلك المكان سنة فسماه الله صادق الوعد ثم إن الرجل أتاه بعد ذلك فقال له إسماعيل ما زلت

---

(١) البحار ج ١١ ص ٦٧ (٢) إرشاد القلوب ص ١٣٤ (٣) كشف الغمة ج٢ ص٢٠٨
(٤) مجموعة ورام ج٢ ص١٨٨ (٥) مشكاة الأنوار ص ٤٦ (٦) البحار ج ٧١ ص ٥

منتظرا لك)) (١) .

وعن الربيع بن سعيد قال : قال لي أبو جعفر عليه السلام ((يا ربيع إن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا)) (٢) .

وعن أبي بصير قال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول ((إن العبد ليصدق حتى يكتب عند الله من الصادقين ، ويكذب حتى يكتب عند الله من الكاذبين ، فإذا صدق قال الله عز وجل صدق وبر وإذا كذب قال الله عز و جل كذب وفجر)) (٣) .

وقال أبو عبدالله عليه السلام ((من صدق لسانه زكى عمله ومن حسنت نيته زيد في رزقه ، ومن حسن بره في أهل بيته مد في عمره)) (٤) .

وأما الوفاء بالوعد فهو صدق ونيل معروف قال الله ﴿ الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق ﴾ (٥) ، وقال سبحانه ﴿ يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ﴾ (٦) وقال سبحانه ﴿ وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا ﴾ (٧) ، فالوفاء من شيم النفوس الشريفة وجميل الأخلاق الكريمة والخصال الحميدة يعظم صاحبه في القلوب ويستر عنه سائر العيوب لأنه رأس الإحسان ووصلة الامتنان .

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم ... فلربما استعبد الإنسان إحسان

قال علي عليه السلام ((عجبت لمن يشتري العبيد بالأثمان ولا يشتري الأحرار بالإحسان)) .

وفي المثل : الوعد سحاب والإنجاز مطره والمعروف وجه والإنجاز محاسنه ، فالكريم لا يرضى أن يكون سحابه وبرقه خلب ووجه معروفه قبيح .

---

(١) البحار ج ٧١ ص ٥ (٢) مشكاة الأنوار ص ١٧٢ (٣) البحار ج ٧١ ص ٧
(٤) إرشاد القلوب ص١٣٤ (٥) الرعد ٢٠ (٦) المائدة ١ (٧) الإسراء ٣٤

إذا قلت في شيء نعم فاتمه | فإن نعم دين على الحر واجب
وإلا فقل لا واسترح وأرح بها | لئلا تقول الناس أنك كاذب

وخُلف الوعد منقصة للفتوة ومذهبة للمروة ففي الحديث النبوي ((مطل الغنى ظلم)) (١)، وقالوا : لكل شيء آفة وآفة المروة خلف الوعد، قال الشاعر :

توق خلافا إن سمحت بموعد | لتسلم من ذم الورى وتعافى
فلو تم الصفصاف من بعد زهره | وإيناعه ما لقبوه خلافا

فالوفاء بالوعد أدنى أخلاق ذوي المجد وأعلاها أن ينيل معروفه لمن لم يسأله ويبذله لمن لم يطلبه فهذه حلية الرجل الكريم ومن شعر قلته نصيحة لبعض ولدي :

فالبخل شر داء | ليس بذي دواء
وشر ما في البخل | قول بغير فعل
وإن تكن مسترشدا | فاصغ لقول من هدى
ليس الكريم المجدي | من قد وفى بالوعد
بل الكريم من رفد | بماله وما وعد
واسمع لقول الهادي | وفقت للسداد
أيمن كف فاعلم | في الناس كف منعم
وأحسن الوجوه | عار عن التمويه
وجه كريم محسن | ومرفد ذي منن

و أعجب ما سمع في رعاية الذمم و الوفاء بالوعد قضية الطائي و شريك بن عدي نديم النعمان بن المنذر و أصل ذلك

---

(١) شرح النهج ج ٩ ص ٢٩٢

أنه كان ينادم النعمان رجلان من العرب و هما خالد بن المفضل و عمرو بن مسعود الأسديان فشرب معهما ليلة فراجعاه الكلام فغضب فأمر أن يجعلا في تابوتين و يدفنا بظهر الكوفة فلما أصبح سأل عنهما فأخبروه بصنيعه بهما فندم على فعله فركب حتى وقف عليهما و أمر ببناء الغريين و جعل لنفسه كل سنة يوم نعيم و يوم بؤس و كان يضع سريره بينهما فإذا كان يوم نعيمه فأول من يطلع عليه يعطيه مائة من الابل و إذا كان يوم بؤسه فأول من يطلع عليه يعطيه رأس طربال و هي دويبة منتنة الريح و أمر بقتله فيقتل و يغري بدمه الغريين ، و قيل أن المدفون بالغريين مالك و عقيل نديما جذيمة الأبرش و كان النعمان يغري قبريهما بدم من يقتله و اتفق أن الطائي أصابته شدة من فاقة الزمان و مصائب الحدثان فخرج يرتاد لأطفاله شيئا من الطعام فصادفه النعمان في يوم بؤسه فعلم أنه مقتول فقال: حي الله الملك إن لي صبية صغارا و أهلا جياعا و قد أرقت ماء وجهي في تحصيل شيء من البلغة لهم و قد أقدمني سوء الحظ على الملك في هذا اليوم العبوس و قد قربت من مقر الصبية و الأهل و هم على شفا تلف من الطوى و لن يتفاوت الحال في قتلي بين أول النهار و آخره فإن رأى الملك أن يأذن لي في أن أوصل إليهم هذا القوت و أوصي بهم أهل المروة من الحي لئلا يهلكوا ضياعا ثم أعود إلى الملك ثم أسلم نفسي لنفاذ أمره ، فلما سمع النعمان مقاله و فهم حاله و شدة تلهفه على أطفاله و خوفه عليهم من الضياع و التلف رق لحاله غير أنه قال له : لا آذن لك إلا أن يضمنك رجل معنا فإن لم ترجع قتلناه و كان شريك بن عدي بن شرحبيل نديم النعمان معه فالتفت الطائي إلى شريك فقال له شعرا :

يا شريك بن عدي ما من الموت انهزام
من لأطفال ضعاف عدموا طعم الطعام

بين جوع وانتظار   وافتقار وسقام
يا أخا كل كريم   أنت من قوم كرام
يا أخا النعمان جدلي   بضمان والتزام
ولك الله بأني   راجع قبل الظلام

فقال شريك بن عدي أصلح الله الملك علي ضمانه فمر الطائي مسرعا وصار النعمان يقول لشريك جاء وقتك فتأهب للقتل إن صدر النهار قد ولى ولم يرجع وشريك يقول للملك ليس علي سبيل حتى يأتي المساء فلما قرب المساء قال النعمان لشريك جاء وقتك فتأهب للقتل فقال شريك هذا شخص قد لاح مقبلا وأرجو أن يكون الطائي فإن لم يكن فأمر الملك ممتثل، فبينما هم كذلك وإذا الطائي قد اشتد في العدو مسرعا حتى وصل وقال: خشيت أن ينقضي النهار قبل وصولي فعدوت ثم وقف وقال أيها الملك مر بأمرك، فأطرق النعمان ثم رفع رأسه وقال: والله ما رأيت أعجب منكما أما أنت يا طائي فما تركت لأحد في الوفاء مقاما يقوم فيه ولا ذكرا يفتخر به، وأما أنت يا شريك فما تركت لكريم سماحة يذكر بها في الكرماء فلا أكون أنا ألأم الثلاثة ألا وإني قد رفعت يوم بؤسي عن الناس ونقضت عادتي كرما لوفاء الطائي وكرم شريك، وقال الطائي:

ولقد دعتني للخلاف عشيرتي   فعددت قولهم من الاضلال
إني امرئ مني الوفاء سجية   وفعال كل مهذب مفضال

فقال له النعمان: ما حملك على الوفاء وفيه تلف نفسك، فقال: ديني، فمن لا وفاء له لا دين له، فأحسن إليه النعمان بما أغناه وأعاده مكرما إلى أهله وأناله ما تمناه.

وإنما ذكرت هذه القضية بتمامها وإن لم يكن فيها طائل ولا نفع أملا لتسلية الواله المضنى من أبناء الزمان وتحلية اللسان حين

ذهب المعروف في هذا الزمان وكان الوفاء مفقودا في كل مكان .

مررت على المروة وهي تبكي فقلت على م تنتحب الفتاة
فقالت كيف لا أبكي وأهلي جميعا دون كل الناس ماتوا

وقال الآخر وأجاد :
ذهب الذين يعاش في أكنافهم وبقى الذين حياتهم لا تنفع

وأنا أقول :عند الله نحتسب الماضين ، حيث لا خلف للباقين

ومن أفضل مكارم الأخلاق السخاء نقل أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال ((الرجال أربعة سخي و كريم و بخيل و لئيم ، فالسخي الذي يأكل و يعطي و الكريم الذي لا يأكل و يعطي و البخيل الذي يأكل و لا يعطي و اللئيم الذي لا يأكل و لا يعطي)) (١) .

وفي الخبر عن سيد البشر صلى الله عليه وآله ((السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار)) (٢) .

وقال ((السخاء اسم شجرة في الجنة ترفع يوم القيامة كل سخي إلى الجنة بأغصانها)) (٣) .

وقال صلى الله عليه وآله ((السخاء شجرة في الجنة حسنة المنظر والمخبر ولن يلج الجنة إلا سخي ، والبخل شجرة في النار قبيحة المنظر والمخبر ولن يلج النار إلا بخيل)) .

وقال ((السخي الجهول أحب إلى الله من العالم البخيل)) .

وقال ((عليك بطعام الجواد وإياك وطعام البخيل فإن طعام

---

(١) جامع الأخبار ص ١١٣ (٢) مصباح الشريعة ص ٨٢ (٣) إرشاد القلوب ص ١٣٩

الجواد دواء وطعام البخيل داء)) (١) .

واعلم أن الجود والكرم هو بذل المال فقد يكون كرما شرعيا وحقيقته هو كسب المال من حله ووضعه في محله من غير إسراف ، وقد يكون عرفيا وهو بذل المال لمن يستحقه ولمن لا يستحقه سواء اكتسبه من حله أو من غير حله ، وهذا وإن كان خلقا طبيعيا فإن صاحبه محمود وقد يؤديه إلى النجاة في الدنيا كما نقل أن السامري لعنه الله لما أراد موسى أن يقتله أوحى الله إليه لا تقتله فإنه كريم ، وقد يوفق صاحبه للنجاة في الآخرة ويحمل عليه أن ما ورد كل جواد في الجنة يعنى أنه قريب من الخير فإن كان مؤمنا عفي عنه ما اقترفه وإن كان كافرا حجب عن شدة عذاب النار كما ورد في شأن حاتم فذلك جنة له بالنسبة إلى أهل النار ، وفي الحديث ((السخاء ما كان ابتداء وأما ما كان عن مسألة فحياء)) .

وقد يحمل الكرم على أداء حقوق الله والقيام بأوامره كما أراد ، والبخل ترك ذلك فعلى هذا معناه ظاهر وفي الأخبار ما يشعر بذلك ، وقالوا (المعروف لا يقع وإن وقع وجد متكما) يعنى أنه لا يذهب جزاؤه فإن ذهب في العاجل وجد له عاقبة في الآجل ، وقيل للحسن بن سهل لا خير في السرف ، قال : لا سرف في الخير فقلب اللفظ فصح المعنى والأخبار صريحة فيه وقد تقدم الكلام فيه .

فمن أجواد العرب وكرمائهم حاتم وجوده أشهر من أن يذكر ، ومنهم عبدالله بن جعفر بن أبي طالب وقيس بن سعد بن عبادة ومنهم معن بن زائدة الشيباني ولهم قضايا وحكايات ، ومنهم يزيد بن المهلب ومن عجيب أمره أن الحجاج حبسه في خراج ثبت عليه مقداره مائة ألف درهم فجمعت له من أهله وأقاربه فجاء الفرزدق يزوره في السجن فقال للحاجب استأذن

---

(١) البحار ج ٦ ص ٢٩١

لي عليه ، فقال : إنه في مكان لا يمكن الدخول إليه فيه ، فقال الفرزدق : إنما أتيت موجعا لما هو فيه ولم آت ممتدحا فأذن له فلما أبصره قال :

أبا خالد ضاقت خراسان بعدكم وقال ذوو الحاجات أين يزيد
فما قطرت بالشرق بعدك قطرة ولا اخضر بالمروين بعدك عود
وما لسرير الملك بعدك بهجة ولا لجواد بعد جودك جود

فقال يزيد للحاجب : ادفع إليه المائة ال ألف التى جمعت لنا ودع الحجاج ولحمي يفعل فيه ما يشاء ، فقال الحاجب للفرزدق : هذا الذي خفت منه لما أردت الدخول عليه ، ثم أخذها وانصرف .

واعلم أن الكريم من يرفع ذل السؤال عن السائل كما فعل أمير المؤمنين عليه السلام فإنه قال ((من كانت له إلي حاجة فليكتبها في كتاب لأصون وجهه عن المسألة)) .

وجاءه عليه السلام أعرابي فقال : يا أمير المؤمنين إن لي إليك حاجة إلا أن الحياء يمنعنى أن أذكرها ، فقال ((خطها في الأرض ، فكتب إني فقير ، فقال : يا قنبر اكسه حلة ، فقال الأعرابي

كسوتنى حلة تبدو محاسنها فسوف أكسوك من حسن الثنا حللا
إن الثناء ليحيي ذكر صاحبه كالغيث يحيي نداه السهل والجبلا
لا تزهد الدهر في عرف بدأت به كل امرئ سوف يجزى بالذي فعلا

فقال عليه السلام ((يا قنبر زده مائة دينار ، فقال : يا أمير المؤمنين لو فرقتها في المسلمين لأصلحت بها شأنهم ، فقال : مه يا قنبر فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : اشكروا لمن أثنى عليكم ، وإذا أتاكم كريم قوم فأكرموه)) .

ومر يزيد بن المهلب عند خروجه من السجن بأعرابية فذبحت له عنزا ، فقال لابنه معاوية : ما معك من النفقة ، فقال : مائة دينار ، فقال : ادفعها إليها ، فقال : هذه يرضيها اليسير وهي لا تعرفك ،

فقال : إن كان يرضيها اليسير فأنا لا أرضى إلا بالكثير ، وإن كانت لا تعرفنى فأنا أعرف نفسي .

وقيل أشرف عمرو بن هبيرة يوما من قصره فإذا هو بأعرابي يرفل قلوصه فقال لحاجبه : إذا أرادني هذا فأوصله إلي ، فلما وصل الأعرابي سأله الحاجب فقال : قصدت الأمير ، فدخل به إليه فلما مثل بين يديه قال : ما حاجتك ، فقال :

أصلحك الله قل ما بيدي ولا أطيق العيال إذ كثروا
أناخ الدهر علي كلكله فأرسلوني إليك وانتظروا

فأخذت عمرو الأريحية فجعل يهتز فقال : أرسلوك إلي فانتظروا إذاً والله لا تجلس حتى ترجع إليهم ثم أمر له بألف دينار .

ومن عجائب ما جرى من كرم حاتم ومكارم أخلاقه حكي أن ملكان بن أخي مارية قال: قلت لها يوما : يا عمة حدثينى ببعض عجائب حاتم ومكارم أخلاقه ، فقالت : يا ابن أخي أعجب ما رأيت منه أصابت الناس سنة أذهبت الخف والظلف فإني وإياه أخذنا الجوع وأسهرنا فأخذت سفانة وأخذ عديا وجعلنا نعللهما حتى ناما أقبل علي يحدثنى ويعللنى بالحديث حتى أنام فرفقت له لما به من الجوع فأمسكت عن كلامه لينام ، فقال لي : أنمت فلم أجبه فسكت فنظر في فناء الخباء وإذا شيء قد أقبل فرفع رأسه فإذا امرأة ، فقال : من هذا ، فقالت : أبا عدي أتيتك من عند صبية يتعاوون كالكلاب أو كالذئب جوعا ، فقال لها : أحضري صبيانك فوالله لأشبعنهم ، فقامت سريعة لأولادها فرفعت رأسي وقلت له : يا حاتم بماذا تشبع أطفالها فوالله ما نام صبيانك من الجوع إلا بالتعليل ، فقال : والله لأشبعنك وأشبع صبيانك وصبيانها ، فلما جاءت المرأة نهض قائما وأخذ المدية بيده وعمد إلى فرسه فذبحه ثم أجج نارا ودفع إليها شفرة وقال قطعي ما شوي وكلي وأطعمي

صبيانك فأكلت المرأة وأشبعت أولادها ، فأيقضت أولادي فأكلت وأطعمتهم ، فقال : والله إن هذا اللؤم تأكلون وأهل الحي حالهم مثل حالكم ، ثم أتى الحي بيتا بيتا يقول : انهضوا عليكم بالنار فاجتمعوا حول الفرس وتقنع حاتم بكسائه وجلس ناحية فلما أصبحوا وما على وجه الأرض منها قليل ولا كثير إلا عظم وحافر والله ما ذاقها وإنه لأشدهم جوعا .

وحكي أنه أغر قوم على طي فركب حاتم فرسه وأخذ رمحه ونادى في عشيرته ولقى القوم فهزموهم وتبعهم فقال له كبيرهم : يا حاتم هب لي رمحك فرمى به إليه ، فقيل له : عرضت نفسك للهلاك ولو عطف عليك لقتلك ، فقال لهم : قد علمت ذلك ولكن ما جواب من يقول هب لي .

ولما مات عظم ذلك على طي فادعى أخوه أنه يخلفه فقالت له أمه هيهات شتان والله ما بين خلقيكما وضعته والله فبقي سبعة أيام لا يرضع حتى أرضعت أحد ثديي طفلا من الجيران وكنت أنت ترضع ثديا ويدلك على الثدي الآخر فأنّى لك ذلك .

قال الشاعر :

يعيش الندى ما عاش حاتم طي وإن مات قامت للسخاء مآتم

وكان حاتم أحد الثلاثة الكرماء في الجاهلية ، وثانيهما كعب بن مامة سافر سفرا بعيدا ومعه صاحبان ومعهم ماء قليل فما زال كعب يسمح لهما بالماء حتى مات عطشا ونجيا سالمين ، وثالثهم خالد ابن عبدالله .

واعلم أن منع الذي لا يستحق لا ينافي الكرم إذ إعطاء من لا يستحقه سفه وسرف ، كما أن منع من يستحق بخل وشح ، كما حكي عن أهل الجنة حيث قالوا ﴿ إن الله حرمها على

الكافرين ﴾ بعد أن قال أهل النار ﴿ أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله ﴾ (١) .

وفي مناقب ابن شهر آشوب عن عمر بن علي عن أبيه عليه السلام قال ((دعانا رسول الله صلى الله عليه وآله أنا وفاطمة والحسن والحسين ثم نادى بالصحفة فيها طعام كهيئة السكنجبين وكهيئة الزبيب الطائفي الكبار فأكلنا منه فوقف سائل على الباب فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله اخسأ ثم قال ارفع ما فضل فرفعه ، فقالت فاطمة عليها السلام : يا رسول الله لقد رأيتك اليوم صنعت شيئا ما كنت تفعله سأل سائل الطعام فقلت اخسأ ورفعت فضل الطعام ولم أرك رفعت طعاما قط ، فقال صلى الله عليه و آله : إن الطعام كان من طعام الجنة وإن السائل كان شيطانا)) (٢) .

وفي الاقتصاد ما رواه الوليد بن صبيح عن أبي عبدالله عليه السلام قال ((كنت عنده وعنده جفنة من رطب فجاء سائل فأعطاه ثم جاء سائل آخر فأعطاه ثم جاء آخر فأعطاه ثم جاء آخر فقال وسع الله عليك ثم قال : إن رجلا لو كان له مال يبلغ ثلاثين أو أربعين ألفا ثم شاء أن لا يبقى منه شيء إلا قسمه في حق فعل فيبقى لا مال له فيكون من الثلاثة الذين يرد دعاؤهم عليهم ، قال قلت : جعلت فداك من هم ؟ ، قال : رجل رزقه الله عز وجل مالا أنفقه في غير وجهه ثم قال يا رب ارزقني فيقول الله عز و جل أولم أرزقك ، ورجل دعا على امرأته وهو ظالم لها فيقال له ألم أجعل أمرها بيدك ، ورجل جلس في بيته وترك الطلب ثم يقول يا رب ارزقني فيقول الله عز و جل أولم أجعل لك السبيل إلى الطلب إلى الرزق)) (٣) فقوله فيبقى لا مال له إلى آخره إشارة إلى قوله تعالى ﴿ ولا تبسطها كل البسط ﴾ (٤) وفيه إشعار أنه غير محمود على

---

(١) الأعراف ٥٠ (٢) المناقب ج٢ ص٢٥١ (٣) الخصال ص ١٦٠ (٤) الإسراء ٢٩

فعله هذا إن كان ذا نفس ضعيفة أو عيلة لا بد له من القيام بأمرهم فإنه مأمور بالاقتصاد وأما فعله عليه السلام فهو تعليم لغيره فإنه القدوة فكانوا عليهم السلام قد يفعلون المكروهات عندنا وهي بالنسبة إليهم راجحة مستحبة بل قد تجب إن توقف عليها بيان حكم ولولا ذلك البيان لخفي الحكم وبهذا يعرف أن المستحبات والمكروهات منها ما يكون حسنه أو قبحه ذاتيا ومنها ما يكون عرضيا وكذلك الواجب والحرام .

وأما المباح فليس معناه الذي ليس بحسن ولا قبيح لامتناع التعطيل في الكون بل كل شيء في نفس الأمر إما أن يكون حسنا أو قبيحا يعنى مرادا محبوبا لله أو غير مراد له فيكون معنى المباح هو ما خفي المرجحات فيه فتساوت بالنسبة إلى المكلفين وتعارضت ذاتياتها وعرضياتها فقد يكون راجحا بوجه ذاتي مرجوح بوجوه عرضية والشارع الحكيم إنما يكلف العباد بالتكاليف الشرعية العامة أخذا بالأسهل عليهم الذي يناط بأضعف المكلفين رحمة بهم وتخفيفا لهم فجعله مباحا لهم وقد ورد إذا خرج صاحب الأمر عليه السلام ينهى عن أكثر هذه المباحات التى بين أيدينا الآن لظهور رجحان أحد طرفيها ، والحاصل أن الإنفاق والمنع والإسراف والتقتير من الأمور الإضافية فيكون حالها بحسب حال المنفق ، وقد ورد ((ليس في أمتى بخيل البخيل من بخل بالسلام)) وهذا على مراتب البخل وقد تعارضت في هذا المضمار آراء الرجال بحسب طبائعهم وقوة العزيمة وضعفها وعلو همة النفس وضعفها ، فقال الحيص بيص :

أنفق ولا تخش إقلالا وقد قسمت   على العباد من الرحمن أرزاق
لا ينفع البخل في دنيا مولية   ولا يضر مع الإقبال إنفاق

وعارضه بعضهم بقوله :

كم من فتى أفقره جوده ... فعاش بعد العز عيش الذليل
احرص على مالك واستبقه ... فالبخل خير من سؤال البخيل

ولا ريب أن من عرف اللسان وأساليب الشعر عرف ما في هذين البيتين من الضعف والركاكة بعكس ما في البيتين السابقين من القوة والجزالة وهو سر أظهره الله على ألسنة المتكلمين بحسب هممهم وغرائزهم فلو أراد البخيل أو الجبان أن يتجاوزك لما أطاعه لسانه لضعف قلبه بخلاف الكريم أو الشجاع ومصداق ذلك قوله عليه السلام ((الكريم شجاع قوي القلب ، والبخيل شجاع الوجه)) (١) وأما في المعنى فأمر واضح البيان .

ومن الكرم إكرام الضيف فقد ورد ((من كان يؤمن بالله و اليوم الآخر فليكرم ضيفه)) (٢) .

وفي الحديث((أكرموا الضيف)) .

وذكر من جملة إكرامه تعجيل الطعام وطلاقة الوجه والبشاشة وحسن الحديث حال المواكلة ومشايعته إلى باب الدار ، بشاشة وجه المرء خير من القرا فكيف إذا جاء القرا وهو باسم ، والأحسن أن يخدم صاحب المنزل الضيف بنفسه مدة كونه ضيفا والضيافة ثلاثة أيام فما زاد فهو صدقة فيكون حكمه حكم أهل المنزل لا يتكلف له زيادة عليهم .

ومن الأخلاق الحسنة الكريمة في الرجال الشجاعة حتى ورد أن الله يحب الشجاع ولو بقتل حية .

وعن أمير المؤمنين عليه السلام ((خيار خصال النساء شرار خصال الرجال الزهو والجبن و البخل ، فإذا كانت المرأة مزهوة لم تمكن من نفسها ، وإذا كانت بخيلة حفظت مالها ومال زوجها ، وإذا كانت جبانة خافت من كل شيء يعرض لها)) (١) .

---

(١) كشف الغمة ج٢ ص٢٥ (٢) الكافي ج٦ ص٢٨٥ (٣) شرح النهج ج١٩ ص٦٥

ومن مكارم الأخلاق الغيرة فإنها لا توجد إلا في ذوي النفوس الأبية والهمم العلية وهي ناشئة عن طيب الأعراق موجبة لصحة الأنساب وحفظها عن الوصمة والعيب فلذا كان العرب أشرف الخلق نسبا لشدة غيرتهم وقطعهم العيب بأدنى شبهة وريبة ، حتى أن الرجل ليغمزه الآخر بالإشارة التى لا يفهما كل أحد فيقتل أقرب قرابته وذوي رحمه وهذا أمر أشهر من أن يذكر بل هو معلوم في هذا الجيل من الناس حتى قال عليه السلام ((إن الغيرة عشرة أجزاء في العرب تسعة أجزاء وفي سائر الخلق جزء واحد)) وكل من خالطهم وعرف طباعهم في كل زمان ومكان عرف تشددهم في الغيرة والقتل على الريبة بلا بينة شرعية وهذا وإن كان منافيا للشرع بل وللعقل السليم من شوب الجهل إلا أن فيه قطع المعايب ويؤدي إلى حفظ النسب بمقتضى الطبع وقد يعلم كل من عرف طباع الحيوانات النجيبة بشدة الغيرة كما في نجاب الخيل وضده في طباع الحيوانات الغير النجيبة كالخنزير .

وورد في ذم من لا غيرة له ما يكون شاهد صدق فعن علي عليه السلام أنه قال ((يا أهل العراق نبئت أن نساءكم يوافقن الرجال في الطرقات أما تستحون و قال : ألا لعن الله من لا يغار)) (١) هذا في ذم عدم الحجاب فكيف بحال الديوث ومن لا يغار على نسائه وإمائه من فعل الخنا نعوذ بوجه الله الجميل من الدنس والوصمة .

ونقل عنه عليه السلام ما معناه في ذم أهل أصبهان ((خمس خصال لا تكون في أهل أصفهان الكرم والشجاعة والمروة والغيرة وحبنا أهل البيت)) يعنى أن مقتضى طبع هوائها ومائها عدم حصول هذه الخصال الحميدة فيها ، وأما ما ذكره المجلسي رحمه الله بأن هذه الحالات كانت مخصوصة بزمان الورود لبغضهم له عليه السلام فبعيد

---

(١) المحاسن ص ١١٥

جدا إذ الظاهر بل الواقع خلافه لأنه ليس إخبار عن حال أشخاص معلومة في أوقات معينة بل إنما هو حكم عام وهو إخبار عن اقتضاء الطبيعة لا عن الأشخاص في أوقات خاصة وليس داعيه إلى هذا التخصيص إلا مخالفة الوجدان عنده لظاهر الخبر في بادئ النظر لأن الشيعة وخواص محبي أهل البيت عليهم السلام في هذه الأزمان في أصفهان على أنه فهم من لفظ الكون في قوله ((لا تكون في أهل أصفهان)) معنى الوجود أي لا توجد وليس كما فهمه، وإنما مراده بقوله لا تكون لا تجتمع أي هذه الخصال لا توجد مجتمعة في أهل أصفهان في آن من الآنات بحكم الطبيعة الإكتسابية العرضية لا من الأمور الخارجية اللازمة للهواء والماء والتراب فقد يوجد في الرجل منهم حب أهل البيت والشجاعة والكرم مثلا ولا يكون غيورا أو يكون غيورا ولا مروة له أو يكون صاحب مروة ولا شجاعة فيه وهذا الذي ذكرته موجود نظيره في أخبار أهل العصمة عليهم السلام من حكمهم على اقتضاء الطبائع ومخالفة بعضها كما ورد مدح أهل مكة والمدينة والكوفة وذم أهلها وذم بعض البلاد وأهلها كبغداد والبصرة ومدح بعض البلاد وأهلها كقم وهجر، وورد في (ما زنا غيور قط) لأن من يعلم أن من زنا زني به ولو في عقبه أو عقب عقبه كما في الخبر والمراد منه أن من كانت طبيعته الزنى لا ينتج إلا ما هو من سنخ تلك الطبيعة الخبيثة فيلزم من ذلك الفجور فيما أنتجه لا أن المراد أن من زنا يسلط على ابنته وزوجته من يزني بها عقوبة له كما يظهر من ظواهر الأخبار فيلزم منه أن يؤخذ الإنسان بذنب غيره وذلك مناف للعدل والله سبحانه يقول ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ (١) ويلزم من ذلك أنه تعالى يجب إصدار الفواحش للعقوبة تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، بل المراد به هو ما ذكرته أن الخبيث لا تقتضي

---

(١) الأنعام ١٦٤

طينته إلا ما هو عليه من طبعه وسنخه قال تعالى ﴿ الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات ﴾ (١) فإذا طهر نفسه ونزهها من الدنس وفعال السوء طابت فلم تقتض الاتصال بالخبائث ولا ينفصل عنها الخبائث قال سبحانه ﴿ الطيبات للطيبين والطيبون للطيبات ﴾ (٢) وهذا هو المراد بقوله ((من خاف على عقبه وعقب عقبه فليتق الله)) وإن كان الجاهلون إنما يفهمون من سياق اللفظ الخطابي خلاف ما قلته ولكنه ناش عن عدم معرفتهم بمراد الحكيم ولأخذهم العلم من مفاد اللفظ والعالم من يعرف المعنى بسره ويدركه بحقيقة فهمه ويعلم أن الألفاظ قوالب لمعانيها تدل بجهة من جهاتها فمرة تدل عليها بالمطابقة ومرة بالتضمن ومرة بالالتزام وقد تدل عليها باللازم البعيد كلازم اللازم .

وقد نقل ((أن رجلا من بنى إسرائيل في زمان داود عليه السلام دخل على امرأة فاستكرهها فألهمت أن قالت أنت تزني بي ومع امرأتك من يزني بها فقام وأتى منزله فوجد رجلا مع امرأته فرفع أمره إلى داود عليه السلام فأوحى الله إليه قل له كما تدين تدان)) (٣) وخلّى سبيل الرجل ، وفي هذا الخبر من أسرار القدر ما لا يعرفه إلا من عرف كيف ارتباط الوجود بعضه ببعض وارتباط التكاليف الشرعية بالوجودات التكوينية ، والحاصل من أراد النجاة فليتجنب مراتع الهلكة .

كما يدين الفتى يوما يدان به — من يزرع الثوم لا يجنيه ريحانا

ومن أفضل الأخلاق الحميدة صلة الأرحام قال الله سبحانه ﴿ واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام ﴾ (٤) وقال سبحانه ﴿ والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم

---

(١) (٢) النور ٢٦ — (٣) الكافي ج ٤ ص ٢١

النساء ١٢

ويخافون سوء الحساب ﴾ (١) ، وورد أن المراد بها أرحام رسول الله فعن عمر بن يزيد قال قلت لأبي عبدالله عليه السلام ((﴿الذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ﴾ ، قال : نزلت في رحم آل محمد صلى الله عليه وآله وقد يكون في قرابتك ، ثم قال : فلا تكونن ممن يقول للشيء أنه في شيء واحد)) (٢) ، يريد عليه السلام لا تحصر اللفظ على معنى واحد إما ظاهرا أو باطنا بل يكون للفظ ظاهر وباطن والكل مراد .

وعنه عليه السلام في قول الله عز وجل ﴿ واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا ﴾ قال :فقال: ((هي أرحام الناس إن الله عز وجل أمر بصلتها وعظمها ألا ترى أنه جعلها منه)) (٣) .

وعن أبي عبدالله عليه السلام ((أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وآله فقال : يا رسول الله أهل بيتي أبوا إلا توثبا علي وقطيعة لي وشتيمة فأرفضهم : قال : إذن يرفضكم الله جميعا ، قال : فكيف أصنع ؟ قال : تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك فإنك إذا فعلت ذلك كان لك من الله عليهم ظهير)) (٤) .

وقال أبو الحسن الرضا عليه السلام ((يكون الرجل يصل رحمه فيكون قد بقي من عمره ثلاث سنين فيصيرها الله ثلاثين سنة ويفعل الله ما يشاء)) (٥) .

وعن أبي جعفر عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله ((أوصي الشاهد من أمتي والغائب منهم ومن في أصلاب الرجال وأرحام النساء إلى يوم القيامة أن يصل الرحم وإن كانت منه على مسيرة سنة فإن ذلك من الدين)) (٦) .

الرعد ٢١ — (٢) الكافي ج ٢ ص ١٥٦

(٣)(٤)(٥) الكافي ج ٢ ص ١٥٠ — (٦) الكافي ج ٢ ص ١٥١

وعن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام قال ((سمعته يقول إن الرحم معلقة بالعرش تقول اللهم صل من وصلني واقطع من قطعني وهي رحم آل محمد وهو قول الله عز وجل ﴿الذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل﴾ ورحم كل ذي رحم)) (١)، يريد أيضا أن رحم كل ذي رحم يصلها كما يصل رحم آل محمد عليهم السلام فإن ظاهر الآية عام وباطنها خاص.

وعن أبي جعفر عليه السلام قال ((قال أبو ذر رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: حافتا الصراط يوم القيامة الرحم والأمانة فإذا مر الوصول للرحم المؤدي للأمانة نفذ إلى الجنة وإذا مر الخائن للأمانة القطوع للرحم لم ينفعه معهما عمل وتكفأ به الصراط في النار)) (٢).

وقال أبو عبدالله عليه السلام ((ما نعلم شيئا يزيد في العمر إلا صلة الرحم حتى أن الرجل يكون أجله ثلاث سنين فيكون وصولا للرحم فيزيد الله في عمره ثلاثين سنة فيجعلها ثلاثا وثلاثين سنة، ويكون أجله ثلاثا وثلاثين سنة فيكون قاطعا للرحم فينقصه الله ثلاثين سنة ويجعل أجله إلى ثلاث سنين)) (٣).

وعن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام ((صلوا أرحامكم ولو بالتسليم يقول الله تبارك وتعالى ﴿واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا﴾)) (٤).

ومن مكارم الأخلاق كتمان السر ففي الخبر ((استعينوا على قضاء الحوائج بالكتمان فإن كل ذي نعمة محسود)) (٥).

وعن علي عليه السلام ((سرك أسيرك فإذا أفشيته صرت أسيره)) (٦).

---

(١) الكافي ج ٢ ص ١٥١ (٢) (٣) الكافي ج ٢ ص ١٥٢ (٤) الكافي ج ٢ ص ١٥٥
(٥) شرح النهج ج ١ ص ٣١٦ (٦) الغرر والدرر ص ٣٢٠

واعلم أن أمناء الأسرار أقل وجودا من أمناء الأموال وإضاعة المال لا يزيد تلفه عليه وإذاعة السر موجبة لتلف النفوس ومعاداة الرجال وهتك الحرمات ويتم الأطفال، والفرق بين خزان المال وخزان الأسرار أن خزان المال كلما كثروا كانوا أشد لضبطها وأمنع لحفظها وخزان السر بعكس ذلك فإن الخازن إذا شاركه غيره افتضح وضاع وانتشر وذاع، قال الشاعر:

فلا تجعلي بيني وبينك ثالثا ألا كل سر جاوز اثنين شايع

وقال عمر بن عبدالعزيز الأموي: القلوب أوعية والشفاه أقفالها والألسن مفاتيحها فليحفظ العاقل مفتاح سره، يعني أن سره خزانته فمن أضاع خزانته افتقر ومن افتقر احتاج إلى السؤال ولا يزداد إلا فقرا فكتمان السر يدل على جواهر الرجال فكما أنه لا خير في آنية لا تحفظ ما فيها ولا تمسكه فكذا لا خير فيمن لا يحفظ سره ولا يخزنه.

إذا ضاق صدر المرء عن كتم سره فصدر الذي يستودع السر أضيق

وقال الآخر:

وكن أنت ترعى نفسك واعلمن بأن أقل الناس للسر حامله
ولا تجعلن سرا إلى غير أهله فتقعد إن أفشي عليك تجادله

وقد قلت من أبيات في كتمان السر حتى عن نفسي:

عندي ثقاة فمن سمعي ومن بصري لكن فؤادي أولاها بكتمان
لا بل كتمت فؤادي السر عن غفل فصار يكتم سري عنه نسياني

ولنختم هذا بذكر جملة من مكارم الأخلاق فعن أبي عبدالله عليه السلام قال ((المكارم عشر فإن استطعت أن تكون

فيك فلتكن فإنها تكون في الرجل ولا تكون في ولده وتكون في ولده ولا تكون في أبيه وتكون في العبد ولا تكون في الحر ، قيل : وما هن ؟ قال : صدق البأس وصدق اللسان وأداء الأمانة وصلة الرحم وإقراء الضيف وإطعام السائل والمكافات على الصنائع والتذمم للجار والتذمم للصاحب ورأسهن الحياء)) (١) .

ومن الآيات التى جمعت كثيرا من الأمر بمكارم الأخلاق والنهي عن مساوئ الأخلاق في سورة سبحان ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا ﴾ (٢) إلى قوله ﴿ ولا تجعل مع الله إلها آخر ﴾ (٣) الآية .

وأما مساوئ الأخلاق فموكولة إلى أحوال أبناء الزمان فإنها أشهر من أن تنكر وأظهر من أن تسطر ولكن نكتب منه ما يكون بيانا لمجملها فمنها سوء الخلق وسوء الظن فعن أبي عبدالله عليه السلام قال ((إن سوء الخلق ليفسد العمل كما يفسد الخل العسل)) (٤) .

وعنه عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله ((أبى الله عز وجل لصاحب الخلق السيء بالتوبة ، قيل : وكيف ذالك ؟ قال : لأنه لا يخرج من ذنب حتى يقع فيما هو أعظم منه))

وعن أبي عبدالله عليه السلام قال ((إن سوء الخلق ليفسد الايمان كما يفسد الخل العسل)) .

وعنه عليه السلام قال ((من ساء خلقه عذب نفسه)) (٥) .

وعن النبي صلى الله عليه وآله قال ((خصلتان لا يجتمعان في مسلم البخل وسوء الخلق)) (٦) .

ومن فروع سوء الخلق السفه والبذاء ، فعن الفضل بن

---

(١) الخصال ص ٤٣١ (٢) الاسراء ٢٣ (٣) الاسراء ٣٩
(٤) الزهد ص ٢٩ (٥) مجموعة ورام ج٢ ص٢٧ (٦) الخصال ص ٧٥

أبي قرة عن أبي عبدالله عليه السلام قال ((إن السفه خلق لئيم يستطيل على من هو دونه ويخضع لمن فوقه)) (١) .

وعنه عليه السلام ((من كافى السفيه بالسفه فقد رضي بما أتي إليه حيث احتذى مثاله)) (٢) .

وعنه عليه السلام قال ((إن أبغض خلق الله عبد اتقى الناس لسانه)) (٣) .

وعن أبي الحسن موسى عليه السلام في رجلين يتسابان فقال ((البادي منهما أظلم ووزره ووزر صاحبه عليه ما لم يتعد المظلوم)) (٤) (ويحتمل ما لم يعتذر المظلوم ومعناه ظاهر) .

ومعنى ما لم يتعد يعنى ما لم يتجاوز المظلوم فوق ما ظلم به فلو دعا عليه الظالم مرة فدعا المظلوم مرتين فقد تجاوز فكان ظالما في الزيادة ، قال سبحانه ﴿ لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم ﴾ (٥) ومعنى أنه يؤاخذ عليه إلا من ظلم فإنه لا يؤاخذه على استيفاء حقه ، هذا إن تركنا الاستثناء على حاله ولو أريد به بمعنى الواو يعنى ولا من ظلم فإن الله لا يحب جهره بالقول فالمراد به التعدي على الظالم لأنه لا يكون حينئذ ظالما فيؤاخذ بما تجاوز فيه وإن كان البادئ عقابه أعظم من حيث البداية والتسرع إلى ظلم المسلم فافهم .

وعن أبي عبدالله عليه السلام قال ((إن من علامات شرك الشيطان الذي لا يشك فيه أن يكون فحاشا لا يبالي بما قال ولا ما قيل فيه)) (٦) .

وعن عبدالله بن سنان عنه عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله ((إذا رأيتم الرجل لا يبالي ما قال و لا ما قيل فيه فإنه لغية أو شرك الشيطان)) (٧) .

---

(١) (٢) (٣) (٤) الكافي ج٢ ص٣٢٢ (٥) النساء ١٤٨

(٦) (٧) الكافي ج ٢ ص ٣٢٣

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله ((إن الله حرم الجنة على كل فحاش بذيء قليل الحياء لا يبالي ما قال ولا ما قيل له فإنك إن فتشته لم تجده إلا لغية أو شرك شيطان ، فقيل يا رسول الله وفي الناس شرك الشيطان ؟ ، فقال صلى الله عليه وآله : أما تقرأ قول الله عز وجل ﴿ وشاركهم في الأموال والأولاد ﴾ (١) ، قال وسأل رجل فقيها هل في الناس من لا يبالي ما قيل له ؟ قال : من تعرض للناس يشتمهم وهو يعلم أنهم لا يتركونه فذلك لا يبالي ما قال ولا ما قيل فيه)) (٢) ، وفيه دلالة أن ولد الزنى لا يدخل الجنة وأنه لا يقبل الايمان حقيقة في باطنه .

وعن أبي جعفر عليه السلام قال ((إن الله يبغض الفاحش المتفحش)) (٣) .

وعنه عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله ((إن الفحش لو كان مثالا لكان مثال سوء)) (٤) .

وعن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله ((إن من شر عباد الله من تكره مجالسته لفحشه)) (٥) .

وقال عليه السلام ((إن الفحش والبذاء والسلاطة من النفاق)) (٦) .

وعن أبي جعفر عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله ((إن الله يبغض الفاحش البذي السائل الملحف)) (٧) .

وعن أبي عبدالله عليه السلام قال ((من خاف الناس لسانه فهو في النار)) (٨) .

---

(١) الاسراء ٦٤ (٢) الكافي ج ٢ ص٣٢٣ (٣) (٤) الكافي ج ٢ ص٣٢٤
(٥) (٦) (٧) الكافي ج٢ ص٣٢٥ (٨) الكافي ج٢ ص٣٢٧

وعنه عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله ((شر الناس عند الله يوم القيامة الذين يكرمون اتقاء شرهم)) (١) .

وعنه عليه السلام ((من لقي المسلمين بوجهين ولسانين جاء يوم القيامة وله لسانان من نار)) (٢) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله ((ثلاثة لا يظلهم الله عز وجل في ظل عرشه رجل أرخى إزاره أسفل من كعبه خيلاء وتجبرا ، ورجل يضحك في وجه رجل يغتابه من حيث لا يعلم ورجل أنفق سلعة يزينها بما ليس فيها)) (٣) .

وعن أبي جعفر عليه السلام قال ((بئس العبد يكون ذا وجهين وذا لسانين يطري أخاه شاهدا ويأكله غائبا إن أعطي حسده وإن ابتلي خذله)) (٤) والمراد بالاطراء المبالغة أي يمدحه في وجهه ويذمه إذا غاب عنه وهذا شأن من كان صديق عين كمثل أهل هذا الزمان من خوّان الاخوان يظهرون الخير ويضمرون الشر فيظهر الله الشر على ألسنتهم قال تعالى ﴿ الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين ﴾ (٥) .

قال علي عليه السلام ((إخوان هذا الزمان جواسيس العيوب)) .

وعن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام ((ما من عبد أسر خيرا فذهبت الأيام أبدا حتى يظهر الله له خيرا ، وما من عبد يسر شرا فذهبت الأيام حتى يظهر له شرا)) (٦) .

وعن أبي عبدالله عليه السلام في حديث ((أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقول : من أسر سريرة رداه الله رداءها إن خيرا فخير وإن شرا فشر)) (٧) .

---

(١) الكافي ج ٢ ص ٣٢٦ — (٢) الكافي ج ٢ ص ٣٤٣ — (٣) مجموعة ورام ج ١ ص ٦
(٤) الكافي ج ٢ ص ٣٤٣ — (٥) الزخرف ٦٧ — (٦) الكافي ج ٢ ص ٢٩٣
(٧) الكافي ج ٢ ص ٢٩٤

وعن الكاظم عليه السلام ((إذا كان الجور أغلب من الحق لم يحل لأحد أن يظن بأحد خيرا حتى يعرف ذلك منه)) (١).

وعن عثمان بن عيسى قال: حضرت أبا الحسن عليه السلام وقال له رجل أوصني فقال ((احفظ لسانك تعز ولا تمكن الناس من قيادك فتذل رقبتك)) (٢).

وعن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عز وجل ﴿ ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم ﴾ (٣) قال ((يعني كفوا ألسنتكم)) (٤) فكنى عن الألسنة بالأيدي لأنها التي تبسط بالسوء وتكون الداعية إلى البلاء و القتال.

قال بعضهم الحرب أولها نجوى وأوسطها شكوى وآخرها بلوى.

وأما سوء الظن فإن كان بالله فذلك هو الكفر وإن كان بالمؤمن فهو الفسق، والمراد بالمؤمن من تكون فيه صفات الايمان التي أرادها الله منه علما وعملا لا كل من قال بالولاية فإن ممن يقول بولاية علي عليه السلام فاسق متهتك فسوء الظن به وغيبته مع التأثير واجب ومع احتمال التأثير راجح ومع عدمها مباح وقد يكون غير متهتك ظاهرا ولكنه غير صالح العمل فسوء الظن به قد يكون نقصا في إيمان الظان قال سبحانه في المنافقين ﴿ ويعذب الله المنافقين و المنافقات الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء ﴾ (٥).

وفي تفسير علي بن إبراهيم في قوله تعالى ﴿ وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين ﴾ (٦) قال حدثني أبي عن ابن أبي عمير عن عبدالرحمن بن الحجاج قال قلت لأبي عبدالله عليه السلام حديث ترويه الناس فيمن يؤمر

---

(١) الكافي ج ٥ ص٢٩٨ (٢) الكافي ج ٢ ص ١١٣ (٣) النساء ٧٧
(٤) الكافي ج ٢ ص ١١٤ (٥) الفتح ٦ (٦) فصلت ٢٣

به آخر الناس إلى النار فقال لي ((أما إنه ليس كما يقولون قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إن آخر عبد يؤمر به إلى النار فإذا أمر به التفت فيقول الجبار جل جلاله ردوه فيردونه فيقول له : لم التفت إلي ؟ فيقول : يا رب لم يكن ظني بك هذا ، فيقول : وما كان ظنك بي ؟ فيقول : كان ظني بك أن تغفر لي خطيئتي وتسكنني جنتك ، قال : فيقول الجبار : يا ملائكتي لا وعزتي وجلالي وآلائي وعلوي وارتفاع مكاني ما ظن بي عبدي هذا ساعة من خير قط ولو ظن بي ساعة من خير ما روعته بالنار أجيزوا له كذبه فأدخلوه الجنة ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ليس من عبد يظن بالله عز وجل خيرا إلا كان عند ظنه به وذلك قوله عز وجل ﴿ و ذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين ﴾)) (١) أراد عليه السلام من مفهوم المخالفة يعني أن من ظن بالله ظنا حسنا نجا لدلالة حكمه بالهلاك على من ظن به ظنا سيئا والعلة فيه أن منشأ الظن الحسن بالله هو الرجاء ومنشأ الظن السيئ به تعالى هو القنوط من رحمته واليأس من روحه نعوذ بوجهه الكريم من الكفر .

واعلم أن الحكمة الإلهية اقتضت إجراء الأشياء على مقتضيات حقائقها وإعطاء كل ذي حق حقه ورجوع كل شيء إلى أصله وانتهاؤه إلى ما منه بدء فلا يدخل أهل الجنة النار ولا أهل النار الجنة إذ طينة عليين لا تلائم سجين لعدم وجود المناسبة بينهما ولذا قال عليه السلام ((فلا يستطيع أن يكونوا هؤلاء من هؤلاء ولا هؤلاء من هؤلاء)) (٢) وقال تعالى ﴿ كلا إن كتاب الأبرار لفي عليين ﴾ (٣) وقال ﴿ كلا إن كتاب الفجار لفي سجين ﴾ (٤) وما ورد في أن بعض المؤمنين يدخلون النار فالمراد بها نار الحضائر لا نار الخلد لأن

---

(١) تفسير القمي ج ٢ ص ٢٥ — (٢) الكافي ج ٢ ص ٦
(٣) المطففين ١٨ — (٤) المطففين ٧

نار الخلد لا يخرج منها من يدخلها ، قال عليه السلام في قوله تعالى ﴿ وقالوا ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الأشرار أتخذناهم سخريا ﴾ في الدنيا أم هم معنا الآن ولكن ﴿ زاغت عنهم الأبصار ﴾ (١) لشدة الاشتغال بالعذاب ، أنتم في الجنة تحبرون وفي النار تطلبون .

وفي خبر آخر ((والله لا يدخل النار منكم عشرة رجال ، والله لا يدخل النار منكم خمسة رجال ، والله لا يدخل النار منكم ثلاثة رجال والله لا يدخل النار منكم رجل واحد فتنافسوا في الدرجات وأكمدوا عدوكم)) (٢) .

ولما كان هذا الذي أنقذه الله من النار طينته طيبة وكانت من الجنة استحقت دخولها وإنما كانت أعماله خبيثة وكان منغمرا في لجج الشهوات منهمكا في الجهالات لمخالطته الفاسقين وعدم إلمامه ورجوعه إلى الصالحين فلذا كان في غفلة عما يراد منه ولو نبه بقوارع التكاليف تنبه وكانت ذنوبه كثيرة لم تكفرها محن الدنيا والبرزخ ومواقف الحساب فبقي عليه شيء من العقوبات كفرها سبحانه بترويعه بالنار وهو أعلم بما يصير إليه فحين خلص من شوائب الأدناس العرضية تحركت طينته الطيبة وحنت إلى ما منه بدأت بعد أن فارقتها الأعراض الخبيثة من اللطخ الذي حصل لها من طينة أهل الضلال فالتفت إلى بما في حقيقته من الرجاء لرحمة الله مما انطوت عليه مادته الطيبة فقال ما قال بعدما سأله الجبار في مقام الانتقام عن سبب التفاته وقوله جل جلاله ((ما ظن عبدي هذا ساعة من خير قط)) يريد به فيما جرت به أفعاله الخبيثة ولم يتنبه في دار الدنيا بل كان في غفلة إلى حين أتاه أجله ، وكذبه إنما هو حيث قال ما كان هذا ظني بك يعني فيما مضى ولو قال ما هذا ظني بك الآن لكان صادقا ، ولذا وجبت له الجنة بالإنابة والرجوع المعبر

---

(١) ص ٦٢ - ٦٣ (٢) تأويل الآيات ص ٤٩٧

عنهما بالظن الحسن بالله في تلك الحالة ، فقال سبحانه ((أجيزوا له كذبه)) في ادعائه عدم الغفلة في دار الدنيا وتذكر الآخرة ، فافهم وخذ ما ألقي إليك ولا تكن من الغافلين .

واعلم أن هذا المعنى من الرجاء في الحقيقة هو اللسان الناطق الانساني المشار إليه بقول أمير المؤمنين عليه السلام في دعاء كميل ((لئن تركتني ناطقا لأضجن إليك بين أهلها ضجيج الآملين)) وليس المراد بالنطق التكلم لأن أهل النار ناطقون بهذا المعنى وإن كانوا آيسين من رحمة الله وليسوا بأناسي حقيقة بل كل أهل النار على صور الكلاب والخنازير والقردة فلا يرى فيهم صورة إنسان ولذا قال ((لئن تركتني ناطقا)) يعني إنسانا ودل عليه بقوله ((ضجيج الآملين)) ، فقوله ((فهبني صبرت على حر نارك فكيف أصبر على فراقك)) ، وما نقل من أنه يوم القيامة تلبس فلانة يعني بنت الأعرابي جلد كلب أهل الكهف ويلبس كلب أهل الكهف جلدها فالمراد به الصورة الإنسانية والصورة الكلبية بمعنى أنه يدخل الجنة بصورة الانسان وتدخل النار بصورة الكلب فتجعل إنسانيتها له وكلبيته لها ، وأما الآيات الدالة على تكلم أهل النار فقوله تعالى ﴿ وقالوا يا مالك ليقض علينا ربك ﴾ (١) ﴿ وقالوا أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله ﴾ (٢) وقال تعالى حكاية عنهم ﴿ قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل ﴾ (٣) والمراد بكونهم خرسا ملجمين بلجم من نار كما في بعض الأخبار في الظاهر ظاهر وفي التأويل ما ذكرته من كونهم حيوانات عجم وكلاهما مرادان فافهم .

وأما سوء الظن بالمؤمن فلا يجوز مع وجود محمل على الخير فعن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين عليه

---

(١) الزخرف ٧٧ (٢) الأعراف ٥٠ (٣) غافر ١١

السلام في كلام له ((ضع أمر أخيك على أحسنه حتى يأتيك ما يغلبك منه ولا تظنن بكلمة خرجت من أخيك سوءا وأنت تجد لها في الخير محملا)) (١) .

وعن أبي عبدالله عليه السلام ((من اتهم أخاه في دينه فلا حرمة بينهما ، ومن عامل أخاه بمثل ما عامل به الناس فهو بريء مما ينتحل)) (٢) يريد بالناس أهل الخلاف .

وعنه عليه السلام قال ((إذا اتهم المؤمن أخاه انماث الايمان من قلبه كما ينماث الملح في الماء)) (٣) .

وعن زيد عن أبي عبدالله عليه السلام فيما جاء في الحديث ((عورة المؤمن على المؤمن حرام ، قال : ما هو أن ينكشف وترى منه شيئا إنما هو أن تروي عليه أو تعيبه)) (٤) .

وعن أبي جعفر عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله ((سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر وأكل لحمه معصية وحرمة ماله كحرمة دمه)) (٥) .

وعن أبي عبدالله عليه السلام ((إذا قال الرجل لأخيه المؤمن أف خرج من ولايته وإذا قال أنت عدوي كفر أحدهما ، ولا يقبل الله من مؤمن عملا وهو مضمر على أخيه المؤمن سوء)) (٦) .

واعلم أن سوء الظن شر كله إلا أن عاقبته الحزم عن الناس وعدم الميل إلى الخلق قال علي عليه السلام ((لا خير في سوء الظن إلا أنه يورث الحزم)) .

وأما المؤمن فلا يسيء الظن به إلا من كانت أفعاله سيئة ومرآة نفسه معوجة فكل شيء انطبع فيها ظهر فيها بهيئة اعوجاجها فتحكي المنطبع بهيئتها لا بهيئة المنطبع ، قال الشاعر :

---

(١) (٦) الكافي ج ٢ ص ٣٦٢ (٢) (٣) الكافي ج ٢ ص ٣٦١ (٤) (٥) الكافي ج ٢ ص ٣٥٩

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه وصدق ما يعتاده من توهم
وعادى محبيه بقول عداته وأصبح في ليل من الشك مظلم

ومن أقبح مساوئ الأخلاق الظلم وهو تعدي حدود الله والخروج عن القصد مع الخلق والحيف وهو على ثلاثة أقسام ، قال أبو جعفر عليه السلام ((الظلم ثلاثة ظلم يغفره الله وظلم لا يغفره الله وظلم لا يدعه الله ، فأما الظلم الذي لا يغفره فالشرك ، وأما الظلم الذي يغفره فظلم الرجل نفسه فيما بينه وبين الله ، وأما الظلم الذي لا يدعه فالمداينة بين العباد)) (١) .

وعن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عز وجل ﴿ إن ربك لبالمرصاد ﴾ (٢) قال ((قنطرة على الصراط لا يجوزها عبد بمظلمة)) (٣) ((فبئس الزاد إلى المعاد العدوان على العباد)) (٤) ، و ((من سلب نعمة غيره سلب الله نعمته)) (٥) .

وعنه عليه السلام قال ((ما مظلمة أشد من مظلمة لا يجد صاحبها عليها عونا إلا الله عز و جل)) (٦) .

وعن أبي جعفر عليه السلام قال ((لما حضر علي بن الحسين عليهما السلام الوفاة ضمني إلى صدره ثم قال : يا بني أوصيك بما أوصاني به أبي عليه السلام حين حضرته الوفاة وبما ذكر أن أباه أوصاه به قال : يا بني إياك وظلم من لا يجد عليك ناصرا إلا الله)) (٧) .

وعن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام ((من خاف القصاص كف عن ظلم الناس)) (٨) .

---

(١) الكافي ج ٢ ص ٣٣٠ (٢) الفجر ١٤ (٣) الكافي ج ٢ ص ٣٣١
(٤) الفقيه ج ٤ ص ٣٨٩ (٥) مجموعة ورام ج ١ ص ٥٣ (٦) الكافي ج ٢ ص ٣٣١
(٧) المصدر السابق (٨) المصدر السابق

وقال عليه السلام ((يوم العدل على الظالم أشد من يوم الجور على المظلوم)) (١) .

وعن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله ((من أصبح و هو لا يهم بظلم أحد غفر الله له ما اجترم)) (٢) .

وعنه عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله ((اتقوا الظلم فإنه ظلمات يوم القيامة)) (٣) .

وعن ابن عباس قال ((أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام قل للظالمين لا يذكروني فإن حقا عليّ أن أذكر من ذكرني وإن ذكري إياهم أن ألعنهم)) (٤) .

وعن أبي جعفر عليه السلام قال ((ما من أحد يظلم بمظلمة إلا أخذه الله بها في نفسه وماله ، وأما الظلم الذي بينه وبين الله فإذا تاب غفر الله له)) (٥) .

وعن عبدالأعلى مولى آل سام قال : قال أبو عبدالله عليه السلام مبتدئا ((من ظلم سلط الله عليه من يظلمه أو على عقبه أو على عقب عقبه ، قال قلت : هو يظلم فيسلط الله على عقبه أو على عقب عقبه ، فقال : إن الله عز وجل يقول ﴿ وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا ﴾ (٦))) (٧) ، والعلة هي ما ذكرته في معنى ((من زنا زني به ولو في عقبه وعقب عقبه)) .

وعنه عليه السلام قال ((إن الله عز وجل أوحى إلى نبي من أنبيائه في مملكة جبار من الجبارين أن ائت هذا الجبار فقل له إنني لم أستعملك على سفك الدماء واتخاذ الأموال وإنما استعملتك

---

(١) شرح النهج ج١٩ ص٢٥٦ (٢) الكافي ج ٢ ص ٣٣٤ (٣) الكافي ج ٢ ص ٣٣٢
(٤) مجموعة ورام ج١ ص٣ (٥) الكافي ج ٢ ص ٣٣٢ (٦) النساء ٩
(٧) الكافي ج ٢ ص ٣٣٢

لتكف عني أصوات المظلومين فإني لم أدع ظلامتهم وإن كانوا كفارا)) (١) يريد بقوله وإنما استعملتك يعني سلطتك اختبارا لأعلم كيف عملك فلا تظن أن تسلطك محبة لك واختيارك على غيرك .

وعنه عليه السلام يقول ((إن العبد ليكون مظلوما فما يزال يدعو حتى يكون ظالما)) (٢) يعني أنه يتجاوز فوق مظلمته فيكون ظالما .

وعنه عليه السلام قال ((العامل بالظلم والمعين له والراضي به شركاء ثلاثتهم)) (٣) .

وقال النبي صلى الله عليه وآله ((من دعا لظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصى الله في أرضه)) (٤) .

وعنه صلى الله عليه وآله ((المعين للظالم كالمعين لفرعون على موسى عليه السلام)) .

وعنه صلى الله عليه وآله ((من أعان ظالما ولو بخط حرف أو شطر كلمة أكبه الله على منخريه في النار)) .

وعن أبي عبدالله عليه السلام قال ((من أعان على مؤمن بشطر كلمة لقي الله عز وجل يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله)) (٥) .

وعنه عليه السلام قال ((من روع مؤمنا بسلطان ليصيبه منه مكروه فأصابه فهو مع فرعون وآل فرعون في النار)) يعني في أسفل دركات جهنم .

واعلم أن الظالم يطلق على الكافر وعلى الغاصب ما ليس له المضيع لحقوق الناس وعلى الفاسق الظالم لنفسه والذي تهدى إليه الأخبار ويدل عليه صحيح العقل والاعتبار ، إنما المراد بالظالم بالأصالة

---

(١) (٢) (٣) الكافي ج ٢ ص ٣٣٣ — (٤) البحار ج ٧٥ ص ٣٣٤
(٥) الفقيه ج ٤ ص ٩٤ — (٦) الكافي ج ٢ ص ٣٦٨

هنا هو من ظلم آل محمد حقهم وتقدم عليهم ، وأما من شايع غاصبي آل محمد بالقلب أو باللسان أو بالعمل فأولئك أعوان الظالمين في الحقيقة خالدون في نار جهنم لا يخفف عنهم العذاب ، فعن صفوان الجمال قال : دخلت على الكاظم عليه السلام فقال ((يا صفوان إن كل شيء منك حسن جميل ما خلا شيئا واحدا ، قلت : جعلت فداك أي شيء ، قال : إكراؤك جمالك هذا الرجل (يعنى هارون)، قلت : ما أكريته أشرا و لا بطرا و لا للصيد ولا للهو ولكن أكريته لهذا الطريق (يعنى طريق مكة) ولا أتولاه بنفسي ولكن أبعث معه غلماني ، قال لي : يا صفوان أيقع كراك عليهم ، قلت : نعم جعلت فداك ، قال فقال : أتحب بقاهم حتى يخرج كراك ، قلت : نعم ، قال : من أحب بقاءهم فهو منهم ومن كان منهم ورد النار ، قال صفوان : فذهبت وبعت جمالي عن آخرها فبلغ ذلك هارون فدعاني فقال لي : يا صفوان بلغنى أنك بعت جمالك ، قلت : نعم ، فقال : و لم ؟ فقلت : أنا شيخ كبير و إن الغلمان لا يفون بالأعمال ، فقال : هيهات هيهات أني لأعلم من أشار عليك بهذا ، أشار عليك بهذا موسى بن جعفر ، قلت : مالي ولموسى بن جعفر ، فقال : دع هذا عنك والله لو لا حسن صحبتك لقتلتك)) (١) .

وأما الأخيران فقد يلحقان بالأول من باب التبعية فمن ظلم المؤمنين مستحلا لظلمهم فهو من لفيف القسم الأول ومعينه كمعين الظالمين الأولين ومن ظلم المؤمنين تهتكا ولأجل نفسه غير مستحل لظلمهم وهو موال لآل محمد عليهم السلام معاد لأعدائهم فليس بداخل في الظالمين المخلدين في جهنم نعم يكون معذبا حاملا لأوزار من ظلمه ومن أعانه كان شريكا له في عذابه وكذلك من ظلم نفسه ففعل ما حرم الله عليه مما لا يناط بالعباد فإن كان

(١) البحار ج ٧٥ ص ٣٨٦

مستحلا فحكمه حكم أتباع الأول وإن كان غير مستحل فقد يعذب وقد يغفر الله له أما مع التوبة فإن الله يتوب عليه وهو التواب الرحيم .

فالآيات الدالة على وعيد الظالمين والخلود لهم في النار المراد القسم الأول وأتباعهم قال تعالى ﴿ ألا لعنة الله على القوم الظالمين ﴾ (١) وقال سبحانه ﴿ ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار ﴾ (٢) وقال تعالى ﴿ وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ﴾ (٣) وقال عز اسمه ﴿ إنّا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها ﴾ (٤) فهي تهديد للظالم وتسلية للمظلوم .

قالوا قال رسول الله صلى الله عليه وآله ((من مشى مع ظالم ليعينه وهو يعلم أنه ظالم خرج فقد من الاسلام)) (٥) .

و قال بعض الحكماء اذكر عند الظلم عدل الله فيك وعند القدرة قدرة الله عليك ولا يغرنك رحب الذراعين سفالك الدماء فإن له قاتلا لا يموت فالعدل يرفع صاحبه و الظلم يضع مرتكبه ، قال الشاعر :

فلم أر مثل العدل للمرء رافعا ولم أر مثل الجور للمرء واضعا

وكتب بعض الملوك على بساطه وجعله نصب عينيه :

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدرا فالظلم مصدره يفضي إلى الندم
تنام عيناك والمظلوم منتبه يدعو عليك وعين الله لم تنم

وقال أبو الدرداء : إياك ودمعة اليتيم ودعوة المظلوم فإنها تسري بالليل والناس نيام .

وعن حذيفة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله

---

(١) هود ١٨ (٢) إبراهيم ٤٢ – ٤٣ (٣) الشعراء ٢٢٧
(٤) الكهف ٢٩ (٥) البحار ج ٧٥ ص ٣٣٧

((أوحى الله إليّ يا أخا المرسلين، يا أخا المنذرين، أنذر قومك لا يدخلوا بيتا من بيوتي ولأحد من عبادي عند أحد منهم مظلمة فإني ألعنه ما دام قائما يصلي بين يدي حتى يرد تلك المظلمة)) (١)..

وقال في خبر ((ما من عبد ظلم فشخص ببصره إلى السماء إلا قال الله عز وجل لبيك عبدي حقا لأنصرنك ولو بعد حين)).

وكان أبو مسلم الخراساني يقول بعرفات: اللهم إني تائب إليك مما لا أظنك تغفره، فقيل له: أعظيم على الله غفران الذنب، فقال: إني نسجت ثوب ظلم لا يبلى ما دامت الدولة لبني عباس فكم من صارخة تلعنني عند تفاقم الظلم فكيف يغفر لمن هذا الخلق خصماؤه.

ونقل أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام قال ((ما زلت مظلوما منذ كنت، إن كان عقيل ليرمد فكان يقول لا تذروني حتى تذروا أخي عليا فأضجع وما بي رمد)) (٢).

وذكروا أن كسرى أنوشيروان كان له معلم حسن التأديب يعلمه حتى فاق في العلوم فضربه المعلم يوما من غير ذنب فأوجعه فحقد أنوشيروان عليه فلما ولي الملك قال للمعلم: ما حملك على ضربي يوم كذا وكذا ظلما، فقال له: لما رأيتك ترغب في الظلم رجوت لك الملك بعد أبيك فأحببت أن أذيقك طعم الظلم لئلا تظلم فقال أنوشيروان: زاه زاه.

وعن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله ((إن أعجل الشر عقوبة البغي)) (٣).

وقال الصادق عليه السلام ((يقول إبليس لجنوده ألقوا بينهم الحسد والبغي فإنهما يعدلان عند الله الشرك)) (٤).

---

(١) عدة الداعي ص ١٤١ (٢) البحار ج ٢٧ ص ٢٠٧ (٣) (٤) الكافي ج ٢ ص ٣٢٧

وعن مسمع أبي يسار أن أبا عبدالله عليه السلام كتب إليه في كتاب ((انظر لا تكلمن بكلمة بغي أبدا وإن أعجبتك نفسك وعشيرتك)) (١).

وعنه عليك السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام ((أيها الناس إن البغي يقود أصحابه إلى النار، وإن أول من بغى على الله عناق بنت آدم فأول قتيل قتله الله عناق وكان مجلسها جريبا في جريب وكان لها عشرون إصبعا في كل إصبع ظفران مثل المنجلين فسلط الله عليها أسدا كالفيل وذئبا كالبعير ونسرا مثل البغل فقتلنها، وقد قتل الله الجبابرة على أفضل أحوالهم وآمن ما كانوا)) (٢).

وقال الهيثم بن فراس الشامي من بنى أسامة بن لوي في شأن فضل بن مروان:

تجبرت يا فضل بن مروان فاعتبر فقبلك كان الفضل والفضل و أفضل
ثلاثة أملاك مضوا لسبيلهم أبادهم الموت المشتت والقتل

يعنى بهم الفضل بن الربيع والفضل بن يحيى البرمكي والفضل بن سهل.

ومن أعظم مساوئ الأخلاق الكبر والعجب فالكبر خلق للنفس الأمارة داعية ارتفاعها عن العبودية لله والانقياد وقد نقل البرسي أن الله لما خلق النفس ناداها من أنا فقالت النفس فمن أنا فألقاها في بحر الرجوع الباطن حتى وصلت إلى الألف المبسوط وخلصت من رذائل دعوى الانية ورجعت إلى نشأتها ثم ناداها من أنا فقالت أنت الله الواحد القهار ولهذا قال ﴿ اقتلوا أنفسكم ﴾ (٣) فإنها لا تدرك مقاماتها إلا بالقتل.

واعلم أنها إنما تكبرت لأنها محتد إبليس وهي بنت الجهل الذي

---

(١) (٢) الكافي ج ٢ ص ٣٢٧ (٣) النساء ٦٦

هو وجه الماهية فلذا تحققت بانيتها عند نفسها حتى ألقاها في بحر الرجوع بالتكاليف الحقية في قوس أدبر فأدبر فرجعت منه إلى قوس أقبل فاقبل حتى وصلت إلى الألف المبسوط أعنى العقل فانقادت له وشابهته فصارت تحت سلطنته فكانت أخته بعد أن تابت ورجعت فقامت بأعباء العبودية قال سبحانه ﴿ فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين ﴾ (١) فعند ذلك ناداها فأذعنت وأقرت لتركها إنيتها ، وورد في النهي عن قول الرجل أنا أنه استأذن رجل على النبي صلى الله عليه وآله فقال من الرجل ، فقال : أنا يا رسول الله ، فغضب صلى الله عليه وآله وجعل يقول أنا وأنا وهل المخلوق يقول أنا ، فلما دخل ورأى الغضب على وجه رسول الله صلى الله عليه وآله قال : أعوذ بالله من سخط الله وسخط رسوله ، لماذا يا رسول الله ، فقال : أما علمت أن هذه اللفظة لا تليق بالمخلوقين أما علمت أن إبليس لما قال ﴿ أنا خير منه ﴾ (٢) لعن وطرد ، فقال : يا رسول الله أستغفر الله مما قلت ولا أعود لمثله أبدا .

واعلم أن المتكبرين لا يقول أحدهم من نفسه فلان بل يقول أنا للترفع وإظهار الشأن فيقول أنا أفعل وأنا أقول وأنا خير من فلان وكثيرا ما تستعمل في مقام النخوة والفخر والعزة ، والذي يظهر في أفعال الإنسان أثر الكبر وهو التكبر ، قال سبحانه في ذم قريش ﴿ إن في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه ﴾ (٣) فيظهر التكبر في شمائل الإنسان وأفعاله وأقواله كنظره لمن دونه شزرا ولقعوده متكئا ومتربعا واضعا إحدى رجليه على فخذ الأخرى فقد ورد أنها جلسة يبغضها الله ويمقت صاحبها ، وكمشيته متخائلا في حركاته وسكناته وجره رداءه خيلاء وكتصعيره خده وإعراضه عمن يحدثه وكصوته ونغماته وافتخاره بنسبه وحسبه أو جماله أو ماله أو قوة بدنه ، ولو أنه أنصف من نفسه لعلم أنه فخر بغير ما هو له بل فخره بغيره

---

(١) التوبة ١١ (٢) الأعراف ١٢ (٣) غافر ٥٦

كما في النسب و الحسب و لذا قال سبحانه ﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ (١)، أو يفخر بما هو في ملك غيره و إنما أعطاه إياه عارية يستردها أي وقت شاء كالجمال و القوة، بل أكثر ذوي النفوس الجاهلة يفخر بثوب يلبسه ليس له و لا منه بل هو نبت غيره و نسج دودة أخس و أضعف منه فيعظم عند نفسه بما يرجع في الحقيقة إلى صغرها لو عقل لأنه إنما كمل بغيره و لولا ذلك المكمل لكان عند نفسه ناقصا، فبعد وجود ما افتخر به هو في حد ذاته ناقص، و في الخبر: يحشر الجبارون المتكبرون يوم القيامة في صورة الذر تطؤهم الناس لهوانهم على الله، و قد قال رسول الله(صلى الله عليه و آله) ((إذا رأيتم المتكبرين فتكبروا عليهم)).

و قال صلى الله عليه و آله ((لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر)) (٢).

ففي الحديث القدسي ((الكبرياء ردائي و العظمة إزاري))، و في خبر التكبر على المتكبرين هو التواضع بعينه.

و في خبر ((التكبر على المتكبرين هو التواضع بعينه))

و عن حكيم قال سألت أبا عبدالله عليه السلام عن أدنى الالحاد قال ((إن الكبر أدناه)) (٣).

و عنه (عليه السلام) قال ((الكبر قد يكون في شرار الناس من كل جنس و الكبر رداء الله فمن نازع الل عز و جله رداءه لم يزده الله إلا سفالا، إن رسول الله صلى الله عليه و آله مر في بعض طرق المدينة و سوداء تلتقط السرقين فقيل لها تنحي عن طريق رسول الله صلى الله عليه و آله فقالت: إن الطريق لمعرض، فهم بها بعض القوم أن يتناولها، فقال رسول الله صلى الله عليه و آله دعوها فإنها جبارة)) (٤) يريد صلى الله عليه و آله بقوله من كل جنس كل صنف لا ينحصر في ذوي البيوتات أو ذوي الثروة بل قد يكون

---

(١) الحجرات ١٣ (٢) الكافي ج ٢ ص ٣١٠ (٣) (٤) الكافي ج ٢ ص ٣٠٩

في أداني الناس نسبا وحسبا كما يوجد في أشرافهم وقد يكون في الفقراء كما يوجد في الأغنياء لأن داعيه خبث النفس وترفعها عن الانقياد لغيرها وهذا لا يختص به صنف دون صنف كما في تلك الجارية .

وعن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال أبو جعفر عليه السلام ((العز رداء الله والكبر إزاره فمن تناول شيئا منه أكبه الله في جهنم)) (١) .

وفي خبر عن الصادق عليه السلام ((الكبر رداء الله والمتكبر ينازع الله رداءه)) (٢) .

واعلم أن حقيقة الكبر الموجب لدخول جهنم هو التكبر على حجج الله وجحود حقهم والذي يكون على غيرهم ، وجحود حق من سواهم لا يستحق صاحبه دخول جهنم وإن كان بعيدا من كرامة الله وجزيل ثوابه فعن أبي أيوب عن محمد بن مسلم عن أحدهما عليهما السلام قال ((لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة من خردل من الكبر ، قال : فاسترجعت ، فقال : ما لك تسترجع ؟ ، قلت : لما سمعت منك ، فقال : ليس من حيث تذهب إنما أعني الجحود إنما هو الجحود)) (٣) .

وعن عبدالأعلى عن أبي عبدالله عليه السلام قال ((الكبر أن تغمص الناس وتسفه الحق)) (٤) ومعنى تغمص الناس أن تحقرهم .

وعن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله ((إن أعظم الكبر غمص الخلق وسفه الحق ، قال قلت : وما غمص الخلق وسفه الحق ، قال : يجهل الحق ويطعن على أهله فمن فعل ذلك فقد نازع الله عز وجل رداءه)) (٥) وفيه معنى أن

---

(١) (٢) الكافي ج ٢ ص ٣٠٩ (٣) (٤) (٥) الكافي ج ٢ ص ٣١٠

رداء الله الكبر هو ما ردى به حججه وأولياءه فمن تكبر عليه ونازعه رداءه الذي جعله لأوليائه عليهم السلام قال الله تعالى ﴿ساصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق﴾ (١).

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله ((ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: شيخ زان، وملك جبار، ومقل مختار)) (٢).

وعن أبي عبدالله عليه السلام قال ((ما من عبد إلا وفي رأسه حكمة وملك يمسكها فإذا تكبر قال له اتضع وضعك الله فلا يزال أعظم الناس في نفسه وأصغر الناس في أعين الناس، و إذا تواضع رفع الله ثم قال انتعش نعشك الله فلا يزال أصغر الناس في نفسه وأرفع الناس في أعين الناس)) (٣).

وعن أبي عبدالله عليه السلام ((ما من أحد يتيه إلا من ذلة يجدها في نفسه)) (٤).

وفي النهي عن الكبر ما ورد عنه صلى الله عليه وآله ((لا يقولن أحدكم عبدي ولا أمتي كلكم عبيد الله وكل نسائكم إماء الله، ولكن ليقل غلامي وجاريتي وخادمي وفتاي وفتاتي)) وفيه تأديب، وإعلام بأن العبودية لا ينبغي أن تجعل إلا لله المالك الحقيقي البارئ المنشئ وما سواه ملكه عارية فإذا انعتق غلامه خرج عن رق عبوديته فكان مثله مملوكا لغيره ففي الحديث ((هو المالك لما ملكهم، والقادر على ما أقدرهم عليه)) (٥) ولم يقل هو المالك لما ملكوا لأنهم لم يملكوا شيئا وإنما ملكهم غيرهم ماله ملك عارية، ومن ذم الكبر أنه يسلب الفضائل ويكسب الرذائل وحسبه ذما، قال الأحنف: عجبت لمن جرى في مجرى البول مرتين كيف يتكبر، ومر مالك

---

(١) الأعراف ١٤٦
(٢) الكافي ج ٢ ص ٣١١
(٣)(٤) الكافي ج ٢ ص ٣١٢
(٥) البحار ج ٥ ص ١٦

ابن دينار ببعض أولاد المهلب وهو يتبختر في مشيته فقال له مالك : يا بني لو تركت هذه الخيلاء لكان أجمل بك ، فقال : أو ما تعرفني ؟ فقال : أعرفك معرفة جيدة ، أولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة وأنت بين ذلك تحمل العذرة .

وكان من المتكبرين وائل بن حجر أتى إلى النبي صلى الله عليه وآله فاقطعه أرضا وقال لمعاوية اعرض هذه الأرض عليه واكتبها له فخرج معه معاوية في هاجرة شاوية ومشى خلف ناقته فأحرقه حر الشمس فقال له : أردفني خلفك على ناقتك ، قال : لست من أرداف الملوك ، فقال : أعطني نعليك ، فقال : ما بخل يمنعني بابن أبي سفيان ولكن أكره أن يبلغ قبائل اليمن أنك لبست نعلي ولكن امش في ظل ناقتي فحسبك بها شرفا ، وأحسن ما قيل في الفخر أو أبلغ في الفخر قول الطمحان :

وإني من القوم الذين هم هم ... إذا مات منهم سيد قام صاحبه
نجوم سماء كلما غاب كوكب ... بدا كوكب تأوي إليه كواكبه
أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم ... دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه
وما ذاك منا حيث كان مسود ... تسير المنايا حيث سارت ركائبه

ومن كبر النفس والترفع ما ذكروا أن قيس بن زهير أصابته فاقة واحتاج فأنف أن يخبر به أحدا فكان يأكل الحنظل حتى قتله ولم يذل نفسه لأحد وهذا من علو الهمة وشرف النفس لا من الكبر .

وأما العجب فيفسد الأعمال فكان صدور الذنب خير من العمل الذي يكون مؤداه إلى العجب والرياء لأن العجب أعظم الذنوب بل ربما يؤدي إلى الشرك فعن علي بن سويد قال : سألت أبا الحسن عليه السلام عن العجب الذي يفسد العمل ، فقال ((العجب درجات منها أن يزين للعبد سوء عمله فيراه حسنا

فيعجبه ويحسب أنه يحسن صنعا ، ومنها أن يؤمن العبد بربه فيمن على الله عز وجل ولله عليه فيه المن)) (١) فإلى أهل الدرجة الأولى الإشارة بقوله تعالى ﴿ قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ﴾ (٢) وإلى أهل الدرجة الثانية أشار بقوله تعالى ﴿ يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا عليّ إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم ﴾ (٣) الآية .

وعن أحدهما عليهما السلام قال ((دخل رجلان المسجد أحدهما عابد والآخر فاسق فخرجا من المسجد والفاسق صديق والعابد فاسق ، وذلك أنه يدخل العابد المسجد مدلا بعبادته يدل بها فتكون فكرته في ذلك وتكون فكرة الفاسق في التندم على فسقه ويستغفر الله عز وجل مما صنع من الذنوب)) (٤) .

وعن عبدالرحمن بن الحجاج قال قلت لأبي عبدالله عليه السلام : الرجل يعمل العمل وهو خائف مشفق ثم يعمل شيئا من البر فيدخله منه العجب به ، فقال ((هو في حاله الأولى وهو خائف أحسن حالا منه في حال عجبه)) (٥) .

وعن أبي عبدالله عليه السلام قال ((من دخله العجب هلك)) (٦)

وعن الصادق عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله ((آفة الحسب الافتخار والعجب)) (٧) .

وعنه عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله ((بينما موسى عليه السلام جالسا إذ أقبل إبليس وعليه برنس ذو ألوان فلما دنى من موسى عليه السلام خلع البرنس وقام إلى موسى فسلم عليه فقال له موسى :من أنت ؟ ، فقال : أنا إبليس ،

---

(١) الكافي ج ٢ ص ٣١٣ (٢) الكهف ١٠٣ – ١٠٤ (٣) الحجرات ١٧
(٤) (٥) (٦) الكافي ج ٢ ص ٣١٤ (٧) الكافي ج ٢ ص ٣٢٨

قال : أنت فلا قرب الله دارك ، قال : إنما جئت لأسلم عليك لمكانك من الله ، قال فقال له موسى : فما هذا البرنس ، قال : به أختطف قلوب بنى آدم ، فقال موسى : فأخبرني بالذنب الذي إذا أذنبه ابن آدم استحوذت عليه ، قال : إذا أعجبته نفسه واستكثر عمله وصغر في عينه ذنبه)) (١) والمراد بالبرنس الذي لبسه إبليس زينة الدنيا وزخرفها وكونه ذا ألوان جهاتها وشهواتها من حب النساء والبنين والذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام الحرث ووضعه على رأسه كناية عن طول الأمل فيها والافتخار بها وحيث كان موسى عليه السلام زاهدا فيها قصير الأمل غير راغب في شيء منها خلع إبليس ذلك البرنس عند لقياه إذ ليس له فيه حبالة يصطاده بها ، ومعنى قوله لعنه الله (أختطف به قلوب بنى آدم) أنه يتلون لهم بالألوان المشاكلة لنفوسهم وميلها الذاتي إليه إذ كل شيء يميل إلى شكله ولون طبعه ويلائمه إذ لا يمكن في حركة الفلك ودورانه ولا في تركيب الطبائع ولا في الممكن أن يكون محبوب ليس لمحبه ميل إليه لأن الحركة الغير القسرية سواء كانت إرادية اختيارية أو طبيعية يقتضي الميل من المحب إلى محبوبه ومشاكله بخلاف القسرية فإنه لا يتصور فيها الميل والمحبة بل يكون منها المنافرة فلذا كانت قسرية فكان إبليس يختطف كل قلب بما يلائمه من أحوال الدنيا فمنهم من يختطفه بحب النساء ولذاتها ومنهم بالمال وجمعه ومنهم بالزينة ومنهم بطول الأمل ومنهم بحب الراحة ومنهم بحب الرئاسة ومنهم بحب العبادة المؤدية إلى الرئاسة الباطنة في نفس العابد عند الناس ولو بتصور الحصول دون الوقوع وهكذا من الألوان المعنوية المردية نعوذ بوجه الله الكريم ونسأله العصمة بفضله ورحمته .

و قال صلى الله عليه و آله أوحى الله تعالى إلى داود ((يا داود بشر المذنبين و أنذر الصديقين قال : كيف أبشر المذنبين و أنذر

---

(١) الكافي ج ٢ ص ٣١٤

الصديقين ؟ قال : يا داود بشر المذنبين أني أقبل التوبة و أعفو عن الذنب و أنذر الصديقين أن لا يعجبوا بأعمالهم فإنه ليس عبد أنصبه للحساب إلا هلك)) (١) و قد جمع الله هذين في قوله تعالى ﴿ و هو الذي يقبل التوبة عن عباده و يعفو عن السيئات و يعلم ما تفعلون﴾ (٢) .

و نقل أنه أوحي إلى داود ((من أحب حبيبا صدق قوله و من أنس بحبيب قبل قوله و رضي فعله و من وثق بحبيب اعتمد عليه و من اشتاق إلى حبيب جد في السير إليه)) (٣) .

و عن أحدهما (عليهما السلام) قال ((إن الله تبارك و تعالى يقول إن من عبادي لمن يسألني الشيء من طاعتي لأحبه فأصرف ذلك عنه لكيلا يعجبه عمله)) (٤) .

و عن الصادق عن آبائه (عليهم السلام) قال ((قال رسول الله صلى الله عليه و آله لولا أن الذنب خير للمؤمن من العجب ما خلى الله بين عبده المؤمن و بين ذنب أبدا))، يريد يعصمه من الذنوب البدنية بتسديده له و لكن لما كان الذنب الصادر من القلب أي العجب أعظم من سائر الذنوب البدنية لم يعصمه منها لئلا يقع فيه فيهلك به لأنه في الحقيقة كبر نفساني و ارتفاع جبلي فهواني .

و عن خالد الصيقل عن أبي جعفر عليه السلام قال ((إن الله عز و جل فوض الأمر إلى ملك من الملائكة فخلق سبع سماوات و سبع أرضين و أشياء فلما رأى الأشياء و قد انقادت له قال من مثلي فأرسل الله عز وجل إلى نويرة من نار قلت : و ما نويرة من نار ؟ قال : نار بمثل الأنملة فاستقبلها بجميع ما خلق فتحللت لذلك حتى وصلت إليه لما أن دخله العجب)) (٥) ، و معنى فوض الأمر

---

(١) الكافي ج ٢ ص ٣١٤ (٢) الشورى ٢٥ (٣) البحار ج ١٤ ص ٤٠
(٤) البحار ج ٦ ص ١١٤ (٥) البحار ج ٤ ص ١٥٠

إلى ملك حصر الجهة فيه ، يقال الملك فوض أمره إلى فلان بمعنى أنه حصر الأمر فيه و لم يشرك معه غيره في ذلك الأمر و هذا أحد معاني التفويض و هو موجود في الأخبار في موارد عديدة ، لا كما يظنه الجاهل الغبي من انحصار التفويض في الاستقلال بالفعل مع رفع يد المولى أو الأمر بالكلية و قوله (نويرة من نار) يريد بها أدنى مراتب الشرك و أولها كما ورد أن الكبر أدنى الإلحاد نسبتها من أعلى مراتب الشرك و الإلحاد كنسبة الأنملة من مجموع الإنسان ، و معنى استقبلها بجميع ما خلق أن جميع أعماله لم تقاوم ذلك العجب الذي دخله فكانت هباء محترقة بنار العجب فتخللت جميعه حتى وصلت إليه ، و كذا حكم المرائي في عمله قال سبحانه ﴿ فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين يراءون و يمنعون الماعون ﴾ (١) و الويل واد في جهنم .

و قال صلى الله عليه و آله ((أن النار و أهلها يعجبون من أهل الرياء قيل: يا رسول الله و كيف تعج النار قال : من حر النار التى يعذبون بها ؟)) (٢) .

و قال ((إن المرائي يوم القيمة ينادى بأربعة أسماء يا كافر يا فاجر يا غادر يا خاسر حبط عملك و بطل أجرك و لا خلاق لك اليوم التمس أجرك ممن كنت تعمل له)) (٣) و لذا استحب أن يعمل العامل الأعمال المستحبة في جوف بيته أو سرا لأنه أبعد من الرياء . و أما الأعمال الواجبة فلبعد الرياء عنها لا بأس بإظهارها لأنها حقوق لا يعذر في تركها و لا فخر له عند نفسه في إتيانه بها مع ما في إظهارها من الحث على فعلها من غيره فلذا كان إظهارها أفضل من إخفائها .

فعن أبي بصير قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام قول الله عز و جل ﴿ إنما الصدقات للفقراء و المساكين ﴾ (٤) قال ((الفقير

---

(١) الماعون ٤،٦ (٢) البحار ج ٧٢ ص٣٠٥ (٣) أمالي الصدوق ص٥٨٢ (٤) التوبة ٦

الذي لا يسأل الناس و المسكين أجهد منه و البائس أجهدهم ، فكل ما فرض الله عز و جل عليك فإعلانه أفضل من إسراره و ما كان تطوعا فإسراره أفضل من إعلانه و لو أن رجلا حمل زكاة ماله على عاتقه فقسمها علانية كان حسنا جميلا)) (١) هذا إذا كان العجب ذاتيا و المرائي عاملا للرياء ، أما العجب الطارئ فلا يضر لأنه خطور بالبال و مجرد ذكر له لا أنه موجب للعمل و داع له و إنما هو خطرات من الخبيث ليشكك العامل في عمله ، فعن يونس بن عمار عن أبي عبد الله عليه السلام قيل و أنا حاضر الرجل يكون في صلاته خاليا فيدخله العجب فقال ((إذا كان أول صلاته بنية يريد بها ربه فلا يضره ما دخله بعد ذلك فليمض في صلاته و ليخس الشيطان)) (٢) .

و من مساوئ الأخلاق الحسد ، قال الله سبحانه ﴿ أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب و الحكمة و آتيناهم ملكا عظيما ﴾ (٣) .

و عن أبي جعفر (عليه السلام) ((أن الرجل ليأتي بأي بادرة فيكفر و أن الحسد ليأكل الايمان كما تأكل النار الحطب)) (٤) .

ومثله عن أبي عبد الله عليه السلام و البادرة ما تبدر من حدة الإنسان حال الغضب من قول أو فعل و المراد أن الحسد لا كفارة له .

و عن أبي عبد الله عليه السلام قال ((قال رسول الله صلى الله عليه و آله كاد الفقر أن يكون كفرا و كاد الحسد أن يغلب القدر)) (٥) .

و عن الصادق (عليه السلام) ((آفة الدين الحسد و العجب الفخر)) (٦) .

---

(١) الكافي ج ٣ ص ٥٠١ (٢) الكافي ج ٣ ص ٢٦٨ (٣) النساء ٥٤
(٤) الكافي ج ٢ ص ٣٠٦ (٥) (٦) الكافي ج ٢ ص ٣٠٧

وعنه عليه السلام قال ((قال رسول الله صلى الله عليه و آله قال الله عز وجل لموسى بن عمران عليهما السلام : يا ابن عمران لا تحسدن الناس على ما آتيتهم من فضلي و لا تمدن عينيك إلى ذلك و لا تتبعه نفسك فإن الحاسد ساخط لنعمي صاد لقسمي الذي قسمت بين عبادي و من يك كذلك فلست منه و ليس مني)) (١) .

و عن أبي عبد الله عليه السلام قال ((إن المؤمن يغبط و لا يحسد و المنافق يحسد و لا يغبط)) (٢) ، لأن الحاسد يتمنى زوال نعمة عن صاحبها و إن لم ترجع إليه و الغابط هو ما يريد من النعمة مثل ما لصاحبها و لم يرد زوالها عنه .

وعن داود الرقي قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول ((اتقوا الله ولا يحسد بعضكم بعضا إن عيسى بن مريم (عليهما السلام) كان شرائعه السيح في البلاد فخرج في بعض سيحه و معه رجل من أصحابه قصير و كان كثير اللزوم بعيسى عليه السلام فلما انتهى إلى البحر قال: بسم الله بصحة يقين منه فمشى على ظهر الماء فقال الرجل القصير حين نظر إلى عيسى بن مريم قال : حازه بسم الله بصحة يقين منه فمشى على الماء و لحق بعيسى عليه السلام فدخله العجب بنفسه فقال : هذا عيسى روح الله يمشي على الماء و أنا أمشي على الماء فما فضله علي ؟ قال : فرمس في الماء فاستغاث بعيسى فتناوله من الماء فأخرجه ثم قال له : ما قلت يا قصير ؟ قال : قلت هذا روح الله يمشي على الماء و أنا أمشي على الماء فدخلني من ذلك عجب فقال له عيسى : لقد وضعت نفسك في غير الموضع الذي وضعك الله فيه فمقتك الله على ما قلت فتب إلى الله عز و جل مما قلت ، قال : فتاب الرجل و عاد إلى مرتبته التي وضعه الله فيها فاتقوا الله و لا يحسدن بعضكم بعضا)) (٣)

---

(١) (٢) الكافي ج ٢ ص ٣٠٧ (٣) الكافي ج ٢ ص ٣٠٦

وقال علي (عليه السلام) ((الحاسد مغتاظ على من لا ذنب له)) (١) .

و قال أعرابي : قاتل الله الحسد ما أعدله بدأ بصاحبه فقتله ، و قيل بئس الشعار الحسد و قيل لرجل ما بال فلان يبغضك فقال :لأنه شقيقي في النسب و جاري في البلد و شريكي في الصناعة ، فذكر جميع دواعي الحسد و بواعث العداوة .

قالوا و في الحديث القدسي ((الحاسد عدو نعمتي ساخط لفعلي غير راض بقسمتي التي قسمت لعبادي)) (٢) ، و كفى الحاسد بلاء أن يغتم وقت سرور المحسود .

يا طالب العيش في أمن وفي دعة رغدا بلا قتر صفوا بلا رنق
خلص فؤادك من غل ومن حسد فالغل في القلب مثل الغل في العنق

ومن مساوئ الأخلاق النميمة والتفرقة بين المؤمنين فعن أبي جعفر عليه السلام قال ((الجنة محرمة على القتاتين المشائين بالنميمة)) (٣) .

وفي خبر عن النبي الله صلى الله عليه وآله قال ((ألا أنبؤكم بشراركم ، قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الأحبة الباغون للبرآء المعايب)) (٤) .

وعن علي عليه السلام ((النمام سهم قاتل)) (٥) .

وقال عليه السلام ((النمام جسر الشر)) (٦) .

وفي آخر ((يحشر النمام يوم القيامة عقربا)) .

ونقل أن موسى عليه السلام استسقى لبني إسرائيل حين أصابهم قحط فأوحى الله تعالى إليه ((إني لا أستجيب لك ولا لمن معك وفيكم نمام قد أصر على النميمة ، فقال : يا رب من هو

---

(١) البحار ج ٧٣ ص ٢٥٥ (٢) البحار ج ٧٣ ص ٢٦١ (٣) البحار ج ٧٥ ص ٢٦٧
(٤) الكافي ج ٢ ص ٣٦٩ (٥) شرح النهج ج ٢٠ ص ٣٠١ (٦) المصدر السابق

حتى نخرجه من بيننا ، فقال : يا موسى أنهاكم عن النميمة وأكون نماما فتابوا بأجمعهم فسقوا)) (١) .

وقيل النمام مفرق الجماعات متلون الطبع ينتقل في مقام من السوء إلى آخر كأخلاق الملوك مؤمن الرضا كافر الغضب لا تدوم مودته ولا تؤمن غائلته يدور مدار نفسه في شهوته .

ويوم كأخلاق الملوك تلون فصحو وغيم ثم طل ووابل
أشبهه إياك يا من صفاته دنو وإعراض ومنع ونائل

وقال علي عليه السلام ((لا وفاء للملوك)) ، وقيل صاحب السلطان كراكب الأسد بينما هو فرسه إذ فرسه ، وقيل السلطان يغضب غضب الصبيان ويرضى رضاهم ويسطو سطوة الأسد ، ورفع رجل إلى صاحب بن عباد رقعة يحثه فيها على أخذ مال يتيم وكان مالا كثيرا فكتب على ظهرها ((النميمة فضيحة قبيحة وإن كانت صحيحة ، والميت رحمه الله ، واليتيم جبره الله ، والساعي لعنه الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله)) .

ونقل أن معاوية كلم الأحنف في شيء بلغه عنه فأنكره فقال له معاوية : إن الذي بلغني عنك ثقة ، فقال الأحنف : إن الثقة لا يبلغ ولا ريب أن من وشى بغيرك إليك فقد وشى بك إلى غيرك .

لعمرك ما سب الأمير عدوه ولكنما سب الأمير المبلغ

وما أحسن ما قيل في الاعتذار عن وشي النمامين :

حرمت منائي منك إن يكن الذي أتاك به الواشون عني كما قالوا

---

(١) البحار ج ٧٥ ص ٢٦٨

ولكنهم لما رأوك سريعة إليّ تواصوا بالنميمة واحتالوا
فقد صرت أذنا للوشاة سميعة ينالون من عرضي ولو شئت ما نالوا

وقال الآخر:

فكوني على الواشين لداء شغبة كما أنا للواشي ألد شغوب

ومن أكبر الكبائر وأقبح مساوئ الأخلاق الغيبة، اعلم أن حقيقة الغيبة مأخوذة من الغيب ضد الشهادة والمراد بها إبراز ما غاب من أحوال المرء عن الناس وإظهار ما استتر من صفاته فتكون الغيبة إظهار غيبه لأجل عيبه، وأما ما كان ظاهرا فيه فذكره ليس بغيبة نعم إن ذكره لأجل نقصه فهو حرام وإن لم يكن غيبة فعن أبي عبدالله عليه السلام ((الغيبة أن تقول في أخيك ما ستره الله تعالى وأما الأمر الظاهر فيه مثل الحدة والعجلة فلا، والبهتان أن تقول فيه ما ليس فيه)) (١).

عن أبي الحسن عليه السلام ((من ذكر رجلا من خلفه بما هو فيه مما عرفه الناس لم يغتبه، ومن ذكره بما هو فيه مما لا يعرفه الناس اغتابه، ومن ذكره بما ليس فيه فقد بهته)) (٢).

ونقلوا أن الله أوحى إلى موسى عليه السلام ((إن المغتاب إذا تاب فهو آخر من يدخل الجنة، وإن أصر فهو أول من يدخل النار)) (٣).

وعن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله ((من أذاع فاحشة كان كمبتدئها، ومن عير مؤمنا بشيء لم يمت حتى يركبه)) (٤)، وقد قال الله ﴿ إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم ﴾(٥).

وقال عليه السلام ((السامع للغيبة أحد المغتابين)) (٦).

---

(١) (٢) الكافي ج ٢ ص ٣٥٨ (٣) البحار ج ٧٥ ص ٢٢٢ (٤) الكافي ج ٢ ص ٣٥٦
(٥) النور ١٩ (٦) البحار ج ٧٥ ص ٢٢٥

وروت العامة عن النبي صلى الله عليه وآله ((إياكم و الغيبة فإن الغيبة أشد من الزنى ، ثم قال إن الرجل ليزني و يتوب فيتوب الله عليه ، وإن صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبها)) (١) .

وعن أنس ((من مات على الغيبة حشر يوم القيامة مزرقة عيناه ينادي بالويل و الندامة يعرف أهله و لا يعرفونه)) (٢) .

وعنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله ((لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم ، فقلت : يا جبرئيل من هؤلاء ؟ ، قال : هؤلاء الذين يغتابون الناس الناس ويقعون في أعراضهم)) (٣) .

ويقال أول من اغتاب إبليس اغتاب آدم عليه السلام حين قال ﴿أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين﴾ (٤) أراد نقصه بذلك .

وروى أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وآله قال ((ملعون ذو الوجهين ملعون ذو اللسانين ملعون كل شغار ملعون كل قتاب ملعون كل منان)) والشغار المحرس بين الناس يلقي بينهم العداوة ، والقتاب النمام ، والمنان الذي يعمل الخير ويمن به .

وقال حكيم احذروا أعداء العقول ولصوص المودات وهم السعاة النمامون ، إذا سرق اللصوص المتاع سرقوا المودات ، وفي المثل من أطاع الواشي ضيع الصديق .

وعن أبي عبد الله عليه السلام يقول ((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقعدن في مجلس يعاب فيه إمام أو ينتقص فيه مؤمن)) (٥) .

---

(١) إرشاد القلوب ص ١٨٩ (٢) شرح النهج ج ٩ ص ٦٢

(٣) البحار ج ٧٥ ص ٢٢٢ (٤) الأعراف ١٢ (٥) الكافي ج ٢ ص ٣٧٨

وعن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله ((الغيبة أسرع في دين الرجل المسلم من الأكلة في جوفه ، قال : وقال رسول الله صلى الله عليه وآله الجلوس في المسجد لانتظار الصلاة عبادة ما لم يحدث ، قيل : يا رسول الله ما يحدث ، قال : الاغتياب)) (١) .

وعنه عليه السلام قال ((من قال في مؤمن ما رأته عيناه وسمعته أذناه فهو من الذين قال الله عز وجل ﴿ إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم ﴾ (٢))) (٣) .

وعن أبي عبدالله عليه السلام قال ((من بهت مؤمنا أو مؤمنة بما ليس فيه بعثه الله في طينة خبال حتى يخرج مما قال ، قلت :وما طينة خبال ، قال : صديد يخرج من فروج المومسات)) (٤) والمومسة الفاحشة .

وعن أبي عبدالله عليه السلام قال ((سئل النبي صلى الله عليه وآله : ما كفارة الاغتياب ؟ قال : تستغفر الله لمن اغتبته كلما ذكرته)) (٥) .

وعن أبي عبدالله عليه السلام قال ((من لقي أخاه المؤمن بما يؤنبه أنبه الله في الدنيا والآخرة)) (٦) .

وورد في ذكر من لا غيبة له قال رسول الله صلى الله عليه وآله ((لا غيبة إلا لمن صلى في بيته ورغب عن جماعتنا ، ومن رغب عن جماعة المسلمين وجب على المسلمين غيبته ، وسقطت بينهم عدالته ووجب هجرانه وإذا رفع إلى إمام المسلمين أنذره وحذره فإن حضر جماعة المسلمين وإلا أحرق عليه بيته)) (٧) .

---

(١) (٦) الكافي ج ٢ ص ٣٥٦ — (٢) النور ١٩

(٣) (٤) (٥) الكافي ج ٢ ص ٣٥٧

وفي جوامع الجامع قال وفي الحديث ((من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة)) (١) .

وقال صلى الله عليه وآله ((ثلاثة ليس لهم غيبة من جهر بفسقه ، ومن جار في حكمه ، ومن خالف قوله فعله)) (٢) .

وعن الأصبغ بن نباتة قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام ذات يوم وهو يخطب على المنبر بالكوفة ((يا أيها الناس لولا كراهية الغدر كنت من أدهى الناس إلا أن لكل غدرة فجرة ولكل فجرة كفرة ، ألا إن الغدر والفجور والخيانة في النار)) (٣) .

ومن أعظم مساوئ الأخلاق الكذب بل رأس مساوئ الأخلاق وخلف الوعد قلب الكذب فعن النبي صلى الله عليه وآله ((طينة المؤمن من كل شيء إلا الكذب والخيانة))

وفي نقل آخر ((طبع المؤمن على كل خلق إلا الكذب والخيانة)) يعنى أن طينة المؤمن تتصف بكل شيء من مكارم الأخلاق وتقبله بالذات وتتصف بمساوئ الأخلاق بالعرض اللطخ الذي أصابها من طينة الكفار إلا الكذب والخيانة ، وإنما لم يتصف المؤمن بهما مع جواز اتصافه بغيرهما من مساوئ الأخلاق لأنهما صفتان ذاتيتان للمنافق كما أن الصدق والوفاء صفتان ذاتيتان للمؤمن ، ولا كذلك باقي الصفات واللطخ الذي أصاب المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن إنما هو من مواد الأغذية لا في الطينة الأصلية كما بينته مرارا ، وإذا عبرنا عن مواد الأغذية بالطينة فمرادنا حامل الطينة الأصلية لسريان الطينة الأصلية فيها فلذا قال ((طينة المؤمن)) يعنى مواد أغذيته التى بها مزج الطينة الأصلية ، قال سبحانه في الكاذبين ﴿ لهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون ﴾ (٤) .

---

(١) البحار ج ٧٥ ص ٢٦٠
(٢) مجموعة ورام ج ٢ ص ٢٥٢
(٣) الكافي ج ٢ ص ٣٣٨
(٤) البقرة ١٠

وعن أبي جعفر عليه السلام قال ((كان علي بن الحسين عليهما السلام يقول لولده اتقوا الكذب الصغير منه والكبير في كل جد وهزل فإن الرجل إذا كذب في الصغير اجترى على الكبير أما علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال ما يزال العبد يصدق حتى يكتبه الله صديقا و ما يزال العبد يكذب حتى يكتبه الله كذابا)) (١) .

و عن أبي جعفر عليه السلام قال ((إن الله عز و جل جعل للشر أقفالا و جعل مفاتيح تلك الأقفال الشراب و الكذب شر من الشراب)) (٢) .

وعنه عليه السلام قال ((إن الكذب هو خراب الايمان)) (٣) .

وعنه عليه السلام قال ((إن أول من يكذب الكذاب الله عز و جل ثم الملكان اللذان معه ثم هو يعلم أنه كاذب)) (٤) .

وعن أبي عبد الله عليه السلام يقول ((إن الكذاب يهلك بالبينات و يهلك أشياعه بالشبهات)) (٥) .

وعنه عليه السلام لما ذكر عنده الحائك أنه ملعون قال ((إنما ذاك الذي يحوك الكذب على الله و على رسوله صلى الله عليه و آله)) (٦) .

وقال أمير المؤمنين عليه السلام ((لا يجد عبد طعم الايمان حتى يترك الكذب هزله و جده)) (٧) .

وعن عبد الرحمن بن الحجاج قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام الكذاب هو الذي يكذب في الشيء ؟ قال ((لا ما من أحد إلا يكون ذاك منه و لكن المطبوع على الكذب)) (٨) يريد الذي يكون شعاره الكذب عادة لا من يقع منه أحيانا كسائر

---

(١) (٢) الكافي ج ٢ ص ٣٣٨ (٣) (٤) (٥) الكافي ج ٢ ص ٣٣٩

(٦) (٧) (٨) الكافي ج ٢ ص ٣٤٠

المؤمنين أو من يوقعه أحيانا للمصالح الدينية فإنه ربما يجب و يسمى إصلاحا لا كذبا ، فعن الصادق عليه السلام قال ((الكلام ثلاثة صدق و كذب و إصلاح بين الناس ، قال قيل له : جعلت فداك ما الإصلاح بين الناس ؟ قال ((تسمع من الرجل كلاما يبلغه فتخبث نفسه فتقول سمعت من فلان قال فيك من الخير كذا وكذا خلاف ما سمعت منه)) (١) .

وعنه عليه السلام قال ((المصلح ليس بكذاب)) (٢) .

وعنه عليه السلام يقول ((إن مما أعان الله على الكذابين النسيان)) (٣) .

وقال أمير المؤمنين عليه السلام ((ينبغي للرجل المسلم أن يجتنب مواخاة الكذاب فإنه يكذب حتى يجيء بالصدق فلا يصدق)) (٤) .

وقال عليه السلام ((أول عقوبة الكاذب أن يرد صدقه يرد عليه)) (٥) .

وقال عليه السلام ((الكذاب يخيف نفسه وهو آمن)) (٦) .

وقالوا : قال رسول الله صلى الله عليه وآله ((إياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور والفجور يهدي إلى النار ، وإن الرجل ليكذب و يتحرى الكذب فيكتب عند الله كاذبا وعليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر و إن البر ليهدي إلى الجنة وإن الرجل ليصدق و يتحرى الصدق فيكتب عند الله صادقا)) (٧) .

وكان يقال في الأمثلة فلان أكذب من لمعان السراب ومن سحاب تيموز .

---

(١) (٤) الكافي ج٢ ص٣٤١ (٢) (٣) الكافي ج٢ ص٣٤٢ (٥) شرح النهج ج٢٠ ص٣٣٠

(٦) شرح النهج ج٢٠ ص٢٩٤ (٧) شرح النهج ج٦ ص٣٥٧

وقد قيل ما من مضغة أحب إلى الله من اللسان إذا كان صادقا ، ولا مضغة أبغض إلى الله منه إذا كان كاذبا .

وقال الأصمعي لكذاب هل صدقت قط ، فقال : لولا أني أصدق في هذا لقلت لك لا .

وأما خلف الوعد وهو أقبح الكذب وهو روح البخل ولبه فعن أبي عبدالله عليه السلام ((عدة المؤمن أخاه نذر لا كفارة له فمن أخلف فبخلف الله بدأ ولمقته تعرض ، وذلك قوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ، كبرا مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون ﴾ (١))) (٢) .

وعنه عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله ((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليف إذا وعد)) (٣) .

وخلف الوعد منشأه من البخل والكسل ، و نقلوا أن رجلا اسمه ثعلبة بن خاطب من الأنصار جاء يوما إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال ((يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالا، فقال له صلى الله عليه وآله : يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه ، أما لك في رسول الله أسوة حسنة ، والذي نفسي بيده لو أردت أن تسير الجبال معي ذهبا وفضة لسارت ، ثم أتاه بعد ذلك فقال يا رسول الله : ادع الله أن يرزقني مالا فوالذي بعثك بالحق لئن رزقني الله مالا لأعطين كل ذي حق حقه . ، فقال صلى الله عليه وآله : اللهم ارزق ثعلبة مالا ، قال: فاتخذ غنما فنمت كما ينمى الدود فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها فنزل واديا من أوديتها وهي تنمو ، فكان يصلي مع رسول الله صلى الله عليه وآله الظهر والعصر ويصلي باقي الصلوات في غنمه فكثرت ونمت فبعد عن المدينة فصار لا يشهد إلا الجمعة ، فكثرت فتباعد حتى كان لا يشهد الجماعة ولا الجمعة فإذا كان يوم الجمعة خرج يتلقى

---

(١) الصف ٢ – ٣ (٢) الكافي ج ٢ ص ٣٦٣ (٣) الكافي ج ٢ ص ٣٦٤

الناس يسألهم عن أخبار المدينة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم : ما فعل ثعلبة ؟ ، قالوا : يا رسول الله اتخذ غنما لا يسعها واد ، فقال صلى الله عليه وآله : يا ويح ثعلبة ، فأنزل الله آية الصدقة فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله رجلين رجلا من بني سليم ورجلا من جهينة وكتب لهما كيفية الصدقة وقال لهما مرا بثعلبة بن خاطب وبرجل آخر من بني سليم فخذا صدقاتهما فخرجا حتى أتيا ثعلبة فسألاه الصدقة وأقرآه كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال : ما هذه إلا جزية ، ما هذه إلا أخت الجزية انطلقا حتى تفرغا ثم عودا إليّ ، فانطلقا فسمع بهما السلمي فنظر إلى خيار إبله فعزلها للصدقة ثم استقبلهما بها وقال : خذا فإن نفسي طيبة بذلك فمرا على الناس وأخذا الصدقات فرجعا إلى ثعلبة فقال : أروني كتابكما فقرأه ، فقال : ما هذه إلا جزية ما هذه إلا أخت الجزية ، اذهبا حتى أرى رأيي ، قال : فأقبلا فلما رآهما رسول الله صلى الله عليه وآله قال قبل أن يتكلما : ويح ثعلبة فأنزل الله تعالى ﴿ ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين ، فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون ، فأعقبهم نفاقا في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون ، ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم إن الله علام الغيوب ﴾ (١)) (٢) .

ومن شعر لي قلته :

أين الوفاء من الألد وإنما خلف النفوس طبيعة لم تجلب

وقلت أيضا في بعض أهل الخلف في الوعد من أهل البخل :

---

(١) التوبة ٧٥ ـ ٧٨ (٢) البحار ج ٢٢ ص ٤٠

أخلف من عرقوب في وعده المكذوب

لو قيس بابن عامر في البخل أو بمادم

كانا كمثل الطائي في الجود والعطا

أو ابن سعد في الهمم وفي الأيادي والكرم

ومن مساوئ الأخلاق البخل وهي في اللغة منع السائل مما يفضل عنده وفي الشرع منع الواجب ووزره راجع على صاحبه ، قال الله تعالى ﴿ ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه ﴾ (١) ، وقال تعالى ﴿ الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله ﴾ (٢) .

وعن النبي صلى الله عليه وآله ((البخل جامع لمساوئ العيوب وهو زمام يقاد به إلى كل سوء)) (٣) .

وقال أمير المؤمنين عليه السلام ((عجبت للبخيل يستعجل الفقر الذي منه هرب ويفوته الغنى الذي إياه طلب فيعيش في الدنيا عيش الفقراء ويحاسب في الآخرة حساب الأغنياء ، وعجبت للمتكبر الذي كان بالأمس نطفة ويكون غدا جيفة ، وعجبت لمن شك في الله وهو يرى خلق الله ، وعجبت لمن نسي الموت وهو يرى من يموت ، وعجبت لمن أنكر النشأة الأخرى وهو يرى النشأة الأولى ، وعجبت لعامر دار الفناء وتارك دار البقاء)) (٤) .

وقيل كان بخيل لا يأكل إلا الشعير فقال له ابنه : يا أبة ما لنا لا نأكل إلا الشعير والناس يأكلون البر ، فقال : يا بني نخاف من الفقر ، فقال له ابنه : إذا افتقرنا ما نأكل ، قال : الشعير : فقال ابنه : نحن الآن في الفقر .

وعن الفضل بن أبي هريرة قال رأيت أبا عبدالله عليه السلام يطوف من أول الليل إلى آخره وهو يقول ((اللهم قني شح

---

(١) محمد ٣٧ — (٣) البحار ج ٧٣ ص ٣٠٧

(٢) النساء ٣٧ — (٤) شرح النهج ج ١٨ ص ٣١٥

نفسي ، فقلت : جعلت فداك ما سمعتك تدعو بغير هذا الدعاء ، قال : وأي شيء أشد من شح النفس إن الله يقول ﴿ ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾ (١))) (٢) .

وروي إن الله يكره البخيل في حياته والكريم في مماته ، يعنى أنه يكره حياة البخيل وموت الكريم لأن حياة البخيل داعية إلى منع الحقوق وموجبة لترك المعروف ، وموت الكريم بعكسه فتكون الكراهة راجعة إلى الوصف أعنى الحياة والموت ، أو يكون المراد بأن الله يكره البخيل في حياته والكريم في مماته أن في بمعنى الباء والجار والمجرور متعلقهما الوصف بما تضمنه من بخل وكرم أي يكره من يبخل بحياته محبة للدنيا وبغضا للقاء الله ، ويكره من يتكرم بمماته فيحب الموت ساخطا لما أصابه من قضاء الله في دار الدنيا غير راض عن الله بما أجراه عليه وهذه الحالة كثيرا ما تحصل لأرباب المصائب والحاجة .

وللعرب في ذكر البخلاء مذاهب وفنون كما هم في ذكر الكرماء وكان المنصور الدوانيقي شديد البخل ولذا لقب بالدوانيقي وكان من بخله ما نقلوا أن سلم الحادي حدا به يوما في طريقه إلى الحج ، يقول الشاعر :

أغر بين حاجبيه نوره   يزينه حياؤه وخيره
ومسكه يشوبه كافوره   إذا تغدى رفعت ستوره

فطرب حتى ضرب برجل المحمل ثم قال : يا ربيع أعطه نصف درهم ، فقال سلم : نصف درهم يا أمير المؤمنين لقد حدوت بهشام فأمر لي بثلاثين ألف درهم ، فقال : تأخذ من بيت مال المسلمين ثلاثين ألف درهم : يا ربيع وكل به من يستخلص منه هذا المال ، قال الربيع : فما زلت أمشي بينهما وأروضه حتى شرط سلم على

---

(١) الحشر ٩   (٢) تفسير القمي ج ٢ ص ٣٧٢

نفسه أن يحدو به في ذهابه وإيابه بغير مؤنة .

وكان المتنبي من البخلاء المعروفين مدحه إنسان بقصيدة فقال له : كم تأمل منا ، قال : عشرة دنانير ، فقال له : والله لو ندفت قطن الأرض بقوس السماء على أجنحة الملائكة ما دفعت لك دانقا .

وقيل لبخيل : من أشجع الناس ، قال : من سمع وقع أضراس الناس على طعامه ولم تنشق مرارته .

وقال بعضهم في ذم بخيل :

لو أن دارك أنبتت لك واحتشت إبرا يضيق بها فناء المنزل
وأتاك يوسف يستعيرك إبرة ليخيط قد قميصه لم تفعل

ومن مساوئ الأخلاق المراء ومعاداة الرجال فعن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام ((إياكم والمراء والخصومة فإنهما يمرضان القلوب على الاخوان وينبت عليهما النفاق)) (١) .

وقال : قال النبي صلى الله عليه وآله ((ثلاث من لقي الله عز وجل بهن دخل الجنة من أي باب شاء من حسن خلقه ، وخشي الله في المغيب والمحضر ، وترك المراء وإن كان محقا)) (٢) .

وقال أبو عبدالله عليه السلام ((لا تمارين حليما ولا سفيها فإن الحليم يقليك والسفيه يؤذيك)) (٣) .

وعنه عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله ((ما كان جبرئيل يأتيني إلا قال يا محمد اتق شحناء الرجال وعداوتهم)) (٤) .

وقال الصادق عليه السلام ((إياكم والخصومة فإنها تشغل القلب وتورث النفاق وتكسب الضغائن)) (٥) .

---

(١) (٢) الكافي ج ٢ ص ٣٠٠ (٣) (٤) (٥) الكافي ج ٢ ص ٣٠١

وقال عليه السلام لأصحابه ((من زرع العداوة حصد ما بذر)) (١)

وعنه عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله ((ما أتاني جبرئيل قط إلا وعظني ، فآخر قوله لي : إياك ومشارة الناس فإنها تكشف العورة وتذهب بالعز)) (٢) .

ومن قبائح مساوئ الأخلاق الغضب فعن الصادق عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله ((الغضب يفسد الايمان كما يفسد الخل العسل)) (٣) .

وقال الصادق عليه السلام ((الغضب مفتاح كل شر)) (٤) .

وعن ميسر قال ذكر الغضب عند أبي جعفر عليه السلام فقال ((إن الرجل ليغضب فما يرضى أبدا حتى يدخل النار ، فأيما رجل غضب على قوم وهو قائم فليجلس من فوره ذلك فإنه سيذهب عنه رجز الشيطان ، وأيما رجل غضب على ذي رحم فليدن منه فليمسه فإن الرحم إذا مست سكنت)) (٥) .

وعن أبي عبدالله عليه السلام يقول : سمعت أبي عليه السلام يقول ((أتى رسول الله صلى الله عليه وآله رجل بدوي فقال إني أسكن البادية فعلمني جوامع الكلم ، فقال : آمرك أن لا تغضب ، فأعاد عليه الأعرابي المسألة ثلاث مرات حتى رجع الرجل إلى نفسه فقال : لا أسأل عن شيء بعد هذا ما أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله إلا بالخير ، قال : وكان أبي يقول أي شيء أشد من الغضب إن الرجل يغضب فيقتل النفس التى حرم الله ويقذف المحصنة)) (٦) .

وعن أبي عبدالله عليه السلام قال ((من كف غضبه ستر الله عورته)) .

---

(١) (٢) (٣) (٤) (٥) الكافي ج ٢ ص ٣٠٢ (٦) (٧) الكافي ج ٢ ص ٣٠٣

وعن أبي جعفر عليه السلام قال ((((مكتوب في التوراة فيما ناجى الله عز وجل به موسى عليه السلام : يا موسى أمسك غضبك عمن ملكتك عليه أكف عنك غضبي)) (١) .

وعن أبي عبدالله عليه السلام ((إن في التوراة مكتوب : ابن آدم اذكرني حين تغضب أذكرك عند غضبي فلا أمحقك فيمن أمحق وإذا ظلمت بمظلمة فارض بانتصاري لك فإن انتصاري لك خير من انتصارك لنفسك)) (٢) .

وعن أبي جعفر عليه السلام قال ((إن هذا الغضب جمرة من الشيطان توقد في قلب ابن آدم ، وإن أحدكم إذا غضب احمرت عيناه وانتفخت أوداجه ودخل الشيطان فيه ، فإذا خاف أحدكم ذلك من نفسه فليلزم الأرض فإن رجز الشيطان ليذهب عنه عند ذلك)) (٣) .

و قال أبو عبدالله عليه السلام ((الغضب ممحقة لقلب الحكيم)) ، وقال ((من لم يملك غضبه لم يملك عقله)) (٤) .

وعنه عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله ((من كف نفسه عن أعراض الناس أقال الله نفسه يوم القيامة ، ومن كف غضبه عن الناس كف الله تبارك وتعالى عنه عذاب يوم القيامة)) (٥) .

وتمام مساوئ الأخلاق قطيعة الرحم فإنها موجبة لغضب الله والبعد عنه فعن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله في حديث ((ألا إن في التباغض الحالقة ، لا أعنى حالقة الشعر ولكن حالقة الدين)) (٦) ، والحالقة قطيعة الرحم .

وقال أبو عبدالله عليه السلام ((اتقوا الحالقة فإنها تميت الرجال ،

---

(١) الكافي ج ٢ ص ٣٠٣ — (٢) (٣) الكافي ج ٢ ص ٣٠٤

(٤) (٥) الكافي ج ٢ ص ٣٠٥ — (٦) الكافي ج ٢ ص ٣٤٦

قلت : وما الحالقة ، قال : قطيعة الرحم)) (١) .

وعن أبي جعفر عليه السلام قال ((في كتاب علي عليه السلام ثلاث خصال لا يموت صاحبهن أبدا حتى يرى وبالهن ، البغي وقطيعة الرحم واليمين الكاذبة يبارز الله بها ، وإن أعجل الطاعة ثوابا لصلة الرحم وإن القوم ليكونون فجارا فيتواصلون فتنمى أموالهم ويثرون ، وإن اليمين الكاذبة وقطيعة الرحم لتذران الديار بلاقع من أهلها وتنقل الرحم ، وإن نقل الرحم انقطاع النسل)) (٢) .

وعن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله ((لا تقطع رحمك وإن قطعتك)) (٣) .

وقال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة ((أعوذ بالله من الذنوب التى تعجل الفناء ، فقام إليه عبدالله بن الكواء اليشكري فقال : يا أمير المؤمنين : أو تكون ذنوب تعجل الفناء ، فقال : نعم ويلك قطيعة الرحم ، إن أهل البيت ليجتمعون ويتواسون وهم فجرة فيرزقهم الله ، وإن أهل البيت ليفترقون ويقطع بعضهم بعضا فيحرمهم الله وهم أتقياء)) (٤) .

وقال عليه السلام ((إذا قطعوا الأرحام جعلت الأموال في أيدي الأشرار)) (٥) .

وهذا آخر ما أردت إيراده في هذا المختصر طالبا من وجه الله الكريم أن ينفعني به في الآجل وينفع به المؤمنين ويجعله ذخرا ليوم الدين إنه أرحم الراحمين ، وفرغ من تسويده مصنفه قليل البضاعة والعمل كثير الاضاعة والزلل علي نقي بن أحمد بن زين الدين الهجري في محروسة كرمانشاهان صانها الله من طوارق الزمان غروب يوم الثلاثاء السابع والعشرين من ذي

---

(١) الكافي ج ٢ ص ٣٤٦ (٢) (٣) (٤) الكافي ج ٢ ص ٣٤٧

(٥) الكافي ج ٢ ص ٣٤٨

الحجة الحرام سنة الرابعة والأربعين والمائتين و الألف من الهجرة النبوية على مهاجرها وآله أفضل التحية والسلام حامدا مصليا مستغفرا والحمد لله رب العالمين .

فهرس الموضوعات

ترجمة أحوال المصنف ---------- ١

تمهيد ---------- ٧

المقدمة ---------- ١١

الباب الأول ---------- ٣٣

في ذكر العقل والعقلاء والعلم والعلماء ---------- ٣٥

فصل في ذكر العلم والعلماء ---------- ٥٣

الباب الثاني ---------- ٧٥

في ذكر الدنيا وماهيتها والزهد فيها ---------- ٧٧

فصل في الزهد في الدنيا والتجافي عنها ---------- ١٣٩

الباب الثالث ---------- ١٨١

في الصبر وما يتعلق به من البلاء ---------- ١٨٣

إطلاقات العرش ---------- ٢١٩

سبب تسمية الخمسة بأولي العزم ---------- ٢٢٧

قصة نوح عليه السلام ---------- ٢٢٨

الباب الرابع ---------- ٢٤٧

في الشكر وحقيقته ومن يتحلى به ---------- ٢٤٩

الباب الخامس ---------- ٢٧٣

في ذكر الذين زهدوا في الدنيا ورغبوا في الآخرة ---------- ٢٧٥

الخاتمة ---------- ٤٠١

في ذكر مكارم الأخلاق وحقيقة الإتصاف بها ---------- ٥١٧